الجامعة الأردنية
كلية الآداب
قسم الآثار

القلاع الإسلامية في الأردن
الفترة الأيوبية المملوكية

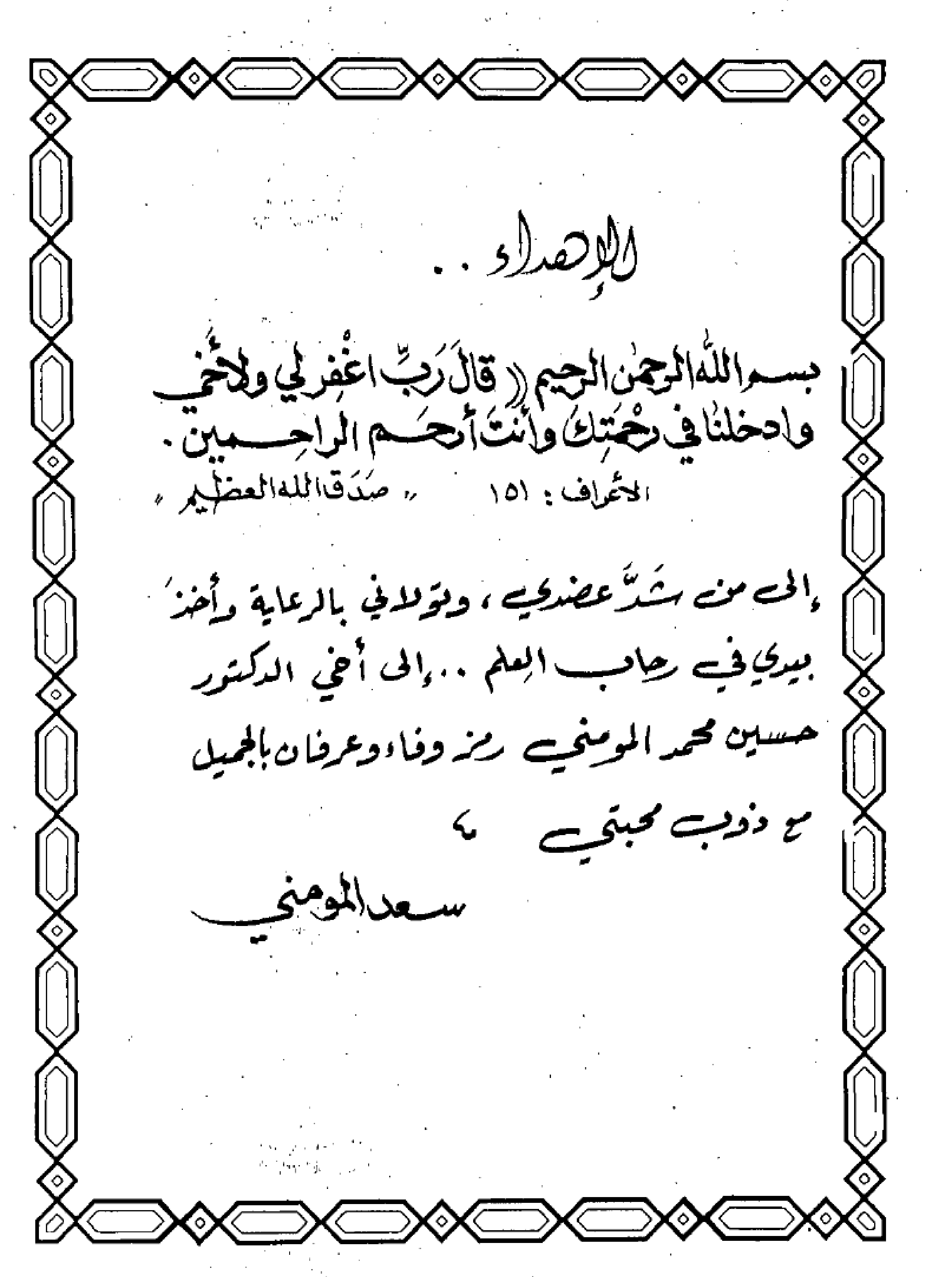
إعداد :

سعد محمد حسين المومني

إشراف :

الدكتور عبد الجليل عمرو

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في الآثار بكلية الآداب في الجامعة الأردنية - عمان
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



الإهداء ..

بسم الله الرحمن الرحيم ((قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

" صدق الله العظيم " الأعراف : ١٥١

إلى من شدّ عضدي ، وتولاني بالرعاية وأخذ بيدي في رحاب العلم .. إلى أخي الدكتور حسين محمد المومني رمز وفاء وعرفان بالجميل مع ذوب محبتي

سعد المومني

شكـــر وثنـــاء وتقـديـــر

الحمد والشكر للـه رب العالمين الذي أعان على كتابة هذا البحث في ظل الكدح الوظيفـي والمعاناة الأسريه . ومن ثم الشكر والرحمة لمن رباني صغيرا امتثالا لقوله سبحانه وتعالـى " أن اشكرلي ولوالديك " " وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " كما اتوجه بالشكر والتقديـر والعرفان للدكتور عبد الجليل عمرو الذي تصدى بعزيمة الشباب وحنكة الشيوخ للأشراف علـى البحث، ففتح لي مكتبه وبيته، ومنحني ثمين وقته، واوسع كل حرف في هذا البحث تدقيقا وتمحيصـا وتوجيها حتى جاء على هذا النحو، فجزاه اللـه عني خير الجزاء، ووهبه موفور الصحه واعانه علـى بذل المزيد من العطاء في سبيل الكشف عن مكنونـات آثارنـا .

ولايسعني الاان اتوجه بالشكر والثناء والتقدير للاساتذه الافاضل الذين نهلنا العلم علـى ايديهم في قسم الآثار بالجامعة الاردنيه وهم: الدكتور " صفوان التل " والذي كان لمكرمتـه أجمل الأثر في ظهور هذا البحث بالرغم من ان ظروف عمله قد حالت دون مواصلته الأشـراف عليه، والدكتور " نبيل الخيرى " رمزالنبل والخيرفكان لتشجيعه ورعايته وحسن توجيهاته أكبـر الأثر عندى في مواصله الدراسة والبحث، والى الدكتور "محمود ابوطالب" على سعة صدره وكريـم اخلاقه ورعايته للبحث والباحث، كما واتوجه بالشكر الى الدكتور " خير ياسين " عنوان الصبر والمثابره، والى الدكتور " عاصم البرغوثي " رمز التفاني والعطاء؛ والشكر والتقدير للدكتور "جسيم سور" مثال الجد والأجتهاد، وللدكتور " لطفي خليل " " وصبرى العبادى " ،على مشاعرهم الطيبه .

واتوجه بالشكر والتقدير الى اخي الدكتور " حسـين المومنـي " على حسن رعايتهوتوجيهه وتشجيعه في اعداد هذا البحث، كما واشكر الاستاذ الدكتور " لويس قطـش " على مساعدتـه الأخويه في ترجمة خُلاصة هذا البحث، كما واتوجه بالشكر والتقدير لاستاذي الفاضل الجليـل الدكتور " عدنان الحديدى " مدير دائرة الآثار العامه على مساعدته القيمه في تزويدى ببعـض الصوروتمكيني من الاطلاع على سجلات الدائرة واشكر كذلك الدكتور " غازى بيشه " على ما ابداه مـن نصائح قيمه وتوجيهات سديده، كما واشكر الدكتور " فوزى زيادين " والاخوات " حنان الكـردى " " وهند القسوس " من دائرة الآثار العامه وكل الاخوة والاخوات العاملين فيها على مساعدتهـم القيمه .

وفي هذا المقام اشكر الأخ فوزى شبيطه والأخ شريف البيطار، وكل الاخوه العاملين فـي مكتبة الجامعة الاردنيه، واسجل امتناني وشكرى الى الأب الفاضل "آلدو طولاطو" على مازودنـي به من مراجع قيمه غير متوفره محليا، وعلى مساعدته في ترجمة العديد من الموضوعات واعطائي من وقتـه الشيء الكثير، كما واشكر الأخ المهندس "عبد الرزاق ابوالغيلات" على مساعدته في رسم بعض المخططات واشكر الاخوه " نايف الصرايره " "وسليمان السعود " على مشاركتهم في عدد من الجولات لمواقع القلاع وأخذ بعض المقاسات لها، وكما اتوجه بالشكر والتقدير الى الاخوة النبلاء "خليل ابوشخيدم" الذى قـام بطباعة هذا البحث والأخ "محمد نعيمات" الذى قام باجراء التصحيحات على بعض الاخطاء المطبعيه .

ولايسعني الاان أسجل شكرى وامتناني لزوجتي الفاضله التي سهرت معي الأيام والليالـي، وشاركتني في زياراتي للقلاع، ودققت كل حرف في هذا البحث، ووفرت لي كل اسباب الراحه؛ كمـا واشكر فلذات كبدى على تحملهم لمشاق السفرمعي وانشغالي عنهم خلال الكتابة .

ولكل من ساهم في اخراج هذا البحث اتوجه باصدق وأنبـل مشـاعـر الأمتنـان والشكـر والتقديـر والعرفـان بالجميـل ؛ وأسـأل اللـه ان يمدنا بسبب من عنـده للكشف عن بعض الجوانب من تاريخ امتنا ، والحمد للـه فاتحـة كل خير وتمام كل نعمه .

الباحـث:

سعـد محمـد حسـين المومنـي .

بسم الله الرحمن الرحيم

(تقدمة)

الوطن جنة المواطن ،فيه نعيمه وفيه شقاؤه ،وحياة الأمم والشعوب في اوطانهما غالبا ماتمر في اوقات حرجه ،تشمر معها وكأن القيامة توشك ان تقوم ثم ماتلبث ان تمر باوقات سعيد ، ينبس فيها ثغر الحياه عن ابتسامة تنير معالم الطريق امام هذه الشعوب فترقى في معارج الحضاره ،والأردن واسطة عقد التاريخ لبلدان فلسطين ومصر وبلاد الشام والرافدين والجزيرة العربيه ،كما انه مفتاح الطريق لهذه البلدان ،صاحب التاريخ منذ اقدم العصور وسيبقى ،فقبل ان يعرف الانسان حساب الزمن بسنين وأشهر ،كان في الزاوية الجنوبيه الشرقية من الاردن في موقع (كلوه) من صنع معوله من الحجر وشق طريقه في الحياه ،ورسم القدره كمستخلف في الأرض ؛ وفي وادي الاردن بمدينة اريحا قامت احدى اقدم مدن الحضارة في العالم ، وصنعت اقدم آنية فخارية عرفها الانسان . وفي جنوب الاردن صهر انسانه المعادن واستخرج البرونز ،ثم صنع محراثه وعربته من الحديد .

وكان انسان الأردن اول من تصدى لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى فلسطين ،وعلى اسوار عمان قتل " اوريا الحثي " قائد جيش داود عليه السلام ،وفي ديوان سجل التاريخ للملك المؤابي " ميشع " اول بيان عسكري صدر عن هذا البلد تحقق فيه النصر على ملك اسرائيل سنة ٨٥٠ ق.م .

وبقي الأردن وثيق الصلة بالتاريخ ،شهد المد الفرعوني والبابلي والأشوري والكلداني والفارسي والروماني ؛ فكان سكانه كسنابل الحقل تنحني للعاصفه ولا تنكسر ،وفي خضم هذا المد اهدى الانباط العرب الاردنيون للحضارة العربيه هذه الحروف التي اصبحت فيما بعد لغة القرآن الكريم ،وهي لغة اهل الجنه يوم القيامه .

وفي نهر الأردن تطهرت البشرية من وثنيتها ،ودعي عيسى عليه السلام لتكريس الذات لمحبة الله وخدمة الانسان ،وانتشرت الديانة المسيحيه من على ضفافه لتبلغ ارجاء المعموره .

وفي سهل مؤته كانت أول هزة اصابت الامبراطورية البيزنطيه عندما استشهد اول ثلة من المجاهدين المسلمين خارج الجزيرة العربيه ،وحمل " جند الاردن " رسالة التوحيد لتبلغ العالم بأسره . وفي عهد بني اميه تحولت صحراؤه الى منتجعات بنيت فيها القصور ،ومن " الحميمه " جنوب الاردن كانت انطلاقة الدعوة العباسيه .

وهكذا نرى ان الاردن غني بالزمن بالرغم من صغر مساحته ، ازدحمت فيه حوادث التاريخ فجعلت منه متحفا اثريا اجمل مافيه رمز فروسيته المتمثل في " قلاعنا " وتتشابه ظروف الأمس مع واقع اليوم غزو صليبي واحتلال لبيت المقدس في السابع من حزيران سنة ١٠٩٩م ،وغزو صهيوني لفلسطين ،واكمال احتلال المدينه المقدسه في السابع من حزيران سنة ١٩٦٧ وكلا الغزوين دخل للوطن العربي من باب الفرقة والتناحر وضعف الايمان ؛ ونقرأ في سفر قلاعنا بان ثمن السياده يكمن في القدرة على الدفاع عنها وكيف ان اسرة واحده أخلصت لله وللأمه استطاعت ان تقلب الهزيمة الى نصر فحطمت في سهل حطين وفي قلاع الكرك والشوبك كبرياء الصليبيين وحررت بيت المقدس ؛ وحيث ان السنه اذا ماتساوت اعراض المرض تماثلت طرق الشفاء فهل نستفيد من عبر الماضي وننهج بما ساد عليه السلف الصالح ، ونعيد لقلاع الأردن سابق مجدها !؟

انه مهما اشتدت حلكة الليل فلابد من بزوغ الفجر فجر الخلاص . والله أسأل ان يكون في هذا البحث تذكره ، وان يكتب لنا الشهاده على ذرى القدس ؛ وهو ولي التوفيق .

فهرس المحتويـــات

الصفحـــة

الصفحة

قلعة الكرك :

قلعة الشوبك :

قلعة العقبة :

قلعة السلط :

الصفحــــة

الصفحة

ثالثا المخططات:

" بسم الله الرحمن الرحيم "

تمهيد :ـ

تخلد الأمم في التاريخ من خلال ما تقدمه في مختلف ميادين العطاء الانساني ، وبقدر ما تتركه من معالم وتراث حضاري يدل على ذلك . وتاريخ الانسان في صراعه على هذه الأرض، في فترتي السلم والحرب، يمتد في جذوره الى بدء الخليقة. ولا تخفى مكانة " الأمن " في حياة الانسان ، فهو ضالته المنشودة ، وعنوان حياته ، وأهم حاجاته التي يسعى جاهداً لتحقيقها ، منذ بدء الحياة . في ظله يكون العطاء والبناء والتشييد ، وتوفره دلالة على القوة والمنعة ، وهو سِمةُ الحقب الذهبية والتفوق والازدهار في تاريخ الأمم . ومن هنا كان حرص الأنسان وسعيه لاعداد كل ما من شأنه توفير الأمن بأبعاده المتعددة ، والأخطار التي تهدده ، فتهدد كيان الانسان وحضارته وامتداده ، وكان تشييد الحصون والقلاع والأسوار لهذا الغرض في مقدمة ما عني به من منذ فجر التاريخ .

وينظر الى الحصون والقلاع والأسوار، على انها من ابرز مخلفات الانسان وأقدمها وأكثرها وضوحاً ودلالةً على معالم تاريخه ، حيث ان فيها ما يمثل انعكاسا لأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية والدينية ، والسياسية والعسكرية ، وتطويرها في السلم والحرب. وينظر اليها على انها رمز قوة ومنعة ، ونتاج فكر ، وخلاصة تجربة ومقتضيات ظروف وحاجة ، وتعبير صراع وامكانات ، وعنوان سيادة وتفوق ، وانتصار لطرف وانكسار لطرف آخر .

وربما كانت تلك المنشآت الآنفة الذكر اول ما شيّدته يد الانسان ، لتوفير امنه بكل ابعاده : امن الحياة واسبابها ، وأمن الفكر والمعتقد ، ولتحقيق السيادة والتفوق والأمتداد . كما انها ربما كانت قطب الرحى الذى دارت من حوله واستهدفته المعارك الطاحنة التي خاضها الانسان في صراعه من أجل ذلك .

كما ينظر الى تلك المنشآت، على أنه كلما تقادم عليها العهد ، ازدادت اهمية في دلالتها ، وخاصة من الزاوية التاريخية والأثرية ، واصبحت الحاجة ماسة وأكثر الحاحا

لد راستها ،للوقوف على خصائصها،والدور الذى لعبته،والظروف والاوضاع التي أحاطت بتشييدها ،ولاستخلاص العبر والدروس المستفادة من تاريخها ،ونظام بنائها . ومن ثم للمساهمة في الحفاظ عليها ،والعناية بها ،حتى لاتتهددها اخطار الهدم والدمار فيضيع معها صرح من أكثر صروح الحضارة الانسانية شموخا بما ينطوى عليه من أسرار تاريخية ثمينة ،وحتى لايضطرب أمن المعرفة أويكتنفه خطأ أوغموض،اويعتريه ضياع .

والمتأمل في تاريخ الحضارة الانسانية ،تستوقفه حقائق عديدة منها : ان الوطن العربي بما أوتيه من مقومات وثروات،ومناخ ،وموقع حيوى واستراتيجي ،كان مهداً لنواة المجتمعات البشرية ،وأقدم الحضارات والديانات،ومعتركا ازدحمت فيه حوادث التاريخ فأخصبته وشكلت منه لوحة فسيفساء ،رُصّعت بالمعالم الأثرية الدالة على عظمة تلك الاحداث وصانعيها . ولعل من أبرز تلك المعالم الأثرية التي تجتذب انظار المتأمل حتى ايامنا هذه ،الحصون والقلاع والاسوار ،التي لاتزال - هي اوبعضُ منها - قائمة في مختلف ارجائه .

والحضارة العربيه الاسلاميه هي اكثر الحضارات التي قامت على ارض الوطن العربي ،رسوخا وامتدادا ،ذلك انها كانت أكثرها اثراء له ماديا وروحيا ،واعظمها تأثيرا فيه ،حتى انها أضفت عليه سماته الرئيسية التي يتسم بها ،وصبغته بصبغتها وماتزال . وكان من نتاج تلك الحضارة ، قيام عدد كبير من الحصون والقلاع والأسوار،في مواقع عديدة من الوطن العربي ،فوق قمم جباله ،وعلى امتداد شواطئه وفي صحاريه ،خلال مختلف عهودها .

في ضوء تقدم وبناء عليه ،يجيء هذا البحث ،ليتناول بالدراسة بعضا من تلك الحصون والقلاع والأسوار ،أقيمت على بقعة من الأرض العربية ،خلال عهدين من عهود الحضارة العربيه الاسلامية ،وهو بعنوان "القلاع الاسلاميه في الاردن - الفترة الايوبيه المملوكيه "وهي : قلعة عجلون ،وقلعة الكرك ،والشوبك ، والعقبة ،وقلاع اخرى اندثرت معظم معالمها ،ولم يبق منها الا أجزاء صغيرة هي قلاع: السلط ،الازرق ،الطفيله ،الوعيرة والحبيس ،وقلعة جزيرة فرعون .

ولقد ارتبط بناء هذه القلاع مع مرحلة تاريخية حاسمة، تعرضت فيها البلاد العربية لأعظم خطرين : الغزو الصليبي، والغزو المغولي، مما ترتب عليه انتشار بنائها في هذه البلاد، لتصبح دليلا على تاريخ مشترك بينها. وهذه القلاع لم تلق العناية الكافية، والدراسة الوافية، لاستطلاع ما تنطوي عليه. كما ان الدراسات التي تناولتها — كما سنرى في الصفحات اللاحقة — اشارت اليها اشارات عابرة، وربما سطحية لا تفي بالغرض المطلوب، كما اعتراها كثير من اللبس والغموض، مما أوجد لبسا في تاريخ وهوية هذه القلاع بين صليبي واسلامي، يضاف الى ذلك تعرض هذه القلاع لمخاطر الطبيعة، ويد الانسان، مما يجعلها في تناقص مستمر يهدد كيانها بالزوال. لذلك لابد لنا ان نتبين الاسباب التي احاطت بتشييد تلك القلاع، ومراحل تطورها والعوامل المؤثرة فيها، والادوار التي لعبتها، ومدى الترابط فيما بينها والسعي لالقاء مزيد من الضوء على معالمها.

الدراسات السابقة المتصلة بموضوع البحث :—

ان ماكتب عن قلاعنا — موضوع البحث — لم يكن في يوم من الأيام ليشفي غليل الباحث او الزائر او السائح، فمن خلال جولات عديدة بين مكتباتنا. وعلى مدار عدة سنين، لم نجد الا إشارات عابرة هنا وهناك. وعندما استعنّا بطلاب العلم في الجامعات العربية او الاوروبية او الامريكية، او من خلال مخاطبات شخصية مع تلك الجامعات، تمكنّا من الحصول على بعض المعلومات التي تحتاج بدورها الى تمحيص وتدقيق. وللوقوف على ما ورد عن هذه القلاع من معلومات في الدراسات السابقة، ارتأينا ان نقسمها الى فئات ثلاث :—

أ — الدراسات العربية :

وهنا يمكننا القول بأن ما تم في هذا المجال مايزال ناشئا ومحدودا، لم يتجاوز في معظمه نطاق التعريف المبدأي ببعض القلاع والحصون، وفي بقاع محدودة من الوطن العربي، واذا كان في تلك الدراسات من اشارة الى قلاعنا فلا تعدو العنوان او ان ترد في مناسبة تاريخية، الا اننا استفدنا من هذه الدراسات في موضوع المقارنة بين ما جاء فيها عن قلاع ذلك القطر، وبين القلاع موضوع البحث.

وأهم المراجع التي استفدنا منها في هذا المجال ،تلك الدراسة التي قام بها عبد الرحمن زكي [١]سنة ١٩٥٨ ، ونشرها في المجلة المصرية للدراسات التاريخية تحت عنوان " العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين" ، واعتبر قلعة الكرك بأنها قلعة صليبية ، من قلاع مطلع القرن الثاني عشر، بعد ان تحدث من التأثيرات البيزنطية في العمارة العربية الاسلامية ، ومدى تأثر الصليبيين بما شاهدوه من معالم معمارية بيزنطية وعربية. كذلك قام "زكي "[٢] سنة ١٩٦٠ باصدار كتاب بعنوان " قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة" أشار فيه الى قلعة فرعون من حيث موقعها ومساحة الجزيرة المقامة عليها ،كما اشار الى قلعة العقبة من حيث موقعها وتاريخ بنائها موصف مختصر لها ، وكل ذلك في صفحة واحدة. وفي سنة ١٩٦٩ كتب زكي [٣] مقالة ثانية في المجلة التاريخية المصرية بعنوان " القلاع في الحروب الصليبية" أشار فيها اشارات عابرة لقلعتي الكرك والشوبك من حيث مدى مقاومتهما للحصار الاسلامي ، وعلى انها قلاع صليبية ، ولم يشر الى أي اثر اسلامي فيهما. وقد نشر زكي [٤]خلاصة لمؤلفاته هذه في كتاب جاء تحت عنوان " الجيش المصري في العصر الاسلامي" صدر سنة ١٩٧٠ ،كما انه قام بتأليف كتاب عام ١٩٧١ بعنوان " قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار"[٥] تحدث فيه عن قلعة صلاح الدين في القاهرة ، من خلال جولات اثرية ، وصف فيها القلعة ، وما حولها من مبان ، وما اشتملت عليه من نقوش أثرية. وقد استفدنا من مقالات زكي هذه في مجال المقارنة.

هذا وقد استفدنا من بعض المقالات التي نشرت في الحوليات الأثرية العربية السورية[٦] عن بعض القلاع السورية ، وذلك في مجال المقارنة بينها وبين

---

(١) زكي ١٩٥٨ : ١٠٦—١٢٣.
(٢) زكي ١٩٦٠ : ١٢٣، ١٣٦.
(٣) زكي ١٩٦٩ : ٤٩—٧٨.
(٤) زكي ١٩٧٠ : ٩٨—١١٩.
(٥) زكي ١٩٧١ : ١—٧٥.
(٦) المجلد الثالث ١٩٥٣ : ٦٩—٨٦ ؛ المجلدان الرابع والخامس ١٩٥٤—١٩٥٥ : ٢٩—٣٦ ؛ المجلد السادس ١٩٥٦ : ١٣٥—١٥٣ ؛ المجلد السابع عشر ١٩٦٧ : ٥٩—٧٨.

الظواهر العامة في القلاع الأردنيـــة .

كما استفدنا ايضا حول نفس الموضوع من كتاب اصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[1] سنة ١٩٧٢ بعنوان " المعالم الأثرية في البلاد العربية" وقـــد تضمّن معلومات عامة مختصرة عن بعض القلاع في سوريا والأردن ، وفي سنة ١٩٧٥ صدر في سوريا كتاب ألفه "اكرم الساطع"[2] بعنوان " حصون وقلاع" وصفه مؤلفه بانـــه " يتصف بالايجاز ليتناسب مع وقت الزائر" وبالتالي فقد قَصَدَ منه اعطاء السائـــح تعريفا بالقلاع السورية ، وقد افدنا منه في مجال المقارنة فقط ، اذ ليس فيه اية اشـــارة لقلاعنـــا .

هذا فيما يتعلق بالقلاع في كل من مصر وسوريا ، اما قلاع العراق فلم يُقـــدّر لنا العثور على مراجع تتحدث عنها ، وبخصوص قلاع فلسطين فإن الذين كتبوا عنهـــا كانوا من الاسرائيليين ، وسنأتي على ذكرهم في الفقرات اللاحقـة .

ب ــ الدراسات الأجنبيـة :ــ

ان الاهتمام بدراسة الحصون والقلاع والاسوار على مستوى عالمي ، اهتمـــام متزايد بصفة عامة ، خاصة في بعض الدول الأوروبية ، وربما كان ذلك عائدا الى وفـــرة القلاع فيها ، والتي تعود الى القرون الوسطى ، وعصر الاقطاع . وحيث ان الظروف التـي احاطت بتشييد القلاع الأوروبية ، او غيرها من القلاع في البلدان الأجنبية ، تختلـــف عن تلك التي احاطت بتشييد القلاع في الوطن العربي ، فانه مهما أُجريت من دراســات وبحوث متعلقة بالقلاع هناك ، فلن تُغني عن قيام بحوث ودراسات عربية بصفة عامة ، ومحليــة بصفة خاصة ، تتناول القلاع القائمة في كل بلد من البلدان العربية .

واما بالنسبة للدراسات الاجنبية التي عنيت ببعض الحصون والقلاع في العالــم العربي ، فأن معظم تلك الدراسات أُجريت من قبل عدد من المستشرقين ، الذين مهمـا

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٢ : ٧٠-٨٠ ، ٢٨٩-٢٩٦ .

(٢) الساطع ١٩٧٥ : ١٥-١١٣ .

بلغ المامهم باللغة العربية ، فان دراساتهم ستبقى قاصرة عن الفهم الدقيق لتاريخ المنطقة العربية وآثارها ، وما تضمنته من نقوش ووثائق ، وبالتالي فان دراساتهم لا تُغني عن قيام دراسات عربية خاصة بالآثار والمنشآت العمرانية التي أُقميت في هذا الوطن .

ومما تجدر الاشارة اليه ان عددا من أولئك الباحثين المستشرقين ، كانت تحدوهم في دراستهم للحصون والقلاع القائمة في الوطن العربي ، دوافع دينية ، ولذلك حاول بعضهم من خلال مؤلفاتهم تضليل الحقائق عن الحضارة العربية الاسلامية فجاؤوا بنظريات وآراء بعيدة كل البعد عن الروح العلمية والحقائق الثابتة ، وسلطوا الأضواء على قلاعنا ايام احتلال بعضها من قبل الصليبيين ، وعلى التحصينات التي قام الفرنج بتشييدها ، فحملت هذه القلاع في مؤلفاتهم طابعا خاصا ، نسبوها فيه للصليبيين فظهرت كما لو أنها غريبة عن تاريخنا العربي . (١)

كذلك فأن عدد آخر من أولئك الباحثين الذين تناولوا القلاع والحصون العربية بالدراسة والبحث كانوا " رحالة" (٢) ، من هنا كانت دراساتهم وصفية ، واقتصرت في بعض منها على " مشاهدات عابرة" متعلقة بتلك القلاع ، دونما تعمق في البحث والتدقيق . ومما يذكر ان معظم تلك الدراسات الاجنبية للقلاع والحصون العربية كانت قد أُجريت في اواخر القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن الحالي ، ورجوعنا اليها كان نتيجة لقلة المراجع التي كتبت عن القلاع ، ولأن بعضها اشار الى بعض معالم من القلاع التي لم تعد قائمة اليوم مثل قلعة السلط .

ومن اهم هذه الدراسات ما صدر في عام ١٩٠٩ للمؤلفين برونو ودوماسفسكي (٣) Brunnow and Domasze Wski وقد تحدثا عن الرحالة الذين زاروا الاردن في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وأوردوا بعضا من

---

(١) انظر على سبيل المثال : Müller- Wiener 1966:47-48,58-59; Boase 1967: 68-70.

(٢) من هؤلاء الرحالة : Tristram, Mausset Sauvair, Meistermann

(٣) Brunnow and Domaszewski 1909:113-119.

مشاهداتهم عن قلاع الأردن ،كما اشاروا الى بعض نقوش قلعة الشوبك ، وقد وجدنا سقوط بعض الكلمات في قرآتهم ، وورود أخطاء في قراءة بعضها الآخر .

وفي سنة ١٩٣١ صدرت دراسة للسيدة " جونز C.N. Jones "(١) عن قلعة عجلون ، وكانت دراستها على أمل العثور على أى تأثيرات صليبية في البناء . ولمّا لم تجد شيئا فقد حاولت الربط بين اسم بلدة " كفرنجة " ـ الواقعة الى الجنوب من القلعة ، واسمتها " كفر الفرنج (Kafr al-Franj)" ـ وبين امكانية قيام الصليبيين بأى عمل في بناء القلعة ، ولو بصفة اسرى ، كما انها قامت بوضع مخطط للقلعة وركزت في حديثها على الدور التاريخي الذى لعبته بحكم موقعها الاستراتيجي ، مع وصف للمبنى بشكل عام ، دون دخول في التفاصيل ، كأن تقول اشتملت القلعة على البرج كذا وعلى الساحة او الدهليز كذا .

وفي سنة ١٩٣٩ صدرت دراسة مماثلة لقلعة الكرك قام بها " بول ديشامب Paul Deschamps "(٢) تناول فيها تاريخ قلعتي الكرك والشوبك ، ثم تحدث عن قلعة الكرك من زاوية اثرية ، محاولا استقصاء الجوانب الصليبية في الأجزاء العربية منها ، ومحاولا الايحاء بانها في مجملها قلعة صليبية ، واذا ما تحدث عن اى ركن عربي ، فأنه كان يشير الى ان اساسات هذا الركن صليبية ، وذلك من خلال وجود بعض الحجارة الهشة القائمة في الأساسات . كما قام بوضع مخطط للقلعة ظهرت فيه الاجزاء العربية ، وكأنها شيء لا يذكر بالمقارنة مع الاجزاء الصليبية ، واعتبر المسجد والمدرسة في القلعة جزء من العمارة الصليبية ، كما اعتبر التوسيعات التي اجريت على القلعة على يد المسلمين ، والمتمثلة في السور الشرقي ، اعتبرها توسعات صليبية . كما حاول اعطاء فكرة عامة عن مكونات القلعة دون دخول في التفاصيل التي التي يتألف منها كل ركن .

وفي سنة ١٩٤٣-١٩٤٤ صدرت موسوعة من ستة عشر جزءا ، قام بتأليفها كل من : كومب وسفاجت ووت Combe et Sauraget et Wiet "(٣)

---

(١) Jones 1931: 21-23.

(٢) Deschamps 1939: 35-98.

(٣) Cambe et.al.1943: 46, 222-224.

ضمّنوها قراءآت لنقوش أثرية جمعوها من آثار بلاد الشام ومصر، ومن ضمنها بعض من نقوش قلاع عجلون والكرك والشوبك، الا انه سقط من قراءآتهم بعض الكلمات، وبعضها الآخر تمت قرآته بشكل خاطئ، وهذا ما سنراه في معرض حديثنا عن النقوش.

وفي سنة ١٩٥٥ نُشرت مقالة ضمن كتاب ألفه روبن فيدن Robin Fedden "(١) تحدث فيها عن القلاع في سوريا، على انها قلاع صليبية، بنيت في القرنين الثاني عشر والثالث عشره ولم يُشر الى اي اثر اسلامي فيها وقد استفدنا من هذه المقالة في موضوع المقارنة من حيث الاطار العام لها، وما تتصف به قلاعنا — موضوع البحث، وفي عام ١٩٥٧ قام فيدن بالاشتراك مع جون ثومسون John Thomson "(٢) بنشر كتاب بعنوان القلاع الصليبية، ضمّنوه مُجمل ما جاء في مقالة فيدن التي اشرنا اليها، وتطرقوا لقلاع الأردن على انها ايضا " قلاع صليبية، ساهمت في توفير الحماية لبيت المقدس، ولم يدخلوا في اية تفصيلات أثرية تتعلق بها.

كما قام سميل R.C.Smail "(٣) في سنة ١٩٥٦ بنشر كتاب له عن الحروب الصليبية، احتوى على فصل عن القلاع في بلاد الشام، وصفها فيه بأنها قلاع صليبية وحاول بيان نقاط التشابه بين قلعة الكرك وبين قلعة الشقيف، من حيث استراتيجية الموقع، وتوزيع الأبراج، معتبرا كافة اجزاء القلعة في الكرك من بناء الصليبيين، وفي سنة ١٩٧٣ نشر سميل (٤) كتابا آخر له عن الصليبيين في سوريا والبلاد المقدسة، ضمّنه فصلا عن القلاع، يعتبر الى حد ما خلاصة للفصل السابق الذى اشرنا اليه.

وفي سنة ١٩٦٦، قام مولرويبنر (٥)" Muller-Wiener" بنشر كتاب عن القلاع الصليبية، اشار فيه الى قلعتي الكرك وعجلون، من حيث تسمياتها واعطاء نبذة قصيرة عن اهم الاحداث التاريخية في حياة كل قلعة، ووصفا عاما لها لم

---

(١) Fedden 1955: 196-171

(٢) Fedden and Thomas 1957: 40-57.

(٣) Smail 1956: 209-299

(٤) Smail 1973: 89-122.

(٥) Müller-Wiener 1966: 47-48,58-59,97,100

يتعدى ثمانية أسطر، كما تحدث بنفس الحجم والاسلوب عن قلاع اخرى في سوريا وفلسطين ولبنان، مع التركيز على ان بناءها كان على يد الصليبيين.

كذلك قام بواس" T.S.R. Boase "(1) بنشر كتاب له في سنة ١٩٦٧ تحدث فيه عن قلاع وكنائس المملكة الصليبية. ولم تحظ قلاعنا في هذا الكتاب بأكثر من بضعة اسطر، تمت الأشارة فيها الى تاريخ البناء، والى ابرز ملامح القلعة كبئر قلعة الشوبك، وخندق قلعة الكرك، ووصفت بأنها قلاع صليبية. وقد قام بواس(٢) بنشر ملخص لكتابه هذا من خلال فصل في كتاب آخر له نشره عام ١٩٧١.

وفي عام ١٩٧٠ صدرت دراسة لميرون بنفستي "Meron Benrenisti" (٣) عن الصليبيين في البلاد المقدسة، أورد فيها فصلا عن نظام التحصين لدى مملكة بيت المقدس، تحدث فيه عن بعض القلاع في فلسطين المحتلة، مطلقا عليها اسماء عبرية، ووصفها بانها قلاع صليبية، ولا تشتمل على اية معالم اسلامية، في الوقت الذى أورد فيه فصلا آخر عن نظام الحياة عند الصليبيين، وأكد فيه على مدى تأثر الصليبيين بأنماط الحياة المختلفة التي كانت سائدة في الشرق العربي.

وفي عام ١٩٧٢ صدرت دراسة اخرى قام بها جشوا براور "Joshua Prawer"(٤) بعنوان مملكة بيت المقدس اللاتينية، تحدث فيه عن مدى حاجة المملكة للقلاع، بعد ان اشار الى بداية الحملات الصليبية، ثم تحدث عن قلعة كوكب الهوى، وقلعة الحجاج، وقلعة الكورين Moutfort فأشار الى انها قلاع صليبية، وكتابه هذا لا يختلف كثيرا عن كتاب بنفستي الذى أشرنا اليه.

---

(١) Boase 1967: 68-71.

(٢) Boase 1971: 39, 79.

(٣) Benvenisti 1970: 273-338, 371-387.

(٤) Prawer 1972: 295-318

ح ـ الدراسات المحليـــة :ـ

ان ما كتب عن قلاعنا محليا ،لم يكن بأوفر حظا مماكتب عنها عربية " اوعـالميــــا " ولعلنا لانكون قد جانبنا الحقيقة اذا قلنا ان ماكتب عنها هنا ماهو الاترجمة حرفيـة لماكتب عنها هناك دونما محاولة للتدقيق والتمحيص بماكتب ،ولو في المسافات التـي تفصل بين هذه القلاع وبين العاصمة عمّان ،والتي اخطأ الاجانب في تحديدها ،فتبعتهم الدراسات المحلية حتى في نقل هذه المسافات كمالوكانت صحيحة ،واهـم الدراسـات التـي تنـاولـت مـوضـوع البحـث هـــي :ـ

دراسـة قام بها لانكستـر هاردنج "Laukester Harding"[(١)] الـذى شغل منصب" مدير الاثار في هذا البلد منذ (١٩٣٦ ـ ١٩٥٦) ـفـي عام ١٩٥٨ ونشرها عام ١٩٥٩ ،وكانت بعنوان " آثار الأردن " أشار فيها الى ان هدفه ان تكون دليـلا للمواقع الاثرية المهمة .... على أمل ان تكون اكثر نفعا للزائرين وماكتبه عن قلعة عجلـون ليس الاترجمة لفقرة من مقالـة C.N. Jones تشير الى رسم صليب نحت على احـد الحجارة ،جعل منه ايحاء بصحة ماجاء في قول مؤلف عربي " ابن شداد " من ان القلعـة قامت على انقاض ديـر قديـم .... وانها احدى القلاع العربية القليلة جدا التي تعـود الى ايام الصليبيين " . واذا كان حديثه عن قلعة عجلون لم يتجاوز صفحة ونصف الصفحـة ، فان قلعة الكرك لم تحظ باكثر من تاريخ البناء والباني الصليبي ،وانها ذات أروقة معتمـة لايدخل اليها الضوء الا من فتحات السهام ،واما الشوبك فالاشارة اليها كانت ايضا مـن خلال تاريخ البناء وعدد الدرجات المؤدية الى البئر فيها فقط ،واما قلعة العقبة فـأن الاشارة كانت فقط للدلالة على وجودها .

وفي سنة ١٩٧٤ صدر عن دائرة الآثار العامة نشرة سياحية بعنوان " القلاع الأثريـة في الاردن " أعدتها مفتشة الآثار حنان الكردى (٢) ،وتقع في ثمانية وثلاثـين صفحـة ، تحدثت فيها عن أحد عشر قلعة ،منها الصليبي الذى احتوى على بعض الآثـار الاسلاميـة ، ومنها العثماني . وُمقدمة هذا الكتاب اشتملت على تعريف بمدارس معمـاريـــة

---

(١) هاردنج ١٩٨٢: ١٠، ٦٢ ـ ٦٥، ١٢٩ ـ ١٣٠، ١٣٧، ١٧٥.

(٢) الكردى ١٩٧٤: ١ ـ ٣٢.

ثلاثة كانت موجودة لدى الصليبيين ، ولم تشر الى اية مدارس محلية الا بالقدر الذى تأثر به العرب بالبيزنطيين . ان ما اشتملت عليه هذه النشرة من معلومات كان في معظمة ترجمة لفقرات من بعض المراجع الاجنبية التي اشرنا اليها مثل مقالة جونز عن قلعة عجلون ، ومقالة ديشامب عن قلعة الكرك ، او ما كتبه مولر وونر ، ود ونما تدقيق او تمحيص لما ورد عند الآخرين من كتابات .

كما قام غوانمه (1) سنة ١٩٧٩ بكتابة مقالات مختصرة عن بعض قلاعنا في "كتابه تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الأولى — القسم الحضارى " وهي لا تختلف في الاطار العام عما جاء في نشرة حنان الكردى ، حتى ان كلاهما عند ما اخذ عن موفروونر اخطاء على سبيل المثال في تحديد المسافة بين عمّان وعجلون فذكرا انها ٤٢ كم (٣٠ ميل) في الوقت الذى تبلغ فيه ٧٣ كم ، كما تناول الغوانمه النقوش الموجودة في القلاع كما وردت عند المؤرخين الأجانب ، وفي بعض الحالات خلط بين اماكن وجود بعض منها . وكان تناوله لها من زاوية تاريخية ، وللدلالة على وجود معالم حضارية خلال الفترة التي تحدث عنها ، كانت قد شملتها رعاية بعض السلاطين المماليك .

ومما تجدر الاشارة اليه ان مجلدات دائرة الآثار العامة ، المتعلقة بالقلاع والحوليات الأثرية الاردنية ، قد اشتملت على معلومات مختصرة لما كتبه بعض المؤرخين الأجانب عنها ، كما اشتملت على صور لمئات القطع الاثرية التي عُثر عليها خلال عمليات الترميم والتنظيف التي تمت في هذه القلاع ، وقد جرى الحديث عن بعضها من خلال حولية دائرة الآثار ، ضمن نشاط دائرة الآثار ، في حين معظمها من قطع فخارية ونقود وحلي ، ماتزال بانتظار من يقوم بقراءتها بشكل موسع . كما اشتملت على العديد من الصور لهذه القلاع قبل عمليات الترميم وبعدها ، ومما يلفت النظر هنا أن بعض هذه الصور قد فقد — وخاصة مسودات صور بعض النقوش .

وبناء على ما تقدم يجيء هذا البحث ، على أمل ان يسد ما اشرنا اليه من ثغرات ، وان يُلبي جزءاً من طموحات الراغبين في دراسة هذا الموضوع ، وذلك من خلال دراسة ميدانية شاملة ، تسعى الى توخي التدقيق والتوثيق العلميين .

---

(١) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٠٣ — ٢٢٧

منهج البحث : —

سيعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي ، الوصفي ، مع دراسة ميدانية لواقع هذه القلاع — اليوم — وتوثيق ما تشتمل عليه من خنادق ، وأسوار ، وبوابات ، ومداخل ، وابراج ، وطلاّقات ، وقاعات وغُرف ، وآبار ، وأنابيب فخارية ، وصهاريج وبرك ماء ، وما حملته من نقوش ورسوم ، وما اشتملت عليه من مداميك حجرية ، وتوثيق ذلك من خلال الصور الفوتغرافية ، ورسم المخططات الهندسية ، مع رسم توضيحي لبعض ما اشتملت عليه من رسوم وزخارف وان كانت قليلة .

اما مصادر البحث ، فبالاضافة لما ذكرناه من دراسات متعلقة بالموضوع — عربية وأجنبية ومحلية — كنا مضطرين للرجوع الى بعض المصادر التاريخية ، ذات الصلة بالمرحلة التاريخية التي أقيمت فيها القلاع ، وذلك للدلالة على الدور التاريخي الذى لعبته كل قلعة ، ولمعرفة ما أدخله الحُكام والسلاطين على تلك القلاع من ترميمات واضافات ، من شأنها إلقاء مزيد من الضوء عليها ، بما يساعد في معرفة هويتها ، فمن تلك المصادر على سبيل المثال ما كتبه أبو المحاسن (١) ، وابن واصل (٢) ، وابو شامه (٣) ، وابن عبد الظاهر (٤) ، وابو الفداء (٥) واليونيني (٦) وابن شداد (٧) ، وابن الاثير (٨) . كما استفدنا أيضا في هذا المجال من بعض المصادر الاجنبية مثل وليم الصوري (٩) "William of Tyre".

وتنفرد هذه الدراسة في تناولها للموضوع من زوايا ثلاث : تاريخية واستراتيجية ، وأثرية . فمن الناحية التاريخية ، حاولنا القاء الضوء على الدور الذى

---

(١) ابو المحاسن (ستة عشر جزءاً) ١٩٢٩—١٩٧٢ .
(٢) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ٨ ، ١١٠ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ؛ ج ٣ ١٩٦٠ : ٣٥٠ ؛ ج ٣ : ٢١٠ .
(٣) ابو شامه ج ١ ١٩٦٢ : ٣٣٧ ، ٥١٩—٥٢٠ ، ٤٦٤—٤٦٥ .
(٤) ابن عبد الظاهر ١٩٥٦ : ٢٩٥ ، ٣١٦—٣١٧ .
(٥) ابو الفداء ج ٢ ١٩٦٠ : ٩١
(٦) اليونيني ج ١ ١٩٥٤ : ٤٨ ؛ ج ٣ ١٩٦٠ : ٨٥ ، ١٢٢ ، ٢٥٩ .
(٧) ابن شداد ١٩٦٢ : ٦٩—٩١ .
(٨) ابن الأثير ج ٢ ١٩٦٥ : ٢٣٤ ، ٢٣٨ ؛ ج ١١ ١٩٦٦ : ٣٥٢ ، ٥٠٢ .
(٩) Tyre 1943: 427-426

لعبته القلاع، وبشكل خاص خلال فترة الحروب الصليبية، ومدى مساهمتها في الحفاظ على أمن المملكة اللاتينية في بيت المقدس، ومن ثم بيان الدور الذى اضطلعت به أثناء عمليات تحرير البلاد من الصليبيين، وفي مقدمها بيت المقدس، وكيف انها اصبحت بعد ذلك دعائم اساسية في تثبيت حكم السلاطين والملوك .

اما من الناحية الاستراتيجية فقد بيّنّا ما يشتمل عليه الأردن من خصائص ومميزات جغرافية، وما يتمتع به من مزايا استراتيجية، أدت الى انتشار القلاع بين ربوعه، فأضفت عليه مزيدا من الحصانة والمنعة، وبالتالي اصبح خط الدفاع الأول بالنسبة الى فلسطين ومصر غربا، وبالنسبة الى الحجاز ودمشق وبغداد شرقا، وقد أوضحنا كيف ان من يسيطر عليه يمتلك المفتاح لهذه الأقطار، كما بينا مدى استراتيجية موقع كل قلعه .

واما من الزاوية الأثرية، فتنفرد هذه الدراسة باتباع خطة – لعلها تكون شاملة – للتعرف على معالم كل قلعة على حده، فتفدو سجلاً لها في ضوء عوادى الزمن التي تتهددها، وذلك بانتهاج الخطوات التالية : –

اولا : بعد المقدمة التاريخية والموقع الجغرافي، أفردنا فصلا كاملا بعنوان " مفهوم القلاع وتطورها " اشرنا فيه الى ما تعنيه كلمة " القلعة" في اللغة، ثم استعرضنا تطور بناء القلاع منذ فجر الحضارة، وحتى الفترة الزمنية التي وجدت فيها قلاعنا – موضوع البحث – وبيّنّا العوامل التي أثرت في عمارة القلاع، وأسباب بنائها وقيمتها الدفاعية، والهجومية. ثم تحدثنا عن انواع القلاع بشكل عام، مع بيان نوعية قلاعنا – موضوع البحث – .

كذلك تحدثنا في هذا الفصل عن ادارة القلاع بشكل عام، عند المسلمين والصليبيين، وما ترتب على بنائها من وظائف، وطبيعة نمط الحياة الذى كانت تعيشه . ووضعنا نبذة مختصرة عن تركيبة الجيشين الاسلامي والصليبي، مع بيان لدور حامية قلعة الكرك في صنع الأحداث، والأشارة الى ان القلاع ذاتها كانت جزءاً من قوة الجيش الدفاعية. كما تحدثنا هنا وبشكل موجز عن الأسلحة التي واكبت بناء تلك القلاع وتصميمها، وكيف ان القلاع كانت أقوى من تلك الأسلحة، مما أضطر العسكريين لاستعمال سلاح من نوع آخر هو " الحصار" للاستيلاء عليها، وأوضحنا أنواع ذلك الحصار ومدى تأثيره على نفسيات المحاصرين .

ثانيا : عند حديثنا عن القلاع ـ موضوع البحث ـ قدّما لكل قلعة بايجاز عن تاريخ موقعها، وما ورد من وصف له عند بعض المؤرخين، مع بيان اصل تسميتها. بعد ذلك قمنا بالتعرّف على معالمها من الخارج، ثم من الداخل، مع اعتماد مدخل القلعة كنقطة نتبدأ منها نحو اليمين، ثم نتابع الوصف حتى العودة لنقطة البدء من الجهة الاخرى. ولقد إتّبعنا هذا النمط في وصف القلاع سواء كان الوصف من الخارج او من الداخل، او فيما يتعلق بالطوابق التي تتألف منها القلعة، مع اخذ مساحة أسوارها وجدران ابراجها، وغرفها، وقاعاتها، ومساحة ابوابها ومداخلها، ومصاعد الدرج فيها، وكل ما اشتملت عليه، وبيان عدد المداميك الحجرية المتبقية منها، ونوعية حجارتها. كما تناولنا كلَ أثر حسب مكان وجوده من القلعة سواء كان نقشا او نحتا مصورا، كما تناولنا الاصل المعماري لأبرز العناصر الأثرية، كما اشرنا الى اهم المكتشفات التي عثر عليها في بعض القلاع بما يُسهم في إلقاء الضوء على هويتها.

ثالثا : اعتمدنا مبدأ اعطاء الأبراج في القلاع أرقاماً عددية، خلال التحدث عنها، في حين اعطينا لأبراج المدن ـ ابراج مدينة الكرك مثلا ـ حروفا ابجدية، وذلك تجنبا للألتباس، أما محتويات كل قلعة فقد أعطيت حروفا أبجدية، باستثناء تلك المعروفة من خلال طبيعة المبنى : كالجوامع والكنائس والمدارس فقد اسميناها باسمائها، وفقا للهدف الذي اعتقدنا انها بنيت من اجله.

رابعا : عند ترتيب القلاع وتناولها بالحديث في هذا البحث، اعتمدنا مبدأ ترتيبها الجغرافي حسب موقعها من الشمال الى الجنوب وذلك بالنسبة للقلاع الاربعة الرئيسية وهي : عجلون، الكرك، الشوبك، والعقبة. ثم تحدثنا بعد ذلك عن قلاع اخرى لم يبق منها الا بعض المعالم الصغيرة وهي : السلط، الطفيلة، الوعيرة والحبيس وجزيرة فرعون، وما تم ترميمه واعادة بنائه على يد المسلمين في قلعة الأزرق.

خامسا : واخيرا فقد اشتملت الدراسة على بيان أهم العناصر المعمارية الزخرفية في قلاعنا، مع بيان المميزات العمارة الايوبية والصليبية والمملوكية في ضوء ما ستطعنا استخلاصه من بناء قلاعنا، ثم بيّنا ما تميزت به قلاعنا من صفات عامة، ومدى التشابه بينها وبين القلاع المنتشرة في سوريا وفلسطين ومصر، بحيث اننا استطعنا من خلال تلك

الاستنتاجات والمقارنات الوصول الى انه كان في الاردن مدرسة معمارية محلية، تختلف في الجزئيات المعمارية، ولكنها في اطارها العام لا تبعد كثيرا عن تلك القلاع المناظرة لها في البلدان المذكورة.

الفصل الأوّل

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الفصل الأول

أ – المقدمة التاريخية :–

عندما ضعفت الدولة العباسية ، بدأت التجزئة فيها ، فظهرت دول مستقلة وكان اكبرها دولة السلاجقة الأتراك ، ودولة الفاطميين العرب . ويعود تأسيس الدولة السلجوقية الى سنة ٩٥٦م (٣٤٥هـ) ، على يد " سلجوق " أمير قبيلة الغز التركمانية الذين اعتنقوا الاسلام ، على المذهب السني ، واحتلوا بخارى ، ثم قام " طغرل بك " سنة ١٠٥٥م (٤٤٧هـ) باحتلال بغداد ، واسقاط الخلافة العباسية ، وتنصيب نفسه " سلطانا " ، بعد أن هرب المظفر ابو الحرب ارسلان المعروف بالبساسيرى ، الذى اوكل اليه البويهيون الشيعة ، مهمة الدفاع عنها ، فقام الخليفة العباسي القائم بأمر الله ونادى بطغرل بك كمنقذ للبلاد . (١)

وبعد وفاة طغرل بك ، تولى الحكم ابن أخيه " الب ارسلان " ١٠٦٣–١٠٧٢م / ٤٥٦–٤٦٥هـ فواصل فتوحاته حيث احتل ارمينية من البيزنطيين ، واحتل حلب ، فأصبح اميرها رشيد الدولة محمود بن صالح المرداسي ، تابعا له ، وانتزع بيت المقدس من الفاطميين . وفي سنة ١٠٧١م (٤٥٤هـ) احرز نصرا كبيرا على البيزنطيين في معركة ملاذكرت ، شمال بحيرة فان في ارمينية ، عندما حاول الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع استرجاع ارمينية ، فوقع في الأسر ، واندفعت جيوش الب ارسلان في بلاد الاناضول ، وراحوا يتطلعون من وراء مضيق البسفور الى القسطنطينية . (٢)

وهكذا اعطى السلاجقة للدولة الاسلامية روحا جديدة ، وعزيمة قوية ، وتمكن ملكشاه ١٠٧٢–١٠٩٢م / ٤٦٥–٤٨٥هـ ابن الب ارسلان ، من تثبيت دعائم الدولة وعبور نهر جيحون ، الا أنه بعد وفاته ، تجزأت الدولة السلجوقية ، وكثرت المنازعات بين امرائها ، كما زاد صراعهم مع الفاطميين ، الى أن ظهرت على انقاض دولتهم اخيرا

---

(١) ابن خلكان ج ١ ١٩٤٨ : ١٠٧–١٠٨ ؛ حتى ج ٢ ١٩٥٩ : ٢٠٤–٢٠٥ ؛ ابن الاثير ج ٩ ١٩٦٦ : ٤٧٣–٤٧٥ ، ٦٠٩–٦١٠ .

(٢) عاشور ج ١ ١٩٦٣ : ٨٥ ؛ ابن الاثير ج ١٠ ١٩٦٦ : ٦٣–٦٤ ؛ ديورانت ج ٢ ١٩٧٤ : ٣١٥ .

في بلاد الشام والعراق بيوت عرفت باسم "اتابكيات"، يملكها اتابك — وهي لفظة تركية تعني مربي الملك — وكان ابرزها اتابكية دمشق (١١٠٤—١١٥٤م/٤٩٨—٥١٩هـ) التي اسسها ظهير الدين طغتكين، الذى كان مملوكا ثم قائدا عند الملك تتش بن البارسلان، ثم اتابكا لابنه دقاق. واتابكية الموصل التي اسسها عماد الدين زنكي سنة ١١٢٧م (٥٢١هـ) والذى كان في خدمة ملكشاه، ثم قائدا في جيش تتش البارسلان، وفي سنة ١١٢٨م (٥٢٢هـ) استولى على حلب ثم حماه وحمص وبعلبك، فوصل شمال سوريا مع شمال العراق، كما تمكن سنة ١١٤٤م (٥٣٩هـ) من انتزاع امارة الرها من يد الصليبيين. (١)

اما فلسطين والاردن فقد أقطعهما تتش بن البارسلان الى صهره وقائده أرتق بن اكسب، وبموته خلفه سنة ١٠٩١م (٤٨٤هـ) ولداه سقمان وايل غازى، اللذين أجبرا على التخلي عنها للفاطميين سنة ١٠٩٦م (٤٩٠هـ)، وتسليمهما لقائد الجيش الفاطمي الوزير الافضل. (٢)

وفيما يتعلق بالدولة الفاطمية فقد لعبت بلدة سلمية الواقعة جنوب شرق مدينة حماه في سوريا، دورا كبيرا في قيام هذه الدولة، حيث كانت سنة ٨٩٠م (٢٧٧هـ) مقرا لزعيم الحشاشين من الاسماعيلية "محمد الحبيب" الذى ادعى انه من أعقاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه (٣)، ومع ان هذا الادعاء موضع خلاف بين العلماء، الا ان المذكور اعلن ولاءه للشيعة الاسماعيلية، الذين اتخذوا العقيدة الاسلامية كوسيلة لخدمة اغراضهم السياسية، وبدأوا دعوتهم لتقويض سلطة اهل السنة، وكان في جملة من اجتذبتهم هذه الدعوة رجل من اليمن يدعى ابو عبد الله الحسين الشيعي، وتمكن هذا في احد مواسم الحج من أخذ البيعة للدعوة من جماعة من الحجاج تنتمي الى قبيلة كتامة البربرية في شمال افريقية (تونس)، فأمّروه على انفسهم، وسار معهم سنة ٨٩٣م (٢٨٠هـ) الى بلادهم، وبدأ بنشر الدعوة، حتى اذا شعر بالقوة دعا اليه زعيم الملة

---

(١) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ٢٧٩؛ ابن واصل ج١ ١٩٥٣ : ٨٦؛ ابو شامه ج١ ١٩٥٦ : ٣٣—٣٦.

(٢) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ١٣٥، وانظر ايضا : Stevenson 1905: 20

(٣) حتى ج١ ١٩٥٨ : ٢٠٩.

من سلميه ، وهو انذاك عبيد الله بن محمد الحبيب ، ورفعه الى عرش الخلافة (٩٠٩–٩٣٤م/٢٩٧–٣٢٣هـ) بعد اسقاطه لحكم الأغالبه . فلقب بالامام ، وادعى بأنه المهدى [١] واسس عاصمة له جنوب شرق القيروان دعاها " المهدية " نسبةً اليه . [٢]

وفي عهد احد خلفائه وهو المعز لدين الله (٩٥٢–٩٧٥م/٣٤١–٣٦٥هـ) تمكن قائده جوهر الصقلي سنة ٩٦٩م (٣٥٩هـ) من فتح مصر والقضاء على الاخشيد بين فشرع ببناء العاصمة الجديدة ودعاها بالمنصورية ، حتى اذا دخلها المعز سنة ٩٧٣م (٣٦٣هـ) خلع عليها اسم "القاهرة المعزية" اى مدينة المعز التي تقهر العدن واحاطها بسور ، وبنى فيها المسجد الجامعة ، المعروف بالازهر . [٣]

وبلغت دولة الفاطميين ذروتها في عهد ابي منصور نزار العزيز (٩٧٥–٩٩٦م/٣٦٥–٣٨٦هـ) اذ امتدت حدودها من المحيط الاطلسي الى البحر الاحمر ، كما ضمت اليمن والحجاز وسوريا وفلسطين ، وبعد العزيز بدأت مرحلة الضعف والتمزق ، فاكتسح السلاجقة سوريا وفلسطين ، كما بدأت حركات التمرد والفتن في الظهور بين فصائل الترك والبربر والسودان والعرب ، واستقل سنة ١٠٦٩م (٤٦٢هـ) ابو طالب امين الدولة ابن عمار في امارة طرابلس ، والتي سقطت فيما بعد سنة ١١٠٩م (٥٠٣هـ) في يد الصليبيين ، كما قامت في شيزر على نهر العاصي سنة ١٠٨١م (٤٧٤هـ) امارة اخرى بقيادة اسرة عربية هم بنو منقذ . كذلك كثرت المنازعات بين الامراء والوزراء ، وتدخل فرق الجيش لمناصرة الواحد ضد الآخر . وفي هذا الظرف تمكن النورمانديون سنة ١٠٧١م (٤٦٤هـ) من احتلال جزيرة صقلية ، كما استولى الجنويون والبيزيون على جزر كورسيكا وسردينيه وكانت كلها اراض اسلامية فاطمية . [٤] وازداد الامر سوءاً بظهور الصليبيين واحتلالهم سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) لبيت المقدس بالرغم من المقاومة التي ابداها افتخار الدولة الفاطمي والتي استمرت حوالي اربعين يوما . وحاول الصليبيون

---

(١) ابن خلدون ١٢٨٤ : ٣١–٣٢ ؛ بروكلمان ١٩٧٧ : ٢٥١ .

(٢) الحموى ج ٤ ١٩٥٧ : ٦٩٤–٦٩٦ .

(٣) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ١٩٢–١٩٣ ؛ بروكلمان ١٩٧٧ : ٢٥٤ .

(٤) عاشور ج ١ ١٩٦٤ : ٤٤٩ .

احتلال مصر الا ان صلاح الدين الايوبي تمكن من وضع حد لاعتدائهم عندما قام سنة ١١٧١م (٥٦٧هـ) بخلع العاضد آخر الخلفاء الفاطميين، وتفرغ لحرب الصليبيين.[١]
ولكن كيف ولماذا جاء الصليبيون الى البلاد ؟

ان ضعف الامبراطورية البيزنطية، والانتصار الذى حققه السلاجقة عليها في معركة ملازكرت سنة ١٠٧١م (٤٦٤هـ) ، دفع بالامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنينوس الاول (١٠٨١–١١١٨م/٤٧٤–٥١٢هـ) بتوجيه طلب استغاثة سنة ١٠٩٤م (٤٨٧هـ) من البابا اربانوس الثاني، ومما جاء في تلك الاستغاثة قوله "ان من الحكمة ان نُحارب الاتراك في أرض آسيا بدلا من أن ننتظرهم حتى يقتحموا بجحافلهم بلاد البلقان الى عواصم اوروبا الغربية"[٢] ولعل البابا وجدها فرصة لارجاع الكنيسة اليونانية التي حظيرة روما، بعد الانشقاق الذى حدث سنة ١٠٥٤م (٤١٦هـ) .[٣] فوجه نداء من مدينة كليرمونت ـ جنوب فرنسا ـ سنة ١٠٩٥م (٤٨٩هـ) ، والذى جاء فيه "يا شعب الفرنجة، شعب الله المختار، لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية انباء محزنة تعلن ان جنسا "لعينا" أبعد ما يكون عن الله، قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين، وخرّبها بما نشره فيها من اعمال السلب والحرائق، ولقد ساقوا بعض الاسرى الى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر، بعد ان عذبوهم اشنع التعذيب، وهم يبهدمون المذابح في الكنائس. . . ولقد قطعوا اوصال مملكة اليونان . . . فليُثر همّتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا . . . هذه الأرض التي تسكنونها الآن لا تتسع لسكانها، وتكاد تعجز عن ان تجود بما يكفيكم من طعام، ومن اجل هذا يذبح بعضكم بعضا، وتتحاربون، ويهلك الكثيرون في الحروب الداخلية، طهروا قلوبكم من ادران الحقد واُقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم الى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الارض وتملكوها انتم . . ."[٤]

---

(١) حبشي ١٩٤٨ : ١٣٠–١٣٩ ؛ ابن الاثير ج ١٠ ١٩٦٦ : ٢٨٣ ؛ زكي ١٩٧٠ : ٦٣–٦٤ ؛ الحنبلي ج ١ ١٩٧٣ : ٣١٢–٣١٣.
(٢) ديورانت ج ١٥ ١٩٦٥ : ١٣.
(٣) حتى ورفاقه ١٩٧٤ : ٧٢٤.
(٤) ديورانت ج ١٥ ١٩٦٥ : ١٥–١٦.

ان هذه الفقرات من ذلك النداء تعكس الظروف التي كانت تعيشها اوروبا والتي ادت الى قيام الحروب الصليبية،(1) فكانت الاستجابة للنداء لدى جماهير الحضور سريعة، فهتفت "هكذا اراد الله". وسارع رجال الدين والأمراء لتلبية الدعوة للحرب، ولم تكد تمض السنة حتى انطلقت اول الحملات الصليبية باتجاه القسطنطينية، ومنها الى الشاطيء الأسيوي بقيادة جودفرى وبوهمند وروبرت، ونتيجة للتنسيق بينها وبين القوات البيزنطية أمكن انتزاع نيقيه وضورليوم وقونيه من السلاجقة، واعادتها الى الامبراطورية البيزنطية، كما ان الأرمن اظهروا الود اتجاه تلك الحملة، وساعدوا الصليبيين في تقدمهم ونجحت بيزنطه في استرداد الاناضول، كنتيجة مباشرة لهذه الحملة. (2)

وواصل الصليبيون تقدمهم في أرمينية، وفي سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) اصبح بلدوين أميرا في الرها بعد موت حاكمها الارمني ثوروس ابن هيثوم اثر ثورة داخلية فكانت امارة الرها اول امارة صليبية أقيمت في المنطقة (انظر الخارطة)، في الوقت الذى واصل فيه باقي الجيش الصليبي بقيادة بوهمند تقدمه نحو انطاكيه، والتي كان ملكشاه السلجوقي قد اعطاها الى باغي سيان سنة ١٠٨٧م (٤٨٠هـ)، فكان مُوزع الولاء والتحالف بين الاخوين المتحاربين رضوان بن تتش أمير حلب، ودقاق بن تتش أمير دمشق، اذ كان كل منهم يطمع في مُلك الآخر. (3) وبالتالي فانهما لم يُقدما المساعدة المرجوة له عندما حاصره الصليبيون، كما ان الفاطميين ابدوا سرورهم لِما حلّ بالسلاجقة من مصائب على يد الصليبيين، فأرسل اليهم الوزير الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالي بسفاره سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) وهم على ابواب انطاكيه. (4) فسقطت المدينة بعد حصار دام سبعة أشهر، ومما ساعد في سقوطها خيانة احد حراس ابراجها من الأرمن يدعى نيروز، واستشهد باغي سيان، وقتل وأُسر وسُبي من الرجال والنساء والاطفال مالايُدركه حصر. (5) واصبحت انطاكية تحت زعامة بوهمند.

---

(1) عن اسباب هذه الحرب انظر: المرجع السابق: ١٤–١٨؛ عاشور ج١ ١٩٦٣: ٢٧–٤٣؛ ج١ ١٩٦٤: ٤٤٧؛ ابو بدر ١٩٧٢: ١٤–١٨؛ شلبي ج٥ – ١٩٧٢: ٤٢٧–٤٣٥.
(2) عاشور ج١ ١٩٦٤: ١٧١.
(3) ابن القلانسي ١٩٠٨: ١٣٢؛ ابو بدر ١٩٧٢: ١٩.
(4) ابو بدر المرجع السابق: ١٩؛ عاشور ج١ ١٩٦٤: ١٩٨.
(5) ابن القلانسي ١٩٠٨: ١٣٥.

وفي سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) توجه ريموند الى بيت المقدس، عبر الساحل اللبناني الفلسطيني، فوصلها في السابع من شهر حزيران، على رأس جيش اختلف المؤرخون في عدده. (١) وتولى افتخار الدولة، حاكم المدينة الفاطمي مهمة الدفاع عنها، الا ان وصول ست سفن صليبية الى ميناء يافا محملة بالمواد التموينية وادوات الحصار ساعدهم في صناعة ثلاثة ابراج خشبية، وبالتالي تمكنوا من احتلال المدينة المقدسة (٢) واقترفوا فيها ابشع جريمة عرفها التاريخ، اذ بلغ عدد القتلى المسلمين سبعين الفا. (٣) وينقل ول ديورانت وصف القس ريمند الاجيلي Raymond of Aguilers (٤) شاهد العيان لتلك المجزرة بقوله "وشاهدنا اشياء عجيبة، اذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رميا بالسهام، او ارغموا على ان يلقوا انفسهم من فوق الابراج وظل بعضهم الآخر يعذب عدة ايام، ثم أحرقوا في النار، وكُنتَ ترى في الشوارع اكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الانسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل". كما وصفها شاهد عيان آخر بقوله "تعالت اكوامهم (اي المسلمين) حتى جازت البيوت ارتفاعا"، وما تأتي لاحد قط ان سمع او رأى مذبحة كهذه المذبحة التي المت بالشعب الوثني، وكان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم في دماء القتلى" (٥). وبعد اسبوعين فقط على تلك المجزرة مات في روما البابا اربانوس الثاني، واضع اساس الحروب الصليبية قبل ان يصله نبأ ذلك. (٦)

---

(١) يرى فيدن (Fedden 1955: 157-158) ان عدد ذلك الجيش كان خمسة الاف، في حين يذكر حتي ج ٢ ١٩٥٨: ٢٢٨-٢٢٩؛ ١٩٧٤: ٧٢٨ بأنه كان نحو اربعين الفا، منهم عشرين الف جندي محارب، اما الحامية المصرية فكانت نحو الف من الجند، اما رنسيمان ١٩٦٧: ٤٠٢ فيذكر ان عدد الجيش الصليبي كان ١٢ الف من الرجالة و١٢٠٠-١٣٠٠ من الفرسان، وهو ما ذكره ديورانت ايضا ج ١٥ ١٩٦٥: ٢٤؛ اما عاشور ج ١ ١٩٦٣: ٢٢٨ فيشير الى ان العدد كان الف فارس وخمسة الاف من المشاة المسلحين.

(٢) ابو المحاسن ج ٥ ١٩٣٥: ١٤٨؛ رنسيمان ج ١ ١٩٦٧: ٤٠١-٤٠٣؛ يوسف ١٩٨١: ٢٦٣-٢٦٦.

(٣) ابن خلدون ج ٥ ١٢٨٤هـ: ٢١؛ ابن الاثير ج ١ ١٩٦٦: ٢٨٣.

(٤) ديورانت ج ١٥-١٦ ١٩٦٥: ٢٥.

(٥) مجهول ١٩٥٨: ١١٨-١٢٠.

(٦) رنسيمان ج ١ ١٩٦٧: ٤٠٦.

وبسقوط بيت المقدس بيد الصليبيين قامت فيها مملكة لاتينية بزعامة غود فري وبعد موته خلفه اخوه بلدوين (١١٠٠–١١١٨م/ ٤٩٤–٥١٢هـ) الذي استدعي من الرها لهذه الغاية، فنصّب نفسه ملكا، وبدأ بتوسيع حدود مملكته، فأحتل مدن ارسوف وقيسارية وعكا وبيروت وصيدا، بمساعدة من اساطيل جنوه وبيزة، فأمّن بذلك خطوط المواصلات البحرية مع اوروبا، ثم اتجه الى الجزء الجنوبي الشرقي من المملكة فأعاد بناء حصن مونتريال الشوبك، للسيطرة على وادي عربة، كما احتل أيلة على خليج العقبة للسيطرة على الطريق البري للقوافل بين مصر والشام،(١) كما اقام قلعة في جزيرة فرعون في خليج العقبة، للسيطرة على سيناء وعلى الطرق المؤدية مابين مصر والشام والحجاز، وكان هدفه الرئيسي عزل مصر عن العالم الاسلامي في الشرق، وقطع الطريق البري بينها وبين الشام والعراق والحجاز، وتهديد قوافل الحجاج المسلمين. (٢)

وفي الشمال بقيت مدن حلب وحماة وحمص وبعلبك ودمشق بيد المسلمين، ولم تقع في يد الفرنج. (٣) وواجه الصليبيون مقاومة شديدة من قبل ظهير الدين طغتكين حاكم دمشق، وخاصة عندما حاول بلدوين الاستيلاء على ارض السواد (٤) وجبل عوف (جبال عجلون)، واستمرت الحرب سجالا بينهم حوالي ثلاثين سنة، تخللها عقد هدنة سنة ١١٠٨م (٥٠٢هـ)، اتفقوا فيها على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثا، بحيث يكون ثلث دخلها للفرنجة، وثلث لأهلها والثلث الثالث لحاكم دمشق. (٥) وكثيرا ما تعرضت تلك الهدنة للنقض، مما دفع بالصليبيين لبناء قلعة الحابس جلدك الى الشرق من طبرية، على الحافة الجنوبية من نهر اليرموك، لضمان الدفع، فكان رد طغتكين القيام بتحصين مدينة جرش. (٦) ونتيجة لهذا الوضع، حافظ بنو عوف على استقلالهم، وبقيت

---

(١) Setton 1977: 406

(٢) عاشور ج ١ ١٩٦٣ : ٣٢٧.

(٣) Tyre 1943: 22, 413

(٤) وتعني هنا كما في العراق : الارض المحروثة الداكنة المحاذية للصحراء، وهي التي تمتد من حوران الى الشريعة، انظر ابو الفداء ١٨٥٠ : ٦٤، ٦٧.

(٥) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ١٦٤ ؛ ابو المحاسن ج ٥ ١٩٣٥ : ١٨٠.

(٦) الحموي ج ٢ ١٩٧٧ : ٢٠١.

منطقتهم كالأرض الحرام حتى سنة ١١٨٤م (٥٨٠هـ) عندما طلب صلاح الدين من احد قواده ، هو عز الدين اسامة القيام ببناء قلعة هناك ، فشرع اسامة ببناء قلعة عجلــون وبنائها اصبحت المنطقة تحت سيطرة الايوبيين ، وتتبع الى جند دمشق .

وفي سنة ١١٠٩م (٥٠٣هـ) تمكن الصليبيون بزعامة برترام بن ريموند مــن احتلال طرابلس في لبنان ، وباحتلالها اصبح للصليبيين اربع امارات في المنطقة هــي : الرها وكانت تقف حاجزا بين امارتي حلب والموصل الاسلاميتين وامارة انطاكية التي تعتبر مفتاح بلاد الشام ، وامارة طرابلس التي كانت تهدد الاتصال ما بين دمشق وسواحــل لبنان وفلسطين والبحر الأبيض ، ومملكة بيت المقدس التي كانت تشكل حاجزا يفصــل القاهرة عن دمشق وبغداد والحجاز .

وكان استمرار قيام تلك الامارات مرهونا بتفرق كلمة المسلمين ، وعدم وحدتهــم من خلال المنازعات التي كانت بين الفاطميين الشيعة والعباسيين السنّة ، والقــوى المحلية الاخرى ، فكانت كل قوة منهم تحمل عوامل ضعفها في ذاتها ، وبدلاً من اتحادهم ضد الصليبيين واجهوهم فرادى ، وفرادى سحقوا . (١) كما ان من الامور التي ساهمــت في نجاح الصليبيين ، قلة ايمان اولئك الروساء لتلك الدول بحرمة الوطن الاسلامــي وقدسية اراضيه ، وخيانتهم للأمانة التي كانوا يحملونها . (٢)

ولكن اذا كان تحرير " ضريح المسيح المقدس " من الأسباب التي دفعت جمــوع كليرمونت للهتاف " هكذا اراد الله " فسارت في حملات متعاقبة ، مجتازة اوروبا فــي طريقها لبيت المقدس ، ومقترفة اعمال السلب والنهب والقتل ، فان المؤرخة المسيحيــة اناكومنين ابنة الامبراطور الكسيوس البيزنطي وصفت تلك الجموع " بانهم لم يكونوا فــي نظرها الا برابرة اجلافا ، وطغاما طامعا جائعا ، لم يحمل شارة الصليب الا طمعــا في الغنيمة " . (٣)

ولما كانت " بيت المقدس " بالنسبة للمسلمين ، أُولى القبلتين ، وفيها ثالــث الحرمين الشريفين ، وهي مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولايمان المسلمين المطلق

---

(١) قلعجي ١٩٦٦ : ٨٥ .

(٢) مؤنس ١٩٥٩ : ٧٩ .

(٣) المرجع السابق : ٦٩ .

بنبوة عيسى ومحمد ، وبقوله سبحانه وتعالى على لسان عيسى بن مريم" قال اني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا ، وجعلني مباركا اين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ، ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون". (١) وكان أمر الله بان هيأ للمسلمين أسرة مسلمة أدركت ان التفرق هو الباب الذى دخل منه الصليبيون ، وأن في ضعف الايمان ضياع الأوطان ، فأحيت ذروة سنام الاسلام" الجهاد في سبيل الله" وبدأت بالتوحيد وانطلقت في التحرير، تلك هي الأسرة الزنكية الأيوبية .

لقد قامت على انقاض المماليك السلجوقية — كما أسلفنا — بيوت تنتمي اليهم عرفت باسم " اتابكيات" كان من بينها اتابكية الموصل ، ورأينا كيف ان مؤسسها عماد الدين زنكي (١١٢٧–١١٤٦م/ ٥٢١–٥٤١هـ) تمكن من انتزاع امارة الرها سنة ١١٤٤م(٥٣٩هـ) من جوسلين الثاني . فكانت اول الامارات الصليبية ظهورا ، اولها سقوطا بيد المسلمين . وبعد زنكي خلفه ابنه " نور الدين محمود " فاتخذ حلب قاعدة له ، وواصل توحيد البلاد ، فاستولى على دمشق سنة ١١٥٤م(٥٤٩هـ) من احد اتباع طغتكين ،(٢) والتي كانت تشكل حاجزا بينه وبين مملكة بيت المقدس الصليبية ، وواصل تحرير ما تبقى من امارة الرها ، واستطاع سنة ١١١٥م(٥٠٩هـ) اسر اميرها جوسلين الثاني ، كما تمكن من فتح اجزاء من امارة انطاكية وأسر اميرها " بوهمند الثالث" وحليفه ريموند الثالث صاحب طرابلس، وذلك في سنة ١١٦٤م(٥٦٠هـ) ، لكنه اطلق سراح الأول بعد سنة ، ثم سراح الثاني بعد تسع سنوات، لقاء فدية دفعاها له . (٣)

وأدرك نورالدين اهمية مصر في القضاء على الصليبيين ، ووضع مملكة بيت المقدس بين حجرى الرحى — سوريا والعراق شمالا ومصر جنوبا . كما أدرك اهميتها الاقتصادية في تمويل مشروعاته ، ونشر المذهب السني فيها بدلا من المذهب الفاطمي .(٤)

---

(١) سورة مريم : ٣٠–٣٥.
(٢) ابن الأثير ١١ ١٩٦٦ : ١٩٧–١٩٨.
(٣) حتى ورفاقه ١٩٧٤ : ٢٣٤.
(٤) شلبي ج ٥ ١٩٧٢ : ١٥٧.

وحتى لا تقع في يد الصليبيين في خضم الصراع الذى كانت تمر به في اواخر الدولـــة الفاطمية، سيّر لها "اسد الدين شيركوه" ومعه ابن اخيه" صلاح الدين بن ايـــوب" وبعد حملات ثلاث تمكن شيركوه من تحقيق نصر سياسي وحربي هيأله سنة ١١٦٩م (٥٦٥هـ) تقلّد الوزارة للخليفة العاضد (١١٦٠–١١٧٠م/٥٥٥–٥٦٦هـ) آخـــر الخلفاء الفاطميين،[1] لكن وفاته بعد شهرين، نقل الوزارة الى صلاح الدين، فتلقــب بالملك المنصور، وثبته نورالدين قائداً للجيوش السورية. [2]

ويعود نسب صلاح الدين الى ايوب بن مروان بن شادى من بلد دوين، وهـــي بلدة من عمل اذربيجان، وينتسب شادى الى الروادية، احدى القبائل الكردية التـــي دخلت كنف الاسلام، قدم ابوه وعمه اسد الدين شيركوه الى العراق، وخدما بهـــروز السلجوقي، فولى ايوب مستحفظا لقلعة تكريت — وفيها ولد صلاح الدين سنة ١١٣٧م (٥٣٢هـ) في الليلة التي انتقل فيها والده الى الموصل للعمل مع عماد الدين زنكــي والذى ولاّه بعلبك سنة ١١٣٩م(٥٣٤هـ)، وفي سنة ١١٥١م (٥٤٦هـ) بدأ صلاح الدين العمل مع عمه شيركوه في حلب،[3] الى ان شاركه في حملاته على مصر إبتـــداء من سنة ١١٦٤م (٥٦٠هـ)، فبزغ نجمه، واستطاع سنة ١١٧١هـ(٥٦٧هـ) اسقـــاط الخلافة الفاطمية، والدعوة للخليفة العباسي المستضيء، وذكر ابو الفداء[4] ان الأمــر تم "ولم ينتطح فيه عنزان". وبعد ثلاث سنوات من اسقاطها توفي في دمشق السلطان نورالدين محمود فخلفه ولده اسماعيل وكان عمره احد عشر سنة، فأصدر الخليفة العباسي براءة بتعيين صلاح الدين حاكما على مصر وسورية، وقد ضُمّت القيروان والنوبة والحجـاز واليمن وجزء من العراق الى ملكته (انظر الخارطة). [5]

---

(١) ابن الجوزى ١٩٠٧ : ١٧٥ ؛ ابن خلكان ج١ ١٩٤٨ : ٤٠٥–٤٠٧.
(٢) بروكلمان ١٩٧٧ : ٣٥٢.
(٣) ابو الفداء ج٢ ١٢٨٦هـ : ٦٤–٦٦ ؛ ابن خلكان ج٦ ١٩٤٨ : ١٤٠–١٤٢ ؛ الدوادارى ج٦ ١٩٦٠ : ٥١٤ ؛ ابن الأثير ج١١ ١٩٦٦ : ٣٤١–٣٤٢ ؛ ديورانت ج٢ ١٩٧٤ : ٣١٩–٣٢٠.
(٤) ابو الفداء ج٣ ١٩٦٠ – ١٩٦١ : ٥٣.
(٥) حتى ١٩٥٩ : ٣٦٥.

وهكذا اكمل صلاح الدين رسالة نورالدين في توحيد بلاد مصر والشام، واصل حشد القوى الاسلامية لمواجهة الصليبيين، وكان لا بد له من تأمين الاتصال بين شطرى المملكة، اذ طالما تعرضت طرق القوافل التجارية بين مصر والشام، وقوافل الحجيج الى مضايقات من قبل ريجنالد صاحب الكرك والشوبك وكان الصليبيون قد قاموا باعادة بناء قلعة الكرك سنة ١١٣٦–١١٤٢م/٥٣١–٥٣٧هـ، وحاول ريجنالد سنة ١١٨١م (٥٧٧هـ) غزو الحجاز، فنذر صلاح الدين دمه، واعطى الله عهدا باستباحة مهجته ان ظفر به. (١)

وفي سنة ١١٨٧م (٥٨٣هـ) تمكنت جيوش صلاح الدين من احتلال طبرية فتجمعت جيوش الصليبيين، وكانت نحو عشرين الف بين فارس وراجل، (٢) وقيل خمسين الفا، (٣) في حين كانت جيوش صلاح الدين اثني عشر الف فارس باستثناء المتطوعين (٤) والتقى الجيشان في حطين – قرب طبرية – ، وبالرغم من تفوق الصليبيين عددا وعدة الا ان النصر كان حليف المسلمين، واسر ملك بيت المقدس "غي دى لوزينيان"، وبرّ صلاح الدين بقسمه فضرب عنق ريجنالد، وبدأت حصون الصليبيين تتساقط في يد المسلمين، فاحتلوا الساحل الفلسطيني لتأمين الاتصال البحرى مع مصر، وقطع اتصال الصليبيين مع اوروبا، كما اوعز صلاح الدين الى قائده حسام الدين لؤلؤ بمراقبة الشواطئ والاستيلاء على اى مركب يمخر البحر. (٥)

بعد معركة حطين اصبح الطريق ممهداً لتحرير بيت المقدس، فتوجه اليها صلاح الدين، واحكم حصاره حولها، فأدرك الصليبيون بقيادة "باليان" استحالة قدرتهم في الدفاع عنها، فطلبوا الأمان، فاعطاهم ما طلبوا مقابل الفدية، وكانت عشرة

---

(١) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ١٨٥ ؛ ابن الاثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٥٢٨.
(٢) حتى ج ٢ ١٩٥٩ : ٢٣٧.
(٣) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ٩٢.
(٤) ابن الأثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٥٣١.
(٥) العارف ج ١ ١٩٦١ : ١٧١.

دنانير للرجل ، وخمسة للمرأة ، ودناران للطفل ، (١) وقيل دينار واحد . (٢) وأعطوا مهلة اربعين يوما للدفع ، ومن لم يدفع خلالها يصبح مملوكا . وفي سنة ١١٨٧م الموافق يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب ٥٨٣هـ ـ ذكرى ليلة الاسراء والمعراج ـ دخل صلاح الدين بيت المقدس ، ودوى صوت المؤذن " الله اكبر " في المسجد الاقصى ، بعد انقطاع دام ثمان وثمانون سنة ، وما أوسع الفوارق في المعاملة بين القائد المسلم ، وما فعله الصليبيون في المدينة واهلها سنة ١٠٩٩م (٤٩٢هـ) .

وواصل صلاح الدين تطهير البلاد ، وتهاوت امام ضرباته قلاع الصليبيين فاحتل هونين وتبنين وكوكب الهوى وصفد واللاذقية وصهيون ، وفي الوقت الذى كان يخوض فيه معركة حطين ، كان هنالك جيش آخر بقيادة أخيه العادل وصهره سعد الدين كمشبه الأسدى ، يُحاصر قلاع الكرك والشوبك ، الى ان استسلمتا جوعا ـ كما سيرد في معرض الحديث عنهما ـ ولم تكد سنة ١١٨٩م (٥٨٥هـ) تنتهي حتى كانت معظم بلاد الشام في يد المسلمين ، ولم يبق في حوزة الصليبيين الا انطاكية وطرابلس وصور مع بعض المدن الصغيرة ، (٣) فكان لتلك الانتصارات ردود فعل عنيفة لدى ملوك اوروبا ، فتداعوا الى حملة صليبية أخرى تزعمها ريتشارد الأول الملقب بقلب الاسد ملك بريطانيا ، وفيليب اغسطس ملك فرنسا ، وفردريك بربروسا امبراطور المانيا الذى مات في الطريق ، وتوجهت تلك الحملة الى عكا لعلها تكون المفتاح الى المملكة المفقودة ، واستمرت الحرب حول اسوارها مدة سنتين ، استسلمت بعدها المدينة سنة ١١٩١م (٥٨٧هـ) مقابل فدية قدرها مائتي الف دينار ، وتحرير الفين وخمسمائة من الاسرى الصليبيين ، ورد صليب الصلبوت الذى استولى عليه المسلمون في معركة حطين . (٤) وعندما تأخر دفع الفدية قام ريتشارد بقتل ثلاثة آلاف من المسلمين . (٥)

---

(١) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ٢١٢–٢١٥ ؛ الاصفهاني ١٩٦٥ : ٤٦–٤٧ ؛ ابن الاثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٥٤٨–٥٤٩ .

(٢) ابن شداد ١٩٠٣ : ١٢٩ .

(٣) حتى ورفاقه ١٩٧٤ : ٧٣٨ .

(٤) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ٣٥٩–٣٦٠ .

(٥) الاصفهاني ١٩٦٥ : ٢٩٣ .

ومع ان ريتشارد تمكن بعد معارك طاحنة من احتلال يافا وحيفا وعسقـلان الا انه ارسل مع احد امراء المسلمين الى صلاح الدين يقول :" بالله عليك اجب سؤالي في الصلح ، فهذا الأمر لا بد له من آخر ، وقد هَلَكَتْ بـلادي وراء البحر ، وما في دوام هذا مصلحة لا لنا ولا لكم". (١) فأجابه صلاح الدين للصلح سنة ١١٩٢م (٥٨٨هـ) ، وعقدت الهدنة بين الطرفين ، بحيث يكون الساحل من صور حتى يافا للصليبيين ، في حيـن تكون عسقلان للمسلمين ، اما اللد والرملة فتكون مناصفة بين الطرفين ، مع ضمان حريـة العبادة في المدينة المقدسة ، واتفق على ان تكون مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثـة اشهر. (٢) وعاد ريتشارد الى بلاده ، في حين عاد صلاح الدين الى دمشق ليلقـى وجه ربه في السنة التالية ، مخلفا ارثا بلغ سبعة واربعين درهما ، ودينار ذهبي واحـد ، ولم يخلف دارا ولا عقارا . (٣)

بعد وفاة صلاح الدين تجزأت مملكته بين ابنائه واخوانه وابناء عمومته ، فكانـت الكرك والشوبك وعجلون والبلاد الشرقية من نصيب اخيه الملك العادل سيف الديـن ابو بكر بن ايوب (١١٩٩–١٢١٨م/٥٩٦–٦١٥هـ) ، وتمكن من الاستيلاء على مصـر ومعظم سوريا ، وجدّد الهدنة مع الصليبيين على ذات الشروط السابقة , مضافا اليهـا انتقال يافا لسيطرة المسلمين ، وبيروت لسيطرة الصليبيين ، الا انه بعد وفاته ازدادت الخلافات في البيت الأيوبي ، اذ خلفه في الحكم ولديْه الملك الكامل في مصر ، والملـك المعظم عيسى في دمشق ، وقام الصليبيون سنة ١٢١٨م (٦١٥هـ) بغزو دمياط بقيـادة حنادى برين ، في محاولة منهم لاحتلال مصر ، فعرض عليهم الملك الكامل ما فتحـه صلاح الدين في الساحل الشامي باستثناء الكرك والشوبك مقابل رحيلهم عن دميـاط (٤) الا انهم رفضوا ، وسقطت المدينة بيدهم سنة ١٢١٩هـ (٦١٦هـ) ، وبعدها بسنتيـن تهيأوا لاحتلال القاهرة ، لكنهم فشلوا ، واعادوا دمياط للمسلمين ، مقابل عودتهـم الى بلادهم . (٥)

---

(١) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ٣٩٩ .

(٢) المرجع السابق : ٤٠٣ ؛ ابو الفداء ج ٣ ١٩٦٠ : ١٠٩ .

(٣) المرجع السابق : ١١٣ .

(٤) المرجع السابق ج ٦ ١٩٦١ : ٢٦ ؛ ابن الأثير ج ١٢ ١٩٦٦ : ٣٢٩ ؛ زكي ١٩٧٠ : ١٦١ ؛ الحنبلي ج ١ ١٩٧٣ : ٣٥٦ ؛ وانظر ايضا :- Wolff and Hazard Vol II 1958: 409

(٥) المقريزي ج ١ ١٩٣٤ : ١٤١ ؛ ابن الاثير ج ١٢ ١٩٦٦ : ٣٣٠ .

غير ان النزاع سيطر على البيت الأيوبي ، فقام الكامل محمد سنة ١٢٢٩م (٦٢٧هـ) بعقد صلح مهين مع فردريك الثاني الذى خرج من اوروبا ملعونا من البابا ، وبصحبته خمسمائة فارس، وبمقتضى ذلك الصلح تنازل له الكامل عن بيت المقدس وبيت لحم والناصرة ، وحقق فردريك بضعف امكاناته مالم يستطع ريتشارد قلب الأسد بكل امكاناته الضخمة من تحقيقه ، وحصل على بيت المقدس ولم يخسر رجلا واحدا . (١) الى ان تمكن الملك الناصر داوود ملك الكرك (١٢٢٩-١٢٥٨/٦٢٧-٦٥٦هـ) من استرجاعها سنة ١٢٣٩م (٦٣٧هـ) ، مستغلاً حالة الضعف عند الصليبيين واعطى الأمان للصليبيين للخروج منها دونما مال او سلاح . الا ان استحكام النزاع في البيت الايوبي ، دفعهم لطلب المعونة من الصليبيين ، ضد بعضهم ، كما ان الصليبيين ايضا كانوا يستنجدون بالمسلمين في منازعاتهم الداخلية ، وكانت القدس موضع مساومة في تلك المنازعات ، ففي سنة ١٢١٣م (٦٤١هـ) تحالف الصالح اسماعيل صاحب دمشق مع الناصر داوود صاحب الكرك ضد الصالح ايوب صاحب مصر ، وقاما بتسليم عسقلان وطبرية والقدس للصليبيين ، (٢) وهذا ما دفع الصالح ايوب للاستعانة بالخوارزمية الذين قدموا الى البلاد بعد غزوا المغول لأذربيجان وأرمينية ، فلبوا النداء كمسلمين وأعادوا تحرير المدينة المقدسة سنة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . (٣)

ان عودة بيت المقدس مرة اخرى للمسلمين ، وفشل الصليبيين في الاستيلاء على مصر ، دفع اوروبا لتوجيه حملة صليبية جديدة ، اخذت طابعا فرنسيا اذ تزعمها ملك فرنسا لويس التاسع ، وتمكن سنة ١٢٤٩م (٦٤٧هـ) من احتلال دمياط ، بغير كلفة ولا موئنة حصار ، فقد كان الصالح نجم الدين ايوب على فراش الموت ، (٤) وبعد موته واصل لويس التاسع زحفه نحو القاهرة ، وتولى ابنه توران شاه الحكم بمساعدة من امه شجرة الدر ، وتولى فخر الدين ابن الشيخ قيادة الجيش الايوبي ، والوقوف في وجه الصليبيين ، حتى اذا استشهد تولى القيادة بيبرس البندقدار - من المماليك الصالحية

---

(١) عاشور ج ٢ ١٩٦٣ : ١٠١١ ؛ ديورانت ج ١٥-١٦ ١٩٧٤ : ٥٦ .
(٢) ابو المحاسن ج ٦ ١٩٣٦ : ٣٢٢-٣٢٤ ؛ ابو الفداء ج ٦ ١٩٦١ : ٧٥
(٣) عاشور ج ٢ ١٩٦٣ : ١٠٤٣-١٠٤٥ .
(٤) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ٣٢٤ ، ٣٣٦ ؛ جوانفيل ١٩٦٨ : ٩٦-٩٧ .

فكان النصر للمسلمين في المنصورة، وأُسر لويس، ثم افرج عنه مقابل الفدية مع اعادة دمياط للمسلمين. غير ان المماليك ثاروا ضد توران شاه ابن سيدهم، فانتهى بمقتله حكم الأيوبيين في مصر، وبدأ حكم المماليك. (١)

ومفردها مملوك، ومعناه العبد والمولى، وكانوا جماعة عسكرية، ينتمي افرادها الى الاتراك او المغول او الشركس، نسبهم غير معروف، وكانوا يُبتاعون في سوق النخاسة في البلاد الروسية والقفقاسية. وينقسمون الى جماعتين : المماليك البحرية (١٢٥٠–١٣٩٠م/٦٤٨–٧٩٣هـ) نسبة الى مقرهم الذى كان على جزيرة صغيرة في نهر النيل، والمماليك البرجية (١٣٨٢–١٥١٧م/٧٨٤–٩٥٤هـ) نسبة الى مقرهم في ابراج القلعة بالقاهرة. (٢)

وبعد قيامهم بقتل توران شاه، اتفقوا على تولية الحكم الى شجرة الدر أم خليل ابن الصالح ايوب، الا انها بعد ثمانين يوما تنازلت الى زوجها عزالدين ايبك التركماني (١٢٥٠–١٢٥٧م/٦٤٨–٦٥٥هـ)، فتلقب بالملك المعز، وقام سنة ١٢٥٣م (٦٥١هـ) بعقد صلح مع الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق بحيث يكون للمماليك مصر وجنوب فلسطين بما فيها بيت المقدس وغزة، في حين تبقى بلاد الشام بين الأيوبيين. (٣) وعيّن مملوكه سيف الدين قطز نائبا له. وبعد مقتله على يد زوجته، تولى قطز السلطنة، وفي عهده بدأ خطر المغول يهدد البلاد.

والمغول نوع كثير من الترك، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين، ملكهم يدعى جنكيز خان، زحفوا سنة ١٢٢٠م (٦١٧هـ) على بخارى وسمرقند، فأوسعوها نهباً وقتلا وسبيا واحراقا، وسيطروا على مملكة خوارزم شاه — علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش — التي امتدت من العراق الى تركستان، وضمت بلاد غزنه وخراسان، (٤) وعلى انقاضها اقام هولاكو حفيد جنكيز خان، الدولة المغولية، واحتل بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله (١٢٤٢–١٢٥٨م/٦٤٠–٦٥٦هـ)، ودام القتل والنهب في بغداد نحو اربعين يوما، وبلغ عدد القتلى ثمانمائة الف. (٥)

---

(١) المرجع السابق : ١٧٣–١٧٤ ؛ العبادى ١٩٦٩ : ١١٢–١١٣.
(٢) حتى ١٩٥٩ : ٣٧٢ ؛ ديورانت ج ٢ ١٩٦٥ : ٣٢٣.
(٣) ابو المحاسن ج ٧ ١٩٣٨ : ١٠.
(٤) ابن الأثير ج ١٢ ١٩٦٦ : ٣٦١.
(٥) ابو المحاسن ج ٧ ١٩٣٨ : ٥٠–٥٢ ؛ ابو الفداء ج ٦ ١٩٦١ : ٩٩–١٠١.

بعد سقوط بغداد واصل المغول زحفهم نحو بلاد الشام، فاستولوا سنة ١٢٥٩م (٦٥٨هـ) على حلب ثم دمشق، وهرب صاحبهما الملك الناصر يوسف، الا ان احد افراد حاشيته وشى عن مكانه، فَقُبِضَ عليه عند بركة زيزياء - جنوب عمان - وأُحْضِر الى "كتبغا نوين" قائد جيوش هولاكو في بلاد الشام، فحمله كتبغا الى قلعة عجلون التي استعصت على المغول، فأمر الناصر حاميتها بالتسليم، فسلمت اليهم فهدموها. [1] ثم بعث به الى هولاكو فعاش في ذل وهوان الى ان قتل. [2] اما صاحب حمص الاشرف موسى فقد سارع في تقديم الطاعة الى هولاكو، وصار تابعا له، في الوقت الذي غادر به صاحب حماه الملك المنصور المظفر الى مصر والتحق بجيش قطز، اما صاحب الكرك الملك المغيث عمر، فقد ارسل ابنه فخر الدين الى هولاكو طالبا الامان، فاعطاه له وسيَّر معه قوة من التتار توصله الى الكرك. [3]

وأظهر المغول في احتلالهم للعراق وسوريا تعاطُفاً مع المسيحيين، فاحترموا مؤسساتهم ورجالهم، في الوقت الذي ضربوا فيه الجوامع، وقتلوا خليفة المسلمين ومع ان ديانتهم كانت الشامانية، الا ان كتبغا كان مسيحيا، اذ سبق للمبشرين النساطرة ان ادخلوا النصرانية الى الصين. [4] من هنا كانت مشاركة المسيحيين الشرقيين من ارمن وسريان ويعاقبة ونساطره للمغول والسير في ركابهم، كما انضم اليهم بوهمند السادس امير انطاكية، التي الحقت بالامبراطورية المغولية، [5] واعتبر البابا التحالف بين الافرنج والمغول امرا مرغوبا فيه لمواجهة عدوهم المشترك : الاسلام [6]. غيرأن حالة الضعف السائدة انذاك عند الصليبيين نتيجة للنزاع بين الجنويين والبنادقة، وتطوره الى حرب اهلية امتدت على طول ساحل الشام، حال دون استغلال الصليبيين لهذا الغزو مما وفر على المسلمين توحيد قوتهم لمواجهة المغول اولاً.

---

(١) المرجع السابق : ١١١.
(٢) ابو المحاسن ج٧ ١٩٣٨ : ٧٧.
(٣) غوانمه ١٩٨٠ : ٣٠٤-٣٠٥.
(٤) حتي ج٢ ١٩٥٩ : ٢٦٩ ؛ ١٩٥٩ : ٣٧٣.
(٥) عاشور ج٢ ١٩٦٣ : ١١٢٩.
(٦) حتي ١٩٥٩ : ٣٧٣.

بعد احتلال المغول بلاد الشام، تهيأوا للزحف على مصر، وارسل هولاكو الى قطز يطلب اليه التسليم والخضوع "اسلموا الينا امركم قبل ان ينكشف الغطاء فتندموا ... فنحن ما نرحم من بكى ولا نرق لمن شكى ... فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد امانا سلم... وان خالفتم هلكتم... فما بقي لنا من مقصد سواكم..."(١)

امام هذا الوعيد عقد السلطان قطز مجلسا للحرب، وأجمع الامراء على الحرب وعندما سألوه رأيه قال "ان الرأى عندى أنْ نتوجه الى القتال، فاذا ظفرنا فهو المراد، والا فلن نكون ملومين امام الخلق" وأمر بصلب رسل المغول، ونودي في القاهرة وسائر الاقاليم بالخروج الى الجهاد. (٢) وكان اللقاء مع المغول في عين جالوت - قرب الناصرة - سنة ١٢٥٩م (٦٥٨هـ)، وقاتل المماليك قتالا مستميتا، وولى المغول الادبار لا يلوون على شيء، وقُتل كتبغا، وأُسر ابنه، وجرّد قطز ركن الدين بيبرس البندقدارى في اثرهم حتى اجلاهم عن سورية. (٣) وبذلك تحررت نفوس البشر من الخوف القاتل الذى سيطر عليها، ومن الوهم الكبير الذى اعتراها، وحفظت لمصر وبلاد الشام وحدتها، كما كانت الاساس في تدعيم حكم المماليك. (٤)

وقام قطز بتوزيع الاقطاعات على أمراء المماليك، وفاته إرضاء الأمير بيبرس الذى كان يطمع في نيابة حلب، والتي اعطيت الى علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ عندئذ بدأ بيبرس يخطط لاغتيال قطز، ونجح في ذلك اثناء عودته من دمشق الى القاهرة، وتُوج سلطانا في القاهرة، وتلقّب بالملك الظاهر، "وكانت البلد قد زينت للملك المظفر قطز، فاستمرت الزينة لسلطنة بيبرس". (٥) وأمر ببناء مشهد على عين جالوت، عرف بمشهد النصر تخليدا لذكرى ذلك الانتصار الذى حققه المسلمون. (٦)

---

(١) المقريزى ج١ ١٩٣٤: ٤٢٧-٤٢٩.
(٢) المرجع السابق: ٤٢٩؛ الهمذاني ج١ ١٩٦٠: ٣١١-٣١٢.
(٣) المرجع السابق ٤٣٢؛ ابو المحاسن ج٧ ١٩٣٨: ٧٩؛ ابو الفداء ج٦ ١٩٦١: ١١٢.
(٤) حماده ١٩٨٢: ٧٥.
(٥) ابو المحاسن ج٧ ١٩٣٨: ١٠٢.
(٦) المقريزى ج١ ١٩٣٤: ٤٤٦؛ ابن عبد الظاهر ١٩٥٦: ٢٩-٣٠.

وبتولى بيبرس السلطنة (١٢٥٩-١٢٧٦م/٦٥٨-٦٧٥هـ) بدأ بتوطيد دعائم حكمه، فقضى على ثورة الأمير علم الدين سنجر الحلبي الذى كان قطز قد ولاّه دمشق كما قضى على ثورة شيعية في القاهرة، وأحيا الخلافة العباسية، ونقلها من بغداد الى القاهرة. وقام بعدة اصلاحات في الحرم النبوى الشريف، وأرسل الكسوة الى الكعبة. وقام سنة ١٢٦٢م (٦٦١هـ) بالقبض على الملك المغيث عمر بن العادل صاحب الكرك وارسله الى مصر، فكان آخر العهد به، (١) كما ارسل في نفس تلك السنة سفاراته الى الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن، والى بركة خان، زعيم القبيلة الذهبية من المغول الذى اعتنق الاسلام، وعقد معهم احلافا ضد هولاكو. (٢)

واهتم بالثغور، واغدق الاموال على عرب خفاجه على الحدود الفراتية، وحثهم على قتال هولاكو، فوصلت غاراتهم الى ابواب بغداد، وامر بعمارة القلاع التي خرّبها المغول، وجدّد اجزاء كبيرة من قلاع عجلون والكرك والشوبك، كما أوجد ابراج المراقبة على طول الاطراف الصليبية لحفظ الطرق من اعتداءات الافرنج. وقام بتجديد القلاع على الحدود الفراتية، خاصة قلعة البيرة التي شحنها بما يكفي لمقاومة الحصار مدة عشر سنوات. (٣) وقام بعمارة سلسلة من المنائر تربط اطراف الدولة بالعاصمة، وتكون بمثابة محطات انذار، واهتم بطرق المواصلات والجيش. وانطلق في حربه ضد الصليبيين فاستولى على قيسارية وارسوق، واستعاد عكا وصفد، ثم انطاكية ويافا وشقيف ارنون. (٤) وفي السنة الاخيرة من حكمه تمكن من احتلال قيسارية، " وجلس على تخت آل سلجوق (٥) وخُطب له على المنابر، ثم عاد الى دمشق، فأصيب بالحمى وتوفي على أثرها.

وكان بيبرس قد أوصى بالحكم لابنه بركه، ولقبه بالملك السعيد، الا انه خُلع وأعطى الكرك، وتولى السلطنة الملك المنصور قلاوون الصالحي (١٢٧٩-١٢٩٠م / ٦٧٨-٦٨٩هـ)، وتمكن من احتواء ثورة سنقر الأشقر الذى اعلن نفسه سلطانا في

---

(١) ابو الفداء ج٦ ١٩٦١: ١٢٦، وانظر ايضا: Sadeque 1956: 35-42.
(٢) عاشور ج٢ ١٩٦٣: ١١٤٣؛ العبادى ١٩٦٩: ٢٠٦-٢٠٨.
(٣) المقريزى ج١ ١٩٣٤: ٥٢٥.
(٤) ابو الفداء ج٧ ١٩٦١: ٨.
(٥) المقريزى ج١ ١٩٣٤: ٦٣١.

دمشق، فعينه حاكما على اقليم انطاكيه. (١) وتفرغ لحرب المغول الذين خرجوا اليه بقيادة "أبغا"، وكانوا نحو ثمانين الف، فسار اليهم قلاوون، والتقاهم في حمص سنة ١٢٨١م (٦٨٠هـ)، وحلت الهزيمة بالمغول، وهلك منهم خلق كثير. (٢) كما تمكن قلاوون خلال فترة سلطنته من الاستيلاء على قلعة المرقب، وطرابلس من الصليبيين، ولم يبقى من حصونهم المهمة غير عكا، اذ ان يد المنون عاجلته، فأكمل ابنه الملك الاشرف صلاح الدين خليل (١٢٩٠–١٢٩٣م/٦٨٩–٦٩٣هـ) هذه المهمة واستولى على عكا سنة ١٢٩١م (٦٩٠هـ)، وبعد سقوطها استسلمت مدن صور وصيدا وبيروت وعتليت. "وهكذا تحررت سوريا ومدنها السا حلية من الفرنج . . . والحمد لله". (٣)

وبعد وفاة الملك الاشرف صلاح الدين خليل تولى السلطنة أخوه الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون، فتمكن سنة ١٣٠٢م (٧٠٢هـ) من الاستيلاء على جزيرة ارواد — مقابل شاطىء طرطوس — من الصليبيين، وبسقوطها أُسدل الستار على مأساة الحروب الصليبية.

وفي عهد محمد بن قلاوون تعرضت البلاد لغزو التتار بقيادة غازان بن ارغون — الذى اعتنق الاسلام — وتمكن من الاستيلاء على دمشق الا ان الهزيمة نزلت به في معركة مرج الصفر — جنوب دمشق سنة ١٣٠٣م (٧٠٣هـ). (٤)

وبعد وفاة محمد بن قلاوون، تعاقب على السلطنة اثني عشر سلطانا خلال اثنتين واربعين سنة (١٣٤٠–١٣٨٢م/٧٤١–٧٨٤هـ) كان الامراء خلالها يُديرون دفة الحكم، فيُعينون السلاطين او يعزلوهم، اويقتلوهم. ثم مالبث ان تولى السلطنة فرع آخر من المماليك، عُرفوا بالمماليك البرجية — بحكم اقاماتهم في ابراج القلعة بالقاهرة — ومجموعهم ثلاثة وعشرين مملوكا، حكموا مدة مائة واربع وثلاثين سنة (١٣٨٢–١٥١٧م/٧٨٤–٩٢٣هـ). (٥)

---

(١) ابو الفداء ج٧ ١٩٦١: ١٧.
(٢) المرجع السابق: ١٧–٢٠، الهمذاني ج٢ ١٩٦٠: ٨٣، وانظر ايضا:
Wolff and Hazard 1958: 751
(٣) ابو الفداء ج٧ ١٩٦١: ٣٢–٣٣.
(٤) المرجع السابق: ٥٢.
(٥) حتي ورفاقه ١٩٧٤: ٧٧٣، ٧٨٧.

وأبرز الاحداث التاريخية في عهد هؤلاء المماليك، تتمثل في غزو المغـــول للبلاد بزعامة تيمورلنك سنة ١٤٠١م (٨٠٤هـ) وعجز السلطان فرج (١٣٩٨–١٤٠٥م/ ٨٠١–٨٠٨هـ) عن الوقوف في وجههم، فدمروا المدن السورية، وعملوا من رؤوس القتلى اكواما بلغ عُلوّها عشرة اذرع ومحيطها عشرون ذراعا. وفي السنة التالية لغزوهـــم هذا تمكنوا من تحقيق النصر على العثمانيين قرب انقرة، واسروا السلطان بايزيد الأول غير ان موت تيمورلنك سنة ١٤٠٤م (٨٠٧هـ) ووقوع الخلافات بين ورثته، اعاد للعثمانيين سيادتهم على آسيا الصغرى، فأخذوا يوسعون دائرة نفوذهم، الى ان تمكنوا مـــن تحقيق النصر على المماليك في معركة مرج دابق شمال حلب سنة ١٥١٦م (٩٢٢هـ) عندما انتصر السلطان سليم الأول على السلطان قانصـوه الغوري، وخضعت البـــلاد العربية لحكم الاتراك العثمانيين.

ان تزاحم احداث التاريخ هذه، كان لها انعكاساتها على قلاع الاردن، وذلك بحكم موقع الأردن الجغرافي بالنسبة لتلك الدول التي تعاقبت على بلاد الشام ومصـر وأيضا بحكم الموقع الاستراتيجي للقلاع ذاتها، وهو ما سنتعرف عليه في الصفحـــات التالية. كما ان معايشة القلاع لتلك الأحداث، ومساهمتها في صنع بعضها، جعلهـــا تمر في ظروف مختلفة، فتارة تتجه اليها يد الاعمار والبناء، وتارة اخرى تكون عرضـــة لأسلحة الهدم والدمار، ومرة تَمْرَحُ بالحياة ونعيمها، وتكون رمزا للحكم والسلطـــان ومرة اخرى تصبح مهجورة، وهو ما سنحاول معرفته عند حديثنا عن كل قلعة.

ب ـ الموقع الجغرافي للأردن :

يتميز الموقع الجغرافي لأى بلد من خلال أمرين اساسيين : ـ

أحدهما ثابت لا يتغير، وهو الموقع الفلكي والطبيعي بالنسبة لخطوط الطول وخطوط العرض، وعلاقته بالماء والأرض فيما اذا كان يطل على البحر، او محصورا بين الجبال والأودية، أو تكتنفه البحار الداخلية. أما الأمر الثاني فهو قابل للتغير ويتمثل في طبيعة العلاقات بين الحكومة التي تحكم ذلك البلد وما يجاورها من حكومات تحكم في البلاد المجاورة ويتأثر الموقع الجغرافي بمدى قرب البلد من خطوط المواصلات الاستراتيجية الخارجية، وما يوجد به من مواصلات داخلية، وبما يُنتجه من ثروات وما يعيش فيه من سكان، وبما يشغله من مساحة. (١)

اما التسمية "الأردن" فهي اسم البلد وان كان معربا، (٢) كما أُطلق اللفظ على النهر منذ القدم، (٣) والذى من معانيه : الشدّة والغلبة، والمنحدر او المتدحرج. (٤) ولا ندرى مدى صحة الرواية التي اوردها ياقوت(٥) في قول أهل السّير بأن الأردن وفلسطين هما ابنا سام بن ادم ابن سام بن نوح عليه السلام !؟ . وقيل هما أُردنان: الأردن الكبير وهو النهر الذى يصب في بحيرة طبرية، والأردن الصغير وهو النهر الذى يخرج من بحيرة طبرية ويصب في البحيرة المنتنة (البحر الميت) . (٦)

وبعد الفتح الاسلامي اطلق اسم النهر على المنطقة العسكرية المحيطة به، واصبحت تعرف باسم " جند الاردن" احد اجناد

---

(١) الشاعر ١٩٧٠ : ٢٠ـ٣٠ .
(٢) الحموى ج ١ ١٩٧٧ : ١٤٧ .
(٣) سفر التكوين : ١٣ : ١٠، ١١؛ البقرة : ٢٤٩ (تفسير الجلالين : ١٩٨٢) .
(٤) سترانج ١٩٧٠ : ٦٩ .
(٥) الحموى ج ١ ١٩٧٧ : ١٤٧ .
(٦) المرجع السابق : ١٤٧ ـ ١٤٨ ؛ الدمشقي ١٩٢٣ : ١٠٨، ٢٠١، القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ٨١ .

الشام. [1] وبعد الحروب الصليبية أصبح اسمه في التاريخ العربي "الشريعة" [2] وهو الاسم المتعارف عليه حتى اليوم.

اما اسم "شرقي الأردن" فقد اطلقه على هذه المنطقة "وليم الصوري" [3] مؤرخ مملكة بيت المقدس الصليبية حيث نعتها باسم: Ultra Jordanem و Trans Jordanem وقال انها تضم بلاد جلعاد وعمون وموآب. وعنه أخذ كثير من المؤرخين، وأصبحت البلاد تعرف باسم: شرقي الاردن أو ما وراء الأردن Trans Jordan . وانتشرت التسمية لدى العامة بعد قيام امارة شرقي الأردن في ٢٨ ايار عام ١٩٢١ بقيادة عبد الله بن الحسين بن علي، واستمرت حتى ٢٥ ايار عام ١٩٤٦، حيث أستبدل بها اسم "المملكة الاردنية الهاشمية".

أما بالنسبة للتسمية بـ "الضفة الشرقية" فقد جاءت بعد احتلال اليهود لأجزاء من فلسطين عام ١٩٤٨، وانضمام جزء آخر منها اطلق عليه اسم "الضفة الغربية" الى المملكة الاردنية الهاشمية في الثاني عشر من كانون الاول عام ١٩٤٨م.

وفي العهد الأموي غلب على البلاد اسم "البلقاء" واعتبرت من أعمال دمشق وقصبتها عمان. [4] وامتدت حدودها من الحميمة قرب الشوبك في جنوب الاردن الى مدينة اربد وعجلون في الشمال. [5] وكان بها وال مرتبط اداريا بوالي الشام، ولها جندها الخاص بها، والمكلف برعاية شؤونها. [6]

---

(١) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) قسمت سوريا الى أربعة أجناد (بمعنى فرقة من الجند) وذلك على غرار ما كان معروفا عند الرومان والبيزنطيين، وهذه الاجناد هي: - جند دمشق، جند حمص، جند فلسطين، وجند الاردن الذي اشتمل على طبرية كعاصمة له، وكانت مدينة صور ميناءه وقيل كانت عكا هي الميناء وامتدت حدوده من الجليل شمالا حتى الغور والبحر الميت جنوبا، ووصلت الى الصحراء شرقا. ثم اضاف يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/ ٦٨٠-٦٨٢م) جندا خامسا هو جند قنسرين (بلاد مابين النهرين)، وقيل أن الذي أنشأه معاوية بن ابي سفيان (٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٨٠م) بعد الاستيلاء على العراق. وفي عهد هارون الرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦م) قسّم هذا الجند الى اقليمين: اقليم العواصم واقليم الثغور (راجع: سترانج ١٩٧٠: ٥٢-٥٣؛ حتى ١٩٥٩: ٢٩٤).

(٢) العمري ج ١ ١٩٢٤: ٨٢.

(٣) Tyre 1943: 321, 398, 499, 501

(٤) الحموي ج ١ ١٩٤٧: ٧٢٨.

(٥) ابن الاثير ج ٤ ١٣٥٧هـ: ١٥٩؛ الطبري ج ٨ ١٩٦٢: ١٧٨.

(٦) الطبري ج ٧ ١٩٦٢: ٢٧٤؛ ابن خلكان ج ٤ ١٩٤٨: ١٤٨.

وقد اتسعت دائرة نفوذ والي البلقاء في العهد العباسي فشملت البلقاء وفلسطين، وهو ما اسنده الخليفة عبدالله السفاح (٧٤٨–٧٥٣م/١٣٢–١٣٦هـ) الى صالح بن علي. (١) واستمر ارتباطه بوالي الشام، بل ان والي الشام قام بتعيين وال على هذه البلاد وهذا مافعله ابو منصور تكين بن عبد الله المعتضري الخزري عندما قلد محمد بن طغج بن الاخشيد البلاد الواقعة ما بين عمان والكرمل والشراة، وبارك الخليفة العباسي المقتدر بالله (٩٠٧–٩٣٢م/٢٩٥–٣٢٠هـ) هذا التعيين. (٢)

وخلال العهد الفاطمي استمر ايضا وجود وال في عمان له ارتباطه بوالي الشام ونذكر منهم على سبيل المثال: ناصح الطباخ في عهد الخليفة العزيز بالله (٩٧٥–٩٩٦هـ/٣٦٥–٣٨٦هـ) (٣) وبدر بن حازم في عهد الخليفة المستنصر بالله (١٠٣٥–١٠٩٤م/٤٢٧–٤٨٧هـ) (٤). وعندما استولى السلاجقة على البلاد ضُمّت الاردن وفلسطين الى مملكة دمشق، وأقطعها تتش بن الب ارسلان الى صهره وقائده ارتق بن اكسب الى ان أُجبروا على التخلي عنها للفاطميين سنة ١١٠٢م (٤٩٦هـ)(٥) وهكذا كان الاردن جزءا من بلاد الشام منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية الحكم الفاطمي. (٦)

أما عن تسميتها خلال الفترة "موضوع الدراسة" فقد كانت بعض اجزاء من الأردن هي: الكرك والشوبك والعقبة في سنة ١١١٥م (٥٠٩هـ) تتبع مملكة بيت المقدس الصليبية وبعد تحريرها منهم في سنة ١١٨٨م (٥٨٤هـ) على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي (١١٦٨–١١٩٢م/٥٦٤–٥٨٨هـ) قام باقطاعها الى الملك العادل

---

(١) الطبري ج ٧ ١٩٦٢: ٤٦٧.
(٢) ابن خلكان ج ٤: ١٤٨، ١٥٣؛ ابو الفلاح ج ٢ ١٣٨٠هـ: ٢٨٩؛ حسن ج ٣ ١٩٦٨: ٣٦.
(٣) المقريزي ج ١ ١٩٧٣: ٢٦٠.
(٤) ابن القلانسي ١٩٠٨: ٩٧؛ ابو المحاسن ج ٥ ١٩٣٢: ٨٥.
(٥) Stevenson 1905, 20
(٦) مؤمن ١٩٧٤: ١٩٩.

(١١٩٧–١٢١٥م/٥٩٤–٦١٣هـ) واضاف اليها البلقاء، وكان ذلك مقابل ستة آلاف غرارة غلة تُحمل سنويا الى السلطان صلاح الدين. (١) ثم قام الملك العادل باضافة الشام اليها، وأعطاها سنة ١١٩٧م (٥٩٤هـ) الى الملك المعظم عيسى. (٢) وفي سنة ١٢٢٨م (٦٢٦هـ) قامت في البلاد امارة ايوبية بزعامة الملك الناصر داوود بن المعظم عيسى سميت" إمارة الكرك" وكانت تضم :_ السلط وعجلون والبلقاء والأغوار ونابلس والقدس وبيت جبريل والخليل. (٣)

وفي الفترة المملوكية كان قسم من الأردن يشكل القاعدة السادسة (اي نيابة أو مملكة) من قواعد المملكة الشامية (٤)، وهي " مملكة الكرك" ولها أربعة اعمال :_ (٥)

١ – عمل بر الشوبك.

٢ – عمل الشوبك.

٣ – عمل زغر. (٦)

٤ – عمل معان.

والقسم الآخر من الاردن كان يتبع مملكة دمشق _ الصفقة القبلية _ وهو :

١ – عمل عجلون.

٢ – عمل البلقاء. (٧)

والموقع الجغرافي والمناخي للأردن وما على ارضه من تضاريس طبيعية، يعتبر مشابها او مكملا لما هو كائن في البلاد العربية المحيطة به وهي فلسطين وسوريا

---

(١) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ٣٧٨–٣٧٩ ؛ ابو شامة ج ٢ ١٩٥٦ : ١٩٧.
(٢) ابن الاثير ج ٩ ١٩٦٦ : ٣٢٧ ؛ القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ١٧٥.
(٣) ابن شداد ج ٣ ١٩٦٣ : ٢٤١ ؛ وعن امارة الكرك الايوبية انظر ايضا : غوانمة ١٩٨٠.
(٤) قواعد المملكة الشامية الست هي : دمشق، حلب، حماه، طرابلس، صفد، الكرك.
(٥) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ١٠٥–١٠٦، ١٥٥–١٥٧ ؛ العمري ١٣١٢هـ : ١٨٣.
(٦) ويرى القلقشندي ج ٤ ص١٥٧ " انها سميت باسم زغر بنت لوط عليه السلام، وموقعها جنوب البحر الميت، وقيل انها مدينة متصلة بالبادية". ولا ندري اكانت هي (صوغر) ذاتها الواردة في التوراه، والتي التجأ اليها لوط قبل دمار سادوم وعموره ام لا ؟ (انظر سفر التكوين ١٣ : ١٠، ١٩ : ٢٢، ٣٠).
(٧) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ١٠٥–١٠٦، ١٥٥–١٥٧.

والعراق والجزيرة العربية. فمناخه قاري، لا تصل اليه موثرات البحر، فالمدى الحراري كبير بين الصيف والشتاء، وبين الليل والنهار، كما ان الحرارة في وادي الاردن اكثر ارتفاعا منها في اي جزء آخر، ويصل المتوسط الى ٧٣ْ ف، وهذا ماساعد على انتاج المحاصيل الشتوية. اما الامطار فانها تتراوح مابين ٥٠ الى ٦٠ سم على المرتفعات الشمالية (جبال عجلون) وتقل كلما اتجهنا شرقا وجنوبا، وربما تصل في عمان الى اقل من ٢٠ سم، والذبذبة في معدل سقوط الامطار تُعرض الحياة الزراعية للخطر.

أما التضاريس الطبيعية للأردن فيمكن تقسيمها على النحو التالي :ـ

اولا : وادي الاردن :ـ ويمثل جزءا من الأخدود الافريقي ويمكن تقسيمه الى عدة اقسام هي :ـ

أ ـ أعالي الاردن، التي تبدأ شمالاً بمنطقة الحولة، ويأتيها من الشمال روافد ثلاثة هي : بانياس والليطاني والحصباني. وتعتبر معابر استراتيجية ما بين سوريا ولبنان وفلسطين، ولذلك أقيمت على مرتفعاتها قلاع بانياس والشقيف.

ب ـ الأردن الأوسط :ـ ويشمل بحيرة طبرية وما حولها، والى الجنوب منها وعلى مرتفعات وادي بيسان أقيمت قلعة كوكب الهوى في موقع استراتيجي مميز.

جـ ـ سهول بيسان ومرج ابن عامر ضمن أراضي فلسطين المحتلة، ويقابلها على الضفة الشرقية للنهر ما يعرف بالغور الشمالي للاردن. (منطقة الشونة الشمالية وما حولها).

د ـ وادي الاردن الجنوبي :ـ ويضيق هذا الغور الى الجنوب من طبرية فيصل الى ما يتراوح بين ٥ و ٨ كم، ثم تبعد جوانبه حتى تصل الى اكثر اجزائه اتساعا (نحو ٢٤ كم) قرب اريحا، ثم يعود ليضيق مرة اخرى الى نحو (١٥ كم) في الطرف الشمالي للبحر الميت.(١)

---

(١) سعودي ١٩٦٧ : ٤٦٠–٤٦٢.

ويتميز مناخ وادى الاردن بدرجة حرارة مرتفعة صيفا ، وبالاعتدال في الشتاء ، ومن هنا اتخذه الخلفاء والملوك والسلاطين مشتى لهم. (1) كما يشتهر بزراعة القمح والخضار والفواكه ، وقد دلت الحفريات الاثرية فيه على تعاقب الحضارات على أرضه منذ القدم.

ثانيا :ــ وادى عربة : وهو الجزء الجنوبي من الاخدود الافريقي في الاردن ، وطوله من البحر الميت الى العقبة ١٦٥ كم ، وتحيط به حوائط الاخدود من جانبيه الشرقي والغربي ، ويتراوح ارتفاعها مابين ٥٠٠ــ٦٠٠م. ودرجة الحرارة فيه صيفا مرتفعة ، كما تقل فيه ينابيع الماء ، ومن ثم كان عدد سكانه قليلا .

ثالثا :ــ منطقة الهضبة : حيث ادت عوامل التعرية الى نشوء الاودية العميقة فيها والتي تتجه نحو نهر الاردن ، وشكلت عقبة في طرق المواصلات بين الشمال والجنوب ، مما ادى الى ابتعاد طريق الحج مسافة ٤٠ــ٥٠كم عن حافة الهضبة شرقا حيث الارض اكثر استواء ، ويمكن تقسيم الهضبة الى ثلاثة اقسام هي :

١ ــ القسم الجنوبي :ــ ويمتد من خليج العقبة حتى وادى الموجب ، ويبلغ عرض هذا القسم من الهضبة حوالي ٢٤ كم ، ويعرف هذا القسم بجبال مؤآب والشراه ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٥٠٠ م ، وأعلى قممها جبل هارون في البتراء ، وفي وسطها وادى موسى ، حيث ترتفع قلعة الشوبك عند مدخله ، وتقوم قلاع الوعيرة والحبيس في البتراء ، بينما تقوم في وادى الطفيلة قلعة الطفيلة ، وفي وادي الكرك قلعة الكرك على مرتفع يطل على الطرف الجنوبي للبحر الميت وعلى خليج العقبة تقع قلعة العقبة .

٢ ــ القسم الاوسط :ــ الممتد من وادى الموجب حتى وادى الزرقاء ، ويعرف بجبال البلقاء ، وارتفاعها يصل الى ١٠٠٠م فوق سطح البحر ، وتعتبر مدينة السلط مركز هذا القسم. وقد أقيمت فيها قلعة السلط

---

(١) ابن واصل ج ٤ ١٩٧٢ : ١٨١ .

(٢) على سبيل المثال راجع حفريات عرار ، انظر :ــ

Amiran 1970; 1978.

٣ — القسم الشمالي : ويمتد من وادى الزرقاء حتى نهر اليرموك ويعـرف باسم جبال عجلون وأعلى نقطة فيها أم الدرج الى الجهة الشرقيـة من عجلون ، ويزيد ارتفاعها على الفي متر عن سطح البحر ، وفوق قمة جبل عوف اقيمت قلعة عجلون ، التي تشرف على غور الاردن ، وتكثر فـي هذا القسم اشجار البلوط والسنديان .

وتحتوى منطقة الهضبة على أرض زراعية جيدة سواء في الشوبك او الكرك او سهول مادبا وحسبان ، ومرتفعات السلط وعجلون ، وسهول اربد ، كما تكثر فيها أشجار الفاكهـة وتعتبر المنطقة امتداداً للهضبة السورية في الشمال ، كما انها تستمر باتجاه الجزيـرة العربية جنوبا .

رابعا : — الصحراء الشرقية : وهي امتداد للصحراء العربية في بلاد الشام ، ومساحتها تزيد على ثلاثة ارباع المساحة الكلية للاردن ، وتتخللها بعض المنخفضات اكبرها منخفض وادى السرحان ، وحوض الازرق ومنخفض الجفر (٦٠ كم شرق معان) [1] وهي تشكل مخزون مياه جوفي لا بأس به . وفي الازرق توجد قلعة الازرق ، وانتشـر في الصحراء العديد من القصور الاموية التي كانت تتخذ كمحطات استراحـة للخلفاء . (٢)

وتبرز الاهمية الاستراتيجية للهضبة الاردنية في انها تتمتع بالخواص التالية : —

١ — امتدادها من الشمال الى الجنوب ، وانتشار الأودية بين قممها ، والتي تتسـع حينا وتضيق كلما تعمقت داخل الجبال مما جعلها بمثابة ممرات طبيعيـة يسهل على المدافع عنها التحكم فيها والسيطرة عليها ، في حين يصعب علـى المهاجم اجتيازها بأمن وسهولة ، ويدخل وادى الاردن ضمن الموانع الطبيعية ايضا .

٢ — ازدياد حدة الميل باتجاه الغرب ، مما يزيد في صعوبة عبورها من الغـرب باتجاه الشرق ، وتوفر لهم هذه الهضبة القدرة على الملاحظة الجيدة فيما بينها .

---

(١) بحيرى ١٩٧٤ : ٤٨ .
(٢) عن الغرض الذي بنيت من اجله هذه القصور راجع على سبيل المثال : مـرزوق ١٩٥٣ ؛ سامح ١٩٧٠ ؛ طوقان ١٩٧٩ وانظر ايضا : —

Creswell 1940, 1969

٣ — صعوبة المواصلات فيها ، خاصة العرضية منها ، وبالتالي اقتصرت على الوديان والممرات الجبلية .

٤ — قلة الاراضي المستوية فيها مما يوفر على المدافعين عنها العدد والعدة ويقلل من حاجتهم الى التحصينات .

٥ — انها تتميز بطقس متغير في الليل والنهار وفي الصيف والشتاء ، مما ترتب عليه قيام غالبية المعارك التي جرت فيها في فصل الربيع والصيف تلافيا للصعوبات التي تنجم عن فصل الشتاء ، اذ قد تسقط الثلوج ، ويزداد البرد ، وتقل الرؤية . وربما انعكست هذه الخاصية على مخططات القلاع الدفاعية من حيث مادة البناء وسماكة الجدران وتصميم الطلاقات وبناء السراديب .

٦ — عدم توفر الماء بكميات كبيرة مما يترتب عليه تجهيزا خاص لدى أي جيش يحاول اجتيازها ، مع توفر اللياقة البدنية والتدريب المميز على العمليات الجبلية ، لذلك حفرت الآبار لجمع الماء داخل القلاع الدفاعية — موضوع البحث — كما حفر في البعض منها انفاق تحت الارض تؤدي الى وجود الماء كما في قلعة الشوبك .

٧ — قلة عدد السكان ، وتوزعهم بين القمم والوديان تبعا لتوفر الماء والارض الزراعية .

٨ — في حال عبورها واجتيازها تقل فرص الأمن في الاقامة فيها اذا ما استخدمت ساحة لحرب العصابات ، وربما كان هذا من بين الاسباب في ان مواقع القلاع جاءت في القمم العالية .

٩ — اذا ما استغلت هذه الهضبة في شن هجوم باتجاه فلسطين ، فان اتجاهها من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب يوازي خط التقدم فيساعد المهاجم ، في حين انها عمودية على خط التقدم المتجه من الغرب الى الشرق (عبر نهر الاردن) فتعترض المهاجم من هذا الاتجاه وتضطره للتوقف بعد عبور كل قمة كمرتفعات السلط وماحص وصويلح الى عمّان ، مما يتسبب في وقوع الخسائر بين صفوفه .

١٠ — في الجزء الشمالي منها تصبح المسافة قريبة الى سواحل فلسطين لمن يقصدها من الشرق ، كما انها الطريق الى الشام وبلاد الرافدين للقادم من الغرب .

وفي الجزء الجنوبي منها تقع الطريق الى مصر أو الى بلاد الحجاز، فهي بهذا الموقع تشكل مانعا جبليا أساسيا في وجه تقدم الأعداء بعد ما قلت اهمية الصحراء كمانع طبيعي آخر بسبب تقدم وسائل المواصلات.

١١ — يعتبر فارق المنسوب في الارتفاع بين الهضبة الشرقية لنهر الاردن، والغربية منه كبيرا، فمرتفعات جبال عجلون والكرك تزيد على ٢٠٠ م عن منسوب ارتفاع قمم جبال نابلس والخليل، وفي الجنوب ترتفع جبال الحافة الشرقية لوادي عربة واستمرارها في مرتفعات الشراه نحو ٧٠٠ م فوق منسوب جروف النقب وهضابه في الاتجاه الآخر. (١)

١٢ — يعزز انتشار القلاع على قمم هذه الهضبة مدى ملاءمتها للعمليات الدفاعية والتعطيلية لأنها تحرم المهاجم من نعمة الامن والراحة، وتعطي الفرصة لقوة صغيرة ثابتة متحصنة في اماكن قوية للتصدي لقوات تفوقها عددا وعدة. كما ان هذه الهضبة من خلال الاعتبارات السابقة تساعد على شن هجوم معاكس غربا من خلال توفيرها لمدى رؤيا واسع، وتوفير اسناد متبادل بين قممها، وامكانية التستر من خلال تضاريسها الطبيعية كما ويساعد في شن الهجوم غربا سهولة عبور نهر الاردن نظرا لقلة ارتفاع منسوب المياه، كما ان ضفتي النهر تتخذان شكلا اهليليا غير منتظم، حيث يتسع وسطها بعرض اقصاه نحو ٣٥ كم على خط عرض اريحا، ويضيق الى ٧ كم فيما بين الحولة وطبريا، وفي وادي عربة — شمال العقبة — تصبح المسافة ٥ كم فقط. (٢)

ويمكننا ان نتعرف على الاستراتيجية الجغرافية للأردن خلال حكم الصليبيين والأيوبيين والمماليك من خلال النقاط الاربع التالية :—

١ — اهمية الموقع الجغرافي :—

لقد شكّل الاردن منذ القدم حلقة اتصال بين حضارات مصر، وما بين النهرين وحضارة الحثيين، وحضارة شمال الجزيرة العربية، كما شكل مع سورية الطبيعية نفس

---

(١) بحيري ١٩٧٤ : ٤٢.

(٢) المرجع السابق: ٣٢.

الحلقة بين القارات التاريخية الثلاث (اسيا، اوروبا، وافريقية). (١) وهذا ما جعلها عرضة للاخطار والغزوات من كل الجهات: فالبابليون، والآشوريون، والمصريون، والحثيون والفرس، والمكدونيون، والرومان، والعرب والصليبيون، والأيوبيون، والمغول والمماليك والاتراك وغيرهم من الأمم الاخرى. كلهم عبروا الاردن في عصور مختلفة مما جعله جسرا تاريخيا لمن قدم من الشرق او قدم من الغرب.

وعندما قامت مملكة بيت المقدس الصليبية ادرك الصليبيون اهمية موقع الاردن بالنسبة لأمن مملكتهم واستمرارها، فعمدوا الى احتلال الجزء الجنوبي منه سنة ١١١٥م (٥٠٩هـ) وذلك من اجل منع خطر غارات القبائل العربية عليهم، وللحيلولة دون قيام وحدة او اتصال ما بين بلاد الشام وما بين مصر. وكذلك من اجل تأمين دخل اقتصادي بحكم وجود حقول القمح كغلة رئيسية في البلاد، وصلاحية الارض لزراعة الاشجار المثمرة والحبوب. (٢) وبحكم سيطرة المنطقة على طريق الحجيج المصري والشامي، وسيطرتها على طريق القوافل التجارية القادمة من الجزيرة العربية والبحر الاحمر، والتي كانت تحمل البضائع من الهند والصين واليمن والحبشة، واضطر الحجيج والقوافل دفع الضرائب التي شكلت مردودا اقتصاديا للملكة الصليبية، وحفاظا على هذه المكاسب قاموا باعادة بناء قلاع الشوبك والكرك وجزيرة فرعون في خليج العقبة. (٣)

اما بالنسبة للجزء الشمالي من الاردن المتمثل بمنطقة السواد — جبال عوف/ عجلون — وما حولها، فقد تم الاتفاق بين بلدوين الاول ملك بيت المقدس الصليبي وبين حاكم دمشق ظهير الدين سنة ١١٠٨م (٥٠٢هـ)، على ان تكون المنطقة بينهم أثلاثا: ثلثان بينهما والثلث الثالث لأصحابها من الفلاحين، واستمرت هذه الهدنة لبضع سنوات فقط. (٤) كما ان سهولة الطريق بين منطقة السواد وكل من دمشق وعكا

---

(١) حتي ج ١ ١٩٥٨ : ٦٤.

(٢) المقدسي ١٩٠٩ : ١٧٨، ١٨٠؛ الاصطخري ١٩٢٧ : ٦٤؛ ابن جبير ١٩٥٥ : ٢٧٦؛ رنسيمان ج ٣ ١٩٦٧ : ٦٠١؛ وانظر ايضا :— Deschamps 1939: 49-50.

(٣) رنسيمان ج ٣ ١٩٦٧ : ٦٠١؛ وانظر أيضا :— Deschamps 1939: 50

(٤) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ١٦٤؛ ابو المحاسن ج ٥ ١٩٣٢ : ١٨٠؛ ابن الاثير ج ١٠ ١٩٦٦ : ٥٠٢؛ رنسيمان ج ٢ ١٩٦٧ : ١٥٧؛ عاشور ج ١ ١٩٦٣ : ٢٠٨.

جعلت قوافل الجمال المتجهة من دمشق تسلكها بدلا من طريق دمشق بانياس الساحل الوعرة والتي كانت تصلح لقوافل البغال . (١) ويعتبر هذا الطريق جزءا من الطريق الدولي القديم الذى كان يبدأ من دلتا النيل الى ساحل سيناء حيث يتفرع هناك الى مناجم النحاس والفيروز في شبه الجزيرة ،كما يتفرع الى اراضي البخور في جنوب الجزيرة العربية ، ومن سيناء يتحول الطريق شمالا نحو ساحل فلسطين حتى الكرمل وهنا يتفرع الى طريقين : يتجه الاول الى الساحل فيصل الى الموانئ السورية ويسير الثاني الى الداخل فيجتاز سهل مجدو ويعبر الأردن في واديه الشمالي ثم يتجه رأسا الى دمشق في الشمال الشرقي . (٢)

وعندما جاء الأيوبيون أدركوا اهمية الاردن من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية فقاموا ببناء قلاع عجلون والسلط ،كما كان الجزء الجنوبي طريقهم الى تثبيت حكمهم في مصر وبعد تحريرهم للكرك والشوبك والعقبة من يد الصليبيين اصبح الاردن سدا منيعا حال دون وصول الصليبيين الى الحجاز او دمشق ، واصبح محور الوصل بين جزئي الدولة في بلاد الشام ومصر ، ومنطلقا للتقدم نحو تحرير بيت المقدس من يد الصليبيين .

ولقد ادرك المماليك اهمية موقع الأردن فقاموا بترميم قلاعه والاضافة عليها لتكون خطا دفاعيا عن مصر في وجه خطر المغول الذى كان يتهدد البلاد آنذاك ، كما قاموا ببناء المخاضات " الجسور" على نهر الأردن نذكر منها جسر دامية الذى بناه الظاهر بيبرس سنة ١٢٧٢م (٦٧١هـ) ، وما يزال قائما حتى اليوم ، ويتألف من خمس قناطر ، وتحمل القنطرة الوسطى نقشا محاطا بصورة اسدين (رنك الظاهر بيبرس) (٣) نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وصحبه اجمعين امر بعمارة هذا الجسر المبارك السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدنيا الدين بيبرس

---

(١) ابن جبير ١٩٦٤ : ٢٩٩ .

(٢) حتى ج ١ ١٩٥٨ : ٦٤، ٦٥ .

(٣) ابن كثير ج ١٣ ١٣٥٨هـ : ٢٤٧ ؛ العمري ج ١ ١٩٢٤ : ٨٢ ؛ طرخان ١٩٦٠ : ٣٢٥ ؛ وانظر ايضا :— Quatremer 1837: 15; Muir 1896: 21

ابن عبد الله في ايام ولده ناصر الدين بركة خان اعز الله انصارهما وغفر لهما . وذلك بولاية العبد الفقير الى رحمة الله علاء الدين على السواق غفر الله له ولوالديه في شهر رمضان سنة احدى وسبعين وستمائة".

وقد اوقف الظاهر بيبرس على هذا الجسر وقفا برسم ما قد يتهدم منه كما " انشأ جسورا كثيرة بالغور والساحل"(١) . كذلك قام الظاهر برقوق سنة ١٣٨٠م (٧٨٢هـ) ببناء جسر على نهر الأردن (الشريعة) طوله مائة وعشرون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا قالت فيه السيدة عائشة الباعونية الدمشقية :

بني سلطاننا برقوق جسرا ... بأمر والأنام له مطيعة
مجاز في الحقيقة للبرايا ... وامر بالمرور على الشريعة (٢)

كما تحدثنا المصادر التاريخية عن اجتياز صلاح الدين الايوبي لنهر الاردن بعبوره جسر السد جنوب طبرية سنة ١١٨٧م (٥٨٣هـ) استعدادا لمعركة حطين (٣) وقد كان لتلك المخضات اهمية اقتصادية واستراتيجية في ربط فلسطين بالاردن ، وعلى انقاض تلك المخاضات اقيمت حديثا جسور على النهر تؤدى نفس الغرض. (٤)

كذلك كان الاردن زمن الايوبيين والمماليك مركز امداد وتجهيز للجيوش الاسلامية يمدهم بالغلال والقار الأبيض والاسود (النفط) وبالكبريت الأبيض الذى كان يستخرج من شواطئ البحر الميت واستعمل كسلاح لاشعال النار والحراق من خلال وضعه بالقوارير والنفاطات. (٥)

---

(١) اليونيني ج ٣ ١٩٦٠ : ٢٥٩ .
(٢) علي ج٢ ١٩٢٧ : ٣٠١ .
(٣) الاصفهاني ١٩٦٥ : ١٩٦ ؛ ابو شامه ج ٢ ١٩٦٢ : ٨١ .
(٤) من هذه الجسور : (١) جسر بنات يعقوب : ويقع شمال بحيرة طبرية ، ويصل ما بين القنيطرة في سوريا وصفد في فلسطين (٢) جسر المجامع : يصل ما بين مرج بن عامر وبيسان وما بين هضبة شرق الاردن على طول وادى اليرموك (٣) جسر اللنبي (الملك حسين) : على طريق اريحا القدس عمان . (٤) جسر سويمه (الامير عبد الله) شمال البحر الميت يصل مابين القدس وعمان ؛ حول هذه الجسور انظر : العمرى ج ١ ١٩٢٤ : ٨٢ ؛ سعودى ١٩٦٧ : ٤٦٣ ؛ وانظر ايضا : Prawer 1972: 285
(٥) النويرى ج ١ ١٩٢٣ : ٢٥١ ؛ الاصفهاني ١٩٦٥ : ١٠٥ ، ٢٤٥ ، ٣٥١ .

٢ ـ الطرق التجارية الدولية بين الشرق والغرب :ـ

لقد كانت موانئ فلسطين شريان الحياة بالنسبة للصليبيين ، تربطهم بأوروبا حيث الامداد بالرجال والسلاح ، وكان ميناء عكا يعج بالتجار الذين كانوا يتحدثون بعدة لغات ، وتأتيه التجارة من الهند والصين عبر البحر الاحمر ، ومن بر الشام ، عبر الاردن او لبنان ، كما كانت تلك الموانئ طريق العودة الذى سلكوه بعد طردهم من البلاد المقدسة .

ولادراك اهمية موقع الاردن بالنسبة لطرق التجارة الدولية خلال حكم الأيوبيين والمماليك لابد من التعرف على حدود كلتا الدولتين : فالدولة الأيوبية (انظر الخارطة) امتدت حتى الصحراء الليبية غربا ، وصحراء نجد وجزء من العراق شرقا ، والبحر الابيض المتوسط وديار بكر وارمينية شمالا ، ومن الشمال الشرقي الموصل واربيل ومن الجنوب بلاد النوبة واليمن . اما دولة المماليك فقد احتفظت بنفس الحدود تقريبا (انظر الخارطة) باستثناء اليمن ، في حين امتدت حدودها شمالا حتى نهر الفرات .

ان هذا يعني انه كان للدولتين نفوذ على ثلاثة بحار مهمة هي : المتوسط والاحمر ومدخل المحيط الهندى ، وهذا الموقع يعتبر حلقة وصل بين الشرق والغرب وموقع الاردن في كلتا الدولتين هو بمثابة القلب بين اجزاء الدولة الواحدة . وبالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية كان الجزء الجنوبي من الاردن يوفر الحماية الاستراتيجية لتلك المملكة ، ومورداً اقتصاديا لها . لذلك كله اقيمت فيه القلاع الاستراتيجية موضوع بحثنا لكونه بموقعه هذا معبرا لطرق التجارة الدولية البحرية منها والبرية ، والتي نذكر منها :ـ

أ ـ الطريق البحرى من الصين الى الهند فالخليج العربي حيث ميناء البصرة ومنها يمتد برا الى بغداد حيث يتفرع باتجاهين : شمالا الى ديار بكر ، وغربا الى دمشق ، وهنا ايضا يتفرع الى فرعين : فرع من دمشق الى موانئ البحر الابيض المتوسط عبر الاردن ، والفرع الآخر من دمشق الى حلب ثم اسيا الصغرى والقسطنطينية . (١)

---

(١) فهمي ١٩٧٣ : ١١٨ وانظر ايضا :- Palmes 1975: 520

ب ـ الطريق من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندى الى البحر الاحمر حيث الموانئ القائمة عليه، ومنها ايلة "العقبة"، وهنا يتفرع باتجاهين : اتجاه من العقبة برا عبر الاردن الى دمشق ومنها الى حلب اذ بلغ عدد الجمال التي انتظمت في القوافل الدائمة المجيء الى حلب سبعة الاف جمل، كما كانت القوافل تتجه من دمشق الى موانئ الابيض المتوسط ومنه بحرا الى جزيرة قبرص ورودس وكريت ومنها الى اوروبا . والاتجاه الآخر من العقبة عبر صحراء سيناء الى النيل فالقاهرة . (١)

٣ ـ الطرق الداخلية :ـ

لقد اهتمت مملكة بيت المقدس بالحفاظ على طرق المواصلات الداخلية التي كانت تربط المدينة المقدسة بالسواحل الفلسطينية، لديمومة الاتصال البحرى مع اوروبا، وكان الحفاظ على تلك الطرق هدفا رئيسيا من اهداف بناء القلاع الصليبية حول المملكة، وقد استعمل الصليبيون الاشارات الضوئية في تبادل الاتصال والمعلومات بين تلك القلاع باشعال النار ليلا، او اثارة الدخان نهارا، كما استخدموا الحمام الزاجل بعد ان تعلموا استخدامه من المسلمين . (٢)

اما بالنسبة للمسلمين فقد استخدموا بدورهم الأبراج والمناور والقلاع وقمم الجبال لهذه الغايات،(٣) وبرعت نساؤهم باستعمال الاشارات الضوئية عند ما استخدمن في مدينة عكا الشموع لتزويد المسلمين بالمعلومات عن تحركات الصليبيين فاذا خرجوا لمهاجمة المسلمين كانت المرأة تفتح نافذة بيتها، وتشعل بها الشموع وكل شمعة تدل على مائة فارس، وان قصدوا اية جهة اشارت اليها . (٤)

كما وجدت في عهدهم شبكة من المواصلات التي كانت تربط ما بين مصر وبلاد الشام، فكان الاردن حلقة الوصل في تلك الشبكة التي ربطت بغداد ودمشق بالقاهرة والحجاز (انظر الخارطة)، واستُخدمت لنقل البريد بنوعيه البرى و الجوى، كما كانت

---

(١) صنومط ١٩٨٠ : ١٨٢، ١٨٧ .

(٢) Palmes 1975: 528

(٣) العمرى ١٩٢٤ : ١٩٩ .

(٤) غوانمه ١٩٧٩ : ٤٧ .

تلك الشبكة تستخدم في التجارة ونقل البضائع، وتنقل المواطنين واداء فريضة الحج وانتشرت فيها محطات الاستراحة، وبنيت عليها القلاع لتوفير مزيد من الأمن والراحة وفي هذا المجال لعبت قلاع عجلون والكرك والشوبك والعقبة دورا رئيسيا بحكم موقعها الاستراتيجي .

واستخدموا في أداء عمل شبكة المواصلات تلك الفرسان والخيل والبغال والحمير والجمال، كما استخدموا حمام الزاجل، الذى بلغ في عهد السلطان قلاوون على سبيل المثال ١٩٤٠ طائرا ، وقد تفنن المسلمون في استخدامه، فالرسائل التي كان يحملها قصيرة تكتب بخط دقيق اسموه "الغبار" وهي اشبه ما تكون بنظام البرقيات او الشيفرة اليوم، يحمل الرسالة الواحدة حمامتان تنطلقان بفارق ساعتين من الزمن لضمان الوصول، بعد أن تثبت الرسالة بخيط دقيق تحت جناح الطائر، مع وجود علامات مميزة له في ارجله او على مناقيره. (١) من هنا انتشرت محطاته بين انحاء الدولة الأسلامية، وكان في الاردن عدد كبير منها (انظر الخارطة) .

٤ — الموانىء :ـ

لقد كانت الموانىء الروافد الرئيسية للسلع التجارية وغيرها ، وكان لدى الصليبيين موانىء البحر الأبيض المتوسط، وكان اشهرها ميناء عكا ، اما الأيوبيون والمماليك فكان لديهم موانىء تجارة عالمية مثل بولاق على النيل ، والاسكندرية ، وبيروت وطرابلس وعيذاب وعكا بعد تحريرها ، وغيرها من الموانىء .

أما بالنسبة لموانىء الاردن فقد كان ميناء العقبة على البحر الأحمر هو الميناء الوحيد ، وقد حاول الصليبيون استغلاله لغزو الحجاز عندما نقلوا اليه بعض قطعهم البحرية على الجمال من البحر الابيض المتوسط . وفي عهد الايوبيين والمماليك استمر النشاط التجارى لهذا الميناء ، فكان فيه قصر لقبض المكوس على البضائع القادمة والتي كانت تشحن برا الى دمشق وحلب ومنها الى موانىء البحر الابيض المتوسط. (٢)

---

(١) المقريزى ج٣ ١٣٢٦هـ : ٣٧٥، ٣٧٦ .

(٢) فهمي ١٩٧٣ : ١٤١، ١٤٦–١٥١ .

كذلك كان في الأردن ميناء داخلي على البحر الميت شمال اللسان. ويشير موسيل [1] الى انه وجد بقاياه ويضيف بأنه كانت تُصدّر منه منتوجات وادى عربة، وغور الاردن الى الشاطىء الغربي ومن هناك كانت تحمل الى بيت المقدس، وانه كان ميناء مقاطعة الكرك، ومنه يستخرج القار.

(1) Musil 1907: 170-171

الفصـــل الثاني

الفصل الثانـــــي

مفهوم القلاع وتطورهـا :ـ

القلعة في اللغة هي : الحصن الممتنع في جبل ،كما انها الحصن المشرف صعب المرتقى ،وجمعها قِلاعٌ وقُلوعٌ وقِلْعٌ وقَلْعٌ. (١)وفي الموسوعة البريطانية وردت عبـــــارة القلعة Castle للدلالة على المكان المحصن الذى يعطي صاحبه القــــدرة على الدفاع عنه اما بحكم العوامل الطبيعية ،او بما تصنعه يد الانسان ،وانها سكــن الشجعان من النبلاء ،يتم اختياره على ارض ملائمة ــ قرب مدينة ــ ليُسهل مهمة السيطرة عليها في حال قيام ثورة فيها . (٢) وجاء معناها في موسوعة شامبرز(٣) بانها مشتقة من الكلمة اللاتينية Castellum مادة بنائها مما هو في متناول الانسان ،وفـــي المناطق الجبلية تعتبر حافة الجبل افضل موقع لها ،ويُراعى في تخطيطها تتبـــع التضاريس الطبيعية للمكان .

فالقلعة بهذه المعاني انما ترمز الى القوة في الابداع عند العقل البشـــرى للسيطرة على الارض، منذ ان وجد الانسان ككائن بشرى على سطح الارض وهو يسعـى لحماية نفسه من كوارث الطبيعة او من خطر الحيوانات المفترسة باللجوء الى الكهـــوف او الى اعالي الجبال والاشجار، فمن الطبيعي اذن ان تكون القلعة بالنسبة لـــــه كالقمة الشاهقة بالنسبة للنسر،كالجو بالنسبة للصقر. والقرآن الكريم يشير الى انه عند ما فار التنور، وكان نوح عليه السلام قد صنع الفلك ، ونادى ابنه ليركب معه رد عليه قائـــلا " سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين". (٤) كما ان قوم ثمود كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال ،وهذا

---

(١) المقريزى ج ٣ ١٢٧٠هـ :٢٥ ؛ ابن منظور ج ٨ ١٩٦٨ :٢٩٠ واضاف ان مــن معاني القلعة : النخلة التي تُجتث من اصلها قلعاً او قطعاً ،والمقلوع : الأميـر المعزول ،والقِلْعُ: شراع السفينة والقَلْعيُّ : الرصاص الجيد ؛ الزبيدى ج ٥ :٤٨٠ البستاني ج ٢ ١٨٧٠ :١٧٥.

(٢) Encyclopaedia Britannica, Vol. 5(1972): 38-39

(٣) Chambers's Encyclopaedia, Vol.III (1967) 155.

(٤) هود : ٤٣.

ما ذكره القرآن الكريم ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا الآء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾(١)

ولكن هل يمكننا التعرف على كيفية بناء اول قلعة اقامها الانسان ؟ ان لكل شيء بداية، وبداية بناء القلاع مشابه لبداية بناء المعابد والكنائس، فأول ما وجدت كانت عبارة عن كومة من الحجارة في مكان ما على الارض، ودونما شكل محدد ، وعند ما دُمِّر هذا الموقع لسببما أقيم على انقاضه حصن جديد ، ولكن بشكل افضل من السابق تبعا لتطور حياة الانسان ، وربما كان ذلك عائدا الى ٢٠٠٠ او ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، فقد دلت الحفريات الاثرية على وجود العديد من الحصون عند قبائل الاغريق في ميسيني وطروادة واثينا ، وعند الاترسكيين في ايطاليا . (٢) كذلك فان الحضارة السومرية والاكادية في بلاد ما بين النهرين كانت على دراية في فن بناء الحصون ، ذلك ان خلفاءهم من الأشوريين كانوا شعبا عسكريا موهوبا اخترع اسلحة وآلات للحصار كالسلالم لتسلق الأسوار والمدكات لدكها ، كذلك اتقنوا فن تقويض الجدران بحفر ثقوب في اساساتها . (٣)

كما أن العموريين والكنعانيين والفينيقيين كانوا قد بنوا حول مدنهم الصغيرة اسواراً ابتدائية من الطوب المجفف المخلوط بالقش، تطورت فيما بعد ليتراوح سمكها ما بين (٢٫٥ - ٤٫٠٠ أمتار) ، واصبحت تبنى فوق المنحدرات وتسايرها صعودا وهبوطا . وفي فاتحة الألف الثاني قبل الميلاد ظهر نموذج جديد من التحصينات كشفت عنه الحفريات في عدة انحاء من فلسطين ، مثل تل جمعه وتل الفارعة ، وتل العجول - غزة القديمة - وذلك باضافة الخندق الى المنحدر لحماية الموقع بحواجز مائية ، ثم تطور الأمر فاصبحت تبنى الابراج الناتئة في زوايا الاسوار ، وفي طرفي ابوابها ، وفي اواسط اظلاعها ، ولم تلبث هذه الابراج ان تضخمت وتحولت الى حصون وقلاع . وتعتبر قلعة مجدو (تل المتسلّم) في شمال فلسطين من اشهر القلاع التي تذكرها الوثائق المصرية مرارا ، وتشير الى المعركة التي قامت في اول القرن الخامس عشر قبل الميلاد بين تحتمس

---

(١) الاعراف : ٧٤ .

(٢) Macaulay 1964: 268

(٣) حتي ١٩٥٩ : ١٧٤ .

الثالث وبين عدد من الامراء المتحالفين ضده ، ومنهم امير قادش وأمراء كيليكيا فانتصر عليهم بعد ما اعتصموا في القلعة التي حاصرها المصريون وكان فيها (٣٢٠) أميرا ودام الحصار سبعة اشهر ، واخيرا أستسلم امير مجدو ، وفرّ أمير قادش، وغنم المصريون غنائم كثيرة . وقد عمت مبادىء هذه العمارة في مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى . (١)

اما في جنوب الجزيرة العربية حيث المناخ اكثر ملائمة للزراعة ، فقد ازدهرت منذ الألف الثاني قبل الميلاد حضارة راقية(٢) قامت على اساس الزراعة والتجارة ، كما ان السدود المنشأة لخزن المياه وتصريفها ، والمدن المحصنة ، والقصور والهياكل القائمة في تلك الاصقاع ، لا تزال الى اليوم تشهد على ما كان يتمتع به بنائها من الصناعة الزاهرة ، فبقايا مدينة (قرنو) عاصمة الدولة المعينية تشير الى انها كانت محاطة بسور قُدّر إرتفاعه بخمسة عشر مترا ، وقد وجدت في بعض اقسامه العليا طلّاقات للمراقبة ورمي السهام ، وانه كانت به بوابتان . (٣) ونفس الشيء يمكن ان يقال عن مدينة (تمنع) عاصمة قتبان حيث كشفت الحفريات عن سورها وعن بوابتها الجنوبية التي تقع بين برجين وتؤدى الى ساحة واسعة مبلطة ، وعن مدينة مأرب والتي شُيّد سورها وابراجها وبواباتها من الحجر المنحوت . (٤) وقد وصف عدد من المؤرخين (٥) حصون وقصور اليمن ومنها قصر غمدان في صنعاء فأشاروا الى انه احتوى على عشرين طابقا ، إلا انّه لم يبقى منه سوى الاطلال ، كما أقاموا القلاع التي كانت من الحجر المربع ، وبلغ عرض جدرانها خمسة امتار ، ويدعمها في زواياها الأربعة ابراج لحماية الداخل ، وفي القرن الرابع الميلادى نقلت شبه الجزيرة العربية هذا الفن وأخذته عنها بيزنطه . (٦)

اما في الجزيرة العربية فأن مدينة مكة كانت اكبر المدن بحكم وجود بيت الله الحرام فيها وتوسطها على الطريق التجارى المار من بلاد اليمن الى بلاد الشام كما انها ليست بعيدة عن سواحل البحر الأحمر ، وأهلها تُجّار ، وتجارتهم مزدهرة

---

(١) عبدالحق ١٩٥١ : ١٨٩–٢٠٢ .
(٢) بروكلمان ١٩٧٧ : ١٦–١٧ .
(٣) حميد ، العبيدى ١٩٧٩ : ١٦ .
(٤) المرجع السابق : ١٧ .
(٥) زكي ١٩٥٨ : ١٧ ؛ الألفي ١٩٧٤ : ٥٨ ؛ الريحاوى ١٩٧٩ : ٢٣ .
(٦) هونكه ١٩٨١ : ٤٤١ .

فلا يعقل والحالة هذه ان يسكنوا في اكواخ متواضعة جدا كما يشير الى ذلك كرزويل [١] واذا كانت المصادر التاريخية العربية لم تتحدث عن التفاصيل المعمارية لتلك المساكن الا انها تورد اسماء المباني التي كانوا يجتمعون بها مثل "دار الندوة" و "دار الارقم"، والمبنى الوحيد الذى تحدثوا عنه بشيء من الاسهاب هو "الكعبة المشرفة" كمبنى مستطيل الشكل مساحته ٣٢×٢٠ ذراعا وارتفاعه تسعة اذرع، او اعلى بقليل من قامة الرجل . [٢]

وفيما يتعلق بالحصون والأسوار فان مدينة الطائف كانت محاطة بأسوار منيعة جلس عندها رسول الله (ص) عند ما قدم اليها قبل الهجرة داعيا اهلها للاسلام ، كما استعصت على جيش المسلمين بعد فتح مكة، فلم يدخلها الا بعد اتفاق مسبق بين اهلها وبين الرسول ،اعلنوا فيه اسلامهم، مما يستدل معه على حصانة تلك الأسوار التي لابد انها كانت معززة بالابراج والطلاقات والمزاغل . وفي سنة ٦٢٦م (٥هـ) عند ما هوجمت المدينة المنورة من قبل احزاب المشركين في غزوة الخندق عمل المسلمون بنصيحة سلمان الفارسي باقامة خندق حول المدينة، وان كان المسعودى قد اشار الى ان هذا الخندق لم يشيّد الا في سنة ٦٨٢-٦٨٣م (٦٣هـ) [٣]. وتبقى الاشارة الى حفر خندق حول المدينة الواقعة بين حرتين بركانيتين ، وتحدّهما سلسلة جبال أحد من الشمال دلالة على مدى نضج التخطيط الحربي عند المسلمين .

وتجدر الاشارة هنا الى ما ورد في سيرة الرسول (ص) عن وجود حصون بالمدينة كانت السيد عائشة ام المؤمنين تقيم بأحدها في تلك الغزوة . [٤] ومنها حصن يدعى " فارع" لحسان بن ثابت شاعر الرسول (ص) . كما كانت في خيبر حصون قوية لليهود سرعان ما تساقطت امام استبسال الصحابة، ولم يتطرق المؤرخون العرب الى تفاصيلها المعمارية، بل وردت الاشارة اليها في القرآن الكريم"هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم

---

(١) Creswell1952: 1

(٢) الازرقي ج١ ١٩٦٤ : ١١٣ ; ابن هشام ج١ ١٩٣٧ : ١١٢ .

(٣) Creswell 1952: 89

(٤) ابن هشام ج٣ ١٩٣٧ : ٢٤٣ .

بأيديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يأولي الابصار". (١) وربما كان عدم وجود قلاع كبيرة في الجزيرة العربية مرتبطا بطبيعة المعارك القبلية المكشوفة التي كانت تعتمد مبدأ المبارزة قبل المعركة،وبما يتحلى به المحاربون من ذكاء وفروسية.

وعندما انطلقت جيوش الفتح الاسلامي خارج الجزيرة العربية،كان ثلاثة منها بقيادة كل من ابو عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص ويزيد بن ابي سفيان قد توجهت الى الأردن ومنه واصلت فتوحاتها في فلسطين وسوريا ومصر،في حين كان الجيش الرابع بقيادة خالد بن الوليد قد توجه الى العراق وبدأت الحصون البيزنطية والفارسية تتساقط امام ضربات تلك الجيوش،واستسلمت دمشق في ايلول سنة ٦٣٥ م (١٤هـ) بعد حصار دام ستة اشهر.

واثناء مرور تلك الجيوش في هذه البلاد ،ومن خلال تعاملها مع بعض الأهداف العسكرية والمواقع الحيمنة،كان لابد لها من دراسة تصميمها وطراز بنائها ونوعية تحصينها ونقاط قوتها وضعفها من اجل رسم خطة حربية تكفل النجاح في التعامل معها والاستيلاء عليها ،وبالتالي فان المسلمين تأثروا بما شاهدوه في البلاد المفتوحة من تحصينات سواء كانت نبطية او رومانية او بيزنطية او فارسية.

وعندما قامت الدولة الأموية استفادت من تلك الحصون ،بما يتلائم وظروفها ومدى حاجتها وصهرت ذلك مع ما حملته من تراث من الجزيرة العربية ،فأقامت القصور الحصينه التي أتبع في بنائها طراز هندسة القلاع من حيث الأسوار والأبراج والمشربيات ـ الكوى ـ Machicolis وقد حظيت ارض الاردن بالعديد من تلك القصور المحصنة،نذكر منها قصر الحرّانة الذى يرجع تاريخه الى عهد الوليد بن عبد الملك ٧١٢-٧١٥م/ ٩٤-٩٧هـ،وقصري الوليد الثاني ٧٤٣-٧٤٤م/١٢٦-١٢٧هـ في المشتى والطوبه،وقصر هشام بن عبد الملك ٧٢٤-٧٤٣م/١٠٦-١٢٦هـ في خربة المفجر ـ اريحا ـ. (٢) ومن الجدير ذكره ان معاوية بن ابي سفيان ٦٦١-٦٨٠م / ٤١-٦١هـ كان قد ادرك اهمية حماية الشواطىء من غزوات الروم

---

(١) الحشر : ٢

(٢) Setton 1977: 150.

فشرع ببناء اول اسطول عربي اتخذ من عكا وصور قواعد بحرية هامة له، وانتقلت السيادة البحرية في شرق البحر الابيض المتوسط من ايدى الروم الى ايدى العرب المسلمين .

وبعد انتهاء الخلافة الأموية ٧٥٠م (١٣٣هـ) وانتقالها الى العباسيين، انتقلت معها العاصمة من دمشق الى بغداد، فاضمحلت التأثيرات البيزنطية في الفن العربي لتزداد التأثيرات الساسانية التي كانت العراق في محيطها الجغرافي والثقافي، ومما يلفت النظر في تلك المؤثرات تخطيط العاصمة الجديدة "بغداد" فقد كانت على شكل دائرة قطرها نحو ٢٥٠٠م، وضعت اساساتها عام ٧٦٢م (١٤٥هـ) وتم البناء عام ٧٦٦م (١٤٩هـ) واشتملت على سورين: احدهما داخلي والآخر خارجي، يفصل بينهما مسافة يقدر اتساعها بنحو ٣٥-٤٠م، ويقدر علو السور الخارجي بنحو ١٤م، وسمكه اربعة امتار، في حين ارتفع السور الداخلي نحو ١٧م، وسمكه خمسة امتار، مع وجود ٢٨ برجا بين كل بوابة واخرى. وتمتاز بغداد بالمداخل المنحنية Bent-entrances التي تُوقع الاصابات الكبيرة في صفوف المقتحمين. (١)

ومن النماذج ذات الطابع العسكري في الخلافة العباسية "قصر الأُخيضر" الذى شيده عيسى بن موسى بن عبدالله بن عم السفاح حوالي ٧٧٥م (١٥٩هـ)، ويقع غرب كربلاء ويقدر ارتفاع اسواره بحوالي ١٧م، يتخللها عشرة ابراج باستثناء المثبتة حول الأبواب، وللأبواب جسور متحركة تُرفع او تُخفض حسب الحاجة. (٢)

ونتيجة للصراع المستمر بين العباسيين والبيزنطيين فقد ازداد اهتمام كلا الطرفين بالثغور، وأقاموا فيها القلاع والحصون، ورمموا ما كان قائما من قبل، ومعروف ان البيزنطيين اوجدوا لها قوات خاصة للدفاع عنها عرفت بقوة التخوم Acritai (٣)، وعلى غرارها قام الخليفة هارون الرشيد بتأسيس قوة على حدود البلاد الشمالية، وأُطلق عليها اقليم العواصم واقليم الثغور وهما فرعين تفرعا من جند قنسرين، وجعل عليهما ابنه المعتصم كما أمر ببناء الحصون والقلاع مثل طرسوس ومرعش وسلطية. (٤)

---

(١) سامح ١٩٧٠: ٢١-٢٧؛ شافعي ١٩٧٠: ١٩١؛ يوسف ١٩٨٢: ٢٧١-٢٨٤ وانظر ايضا: Creswell 1952: 192

(٢) يوسف ١٩٨٢: ٣٠٢-٣٠٣ وانظر ايضا: Creswell 1952: 108-109

(٣) توفيق ١٩٦٦: ١٢؛ سترانـغ ١٩٧٠: ٥١، ٥٢.

(٤) زكـي ١٩٦٩: ١١٣.

وعند ما تسرب الضعف الى الدولة العباسية بدأت بعض السلالات المتنفذة باقتطاع مناطق نفوذ لها من ممتلكات الخلافة، فقامت في مصر وفلسطين والاردن وسوريا الدولة الطولونية ٨٦٨–٩٠٥م/ ٢٥٤–٢٩٢هـ وقام مؤسسها احمد بن طولون ٨٦٨–٨٨٤م/ ٢٥٤–٢٧١هـ بانشاء قاعدة بحرية في عكا. وقام بتحصين المدينة على غرار التحصينات التي شاهدها في مدينة صور،(١) فقد كان البرج الذى يعلو سورها المزدوج من القوة بحيث صمد بعد ذلك بثلاثة قرون في وجه ملكين صليبيين لمدة سنتين . (٢)

وبعد الدولة الطولونية جاءت الدولة الاخشيدية ٩٣٥–٩٦٩م/ ٣٢٤–٣٥٩هـ التي اتصفت بالضعف، ثم تلاهم الحمدانيون ٩٤٤–٩٦٧م/ ٣٣٣–٣٥٧هـ الذين اختاروا مدينة حلب عاصمة لهم، ربما لوجود قلعة قديمة فيها وقربها من الحصون القائمة على الحدود والتي كانت تتعرض لهجوم متواصل من البيزنطيين عليها بحيث يمكن اعتبار النزاع البيزنطي الحمداني فصلا سابقا لتاريخ غزو الصليبيين، ومقدمة للنزاع الشديد بين السلاجقة الاتراك والخلافة الفاطمية. لقد اثرى ذلك النزاع السياسي العمارة العسكرية فقد عمد المسلمون الى اقامة الأسوار حول المدن كما فعل جوهر الصقلي في مدينة القاهرة سنة ٩٦٩م (٣٥٩هـ) وكذلك امير الجيوش بدر الجمالي ١٠٨٧م (٤٨٠هـ) حينما بنى السور الثاني للمدينة. (٣) وعندما استولى الايوبيون على الحكم بدأ صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ١١٧٠م (٥٦٦هـ) ببناء السور الثالث للقاهرة. كما بنيت الأسوار حول المدن السورية: دمشق، حلب، حماه، والرقة، وأحيط سور دمشق بخندق كان حتى القرن السابع عشر يمتلىء بالماء عند اللزوم، وكان عمقه ينوف على مائة ذراع، الا انه ردم كله. (٤)

وبقيام الدولة الأيوبية تطورت هندسة بناء القلاع فأعيد ترميم السابق منها وجدد بناء العديد ايضا في المواقع الاستراتيجية مما يوحي بالسمو والقوة والمنعة، كقلاع عجلون والسلط، ودمشق وحلب وبصرى وشيزر وغيرها . (٥)

---

(١) سترانغ ١٩٧٠ : ٢٦٩.
(٢) حتى ج٢ ١٩٥٩ : ١٨٧.
(٣) مصطفى ١٩٧٥ : ٨٨.
(٤) الريحاوى ١٩٦٩ : ١٤٥؛ المعالم الاثرية في البلاد العربية ١٩٧٢ : ٢١٠.
(٥) الحمصي ١٩٨٢ : ١٣٢.

واما فترة حكم المماليك فانها تعتبر العصر الذهبي لفن المعمار الاسلامي ،اذ نعمت البلاد في عهد السلاطين الاوائل منهم بالقوة والأمن والاستقرار ،ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس امر سنة ١٢٦٣م (٦٦٢هـ) بعمارة القلاع التي خربها المغول من حمص الى عجلون ،وشحنها بالذخيرة والمؤن ،كما قام بتجديد قلاع الكرك والشوبك والعقبة مقيما بذلك خطاً تحصينيا من نهر الاردن الى نهر العاصي. هذا فضلا عن ابراج المراقبة التي اقامها على طول الاطراف الصليبية لحفظ الطرقات من اعتداءات الصليبيين. (١) كما أقام سلسلة من المناور التي ربطت اطراف الدولة بالعاصمة باستعمال الاشارات الضوئية او الحمام الزاجل ،وأقام القلاع على الحدود الفراتية لمراقبة حركات المغول وصد هجماتهم لا سيما قلعة البيره التي شحنها بالرجال والسلاح بما يكفيها لمدة عشر سنين في حالة الحصار. (٢)

وهكذا نرى ان العرب كانوا يعرفون الحصون وتشييدها والاحتماء بها اذا ما اضطروا لذلك ،كما كانوا قادرين على تسلق اسوارها واحتلالها ،وذلك قبل مجيء الصليبيين ،ويذكر زكي (٣) بأن " الادريسي عندما زار البلاد قبل مجيء الصليبيين شاهد ثلاثة قلاع بين صيدا وبيروت، وستة عشر قلعة بين بيروت واللاذقية". والعمارة نتاج فني اختلفت مظاهره وخصائصه باختلاف الزمان والمكان ،ومع ذلك فأن اوجه الشبه تظل كبيرة بين فن وآخر في عصر من العصور بحكم وسائل الاتصال ،وعليه فانه لم يكن يُعب العرب اقتباسهم من حضارات وتقاليد العمارة والفنون عند الاقوام الذين جمعهم الاسلام واعتنقه معظمهم ،فأخرجوا من ذلك المزيج طرازا معمارياً وفنيا ذا طابع موحد ،يضم تحت لوائه جميع المدارس المعمارية والفنية في تلك الاقطار شرقا وغربا ،وان كانت كل مدرسة لها طابعها الخاص وشخصيتها المستقلة.

---

(١) Wiet 1932: 252-253; 1940: 419

(٢) المقريزي ج ١ ١٩٣٤ : ٥٢٥.

(٣) زكي ١٩٦٩ : ٥٥.

العوامل التي اثرت على عمارة القلاع :ـ

العمارة : هي نتيجة كل محاولة قام بها الانسان هادفا تحقيق ثلاثة مطالب لنفسه، كلها او بعضها وهي : الراحة والأمن والجمال، وجوهرها في المخطط العام وتوزيع الوحدات الرئيسية فيه بما تحتويه من عناصر وزخارف. (١) ومن المهندسين من عرّف العمارة بأنها : فن وعلم وعمل، وأنها المرآة الصادقة التي تنعكس عليها ثقافة الشعب ونهضته وتطوره ورُقيه، وأنها الحياة ماضيها وحاضرها ومستقبلها. (٢) ووصفها قدماء اليونان بأنها أم الفنون. ومهما قيل فيها فانها تبقى التاريخ الصادق للامم والأجيال سواء كانت عمارة دينية او مدنية او حربية، وكان لابد لها في أي قطر من الاقطار من التأثير بالعوامل التالية :ـ

١ ـ العامل الديني او الروحي :ـ (٣) اذ ان الدين يستخدم العمارة للتأثير على الناس، او للتعبير عن شعورهم نحو الدين او لتهذيب الروح، ومن هنا أُقيمت الكنائس والمساجد في قلاع الشوبك والكرك والعقبة.

٢ ـ عامل البيئة والمناخ :ـ (٤) فطبيعة المبنى الحسن لابد ان تتناسب مع البيئة لكي يكتب له الدوام، فالعمارة تنبع من البيئة وتعكسها وتؤكدها فهي جبلية في الجبال وصحراوية في الصحراء، وساحلية في السواحل، والمناخ يفرض على الانسان عناصر معمارية تتلاءم معه، ففي القلاع نشاهد في الكرك والشوبك وعجلون وهي مناطق جبلية وجود طلاقات طولية ضيقة، وجدران سميكة، بحيث توفر الدفء شتاء والاعتدال صيفا، كما صُمّمت سقوف الابراج والقاعات والغرف على شكل أقبية لتسهيل تصريف مياه الامطار.

٣ ـ العامل السياسي :ـ يلعب العامل السياسي دورا كبيرا في نوعية العمارة حيث ان استتباب الأمن يعني انصراف الانسان للعمارة المدنية، في حين قيام الحروب ووجود اخطار تهدد الاستقرار، يتطلب الاستعداد لمجابهة هذه الاخطار ببناء

---

(١) شافعي ١٩٧٠ : ٤٥.
(٢) عبدالجواد ١٩٦٩ ج٢ : ٥ ج٣ : ١
(٣) كحالة ١٩٧٢ : ٧ـ٩ ؛ الريحاوي ١٩٧٩ : ٩، ٣٤؛ يوسف ١٩٨٢ : ١٥
(٤) سامح ١٩٧٠ : ٥ ؛ الريحاوي ١٩٧٩ : ٩ ؛ وانظر ايضا :ـ
Palmes 1975: 520.

الحصون والقلاع وصناعة السلاح ، وبالتالي تسخير ميزانية الدولة بهذا الاتجاه. وفي كلتا الحالتين السلم والحرب تنتقل الاساليب الفنية المعمارية من قطر لآخر وبمختلف الوسائل من تبادل تجارى وثقافي واقتصادى او من خلال الحروب بالاحتلال او وقوع اسرى. ويرتبط بالعامل السياسي ميول الحكام الشخصية، واذا كان بامكاننا نسبة الطراز الفني العمائرى الى الدول الحاكمة، ومعرفة التاريخ الذى بدأ فيه حكم الاسرة الحاكمة او زوالها ، فاننا لا نستطيع ان نعرف بالدقة او بالتحديد تاريخ قيام اى طراز فني عمائرى او زواله. (١)

ولقد انعكس العامل السياسي بشكل كبير على الفترة التاريخية التي نحن بصدد الحديث عن قلاعها ، فحالة الحرب بين المسلمين وبين الصليبيين والمغول املت بناء العديد من الحصون والقلاع، كما ان اهتمام بعض السلاطين مثل صلاح الدين والظاهر بيبرس وحُسام الدين لاجين كان له انعكاسه على بناء القلاع واعادة تجديدها .

٤ — العامل الجيولوجي : —(٢) استفاد الانسان منذ اقدم العصور من بقايا العمائر القديمة في عمائره المستحدثة، وكذلك فأن وجود مواد البناء الاساسية في البلاد ينعكس على مبانيها ، فتوفر مادة الحجر مثلا في الاردن جعلها المادة الاساسية لبناء القلاع، كما ان وجود اشجار النخيل في العقبة جعل المعمار يستفيد منها في بناء سقف الغرف ، وعتبات بعض الابواب، وسوار بعض القباب .

٥ — العامل الاقتصادى : ان حالة الغنى او الفقر تنعكس على العمارة سواء من حيث الحجم او النوع او الزخرفة ، كما يؤثر على هذه الناحية نظام توزع الثروة على طبقات المجتمع، ومستوى معيشة كل طبقة ، فقلاعنا في الفترة الصليبية بنيت من حجارة هشة واستفادت من حجارة الاماكن الأثرية القديمة، وخلت من اي عنصر زخرفي ، في حين نلمس تقدما ملحوظا في بنائها خلال الفترة الأيوبية فهي وان خلت من العناصر الزخرفية باعتبارها اماكن حربية الا ان حجارتها مشذبة ومنحوته اما بنظام الطبزة او المصمسم واما في الفترة المملوكية فأن الفرق بينها وبين الفترتين السابقتين واضح وملموس من خلال طريقة نحت الحجارة والتي تنم عن ذوق رفيع وفخامة في حجمها ودقة في تصميمها

---

(١) الرفاعي ١٩٧٣ : ١٥ .

(٢) عبد الجواد ج ٢ ١٩٦٩ : ٧٨، ١٠٢ ؛ شافعي ١٩٧٠ : ٢٩٠ .

وتزيين القلاع بأشرطة كتابية من خط النسخ العربي الجميل .

٦ ـ العامل الاجتماعي :ـ(١) وهو متمم للعامل الاقتصادي ، وانعكاس له ، ومعروف انه في كل بلد لابد من وجود الطبقة الحاكمة مهما اختلفت تسمياتها ، يليها ولاة الأمور والتجار والموسرين ، ولهاتين الطبقتين النفوذ الأول على العمارة ، وأبنيتها هي التي يبقى بعض منها ، في حين ان الطبقة المتوسطة هي التي تُعدها بالأيدي العاملة فسرعان ما تختفي العمائر الشعبية ، وقلاعنا تعتبر من قلاع الطبقة الحاكمة ، فهي مقر السيد الاقطاعي في الفترة الصليبية ، ومقر النيابة او والي القلعة في الفترة الاسلامية .

٧ ـ العامل الجغرافي :ـ(٢) ويتمثل في الموقع بالنسبة لطرق المواصلات المحيطة او العالمية ، ومن حيث الموانئ البحرية والأنهار وخصوبة الأرض، وينابيع الماء ، كل هذه الأمور لها تأثيرها على عمارة القلاع ، ازدهاراًأو اضمحلالها ، فموقع الكرك والشوبك قرب ينابيع الماء وسيطرتها على طرق التجارة الداخلية والعالمية وموقع العقبة على الذراع الشرقي للبحر الأحمر كميناء تجاري ، وموقع قلعة عجلون في ارض السواد الخصبة واشرافها على الوديان المؤدية الى فلسطين ، كل هذه الأمور كانت سببا في بنائها والأستمرار في الحفاظ عليها وتجديدها .

واذا كانت القلاع في الاردن قد تأثرت بهذه العوامل ، فان القلاع العربية الاسلامية المحيطة تأثرت ايضا بهذه العوامل مجتمعة او منفردة ، مما زاد في الروابط التي تربطها ببعضها توثيقا واتحادا في عقد الحضارة الاسلامية .

اسباب بناء القلاع عند المسلمين والصليبيين :ـ

بعد ان بسطت جيوش الفتح الاسلامي نفوذها على بلاد الشام والرافدين والنيل والاندلس ، ظهرت امامها آفاق جديدة من المعرفة بسبب التقائها بثروات الحضارات التي تعاقبت على تلك البلاد . ولمّا كان الاسلام قد صقل تلك النفوس المجاهدة ، فقد انتهج الفاتحون سياسة التسامح والتقدير ازاء التراث القديم لتلك البلاد ، وحملوا اليها رسالة الاسلام ، ولم يحملوا معاول الهدم والدمار ، وبالتالي تمكنوا

---

(١) عبدالجواد ج٢ ١٩٦٩ : ١٠٢ ؛ وانظر ايضا :ـ Palmes 1975:521

(٢) المرجع السابق : ٧٨ ، ١٠٢ ؛ زكي ١٩٦٩ : ٦٤ـ٦٥ ؛ شافعي ١٩٧٠ : ٢٧٦ .

من بناء حضارة زاهرة، ولكي يحافظوا على دولتهم وحضارتهم من اي خطر خارجي، عمدوا الى تشييد الأبنية العسكرية، نذكر منها الأربطة (جمع رباط)، وهي ابنية مستطيلة الشكل، ذات ابراج للمراقبة، قاعاتها معدومة النوافذ، يسكنها المجاهدون الذين شبههم بعض الكتاب بالرهبان العسكريين. (١) وتنتشر الاربطة في شمال افريقيا، ويعتبر رباط المنستير على الساحل الشرقي لمدينة تونس - ويبعد ٢٥ كم عن مدينة سوسه - يعتبر اول رباط بني في ولاية افريقية - تونس حاليا - بناه حاكم الولاية " هرثمة بن اعين" عام ٧٩٥م (١٧٩هـ) بأمر من الخليفة العباسي هارون الرشيد عندما تعرضت سواحل تونس لغزوات الاسطول البيزنطي، وبعد ان ثبتت اهميته تمت توسعته فيما بعد حيث وُسّع السور الرئيسي مرتين على الأقل، وحُصّن بأبراج شبه دائرية. (٢)

وعني المسلمون باختيار المواقع الاستراتيجية القريبة من المدن لاقامة القلاع عليها، لتكون مقراً للوالي او حاكم المدينة، يُطل منها على عاصمته، فتزيده ثقة بالنفس وتضفي عليه روحا معنوية عالية، فهي كذلك تبعث الرعب في نفس الخصم والاعداء وتوحي بالطمأنينة لمن يُقيم فيها او حولها باعتبارها الملجأ الآمن عند الشدائد. في قاعاتها ترسم سياسة الدولة، وتوضع اللمسات الأخيرة على العمليات الحربية، ومنها تنطلق الجيوش لخوض المعارك مع الأعداء، او لاخضاع المشاغبين في الداخل، وفيها تخزن الاسلحة والمواد التموينية.

ومما تجدر الاشارة اليه ان المسلمين اهتموا بالناحية الصحية في اختيار مواقع القلاع، إذ يُذكَرُ عن صلاح الدين انه عندما قرر بناء قلعة القاهرة سنة ١١٧٦م (٥٧٢هـ) قام بتعليق اللحم في القاهرة، فتغير بعد يوم وليلة، فعلق لحم حيوان آخر في موقع القلعة، فلم يتغير الا بعد يومين وليلتين، فأمر وزيره بهاء الدين قراقوش الاسدي بالشروع بالبناء في هذا الموقع. (٣)

وبالاضافة لما تقدم فأن كثيرا من الولاة والحكام والقادة كانوا يرون في تشييد القلاع والحصون رمزاً لتخليد اسمائهم وذكرهم، وعنوانا لبعض منجزاتهم، وانتصاراتهم وفتوحاتهم وصمودهم. يعزز ذلك ما حملته من كتابات ونقوش، تتمثل في القاب سامية

---

(١) العطار، ج ٢، ١٩٥٣: ٧٤.
(٢) الموسوعة العسكرية ج ٢ ١٩٧٩: ٨٢٧.
(٣) زكي ١٩٦٠: ٢.

ودعوات طيبة لأولئك البناة الأوائل ، او الذين اضافوا على البناء ، او اعادوا ترميمه او قاموا بهندسته ، ومن المألوف ان ولاة الامور في التاريخ غالبا ما تتميز مراكز حكمهم ومساكنهم بالمناعة والتحصين ، ووضع بصمات ونقوش تدلل على عهودهم وتخليدهم فيما بعد .

وبما ان طرق المواصلات بما تحتويه من عبارات وجسور ومراكز تموين ، ومحطات قوافل ، وينابيع ماء ، واسواق تجارة ، وموانيء ملاحة ، كلها ذات اهمية خاصة في حياة الانسان فكان لابد من توفير الحماية لها بمختلف الوسائل والامكانات ، بما في ذلك بناء القلاع ومراكز المراقبة والدوريات ، مع مراعاة تأمين الاتصال بين القلاع ذاتها وتعتبر قلاع الأردن ـ موضوع بحثنا ـ من اكثر القلاع التي لعبت دورا هاما في الحفاظ على طرق المواصلات التي اشرنا اليها في الفصل السابق .

ولا يفوتنا ان نذكر بأن ادارة الاقاليم المفتوحة وإحكام السيطرة عليها ، وجمع الضرائب من سكانها ، كانت من الاسباب الموجبة لبناء القلاع فيها ، وبنفس الوقت فأن القلعة سرعان ما كانت تتغير وظيفتها تبعا للحالة الأمنية ، فقد تكون قلعة دفاعية ضد قوى خارجية ، ثم تتحول الى مركز اداري مدني بعد زوال الخطر الخارجي او انتقال الحدود . (١)

وفي بعض الحالات كانت الأحداث الطارئة تلعب دورا في بناء القلاع ، فعندما واصل امراء بني عوف قتالهم مع بعضهم وخروجهم على نواب صلاح الدين ، قام باقطاع ناحيتهم " جبال عوف" الى الأمير عزالدين اسامه ، فشرع في بناء قلعة عجلون تحت غطاء توفير الحماية لهم من الصليبيين . (٢) كذلك فانه عندما تمكن " ريجنالد دى شاتيلون" أمير الكرك من الاتصال مع بدو سيناء لمساعدته في نقل قطع اسطوله عبر الصحراء من الكرك الى خليج العقبة ، عندها ارتأى صلاح الدين بناء قلعته في رأس الجندى سنة ١١٨٣م (٥٧٩هـ) والتي تشكل حاجزا منيعا بين الجزء المتوسط لسيناء الشمالية وخليج السويس ، ليتمكن من السيطرة على أولئك السكان . (٣)

---

(١) Benvenisiti 1970: 277

(٢) ابن شداد ١٩٦٢ : ٨٦-٨٧ ؛ هاردنج ١٩٨٢ : ٦٣ .

(٣) زكي ١٩٦٠ : ١١٧-١٢٢ .

كما كان بناء قلعة في موقع معين سببا في بناء قلعة مضادة على الطرف الآخـــر، لكن اختيار المكان تمليه الناحية الجغرافية، والمتطلبات الاستراتيجية للسياسة المحلية سواء كان الهدف من اقامتها الاحتفاظ بمناطق معينة، او الحصول على مواقع حصينـة متقدمة، او السيطرة على طريق او مخاضة او معبر جبلي، او استخدام القلاع كملاجـئ عند الضرورة. (1) وكان للناحية الاقتصادية دور كبير في بناء القلاع، فقد كانت تبنـــى للحفاظ على ثروات البلاد وجمع الضرائب، وقطف المحاصيل وتخزينها، كما كانت تستخـدم للتموين والامداد والتجهيز، ويستعمل جزء من مبانيها لصناعة الاسلحة والملابس.

ومهما تعددت الاسباب عند المسلمين لبناء القلاع، فانه كان لكل دولة اسبابها الخاصة لبناء قلاعها، كما كان لكل قلعة ظروفـها المحيطة بها. وعلماء الآثار والتاريـخ الذين كتبوا عن القلاع الصليبية أوردوا اسباب بناء الصليبيين لقلاعهم، وبتقديرنا ان تلك الأسباب لا تخرج في الاطار العام عن مجمل الاسباب لدى المسلمين او غيرهم مــــن الاقوام الأخرى كالرومان والبيزنطيين وغيرهم، فقد تمكنوا خلال قرنين من الزمن من بنـاء العديد من القلاع في الشرق بالرغم من الظروف الصعبة التي عاشوها، وكانت مملكتهـم ذات شكل شاذ بامتدادها لمسافة أربعمائة الى خمسمائة ميل من الشمال الى الجنوب في حين عرضها يتراوح ما بين ٥٠ ــ ٧٠ ميلا، بل ان عرض امارة طرابلس لم يتجـــاوز ٢٥ ميلا، يناهضها على الجانب الصحراوي الطويل المدن الاسلامية : حلب، حماه حمص، ودمشق التي لم يتمكن الصليبيون من السيطرة عليها، ولو قُدّر لهم ذلك لاطمأنوا الى بقاء مملكتهم مدة اطول، لان الصحراء تكون حدا منيعا يفصل دولتهم عن هجمات المسلمين من الشرق، وتحول دون اتصال بغداد مع دمشق وحلب، ولكن صلاح الدين سارع باتخاذ تلك المدن كقواعد اساسية في حربه ضد الصليبيين واصبح منها يهـدد بتجزئة المملكة الصليبية عند أضيق نقطة في جبال لبنان. (٢)

ومثل هذا المخطط للملكة الصليبية الذى توضحه الخارطة المرفقة وللحيلولـــة دون توحيد الدولة الاسلامية بمنع اتصال دمشق مع القاهرة، جعل الصليبيين يلجأون الى بناء القلاع والحصون، فاحاطوا مدينة عسقلان ــ الحصن المصري ــ بالقـــلاع

---

(١) Müller-Wiener 1966: 8

(٢) Fedden and Thamson 1957: 14-15

للحيلولة دون وصول مصر الى مدينة القدس عن طريق عسقلان ــ الخليل ــ بيت لحم ـ القدس، فأقاموا ثلاثة قلاع مابين الرملة ويافا هي : ــ بيت جبرين سنة ١١٣٦م (٥٣١هـ) وعبلين (يُبنه) في الخليل سنة ١١٤١م (٥٣٦هـ) وتل الصا في سنة ١١٤٢م (٥٣٧هـ) شرقا وشمالا ،كما قاموابترميم قلعة غزه سنة ١١٤٩م (٥١٤هـ) لمنع اتصال عسقلان مع مصر ،ثم اقاموا في سنة ١١٦٨م (٥٦٤هـ) قلعة الداروم ــ دير البلح ــ التي اصبحت الحد الاقصى من الجنوب للمكلة اللاتينية، وفي جنوب شرق المملكة قاموا ببناء عدة قلاع للسيطرة على البلاد وتأمين اراضي زراعية تُمد هم بالغذاء والسيطرة على مصادر المياه في المنطقة، والأهم من ذلك التحكم في طريق الحجيج المصرى الشامي المتجه الى مكة والمدينة،(١) وجمع الضرائب من القوافل، ومنع قيام اي اتصال بين مصر وسوريا والحجاز والعراق وهذه القلاع هي : الشوبك ١١١٥م (٥٠٩هـ) والوعيره والحبيس في البتراء، والعقبة وجزيرة فرعون، وذلك في سنة ١١١٦م (٥١٠هـ) وقلعة الكرك سنة ١١٤٢م (٥٣٧هـ) . (٢)

وفي الشمال أقاموا عددا آخر من القلاع على خط مستقيم طوله ١٠٠ كم هي :
قلعة الشقيف (Beaufort وهونين Hunin متساد Metsad
اثيرت Ateret ، صفد Safad ، والحابس جلدك Habis Jaldak
على الحافة الجنوبية لوادى اليرموك، وكوكب الهوى Belvoit وبيسان Beit / Shean
وكانت هذه القلاع من اجل قطع الطرق الموصلة بين دمشق والمرتفعات الجبلية في لبنان وسوريا وفلسطين والتي تؤدى الى سواحل البحر الأبيض ولمراقبة تحركات الجيوش الاسلامية في دمشق . (٣)

ولاستمرار تدفق الامداد بالرجال والسلاح من مواطن الصليبيين في اوروبا كان لابد لهم من السيطرة على السواحل السورية واللبنانية والفلسطينية، وحفاظا على الموانئ القائمة على الساحل كان لابد لهم من اقامة الابراج والمدن البحرية المحصنة والقلاع التي امتدت على طول شواطئ البحر الابيض المتوسط في عسقلان

(١) Avi-Yonah 1969: 236; Prawer 1972: 282; Conder 1897: 89
(٢) Smail 1973: 103.
(٣) Benvenisti 1970: 293-294; Prawer 1972: 282

ويافا وارسوف وقيسارية وعتليت وحيفا وعكا وصور وصيدا وطرطوس ، كما كان الهدف من هذه التحصينات تأمين العمليات البحرية .

ونظرا للنقص المتواصل في عدد الصليبيين المشاركين في الغزوات ، وتناسب ذلك عكسيا مع اتساع رقعة المملكة فقد اصبحت الحاجة ملحة لتعويض هذا النقص من خلال بناء القلاع ، ولمّا كان الصليبيون قد جاءوا من بلاد يحكمها النظام الاقطاعي فقد تصوروا ان بامكانهم تطبيق ذلك الحكم في الشرق ، فالقلعة بالنسبة للاقطاعي الاوروبي كانت المركز الذى تدور حوله حياة الموقع فهي مركز الحاكم ، والمركز الادارى ومكان جمع الضرائب وتجمع الفرسان . . . الخ ، لكنها هنا كانت في الحقيقة تمثل مركزا دفاعيا واداريا ، وتخضع للحصار معظم ايامها ويسيطر عليها عامل الخوف ، وهذا ماأوجب على سكانها مواصلة تقويتها وتحصينها ، مما كان يتطلب تكاليف مادية وبشرية كبيرة اثقلت كاهل النظام الاقطاعي وجعلت حياة من فيها كحياة انصاف الرهبان . [1]

كذلك كانت القلاع تستخدم لتوطين المستعمرين الجدد القادمين من أوروبا . [2] ولغرض السيطرة والنفوذ ، وقد انشأت لهذا الغرض سلسلة من القلاع الصغيرة بمحاذاة الطرق الرئيسية ، بالاضافة لمهمتها الدفاعية ، ولتحقيق الأمن والنظام في الداخل ، وقد خُصصت في معظم القلاع الصليبية اجزاء منها لتكون كنائس واماكن للعبادة بهدف رفع الروح المعنوية لديهم . [3] وهكذا نلمسُ مجمل الأسباب التي كانت وراء بناء القلاع عند جميع الأقوام والأمم كانت اسبابا دفاعية ، وأخرى هجومية باعتبار ان القلعة هي المكان الذى تكمن فيه الحرب ، كما كانت القلاع مكانا لفرض القانون والسيطرة على المدن وادارة الأقاليم ، وبالتالي ترتب على بنائها عدة وظائف مدنية وعسكرية كانت تشكل فصلا كبيرا من تاريخها .

---

(١) Fedden 1955: 158

(٢) Boase 1971: 79

(٣) Prawer 1972: 282-285, 290-291

قيمة القلاع الدفاعية :

يراعى في اقامة القلاع ان تحتل موقعا مشرفا ،يمكّنها من أداء وظيفتها الدفاعية من جميع الجهات التي تحيط بها . وهو ما يسمى بالدفاع الدائرى ،وغالبا ما كانت تصمم بحيث تسهل حركة المدافعين عنها بالتنقل وراء الأسوار وداخل الأبراج ،والتناوب في أداء المهمات الموكولة لهم. وحيث ان الموقع المرتفع الذى تقام في القلعة يعتبر هو عنوان السيطرة والاشراف على ما حوله ،فان أي احتلال لأية منطقة او مدينة محيطة بها ،لا يكون مكتملا ولا يعدّ نصرا ،الاّ اذا أُحتلت القلعة نفسها .

وغالبا ما كانت تبنى القلاع على مرتفعات صخرية ،ذات منحدرات مناسبة ، ويتوخى في اختيار الموقع وتصميم البناء مراعاة الاعتبارات الدفاعية التالية :

١ — توفير مدى رؤيا واسع،لحامية القلعة ،يمكنها من الاستطلاع والكشف لمسافات بعيدة ،والحصول على الانذار المبكر ،لكي لا تؤخذ على حين غرّه.

٢ — تسهيل الرماية على مختلف الجهات ،بشكل يوفر دقة الأصابة ،وتغطية ساحات واسعة .

٣ — تصميم المزاغل (فتحات السهام او الكوى) Loopholes بحيث تتجه نحو الأسفل بما يعطي للرامي قوس رمي مفتوح ويمكنه من التصدى للأهداف التي قد تصل الى محاذاة القلعة . وتوزيعها في جميع الطوابق لتوفير مراقبة المحيط الخارجي وتخمين المسافات وضبط الرمي وتعيين الأهداف والتقليل من احتمالات اصابة او كشف الرُماة خلفها من قبل المهاجمين لما تتميز به من اشكال طولية ضيّقة.

٤ — تحصين البناء باستخدام الحجارة الضخمة — وفقا لمدى توفرها — وزيادة سمك الجدران للحيلولة دون نقبها او تصدعها وخاصة اذا تعرضت للقصف بالمنجنيق ، حتى انه كانت تبلغ بعض الحجارة في طولها حوالي ثلاثة امتار ،وكذلك سمك الجدران . ولتجنب تسلقها بسلالم الحصار روعي استخدام الحجارة المنحوته.

٥ — تشييد الاسوار وتوزيع الابراج عليها لدعم البناء من جهة ولتغطية الفجوات بما يضمن الأسناد المتبادل بينها وعدم اعاقة عمل اى منها او تعارضه مع الأبراج الاخرى بتوفير زوايا رمي متكاملة في مواجهة الجهات المعادية وضمان عدم اشتباكها مع بعضها بعضا .

٦ — توفير سهولة الحركة خلف الأسوار وداخل الأبراج ،للمدافعين وللمكلفين بتوصيل الاوامر والمعلومات وللمراقبين من خلال زيادة سمك الجدران ، وبناء الدرج الموصل بين طبقات القلعة وداخل ابراجها .

٧ — اختيار الموانع الطبيعية ــ كقمم الجبال العالية والمحاطة بالوديان السحيقة او اقامة موانع صناعية كالخنادق التي كانت تحيط بالقلاع وتملأ احيانا بالماء . وفي حالة الوصول اليها من قبل المهاجمين فانها تكون مناطق تقتيل منتخبة مغطاة بالنيران .

٨ — بما أن تعدد المداخل والمخارج يشكل نقطة ضعف بالنسبة للمباني ، فقد روعي في تصميم القلاع التقليل منها ، واعتماد الابواب المنحنية Bent entrance لتضليل المهاجم ، بحيث لا يعرف الاتجاه الصحيح المؤدى الى مركز القلعة ، كما تم تدعيم هذه البوابات بالأبراج الجانبية لايقاع اكبر الخسائر في صفوف المهاجمين . كما علت البوابات فتحات عمودية لاطلاق الاسهم بشكل عمودى ولصب السوائل الحارة كالماء والزيت على رؤوس المهاجمين ، ولقد ارتبطت معظم المداخل مع الخارج بجسر متحرك يرفع الى الداخل في حال الشعور بأى خطر . اما البوابات الخلفية فقد تثبت في جدران الأبراج ، وتؤدى الى اسفل الخندق المحيط بالقلعة ، وهذه تستخدم لشن هجوم معاكس ، او كمداخل للرسل والجواسيس ، وعادة تكون مغلقة بحجارة تُحرّك عند الحاجة ومنها نماذج في قلاع قيسارية وعتليت وكوكب الهوى [1] وفي الكرك ايضا .

---

(١) Benvenisti 1970: 287

٩ — ولكي تصمد القلاع في دفاع طويل فلابد من توفر اسباب الحياة فيها ، وبالتالي تم تصميمها بحيث تتلائم مع ظروف المناخ فتكون دافئة في الشتاء ، معتدلة في الصيف، يساعد على تحقيق ذلك جدرانها السميكة، ونوافذها الضيقة واحتوائها على آبار للماء ،كانت تُعبأ شتاء من خلال قنوات تربطها مع سقف القلعة ،او ارتباطها مع نبع للماء من خلال درج سرى يوءدى الى النبع داخل القلعة كماهو في قلعة الشوبك ، فالماء ضروري للشرب ولأطفاء الحريق كما احتوت القلاع على مخازن للمواد الغذائية ، وعلى المطاحن والمعاصر والأفران والمطابخ ، وثكنات للجند تستخدم للنوم او للاسعاف او لصناعة الأسلحة ، كما احتوت على القاعات التي تستخدم للاجتماعات ، وعلى الكنائس والجوامع والمدارس وعلى غرف للسجن او للاستحمام ، وعلى دكاكين للحرف ، واسطبلات وزرائب لقطعان الماشية .

١٠ — رصف بعض المنحدرات الموءدية الى القلعة والتي يمكن للمهاجمين تسلقها بالحجارة الملساء ، مع العمل على زيادة درجة انحدارها باضافة كميات من الطمم كما في الكرك والشوبك وعجلون .

١١ — تعزيز القدرة الدفاعية للقلاع ببناء الأبراج في المناطق المحيطة بها ، او اقامة الأسوار حول المدن التي توجد بها قلاع ، لتكون بمثابة نقاط متقدمة للدفاع ، وتسيطر على المحيط الخارجي ، وتتيح للمدافعين عن القلعة فرصة للتأهب والاستعداد وتمنع التسلل اليها ، وقد روعي في اختيار مواقعها احكام السيطرة على الطرق التي يمكن ان يسلكها العدو ، وبما لا يتعارض مع دور الأبراج والأسوار في القلعة ذاتها ، وفي حالة سقوط الابراج المحيطة بالقلعة يلجأ المدافعون عنها الى القلعة ذاتها كموضع بديل ، كما هو الحال في الكرك .

ولملائمة ظروف الدفاع بشكل اكبر تطورت تلك الابراج من شكل مربع الى الشكل الدائرى ، ذلك ان البرج المربع يتسع لحامية محدودة العدد ، ولم يكن بابه الوحيد يسمح للحامية بالانسحاب ولأن زواياه معرضة للنسف

والاختراق ولا تعطي تغطية كافية من النيران ،على عكس الابراج الدائرية التي تسمح بكمية كبيرة من النيران الجانبية وتقاوم بشكل دائرى ، وتعطي مجالا اكبر في حرية الحركة .

١٢— تعتبر الاتصالات الجيدة عاملا اساسيا في الدفاع لذا روعي في تصميم القلاع توفر قابلية الحركة والاتصال بين مختلف اجزائها باعتبار ان الموجود بين فيها يعملون بروح الفريق الواحد ،وهي بالنسبة لهم كالصّدفة ، كذلك روعي في اختيار مواقعها تأمين الاتصالات الخارجية مع القلاع الاخرى من خلال استخدام " النار" كاشارة ضوئية لتبادل المعلومات والأوضاع ولطلب النجدة كما كان الحال بين قلعتي الكرك والقدس عام ١١٨٣م عندما حاصر صلاح الدين الايبي قلعة الكرك فطلبت النجدة من القدس التي تبعد عنها خمسين ميلا . وكذلك بناء ابراج الحمام الزاجل الذى ان يساهم في توصيل المعلومات بشكل سريع. (١)

١٣— بناء المشربيات Machicolis في الاجزاء العليا من الاسوار والابراج ،وهي عبارة عن دعائم من الحجر مثبته في المبنى وتحمل فوقها حواجز بارزة ،وبين كل دعامتين فتحة تقفل بباب مستور ،وتستخدم لتصويب السهام او لصب المواد الحارقة على المهاجمين الذين يحاولون الاقتراب من جدران المباني . (٢)

وتشكل اسوار المدن بما فيها من تحصينات خطاً دفاعياً (٣) أولياً بالنسبة للقلعة ، في حين تشكل الموانع المحيطة بمبنى القلعة خطا دفاعيا آخر ، وتكون اسوارها

---

(١) Fedden and Thomson 1957: 53-54.

(٢) زكي ج ٧ ١٩٥٨ : ١١٠ .

(٣) ورد تعريف الخط الدفاعي في الموسوعة العسكرية الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ١٩٧٩ ج ٢ ص ١٠٨ انه "مجمل التنظيم الدفاعي للقوات والوسائط على جبهة معينة مهمته حماية هذه الجبهة ،وخلق الظروف الملائمة للهجمات المعاكسة الصديقة ،ويشمل على مجمل التحصينات والخنادق والحواجز والقوات ،يختار زمن السلم عند وضع الخطة الدفاعية للدولة ،ويكون الاختيار محكوما بطبيعة الأرض واهمية الاهداف ،واحتمالات تقدم العدو ،وتصورات تطور المعارك الدفاعية ،مع الاستفادة من الحواجز الطبيعية ، والاهتمام بحماية المناطق الآهلة بالسكن ،والمناطق التي تضم المصادر اللازمة لحياة السكان وادامة القطعات المحاربة .

وابراجها الخط الدفاعي الأخير، والذى يعني انهياره انتقال الهاجم الى داخل القلعة. وتعتبر قلعة الكرك من نماذج قلاع المدن التي تتوفر فيها الكثير من هذه المزايا كما سنرى.

قيمة القلاع الهجومية :

القلاع منشآت عمرانية وتحصينات ثابتة مهمتها الرئيسية تتمثل بالدفاع ومقاومة الحصار وصد الهجمات المعادية، ومن الصعب اعتبارها ذات قدرة هجومية بحد ذاتها لاقتران المهام الهجومية بالحركة، الآن قيمتها الهجومية تكمن في كونها مراكز تجمّع وحشد وانطلاق للقوات التي قد تقوم بشن هجمات معاكسة، وبذلك تكون القلاع ذات ادوار ساندة بأدائها لما يلي :

١ — اتخاذها كقاعدة لرسم الخطط الحربية، ويتجمع فيها المقاتلون استعدادا للانطلاق خارج الاسوار لنجدة قلعة او جيش او لخوض معركة مع عدو.

٢ — ادارة الأقاليم وفرض السيطرة على البلاد وقمع حوادث الشغب، وجمع الضرائب وتحقيق الأمن.

٣ — تعتبر القلاع قواعد للتموين لامداد وتجهيز الجيوش بكل ما يلزمها من مواد تموينية وتسليحية، كما يمكن اتخاذها كمناطق لاخلاء الجرحى واسعافهم.

٤ — تسيير الدوريات ووضع الكمائن للحفاظ على المرافق الحيوية في البلاد كطرق المواصلات والموانىء والأراضي الزراعية ومنابع المياه. (١)

٥ — حماية الثغور وشن هجمات معادية بهدف اقلاق الراحة للعدو وازعاجه.

٦ — استخدامها كمحطات للانذار المبكر، من خلال نقل البريد بنوعيه : الارضي بواسطة الفرسان والخيل والهجن والجوى بواسطة الاشارات الضوئية او الحمام الزاجل. (٢)

---

(١) Benvenisti 1970: 312-313

(٢) غوانمه ١٩٧٩ : ٣٥.

مما تقدم يلاحظ ان دور القلاع الدفاعي اكبر من دورها الهجومي ، وقد ارتبط تصميمها بنوعية التسليح التي كانت سائدة في القرون الوسطى ، والتي سنشير اليها في موضع آخر من هذا البحث .

أنواع القلاع : ـ

لم تبنى القلاع وفقا لالتزام بمخطط عام ، وانما كان لكل قلعة ظروفها التي حددت نوعها تبعا للزمان والمكان ، وبالتالي كان لكل أمة قلاع ذات مواصفات مميزة ، وهذه المواصفات لم تنشأ بمعزل عما سبقها ، وما احاط بها من قلاع ، وبناء على ذلك فيمكن ان نصنف القلاع تبعا للأمم التي قامت بالبناء فنقول : ـ القلاع الرومانية ، البيزنطية الاسلامية ، وهذه يمكن تصنيفها حسب الدول التي بنتها فنقول : القلاع الأموية العباسية ، السلجوقية ، الحمدانية ، الفاطمية ، الايوبية ، والمملوكية ، والقلاع الصليبية وهكذا . كما يمكن ان نصنف القلاع حسب البلاد التي تقوم بها . فنقول : القلاع السورية ، الفلسطينية ، بلاد ما بين النهرين ، الأردن ، لبنان ، بريطانيا ، فرنسا . . . الخ .

ويمكن ان نصنف القلاع حسب شكل التصميم الهندسي لها او لأبراجها فنقول : قلاع مربعة او مستطيلة او دائرية ، ولقد صنّفها بعض المؤرخين حسب الهدف الذى وجدت من اجله فذكروا انها نوعان : قلاع دفاعية وأخرى هجومية . (1) ومنهم من صنّفها حسب الموقع الجغرافي والوظيفةالتي بنيت من اجلها فذكر انها صنفان : ـ

١ ـ قلاع جبلية : ـ وجدت لحماية الطرق والممرات الجبلية .

٢ ـ قلاع ساحلية لحماية الشواطىء والموانىء . (2)

ومن المؤرخين من صنّف القلاع تبعا لمدى استراتيجية موقعها ، وطريقة تصميمها فقسّمها الى ثلاثة أنواع هي : ـ

أ ـ الخزنة النورماندية The Norman Keep وهذا النوع انتشر في اوروبا قبل الحملة الصليبية الأولى ، ومر في عدة مراحل اثناء تطوره ، اذ كان في البداية عبارة عن برج مرتفع بني من الخشب والطين ، ومحاط بسور بني

---

(1) Fedden and Thomson 1957: 23-25.

(2) Fedden 1955: 197; Palmes 1975: 528

من نفس المواد ،عرف باسم A Motte and Bailey Castle (انظر الشكل "١" ص) ، ثم تطور بناء السور فأصبح من الحجر والطين ووصل سمكه الى ٣٠ قدما ، فأضفى على المبنى قوة ومتانة وحجما اكبر ، كما زود بجسر يؤدي الى داخل البرج ، فجاء البناء على شكل الصّدفة او المحار Shell Keep (شكل "٢" ص) . الا ان نقطة الضعف بقيت كامنة في البرج الخشبي المرتفع عندئذ عُمِلَ على تطويره وتوسيعه ، فبني من الحجر وأصبح مربع الشكل ، عرف باسم الخزنة النورماندية ، او البناء المربع المطوق بسور Square Keep with Bailey (شكل "٣" ص)

وسار هذا النوع البدائي في اوروبا حتى فترة الحملة الصليبية الأولى . (1)

ب ـ الحصون ذات الابراج المربعة The Castrum وهذا النوع عبارة عن قلعة صغيرة ذات مخطط مربع، وفي كل زاوية من زواياه الاربعة برج مربع ومثل هذا النوع ظهر في فلسطين منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، كما ظهر في جنوب الجزيرة العربية ، (انظر مقدمة هذا الفصل) وانتشر في التحصينات الرومانية والبيزنطية ، وكذلك في التحصينات الأموية ، والعباسية كما انتشر في تونس والمغرب ، وتميز هذا النوع من العمارة العسكرية الشرقية بسهولة تخطيطه وسرعة بنائه ، حتى ان الامويين والعباسيين بنوا بعض قصورهم على هذا النمط كما اسلفنا في المقدمة .

وقد بدأ انتشار هذا النوع في اوروبا بعد فترة قصيرة من الحملة الصليبية الاولى على الشرق ، وكانت اعمال البنائيين الغربيين اصغر حجما واعتمدت لسنوات طويلة على النُسخ التي اقتبسها المهندسون الصليبيون من الشرق . (٢) فالحملات الصليبية الى فلسطين عبرت من تركيا الى بلاد الشام وواجهت مقاومة من مختلف المواقع الاستراتيجية وفي مقدمتها القلاع سواء كانت بيزنطية او اسلامية ، ولمسوا مدى عظمة تلك التحصينات فلجأوا الى تقليد

---

(١) Earnshaw 1969: 15-37; Benvenisti 1970: 279; Smail 1973: 91

(٢) Oman 1924:32.

البناء عند ما أقاموا قلاعهم في فلسطين (١) ، فقد ذكر وليم الصوري (٢) بأن القلاع التي أقيمت جنوب مملكة بيت المقدس حول عسقلان وهي : ـ عبلين (يبنا) بلانش جارد التي بناها الملك فولك ، والداروم التي بناها آمالرك ، كانت مربعة الشكل مع وجود برج في كل زاوية .

ونتيجة لاتصالهم المستمر مع المسلمين والبيزنطيين ، سلما وحربا ، فقد واصلوا تطوير ما اقتبسوه بهدف الوصول الى مستوى انماط هؤلاء في هذا المجال من العمارة واعتمدوا بناء هذا النوع من القلاع طيلة القرن الثاني عشر ، فبنوا قلاع بيت جبرين والعفولة ويالو واللطرون ودير البلح ، وكوكب الهوى التي كانت اكبر قلاع الصليبيين حجما في فلسطين ١٣٠ × ١٠٠ م . (٣) في الوقت الذي استمر فيه المسلمون على اعتماد هذا النوع ، فجاءت قلعة عجلون خير دليل على ذلك .

حـ ـ القلاع المعلقة ـ حصن الغراب The Spur-Castle تبنى هذه القلاع في العادة على مرتفع يكون ملتقى منخفضين ضيقين ، فبذلك يمتاز بوجود منحدرات على الأطراف الثلاثة ، في حين يتم حفر خندق صناعي ، يقطع في الصخر ، في المنحدر الرابع ، ويكون مخططها في العادة مائلا الى الاستطالة بحكم طبيعة الموقع . كما ان انحداره التدريجي يوفر امكانية بناء اجزاء القلعة على عدة مستويات ، ومثال هذه القلاع قلعتي الكرك والشوبك ، وقد حملت الكرك هذا الاسم " حصن الغراب " (٤) ، مع انها تتميز بكونها ليست قلعة مستقلة بل بنيت لحماية المدينة نفسها . (٥)

وقد وصف بعض المؤرخين هذا النوع باسم " عش النسر " واطلقه على قلعة الشقيف Belfort التي بنيت فوق مرتفع يشرف على نهر الليطاني بارتفاع ١٥٠٠ قدم عن مجرى النهر ، وعلى ارتفاع ٢١٩٩ قدما عن سطح البحر ، بناها فولك ـ ملك القدس ـ سنة ١١٣٥ م (٥٣٠ هـ) ، وعلى موقع كان الرومان قد بنوا عليه حصنا . (٦)

---

(١) ديورانت ج ٢ من ج ٤ ١٩٧٤ : ٢٤٠ ، أنظر أيضا : ـ Boase 1967: 42; Setton Vol Iv, 1977: 143-153.

(٢) Tyre 1943: 15-24

(٣) Benvenisti 1970: 280.

(٤) ابن بطوطه ١٩٣٤ : ٨٧ .

(٥) Benvenisti 1970: 280-281.

(٦) حتى ١٩٥٩ : ٣٥٨ .

ومن المؤرخين (١) من صنّف القلاع الصليبية حسب فترة بنائها وتطور حجمها فذكر بأنها ثلاثة انواع :

١ — قلاع النصف الاول من القرن الثاني عشر : وهي قلاع صغيرة ، عرفت باسم "الحصون" ، ذات جدران قوية ، معززة بالابراج ، ولها سور خارجي وخندق كما في قلعة بيت جبرين التي تعود الى سنة ١١٣٦م (٥٣١هـ) .

٢ — مركز السيد الاقطاعي Fortified Seigniorial Seat ويعود تاريخه الى النصف الثاني من القرن الثاني عشر مثل حصن المنوات Manawat قرب عكا ، وهو مستطيل الشكل ، مع وجود برج في كل زاوية من زواياه الاربعة ، ثم ازداد هذا النوع ضخامة ليتسع لاعداد بشرية اكبر كما في قلعة الكرك .

٣ — قلاع القرن الثالث عشر : وفي هذه الفترة لم يبنى الا القليل من القلاع الصليبية مثل قلعة الحاج بين حيفا ويافا ، التي بنتها طائفة الاسبتارية سنة ١٢١٦م (٦١٣هـ) وقلعة منتفورت (الفورين) شمال حيفا بنتها طائفة التيتون الألمان ١٢٢٦م (٦٢٣هـ) .

وبعض المؤرخين من حاول التمييز بين مدرستين لبناء القلاع عند الصليبيين تبعا لطائفتي : — الاسبتارية (وهم المسؤولون عن ضيافة حجاج بيت المقدس Hospitaller) والداوية Templer وهم فرسان الهيكل ، وذلك على ضوء مدى التشابه والاختلاف في ملامح قلاع كل فئة ، باعتبار ان الداوية قاموا ببناء قسم من القلاع مثل طرطوس وقلعة الحجاج على الساحل السوري ، والاسبتارية بنو قلاع المرقب وحصن الأكراد . الا ان هذا التصنيف اغفل ذكر قلاع التيتون الألمان التي اشرنا اليها .

(١) Prawer 1972: 297-299, 308, 312; Palmes 1975: 528-529

(٢) Smail 1973: 114.

وفئة اخرى من المؤرخين اعتمدت الأسوار التي تحيط بالقلاع في تصنيفها ، فجعلتها صنفان :

١ - القلاع المتحدة المركز Concentric Castles، او ذات الدائر المزدوج ، او المتداخلة الحصون ، وهذه تكون مطوقة بأكثر من سور ، كا هو في المدن البيزنطية التي احيطت بسور مزدوج ، وفي العاصمة العباسية بغداد الى ان وصل التأثير الى اوروبا بعد الحملات الصليبية ،(١) اذ ان الصليبيين تمكنوا من بناء نماذج من هذا النوع مثل قلعة المرقب التي تشرف على مدينة بانياس السورية ، وتربض على جبل اشبه بمنقار الطير ، بأخذ شكل مثلث ، يمتد من الشمال الى الغرب ، يفصلها عن الجهة الشرقية المتاخمة واد عميق ، وتتألف من سور مزدوج ، محصن بأبراج ، ويصعد اليها بدرج يؤدي الى البرج المربع .(٢) ومثلها ايضا قلعة الحصن (حصن الاكراد ، بين حمص وصافيتا على الساحل السوري .

٢ - القلاع ذات الدائر المنفرد والتي التزمت بها طائفة التيتون الألمان في قلعة مونتفورت (الغورين) والتي تبعد حوالي ٢٢ ميل الى الشمال من حيفا ، وقد بنيت على حافة جبل ، وتشرف على بحيرة طبريا من الجهة الشمالية الغربية وهي على شكل برج ، ومحاطة بخندق .(٣)

واقترنت تسمية بعض القلاع بأسماء الاماكن او المدن القريبة منها ، فحملت نفس الأسم مثل قلاع : عجلون ، الكرك ، الشوبك ، والعقبة ، وبعضها الآخر حمل اسم الشخص الذى بناها كقلاع صلاح الدين في القاهرة وسيناء ودمشق ، ومن القلاع ما نسب الى فئة الناس التي بنتها وسكنتها وتولتها بالرعاية ، فنسبت قلعة شيزر على مسافة ٣٠ كم شمال غرب حماه ، وتشرف على نهر العاصي ، نسبت الى بني منقذ .

---

(١) Fedden 1955: 164

(٢) الساطع ١٩٧٥ : ٩١، ٩٣، ٩٤.

(٣) رنسيمان ج٣ ١٩٦٩ : ٦٣١ ؛ وانظر أيضا :-
Muller-Wiener 1966: 74-75.

وبالنسبة لتصنيف قلاعنا ــ موضوع البحث ــ فيعتقد يرنا ان افضل تقسيم لها هو على ضوء موقعها الجغرافي ، لأن ذلك يحدد قيمتها الاستراتيجية ، والهدف الذى بنيت من اجله ، وعليه يمكن تقسيمها الى ثلاثة انواع :

١ ــ القلاع الجبلية : التي بنيت على امتداد سلسلة الجبال المطلة على وادى الاردن والمشرفة على وادى عربة من الجهة الشرقية ، فقلعة عجلون تشرف على غور الأردن الشمالي ، في حين قلعة السلط ــ قبل تردمها ــ كانت تسيطر على الغور الأوسط ، وقلعة الكرك تتحكم في الطريق المؤدى الى البحر الميت وغور الاردن الجنوبي باتجاه فلسطين . كما انها تشكل مع قلعة الشوبك وقلاع البتراء نقاطا حصينة تتحكم بالممرات المؤدية الى بئر السبع وسيناء عبر وادى عربة . وانتشارها على خط مستقيم ابتداء من عجلون ، وانتهاء بالعقبة يشكل خطا استراتيجيا في وجه اى تقدم عن طريق فلسطين او مصر ، كما انها تعتبر المفتاح الذى يمكن من خلاله الوصول الى الشاطىء الفلسطيني .

٢ ــ القلاع الساحلية : ــ التي تبنى على الشواطىء لحماية الموانىء والمدن ، وتعتبر قلعة العقبة نموذجا لهذا النوع من القلاع ، واهميتها تتمثل في انها منفذ يؤدى الى بلاد النيل ، والجزيرة العربية ، برا وبحرا ، وتشكل مع قلعة فرعون في خليج العقبة ، وقلاع سيناء وغزة نقاطا استراتيجية في السيطرة على هذا الخليج ، والملاحة البحرية فيه ، وطرق المواصلات من حوله .

٣ ــ القلاع الصحراوية : وهي التي تبنى في الصحراء ، على طرق المواصلات ، لتوفير الحماية للقوافل ، او لاتخاذها كمحطات للراحة ، او منتجعات للصيد ، او لاخضاع القبائل البدوية ، وقد استعملت قلاع عجلون والشوبك لهذا الغرض مع انها بنيت في المناطق الجبلية ، ولا يدخل من القلاع الصحراوية في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها غير بعض الترميمات التي ادخلها المماليك على قلعة الازرق الرومانية . حيث اعاد عز الدين ايبك سنة ١٢١٣ م (٦١٠ هـ) ترميم بعض اجزاء منها .

ادارة القلاع :ـ

قبل الحديث عن ادارة القلاع ،لابد من الاشارة الى الفئات التي شاركت في بنائها ،فبالنسبة للصليبيين فان مجموعة الناس التي سارت مع الحملات الصليبية من فرسان ونبلاً وبطاركه ورهبان وشيوخ ونساء واطفال ،كلها شاركت في اعمال البناء ،كما انهم استفادوا في هذا المجال من خدمات الأسرى ،وعامة الناس الذين خضعوا تحت سيطرتهم. وبعد الانتهاء من البناء كان الامراء يتولون السيادة والحكم في القلعة يشاركهم في ذلك النبلاء والبطاركة والرهبان والفرسان ،مع وجود فئة اخرى لتقديم بعض الخدمات كالاطباء البيطريين ،والسجّانين ،ومُصلّحوا الأسلحة والاحذية والملابس والحُجّاب، وفئة اخرى تقوم على عمل المعاصر والأفران . (١)

اما عند المسلمين فقد شارك في البناء مجموعة الجند ،التي كانت تعمل تحت اشراف مهندسين مختصين في البناء، يعمل معهم فريق من الحجّارين المختصين بقلع الحجارة، وآخرين يقومون بنحتها وتشذيبها ،كما استفادوا من خدمات الأسرى .وأعمال ضخمة كالقلاع كانت تبنى في ظروف سياسية صعبة، وتتطلب وقتا وجهدا كبيرا لابد ان يكون قد أُعتُمد في انشائها على مبدأ السخرة في العمل بحيث تشارك جميع فئات المجتمع فيها بلا أجرة، لما فيها من مصلحة عامة لأمن البلاد والدولة. وكانوا بعد فراغهم من البناء يعهدون الى فئة من الخاصة لادارة هذه القلاع، والاشراف عليها ، لتمكينها من اداء الواجب الذى بنيت من اجله، مما ترتب معه وجود عدد من الوظائف تَجْمَعُ بين الصِّفتين المدنية والعسكرية نذكر منها :(٢)

١ ـ نيابة القلعة : وهي نيابة منفردة عن نيابة السلطنة، اذ ليس لنائب السلطنة عليها حديث، وتتم ولايتها بمرسوم شريف يكتب من ديوان الانشاء . (٣) ويُختار النائب من الأمراء مقدمي الألف او امراء الطبلخانه، ومقر اقامته في دار السعادة

---

(١) Earnshaw 1969: 84.

(٢) الأصهاني ١٩٦٥ : ٥٦٥.

(٣) المقريزى ج٣ ١٩٧٣ : ٦٥٧.

بالقلعة. (١) يدخل ضمن اختصاصاته صيانة القلعة، وتجديد ابنيتها، والمحافظة على خزانة السلطان الموجودة فيها، كما انه مسؤول عن فتح الأبواب في الصباح وغلقها في المساء، والاحتفاظ بالمفاتيح، بعد ترتيب شؤون حراستها. (٢)

ومن مهمات نائب القلعة وضع طبّال لمعرفة الوقت ليلا، اذ كان يَضْرِبُ ضربة واحدة في الثلث الاول من الليل، وضربتان في الثلث الثاني، وثلاث ضربات في الثلث الثالث من الليل حتى يُؤَذَّنُ للفجر. (٣) كما كان تحت تصرفه عدد من الحمام الزاجل ليبقى على اتصال دائم مع السلطان، فهو عينُ السلطان على موظفي النيابة، اذ لا يُغادر احد منهم القلعة الا بأذن منه، وله اجناد يقيمون في القلعة لخدمته. (٤)

٢ — وُلاة القلعة : — وهم اثنان : —

أ — والي القلعة : — وهو بمرتبة امير طبلخانه وله التحدث على باب القلعة الكبير الذى منه طُلوع عامة العسكر ونزولهم في الفتح والغلق. (٥) ويُخاطَبُ من قبل السلطان بالصيغة التالية "هذه المكاتبة الى المجلس السامي ... مع وضع الاسم وتعريفه، وهي على سبيل المثال بالنسبة لوالي قلعة الكرك " والي القلعة المنصورة بالكرك المحروسة". (٦)

ب — والي باب القلعة : — وهو امير عشرة وله التحدث ايضا على باب القلعة. (٧)

٣ — نقابة القلعة : وهي إمرة عشره، يُعَيَّن صاحبُها بمرسوم شريف، يكتب له من الابواب الشريفة. (٨)

---

(١) المقريزى ج ٣ ١٩٧٣ : ٦٥٧ ؛ ابن الصيرفي ج ١ ١٩٧٠ : ٢٥٠.
(٢) العمرى ١٣١٢هـ : ١٤٩ ؛ غوانمه ١٩٧٩ : ٩.
(٣) القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ١٨٥، ١٨٦.
(٤) المرجع السابق : ٢٣.
(٥) المرجع السابق : ١٨٦.
(٦) البخيت ١٩٧٦ : ٦١.
(٧) القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ٢٣.
(٨) المرجع السابق : ١٨٦.

٤ — امير القلاع : ـ ومهمته الكشف على القلاع، وتفقّد احوالها ، ورسم ما تحتـــاج اليه من صيانة وترميم. (١)

٥ — شدّ العمائر : وهي إمرة عشرة ، ويكون صاحبها متكلما في العمائر السلطانيـــة مما يختار السلطان إحداثه او تجديده من القصور والمنازل والأســوار. (٢)

كما كانت هناك وظائف أخرى ايضا مكّنت القلاع من اداء دورها تتعلق بخزائــن السلاح " السلاح خاناه" والاصطبلات والخيول " الركاب خانه" والآلات الموسيقيـــة " الطبلخانه". (٣)

كما ترتب على انشاء بعض المباني داخل القلعة كالمسجد والمدرسة والبيمارستان (المستشفى) ، وجود وظائف تمكن من ادارة هذه المرافق الهامة ، فكان هناك : خطيب القلعة ،(٤) والمدرسين والأطباء ، والأطباء البيطريين .

ولتمكين والي القلعة من تسيير أمورها لا بد له من فئة من الكتاب يعملون فـي ديوانه ، وفئة اخرى من الحُجّاب، وعمال البريد ، والسقّائين والطباخين وغيرهم مـن اصحاب الخدمات. ولحاجة ما يمكن ان يحصل من مشاكل بين الجند ،كان هناك قُضاة عسكريون ، وهم ثلاثة : شافعيّ ، حنفيّ ، ومالكي ، " وليس للحنابلة منهم حظ" (٥) كانـوا يجلسون في دار العدل للقضاء بين الجند .

واذا كانت القلاع قد أقيمت لأغراض عسكرية ، فأن ذلك لا يعني ان الحياة اليوميـة فيها كانت من هذا المنطلق في كل الأوقات ، بل انها كانت تعيش حياتها كأي بيت او مدينة في الشرق ، تُقامُ فيها الاحتفالات والمهرجانات ، ويسود ها جو إجتماعي أســري ،

---

(١) الدواداري ج ٩ ١٩٦٠ : ٢٦٧.
(٢) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ٢٢.
(٣) لمعرفة هذه الوظائف انظر : المرجع السابق : ٧-٣٩ ؛ ماجد ١٩٦٧ : ٢٣-٣١.
(٤) ابن ابي اصيبعه ج ٢ ١٨٨٢ : ١٢٣، ١٢٦، ٢٧٣.
(٥) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ٣٦.

وقد اشارت بعض المراجع الاوروبية (١) في معرض حديثها عن حصار صلاح الدين لقلعة الكرك سنة ١١٨٣م (٥٧٩هـ) الى وجود حفلة زواج داخل القلعة، وانه عندما علم بها أصدر امره بمنع قصف المكان الذى كان يقيم فيه العروسان.

ونال نظام الحياة في الشرق اعجاب الصليبيين فشرعوا في التقليد سواء من حيث المأكل او المشرب او الملبس، او العادات والتقاليد او فن العمارة او الصناعة، الى غير ذلك من أمور الحياة المختلفة، (٢) فقد كانوا اقل عددا، وانتشروا على هيئة جاليات صغيرة داخل مدن او قلاع اشبه ما تكون بجزر وسط محيط اسلامي كبير، كما انهم وفدوا من بلاد كانت انذاك اقلّ تَحضُّرا من بلاد الشام، الأمر الذى جعلهم يحاولون التَّشبُّه بالمسلمين ومُحاكاتهم والتأثُّر بأوضاعهم وليس العكس. (٣) وقد أورد اسامة بن منقذ (٤) وصفا لعاداتهم وتقاليدهم وانحلال اوضاعهم الاجتماعية، " فهم خالون من الغيرة الجنسية، وطبُّهم ساذج جاهل بالمقارنة مع الطب العربي، ومحاكماتهم غبية غريبة، ومن هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقا من الذين تبلّدوا وعاشروا المسلمين".

ولا أدل على مدى تأثر الصليبيين بأنماط الحياة في الشرق، واعجابهم بها واقبالهم عليها، من إستياء أحد مؤرخي المملكة الصليبية وهو الكاهن شارتير (٥) "Charters" من هذا الأمر، فعبَّر عنه بقوله: (واحسرتاه بعد ان كنا غربيين غدونا الآن شرقيين، وأصبح الايطالي والفرنسي يعيش في هذه البلاد كما لو كان فلسطينياً او جليلياً، وغدا من كان غربياً بالامس مواطنا شرقيا اليوم).

---

(١) بيك ج ١ ١٩٣٤ : ١٤١؛ وانظر ايضا :- Fedden and Thomson 1957: 77-78

(٢) Benvenisti 1970: 372-390

(٣) عاشور ١٩٧٤ : ٢٣٩.

(٤) ابن منقذ ١٩٤٠ : ١٣٢—١٤٠.

(٥) Charters 1913 360.

الجيوش الأسلامية والصليبيــة :ــ

تُعتبر الجيوش عبر التاريخ صورة حية للمجتمعات التي تنتمي اليها، فهي تُمثّل تركيبتها السكانية، وعراقة تقاليدها العسكرية، ومدى احترامها لمهنة الجندية، وجيوش المسلمين (الأيوبية والمملوكية) والصليبيين لم تخرج عن هذا النطاق .

فالجهاد بالنسبة للمسلمين ركن من اركان الدين الأسلامي، مما ترتب عليه ان يكون ديوان الجند أول ديوان في الاسلام، أوجده عمر بن الخطاب، واستمر قائما في العهد الأيوبي والمملوكي، وأعتمد في هذه الفترة نظام الاقطاع، الذى اخذوه عن السلاجقـــه في الانفاق على الجند . (١)

وكان أمراء الأيوبيين والمماليك من أرباب السيوف والمناصب الذين انتظمت بهـــم أمور المملكة، وكانوا موزعين على اربع مراتب هي : امراء المئين مقدمي الألوف، امـــــراء الطبلخانة (بيت الطبل) امراء العشرات، واخيراء امراء الخمسات، وأما الجند فكانـــوا طبقات ثلاث : المماليك السلطانية وهم الاعظم شأنا والارفع قدرا والأوفر عطاء . ثم أجناد الحلقة، وكان لكل اربعين منهم مقدّم، واخيرا البحرية وهم حاشية السلطان . (٢)

ويمكن تقسيم الجيش(٣) في ضوء التقسيمات الحديثة الى نوعين :ــ

١ ــ القوات البرية، وكانت تشتمل على الجيش المصرى والفرق السورية، والفـــــــرق العراقية، والجيوش الاحتياطية والفرقة الاردنية .

ويرجع بناء الفرقة الأردنية الى سنة ١١٨٨م (٥٨٤هـ) عندما استسلمت الكـــرك للمسلمين، واعطاها صلاح الدين لأخيه الملك العادل، فصار للكرك جيشها ، الـــــذى اشترك في فتح آمد على نهر دجلة مع قوات الكامل محمد . وفي سنة ١٢٣٩م (٦٣٧هـ) كان له شرف فتح بيت المقدس بقيادة الناصر داوود ، بعد ان كان الملك الكامل قـــــد

---

(١) القلقشندى ج١٣ ١٩١٤ : ١٠٦ ؛ ماجد ١٩٧٣ : ٦١ ؛ جب ١٩٧٤ : ٩٧- ١١١ ؛ نورى ١٩٧٦ : ٤٤١-٤٤٣ .

(٢) القلقشندى ج٤ ١٩١٤ : ١٦-٢٣ ؛ الدباغ ١٩٨١ : ٢٠٢-٢٠٤ .

(٣) عن تركيبة الجيش الاسلامي في العهد الأيوبي والمملوكي انظر بالاضافة لما ذكرناه من مراجع في الفترتين السابقين : سعداوى ١٩٥٩ : ١-٨٩ ؛ زكي ١٩٧٠ : ٧٩-٩٨ ؛ ماهر ١٩٦٧ : ١٠١-١٠٢ .

سلمها الى فردريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة. (١) كما شارك جيشها في معركة عين جالوت ١٢٥٩م (٦٥٨هـ) الى جانب قوات مصر والشام، وفي عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون شارك ذلك الجيش في حرب التتار. كما اشترك في فتح عكا سنة (١٢٩١م/٦٩٠هـ) بقيادة نائب الكرك الأمير بيبرس الدوادار. (٢)

وعن عدد ذلك الجيش، فانه في عهد الملك المغيث عمر ١٢٥٠م (٦٤٨هـ) وصل الى ستمائة فارس ما عدا الرجّالة (المشاة). وفي عهد المماليك حصل تمرد في صفوف جيش الكرك، مما أضطر السلطان الظاهر بيبرس القدوم بنفسه الى الكرك، وفكّر في قتل ستمائة فارس من هذا الجيش، الا انه عدل عن ذلك، واكتفى بنقلهم الى القاهرة واستبدالهم بجيش مصري. (٣)

٢ — القوات البحرية :— فقد كان للسلمين اسطول ضخم من القطع البحرية، سنتناولها بالحديث في مجال الأسلحة.

واذا كان الجهاد قد شحذ المسلمين لتحرير بلادهم، فأن الدافع الديني كان من جملة العوامل التي حركت الجيش الصليبي لغزو الشرق، ذلك الجيش الذى كان يشتمل على طبقات اربع هي : الفرسان والقسيسين والنبلاء والرهبان (٤). يخضعون لسيطرة الكنيسة ونظام الحكم الاقطاعي، وبعد وصول ذلك الجيش الى بيت المقدس تحور على شكل طوائف ثلاثة هي : الاسبتارية، وفرسان الهيكل والتيتون الألمان. (٥) وكان هؤلاء يشكلون "القوات البرية" بالنسبة للجيش الصليبي يضاف اليهم "القوات البحرية" الأسطول، الذى كان يشكل قوة رئيسية في الأمداد بالرجال، والمال من اوروبا ونقل

---

(١) المقريزى ج١ ١٩٣٤ : ٢٩١؛ ابن شداد ج٣ ١٩٦٣ : ٢٢٥؛ الحنبلي ج٢ ١٩٧٣ : ٥٣.

(٢) المقريزى ج١ ١٩٣٤ : ٦٩١، ١٠٠٢–١٠٠٤.

(٣) اليونيني ج٣ ١٩٦١ : ١٢٣، ٢٤١.

(٤) بخصوص الجيش الصليبي انظر :
Fedden and Thomson 1957:71; Prawer 1972:230; Fedden 1955: 159.

(٥) لمعرفة المزيد عن هذه الطوائف انظر : ويست ١٩٦٧ : ٢٧–٢٨.

البضائع، وشن المعارك ضد الموانئ الاسلامية، فقد حاول ذلك الأسطول في سنة ١١٨٢م (٥٧٨هـ) السيطرة على ارض الحجاز، عندما قام ريجنالد امير الكرك بنقل قطع منه برا على الجمال من البحر الأبيض الى العقبة على البحر الأحمر لكنه فشل في تحقيق هدفه بعد ان تصدى له الاسطول الاسلامي بقيادة حسام الدين لؤلؤ الحاجب. (١) هذا وقد كان الاسطول وسيلة الصليبيين في العودة الى بلادهم بعد فشلهم في الاستيلاء على البلاد المقدسة.

ومما تجدر الاشارة اليه ان القلاع شكلت جزءا كبيرا من قوة الجيش الصليبي، نظرا للدور الدفاعي الذى قامت به، بحكم قلة عدد ذلك الجيش، الذى بلغ عدد الذين وصلوا منه الى بيت المقدس بخمسة الاف فارس، في حين قدر عدده عند انطلاقه من اوروبا بمائة الف فارس، أي ان نسبة الذين وصلوا منه الى القدس كانت واحد من كل عشرين. (٢) مما يشير الى مدى الخسائر التي لحقت به من قبل المسلمين اثناء عبوره من اوروبا الى تركيا وسوريا فلسطين. وكان عدد ذلك الجيش يزداد او ينقص تبعا للحملات الصليبية، وللحروب التي يخوضها.

الأسلحة وفن الحصار :

عرف العرب صناعة الأسلحة منذ القدم، والى بلادهم نُسب البعض منها "السيف اليماني" كما انهم أثروا وتأثروا بما كان لدى الروم والفرس من فن في هذا المجال، وفي صدر الأسلام، زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) استخدموا المنجنيق في حصار الطائف. (٣) ثم ما لبثوا ان اقاموا المصانع لصناعتها، وهي التي عرفت في العهدين الأيوبي والمملوكي "بالسلاح خاناه" اى بيت السلاح، وكان يتولى الأشراف عليها

(١) ابن الأثير ج ١١ ١٩٦٦: ٤٩٠-٤٩١؛ ماهر ١٩٦٧: ١٠٦-١٠٧؛ الحنبلي ج ١ ١٩٧٣: ٣١٢-٣١٣.

(٢) Fedden 1955: 157-158.

(٣) زكي ١٩٧٠: ٩٥.

اميـر سلاح مقرب للسلطان ، ويُلقبه " بالأخ " . (١) وكانت تلك المصانع تضم فئات مختلفـــة من الصنّاع، منهم : صناع الزرد خاناه والزرد كاشية ، وهم المختصون بصناعة الزرد ، وتشتمـل على السيوف، والقسي العربية ، والنشاب، والرماح ، والدروع، والقرقلات المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر . (٢)

ويشرف على الصـنّاع العاملين فيها عدد من الأمراء ، قد يزيدون على العشـــرة يرأسهم الزردكاش الكبير، كما كانت تخزن في السلاح خاناه الأسلحة التي كانت تصنـع في اماكن اخرى . (٣)

كذلك من تلك المصانع " الركاب خاناه" بيت الركاب، وتختص بعُدَدِ الخيل مـــن السروج واللُّجم والأجلال ، وكل ما يتعلق بمعدات ركوب الخيل . (٤) " والطبلخانـاه" اى بيت الطبل ، وهي تختص بالآلات الموسيقية ، التي تدقُ في المواكب، او لتحميس الجند اثناء السير في القتال ، كما تحتوى ايضا على الأعلام ، ويشرف عليها امير علم من امـــراء العشرات. (٥)

ويمكن القول بأن الاسلحة التي استعملها الأيوبيون والمماليك والصليبيون كانـت ثلاثة اصناف على ضوء التسميات الحديثة وهي :

١ ـ الأسلحة الخفيفة :ـ

وهي التي يمكن ان يستعملها جند المشاة "الراجلون" "Foot Soldiers" والفرسان الذى يركبون الخيل ، وتشتمل على الخوذات او كما سماها العرب " البيض " لأنها على شكل البيْض، " والمغفـر" وهي خوذة مسدودة على قفا اللابس وأذنيــــه لوقاية العنق . (٦)

---

(١) ماجد ١٩٦٧ : ٢٧.
(٢) القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ١١ ؛ الدباغ ج ١ ١٩٨١ : ٢٠٥.
(٣) ماجد ١٩٦٧ : ٢٣.
(٤) القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ١٢ ؛ ماجد ١٩٦٧ : ٢٨.
(٥) القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ١٣ ؛ ماجد ١٩٦٧ : ٣١.
(٦) ماجد ١٩٦٧ : ٢٣.

ومنها ايضا : التروس Shields والدروع Mantlet ، والاسلحة التي تحمل على الجنب وهي : الخنجر والطبر Axe ، والسيوف بانواعها : الطويل والقصير والدقيق والعريض، والدبابيس Maces وكانت رأسها مرصعة بالمسامير والفأس Battle والرمح والمقلاع، وكذلك القوس والنشاب Cross and Bow[1] ويتألف القوس من عمود ومفتاح ، وسهم يوضع في القضيب، ومنها قوس اليد التي تشد باليد ، وقوس الرجل التي تشد بدفعها من الرجلين ، وقوس اللولب التي تشد بواسطة اللولب، وقوس الركاب التي تشد من ركاب الخيل . [2] وكلها تعمل على مبدأ الروافع وتعرف بـ Arblast أو Espringale.

ومن الاسلحة الخفيفة ايضا السلالم لتسلق الاسوار، والعتلة او النخل لنقبها Lever ، والخطاف Hook لاستعماله في رسو السفن ، والمواد الحارقة كالنار والزيت، والماء والنفط، وكان لهذا النوع من الاسلحة فرق خاصة لاستخدامه عرفت بالنفاطين ، كانت تلقي موادها على العدو في قارورات النفط، التي عرفت بالنفاطات.[3]

٢ — الأسلحة " الثقيلة" : —

وتشتمل هذه الأسلحة على المنجنيقات Mangons ، التي كانت تستعمل لقذف الحجارة او النفط، وقد اورد أسامة ابن منقذ [4] وصفا لها عندما هاجم الروم قلعة شيزر سنة ١١٣٧م(٥٣٢هـ) فذكر انها ترمي الحجارة لمسافة لا تبلغها النشاب وزنة الحجر الواحد من ٢٠—٢٥ رطلا ، وانها كانت قاتلة لمن تصبه .

وقد تطورت صناعة هذا السلاح في القرون الثاني عشر، والثالث عشر والرابع عشر فقد ذكر ابو الفداء[5] انه اثناء حصار المسلمين لمدينة عكا سنة ١٢٩١م(٦٩٠هـ)

---

(١) Earnshaw 1969:95-98.

(٢) ماجد ١٩٦٧ : ٢٥.

(٣) الاصفهاني ١٩٦٥ : ١٠٥، ٣٤٥.

(٤) ابن منقذ ١٩٣٠ : ١١٣—١١٤.

(٥) ابو الفداء ج٧ ١٩٦١ : ٣١.

شارك الملك المظفر صاحب حماه بجيش كان من ضمن اسلحته منجنيق عظيم يسمى "المنصوري" حُمل على مائة عجلة، "كان المُسلَّم منه الى ابو الفداء عجلة واحدة لكونه اذ ذاك امير عشره".

ومن انواع المنجنيق : العرادات، والمنجنيق العقرب Trebuchet وكان يقذف المواد الصلبة لمسافة ربع ميل، وكل قذفة من الممكن ان تقتل ستة او سبعة اشخاص. (١) ويمكن مشاهدة بعض الحجارة التي كانت تُقذف بالمنجنيق داخل قلاع الكرك والشوبك، وهي كروية الشكل، ذات سطح أملس، وقد قُمنا بوزن بعضها فكان يتراوح مابين ٣٠ـ٥٠ كغسم.

وترتب على اختراع البارود، وكانت البداية، في مصر، تطور المنجنيق، وظهور ما سمي "بالمدفع او المكحل او المكحلة". وهو آلة من حديد او نحاس يوضع فيها الحجر او البندق ـ وهو من الحديد ـ فتندفع بفعل النار الموقدة بالبارود. (٢) وعرف المماليك من هذه الاسلحة الصغير والكبير، وكان لها مسبك خلف ميدان القلعة وتُجرى عليها التجارب بالريدانية، ووصلت صناعتها في سنة ١٥١٢م/ (٩١٨هـ) الى نجاح كبير، حيث تم صنع سبعين مكحلة، منها اربع كبار يلغ وزن كل منها ستمائة قنطار شامي، وطولها نحو عشرة اذرع، وتم سحب سبع وخمسون منها الى الريدانية، وأجريت تجربتها بحضور السلطان قانصوه الغوري، فلم يخطىء منها الهدف الا واحدة او اثنتان. (٣)

ومن الاسلحة الثقيلة "الكباش" Rams وهي آلة ذات رأس ضخم وقرنان، يدفعها الجند نحو الاسوار لتهديمها، وهي متصلة بنوع آخر من هذه الأسلحة، مما يلفت النظر هنا تسمية الأصفهاني لها "بالدبابة" فالتسمية اذن ليست حديثة، وكانت تشبه البرج المتحرك، لها اربعة ادوار الاول من الخشب والثلاثة الاخرى من معادن مختلفة تتحرك على عجلات، واستخدمت لاقتحام الابراج والاسوار.

---

(١) Earnshaw 1969:91-92.

(٢) ماجد ١٩٦٧ : ٦٩؛ ١٩٧٨ : ٦٩.

(٣) سليم بدون تاريخ : ٩٦ـ٩٧.

كما استخدمت "الابراج الخشبية" بأحجام مختلفة، ومنها نوع مرتفع له سلـــــم استخدم سطحه العلوى لقذف السهام ويدعى Bear، ومنها انواع سميت بالخنزيـر او الزب Sow او بالقطـة Cat، وتتحرك على عجلات، ويجلس المحاربون بداخلهـا وتوصف بانها "البيوت المتحركة"، وعرفت عند المؤرخين العرب بالسنبوره Sanura (١)

وكان لدى الصليبيين العربات الثقيلة التي تميزت بضخامتها، واضافة الى انـواع الأبراج التي ذكرناها فقد كان لديهم نوع اطلقوا عليه "شجرة العمـــــــــــارد" A Giant Tree (٢)، وتميّز بعلو ارتفاعه، وحمل البعض منها اسماء قـادة الحملات الصليبية، كما حصل في الحملة الاولى وفي حصار بيت المقدس، عندما اطلـــق على البرجين اللذين صنعهما جاستون بيرن اسما: برج جودفرى وبرج ريموند، وثبّـت بهما المقاليع. (٣)

٣ — الاسطـــــــول :—

تقدمت صناعة السفن على يد المسلمين، واختلفت احجامها، فمنها الكبيـــــــر "كالشواني" وكان لها مائة وثلاث واربعين مجذافا، وزودت بابراج للدفاع والهجـــوم، واحتوت على اماكن لخزن الحبوب، وعلى صهاريج لخزن الماء العذب. ومنها الحراريق ويبدو ان مهمتها كانت احراق سفن العدو بما كانت تحمله من النفط. ومنها "البطس" وكانت تتألف من عدة طبقات، وتتسع الى الف وخمسمائة شخص. (٤)

كذلك منها "الأغربة" جمع غُراب، وربما سميت كذلك لأن مقدمتها على شكل رأس الغراب، وقد عرفت للاوروبيين باسمها العربي المحرف Corvette، ومنهـــــا "الشلنديات" Chaland، والحمالات لحمل الذخائر (٥)، والطـــرادات وخصصت لحمل الفرسان مع خيولهم، وكانت تتسع لأربعين فارسا. (٦) ومنها "القراقير" جمع قرقوره والحمالات جمع حمّاله، وخصصت هذه لنقل المؤن والذخائر.

---

(١) Prawer 1972: 349.

(٢) Fedden 1955: 167.

(٣) رنسيمان ١٩٦٧: ٣٩٨.

(٤) المقريزى ج ٢ ١٣٢٤هـ: ٣٦٩.

(٥) ماجد ١٩٦٧: ٧٤.

(٦) الدباغ ج ١ ١٩٨١: ٢٠٦.

واشتملت على القطع الصغيرة "كالطرائد" التي كانت على هيئة البرميل ، استخدمت لمطاردة العدو ، ومنها الفلائك (جمع فلوكه) ، والزوارق والقوارب والقياسات ، وكلها تعمل من غير شراع. (١) وكانت تستعمل دروعا لتغطية هيكلها من الخارج دعيت "ليـوس" وفوقها غطاء دعي "لبود" كانت تصنع من البسط او جلود البقر. (٢) كما كان البحـارة يدهنون اجسامهم "بالبلسان" ضد الحريق. (٣)

أما الاسلحة التي استعملها رجال الأسطول ، فانها لا تخرج عن نطاق الاسلحة الخفيفة التي اشرنا اليها وبعض الاسلحة الثقيلة ، يضاف اليها السلاسل ، والألـواح التي كانت تستعمل كالجسور للعبور عليها الى القطع البحرية المعادية لمقاتلتهـا والاستيلاء عليها .

وبعد هذا الاستعراض الموجز للاسلحة ، يمكننا القول بان الأسلحة الخفيفـة تعتبر اسلحة هجومية اذا استثنينا منها الخوذة والدرع والترس باعتبارها أسلحة دفاعية اما الأسلحة الثقيلة والاسطول ، فانها اسلحة للحصار .

وقد كان لهذه الاسلحة بجميع انواعها انعكاس مباشر على عمارة القلاع ، فتـم تصميمها بحيث تتمكن من التعامل مع مختلف هذه الاسلحة ، فلتقليل من خطر الاسلحة الهجومية ، كانت العناية باختيار موقع القلعة بما يكفل لها الاشراف والسيطرة علـى المنطقة ، وبما يشكل صعوبة في وصول المهاجمين اليها ، وأحيطت بخندق كوسيلة إعاقـة ونقطة تقتيل ، وارتكز على الخندق جسر متحرك ، يُرفَعُ في حالة تعرض القلعة لهجـوم ، كما بني رصيف في بعض الاجزاء المحيطة بها والتي يمكن ان يصل منها المهاجم ، ودعمت بعض الاسوار والابراج بجدران استنادية للحيلولة دون نقبها ، كما بنيت بعض المداميك الأولى من الحجر الناعم ـ المصمم ـ Flat لمنع تسلقها .

كذلك فقد صممت القلاع بحيث يكون لها باب رئيسي يلتقي مع الجسر المتحـرك وابواب اخرى سرّية لاستعمالها من قبل حاميتها . واذا ما استطاع المهاجم تجاوز الجسر

---

(١) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ١٧١ .

(٢) القلقشندي ج١ ١٩١٤ : ٤١٣ .

(٣) نوري ١٩٧٦ : ٤٦٩ .

الى المدخل فانه يواجه بالمشربيات التي بنيت فوق المدخل لصب المواد الحارقة
كما ان تصميم المدخل كان من النوع المنكسر (المائل والمتعرج Bent Entrance)
وتصميم الطلاقات في الاسوار والابراج كان من النوع الطولي ، المستدق في عرضه
ووزعت بحيث تغطي مجال روءيا واسع للمراقبة ، وبنفس الوقت تقلل من فرص نفاذ السهام
اليها ، كما ركز في توزيعها توفير السيطرة على مدخل القلعة ، وزوايا الابراج خاصة
المربعة منها باعتبارها نقاط ضعف اذا ما قُدّر للمهاجم الوصول اليها ، كذلك فقد
وجدت المزاغل في الأجزاء العليا من الأسوار والأبراج لتوفير الأسناد المتبادل مع
الطلاقات .

اما بالنسبة لأسلحة الحصار فقد كان لها انعكاساتها على تصميم القلاع ، ذلك
أن القلعة بمجمل تصميمها تعتبر سلاحا دفاعيا ، فبالاضافة لما ذكرناه من خصائص
روعيت كلها او بعضها في تصميم معظم القلاع لمجابهة الأسلحة الهجومية ، فأنه روعيت
أمور اخرى لمجابهة اسلحة الحصار أيضا منها : سماكة الجدران سواء بالنسبة للاسوار
او الابراج او السقوف ، اذ تراوحت في قلاعنا — موضوع البحث من ٥ر١—٣ م مع اعتماد
الحَجَر كمادة اساسية في البناء بحكم توفره في البلاد ، ونحته على نظام الطبزة المزمول
واستعماله في معظم اجزاء القلعة باعتباره اكثر مقاومة لقذائق المنجنيق من الحجر
المسمسم .

كذلك روعي في تصميم القلاع ان تصمد في وجه الحصار لاطول فترة ممكنة ، وذلك من
خلال حفر الآبار في داخلها لجمع مياه الامطار ، او حفر انفاق تحت الارض تؤدي الى
مصادر الماء كما في قلعة الشوبك ، فالماء عنوان الحياة . ولابد من توفره لاطفاء اي حريق
قد ينجم نتيجة للحصار . هذا بالاضافة الى بناء المخازن والمعاصر والأفران باعتبارها
اجزاء رئيسية متممة للقلعة ، مع تأمين الاتصال بين مختلف المرافق .

وتصميم القلاع على هذا النمط جعلها قادرة على مجابهة الاسلحة التي تزامنت
مع بنائها ، بل انها في حالات كثيرة اثبتت عجز تلك الاسلحة امام حصانتها ، حيث رأينا
جيوش صلاح الدين قد ارتدت عدة مرات عن قلاع الكرك والشوبك ، كما ارتد المغول
عن قلعة عجلون . وحتى في أيامنا هذه ، يمكن القول بان القلاع تلعب ذات الدور

في مواجهة الاسلحة الحديثة، كما حدث في قلعة الشقيف سنة ١٩٨٢ عندما تعرض جنوب لبنان للعدوان الاسرائيلي ، مما جعل العدو الاسرائيلي يستخدم الغازات السامة للتمكن من احتلالها .

واذا كان بمقدور القلاع ان تقف ندا قويا في وجه تلك الأسلحة، فانها لطالما وقفت عاجزة مستسلمة امام سلاح رهيب من نوع آخر هو الحصار" ويعني استخدام كل الوسائل الممكنة للنفاذ الى القلعة، وابرز اشكاله :ـ

١ ـ الحصار المحكم طويل الأمد (Close Siege) اذ يترتب عليه نفاذ المؤن والذخيرة، وبالتالي تصبح القلعة بين امرين اما الموت جوعا لحاميتها او التوقيع على معاهدة استسلام.(١) وهو ما استخدمه المسلمون في تحرير قلاع الكرك والشوبك، مما اضطر حامياتها لأكل دوابهم، كما ان حامية الشوبك أصيبت بالعماء بسبب نقص الأملاح .(٢)

٢ ـ حصار يعقبه هجوم مباشر Direct Assault يُضمَنُ معه السيطرة على قطعان الجيش المهاجمة ، بترتيبها على نظام : ميمنة وميسرة وقلب وساقة وتمكينها من الوصول الى الاسوار، وتسلقها بواسطة السلالم، او اختراقها من خلال الابراج المتحركة.(٣)

٣ ـ حصار يتخلله هجوم متعاقب على نظام (تقدم ـ ارتكاز ـ تقدم) بحيث يتم احتلال رأس جسر والهجوم لاحتلال الهدف، وقد يكون الهجوم على اعرض واجهة لِتضليل العدو عن الاتجاه الحقيقي للهجوم الرئيسي ، وقد يكون على شكل محاور متلاقية بحيث يكون الاختراق من جهتين او اكثر تلتقيان عند الهدف، مع تجنب النقاط الحصينة بين المحاور، حتى يتم الاتصال ، ومن ثم يتم تطهيرها .

واما ان يكون الهجوم على طريقة المحاور المتوازية، وهذه الطريقة ابسط، وتضمن عدم اشتباك القطعات المهاجمة مع بعضها بعضاً، مع تطهير كل نقطة يجرى احتلالها وتثبيت بعض العناصر فيها حتى لا يعاد احتلالها من قبل المدافع. وهنا يفترض وجود قوة احتياطية لوضع حد فاصل للهجوم في اللحظات الحرجة، وبنفس الوقت لادامة زخم

(١) Benvenisti 1970: 284.

(٢) ابن واصل ج ٢ ، ١٩٦٠ : ٥٧٢ ؛ وأنظر ايضا : Fedden and Thomson 1957: 60.

(٣) Prawer 1972: 344-347.

الهجـــــوم .

وجرت العادة عند المسلمين ان يتقدم الهجوم حركة استكشاف من قبل فئـــــة عرفت "باليزك" و هم الطلائع، [١] وكان يركز على تعبئة الجيوش قبل الهجوم، لشحـــذ الروح المعنوية عند الجنـد، باعتبار ان ذلك جزء من التسليح ، فكانت تُعزف الحان الحماسة، واثناء المعركة تقوم فئة "الجاووشية" بواجبها في التهليل والتكبير والتلبية [٢] لرفع الروح القتالية عند الجنـد .

ولا يقل دور العـاملين في حقل التدمير وفتح الثغرات عن دور القادة الذيـــن يرسمون الخطط، ويجندون العملاء لمعرفة المداخل والمخارج للقلعة، ونقاط الضعـــف والقوة فيها، ونشر الرعب داخلها، واستغلال عامل الزمن في الوصول اليها بأقـــل الخسائـر.

ومما تجدر الاشارة اليه ان رهبة الحصار تتأتى بنمط معين من التفكير عنـــد المُحاصَرين، تجعلهم في حالة نفسية صعبة، يعيشون معها حالة تيقُّظ وترقُّب وانتظار وتوقع للمفاجـآت . واذا ما طال أمد الحصار، تبدأ حالة الضجر، والملل والضعـف والأنهيار، خاصة اذا ما صاحبها نقص في المأكل او المشـــــــــــرب، او انتشار مرض من الامراض، او سماع دوي صوت انفجار .

وفي جو مثل هذا تكثر الاشاعات عن ابادة نجدة او بدء هجوم، وفتح ثغـــرة في جدار . وكل هذه الأمور اعداء عنيدة للحامية تعمل في صالح المهاجمـــين وتساهم في قتل الروح المعنوية عند المحاصرين، وتدعوهم للقبول بدعوة التسليـــم . وهذا ما يعطينا تفسيرا واضحا للاسباب التي دعت قلعة انطاكية المنيعة للاستســلام للمسلمين سنة ١٢٦٨م (٦٦٧هـ) بعد خمسة ايام من حصارها . [٣]

---

(١) سعداوي ١٩٥٩ : ٤٤-٤٥ .

(٢) الاصفهاني ١٩٦٥ : ٢٣٥ .

(٣) Fedden and Thomson 1957: 59.

قلعـــة عجلـــون

تمهيـد :ـ

تشكل جبال عوف[1] حول مدينة عجلون سوارا تُزيّنه اشجار الزيتون والبلـوط والصنوبر والعنب، وتبعد المدينة عن عمّان ٧٣كم في الجهة الشمالية الغربية، وعن جرش ٢٤ كم باتجاه الغرب، في حين المسافة بينها وبين اربد ٣٢كم.

والى الغرب من عجلون وعلى بعد ٤ كم ترتفع "القلعة" فوق قمة الجبل الذي حمل اسم قبيلة بني عوف من جرم قضاعة الذين نزلوه في بداية الدولة الفاطمية، وكانوا أمراء أولي بأس لا يدخلون تحت طاعة، ولم يزالوا كذلك الى ايام الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب (شقيق صلاح الدين وواليه يومئذ على حلب) فأقطع ناحيتهم للأمير عزالدين اسامة ابن منقذ ،احد أكابر امراء السلطان صلاح الدين الأيوبي . [2]

وفي اعقاب الحملة التي شنها صلاح الدين سنة ١١٨٤م(٥٨٠هـ) على قلعة الكرك، واضطراره للأرتداد عنها لمواجهة النجدات الصليبية التي قدمت من بيت المقدس عن طريق ناعور ـ جنوب عمان ـ، وما ان علمت تلك النجدات بمقدمه حتى قامت بتغيير خط سيرها واتجهت نحو الكرك، عندئذ اتجه السلطان صلاح الدين الى فلسطين عن طريق الغور، وتمكن من تحرير بعض الأسرى المسلمين في منطقة نابلس وعاد الى دمشق ،[3] وبداء التخطيط واعداد العدة لتحرير الكرك والشوبك ،وفلسطين وفي مقدمتها بيت المقدس من يد الصليبيين.

والتخطيط لعملية حربية كهذه يستوجب الحفاظ على خطوط المواصلات بين دمشق وساحة العمليات، نظرا لما تُمثّله الطرق من شريان حيوي بالنسبة للجيوش، كذلك لا بد

---

(١) ذكر ابن شداد أن حدود " جبل عوف" كانت تنتهي شمالا ببلد السواد ، وجنوبا بوادي الزرقاء، وشرقا بالحبابية، وغربا بالغور . أنظر (ابن شداد ١٩٦٢ : ٨٧-٨٨) .

(٢) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٢٢٨ ؛ القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ٨٦، ١٠٥ ؛ ابن شداد ١٩٦٢ : ٨٦.

(٣) ابو الفداء ج ٢ ١٩٦٠ : ٩١ ؛ ابن الأثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٥٠٧.

من مراقبة تحركات الصليبيين في الجزء الشمالي من فلسطين بعد ان قاموا ببناء قلعة كوكب الهوى بين بيسان وطبريا، ومنع اى حركة توسع لهم في المنطقة. كما ان الحفاظ على طرق المواصلات، وثروات ارض السواد، يتطلب استتباب الأمن، وطاعة نواب السلطان وقطع دابر حركات العصيان والتمرد، سيما تلك التي كان يتزعمها بنو عوف في عجلون فقد أصبح " عمل عجلون" في عهد الدولة الايوبية " العمل السادس من الصفقة القبلية — لأنها تقع قبلي دمشق — في جند دمشق". (١)

من اجل ذلك كله اصدر السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٤م (٥٨٠هـ) أمره الى عامله في عجلون الأمير عزالدين اسامة بن منقذ، بالشروع في بناء قلعة هناك، وبعين ثاقبة وقع اختيار اسامة على قمة جبل عوف، لما له من خصائص استراتيجية تمهد الطريق لتحقيق ما كان يهدف اليه سيده السلطان. فمنه يمكن مراقبة المنطقة الممتدة على طول وادى الأردن من طبريا حتى البحر الميت، كما انه يشرف على سلسلة جبال فلسطين الممتدة من القدس الى صفد، هذا بالاضافة الى اشرافه على الممرات الثلاثة التي تؤدى مباشرة الى المناطق المرتفعة في الجانب الشرقي من نهر الاردن وهي : وادى كفرنجه في الجنوب، ووادى راجب ووادى اليابس في الشمال.

وعلى قمة هذا الجبل شرع أسامة (٢) ببناء "قلعة عجلون "سنة ١١٨٤م (٥٨٠هـ) وحاول بنو عوف منعه، فأقنعهم انه انما يبنيها لحمايتهم من الفرنجة، عندئذ اعانوه على البناء، " فلما كملت استدعى مشايخهم ومد لهم سماطا، فلما أكلوا امر غلمانه بالقبض عليهم وحبسهم". (٣)

وببنائها دخل بنو عوف تحت طاعة السلطان، وارتفع خصم عنيد لقلعة كوكب الهوى اصبحت معه حركات الصليبيين مرصودة، ولم يعد بمقدورهم مهاجمة ارض السواد. وبدأت القلعة تلعب دورا كبيرا في تحقيق اهداف الدولة الاسلامية، وكأن بناءها على خط مواز مع قلاع الكرك والشوبك، كان ايذانا بقرب سقوط هذه القلاع بيد المسلمين

(١) حول التقسيمات الادارية للدولة الأيوبية أنظر : العمرى ١٣١٢هـ : ١٧٨ ؛ القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ٨٩—١٥٧.

(٢) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٢٤٤—٢٤٥ ؛ القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ١٠٥ ؛ العمرى ١٣١٢هـ : ١٧٨.

(٣) ابن شداد ١٩٦٢ : ٨٧.

فبعد سنوات ثلاثة فقط من اقامتها تحقق النصر للسلطان صلاح الدين الايوبي علـــى جيوش الصليبين في معركة حطين ١١٨٧م (٥٨٣هـ) ، ثم توالت الانتصارات على ارض فلسطين واستسلمت قلاع الكرك والشوبك . وكانت قلعة عجلون خلال تلك الفتوحـــات قاعدة للتخزين ، والامداد والتجهيز ، ومحطة للانذار المبكر ، ومركزا للاتصالات ، وحلقـــة وصل ما بين دمشق وفلسطين ومصر ، وعنوان أمن لوال تابع الى دمشق .

وبقيت عجلون اقطاعا للأمير عزالدين أسامه حتى سنة ١٢١١م (٦٠٨هـ) حيث انتزتها منه الملك المعظم عيسى ١١٩٦-١٢٢٧م (٥٩٢-٦٢٤هـ) وأقطعها للأمير عزالدين ايبك المعظمي ، فقام سنة ١٢١٤م (٦١١هـ) باضافة البرج السادس الى القلعة في الجهة الجنوبية الشرقية منها ، وثبّت ذلك في نقش ما يزال موجودا فوق النافـــذة الجنوبية من الجدار الشرقي لهذا البرج .

وبعد الملك المعظم عيسى دخلت قلعة عجلون ضمن الصراع الذى كان قائمـــا بين الملك الناصر داوود ١٢٢٧-١٢٤٩م/ ٦٢٤-٦٤٧هـ صاحب الكرك ، وبين الملـــك الأشرف صاحب دمشق ، وبقيت تابعة الى مملكة دمشق حتى وفاة الملك الأشـــرف ١٢٣٧م (٦٣٥هـ) حيث استعادها الناصر داوود . وفي سنة ١٢٤٥م (٦٤٣هـ) اصبحت القلعة تحت سيطرة الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر ، وبعد وفاته سنـــة ١٢٥٠م (٦٤٨هـ) استولى عليها الملك صلاح الدين يوسف محمد بن الظاهر بن ايوب صاحب حلب ودمشق ،(١) فقام بتجديد البرج الثاني فيها والواقع في الزاوية الشماليـــة الشرقية منها وثبّت ذلك في نقش مثبت في الواجهة الجنوبية من هذا البرج - سنأتـــي على نصه - وفي عهده تعرضت القلعة لغزو المغول ، وعجزوا عن اقتحامها الى ان تمكنوا من أسر الملك صلاح الدين يوسف بن محمد قرب بركة زيزيا - جنوب عمان ، فأخذوه الى عجلون ، وارغموه على ان يطلب من حاميتها التسليم ، فاستسلمت ، وقام المغول بإعمـــال يد الخراب فيها .(٢)

---

(١) ابو شامه ١٩٤٧ : ١٨٦ ؛ اليونيني ج ٤ ١٩٦١ : ٢٦٢ .
(٢) ابو الفداء ج ٣ ١٢٨٦هـ : ٢١٣ ؛ المقريزي ج ١ ١٩٣٤ : ٤٢٦ ؛ ابن كثيـــر ج ١٣ ١٣٥٨هـ : ٢٢٠ ؛ غوانمه ١٩٨٠ : ٣٠٨ .

وفي العهد المملوكي تم الحاق الهزيمة بالمغول في معركة عين جالوت، فدخلت قلعة عجلون ضمن منطقة نفوذهم، فكان الظاهر بيبرس أول من اهتم بها، فأعاد بناءها وجدد عمرانها، ونظف خندقها، وجعل منها مستودعا للغلال،[١] وعين الأمير عزالدين ايبك واليا عليها، فقام بتجديد بعض اجزائها، وسجل ذلك في نقش عثر عليه اثناء عمليات ترميمها وتنظيفها من دائرة الآثار، وهو موضوع في الجزء الجنوبي من سطح القلعة، وسنأتي على نصه في الصفحات اللاحقة، ولم تفقد القلعة اهميتها طيلة العهد المملوكي، بل بقيت محطة رئيسية في خطوط المواصلات، ومستودعا للمؤن، وشكلت مع القلاع الشامية الأخرى خطا دفاعيا متقدما بالنسبة لفلسطين ومصر، في مواجهة الخطر المغولي .

اما في العهد العثماني فقد ادخلت عليها بعض التحسينات، وبلغ عدد حاميتها سنة ١٥٦٣م (٩٧١هـ) خمسين جنديا، وقد استخدمها الأمير فخر الدين المعني الثاني سنة ١٦٢٣م (١٠٣٣هـ) اثناء نزاعه مع أحمد بن طرباي، فوضع فيها حامية وزودها بالمؤمن والعتاد .[٢] وعندما زارها الرحالة بركهارت سنة ١٨١٢م وجد انها ما تزال مأهولة ويقيم فيها حوالي اربعين شخصا من عائلة بركات . ولكن الزلازل التي تعرضت لها بلاد الشام ادت الى انهيار بعض اجزائها خاصة زلزال سنة ١٨٣٧م .[٣]

وفي سنة ١٩٣١م قامت السيدة جونز[٤] C.N. Jones بدراسة تاريخية أثرية لقلعة عجلون، غير انها كانت متأثرة بقول أورده ابن

---

(١) المقريزي ج ١ ١٩٣٤ : ٤٤٦، ٥٣٤ .

(٢) الحمود ١٩٨١ : ٥٣، ٧٤ .

(٣) هاردنج ١٩٨٢ : ٦٥ .

(٤) Jones 1931: 29-30.

شداد (١) يتعلق بالمكان الذى بنيت عليه القلعة، من حيث وجود دير قديم أقيمت

(١) لقد أجمعت المصادر على ان قلعة عجلون محدثة البناء، بناها عزالدين اسامه وأضاف ابن شداد (١٩٦٢ : ٨٧) على ذلك" قيل بأنه كان مكانها دير قديم يسكنه نصراني اسمه عجلون، فَهُدم وبُنيت القلعة مكانه، فسمين بأسم الراهب"، كما أورد هذه الرواية القلقشندى (ج ٤ ١٩١٤ : ١٠٥-١٠٦) نقلا عن " مسالك الأبصار"، في حين ورد في الموسوعة الاسرائيلية (الجزء الخامس ص ٥٥) عن عجلون بأنها مدينة قديمة زارها الرحالة الأندلسي بنيامين التطيلي بين ١١٦٥-١١٧٣م (٥٦١-٥٦٩هـ) وسمّاها جلعاد القديمة".

ويتقد يرنا انه لوكان في موقع القلعة دير يعرف باسم راهبه" عجلون" وعرف المكان باسمه لرأينا ان الجبل يحمل نفس الأسم عندما سكنه بنو عوف، بل على العكس فكما اسلفنا، فأن الجبل أصبح يعرف باسم القبيلة التي سكنته، والتي اضفت اسمها على الجبال المحيطة بالمدينة. وزيارة الرحالة بنيامين للمدينة كانت قبل بناء القلعة، وبالتالي فان الاسم "عجلون" هو ما عُرفت به المدينة، واليها اصبحت تنسب القلعة بعد بنائها، فهي تسمية أُطلق فيها اسم الكل على الجزء. وأما المدينة ذاتها فلعلها اسميت على اسم ملك موآب "عجلون" الذى ورد ذكره في سفر القضاه (٣ : ١٢-١٤) على انه تمكن مع بني عمون وعماليق من ضرب اسرائيل، واتخاذهم عبيدا له لمدة ثمانية عشر سنة.

وأما تسميتها " بقلعة الربض" فبتقديرنا انها جاءت من خلال ربوض القلعة فوق جبل عوف، وموقعها على مقربة من مدينة عجلون، فالربض من الفعل ربض يربض ربوضا، يقال للأسد اذا ربض على فريسته، وقد ورد في معجم (لسان العرب لأبن منظور ج ٧ ١٩٦٨ : ١٤٩-١٥٢) بأن الرّبض، بفتح الباء هو ما حول المدن، وتحت القلاع. وذكر البغدادى في معجم " مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع الجزء الاول ١٨٦٤ : ٥٩-٤٦٠" بأن الربض، بضم الراء وتسكين الباء، اساس المدينة، والربض حولها من الخارج، وقلّ ان تخلو مدينة من ربض، ومنها ما صار علما باضافته الى المدينة، مثل ربض رشيد ببغداد، وربض مرو.

وبناء على ذلك يمكننا تسمية موقع القلعة " بربض عجلون"، وتسمية القلعة " بقلعة الربض" من خلال ربوضها على الجبل، وحول المدينة، ونستبعد ما يذهب اليه بعض العامة من نسبة اسم القلعة الى " عشيرة الربضية" القاطنين في مدينة عجلون، فالاصح ان ينسب الانسان الى المكان او البلد الذى يعيش فيه، فيقال للرجل من عجلون (عجلوني) ومن الكرك (كركي)، ومن الشوبك (شوبكي) وهكذا اما اذا كان المكان لا يحمل اسما، عندئذ قد يُعرف باسم ساكنيه، وهو ما رأيناه في اضفاء اسم قبيلة بني عوف على الجبل الذى أقيمت عليه القلعة، وعلى الجبال الاخرى المتصلة به، وبعد قيام القلعة اصبح الموقع جزءا من ربض المدينة "عجلون". ومن هنا يمكننا القول بان عشيرة الربضية أخذت اسمها نسبة الى القلعة التى اقاموا حولها.

القلعة على انقاضه ، فحاولت جاهدة العثور على أي دليل أثري يؤيد صحة تلك الرواية ، فأشارت الى عثورها على وعاء مجوف حسن الشكل مصنوع من الكلس ، وعلى بعض الحلي المعمارية الكلسية في الغرف العليا من البرج الجديد (برج رقم ١٣ من مخططها ، وهو في مخططنا برج رقم ٦) ومعظمها مستقيم الشكل ، قصير الحجم ، كما كانت في البناء قطعة من نقش معماري بارز منحوته بقوة ، ونافذة محفور عليها صليب بشكل غير متقن ، بالاضافة الى حجر او حجرين منحوتين بنعومة كبيرة ، وذكرت جونز ان هذه المكتشفات من المخلفات الرومانية ، وانها أُخذت من بعض الخرائب القديمة او من الموقع نفسه ، او من مدينة بيزنطية في الوادي الذي تقوم عليه مدينة عجلون الحديثة .

ولما كانت هذه الشواهد غير مقنعة ، فأن جونز[1] عادت الى القول بان " التقليد البنائي العام للبلاد يبدو جليا من خلال المبنى بأكمله " . ذلك ان العثور على وعاء كلسي مجوف وبعض الحلي الكلسية لا يعطي دليلا بأنه كان في موقع القلعة (دير قديم ، أو انها أخذت من موقع آخر ، طالما ان العثور عليها كان في البرج السادس والذي تمت اضافته الى القلعة في عهد عز الدين ايبك بن عبد الله في ضوء النقش الذي خلّد هذا العمل والمثبت في الواجهة الشرقية لهذا البرج ويعود لسنة ١٢١٣م (٦١١هـ) ، وسنأتي على ذكر نصه في الصفحات اللاحقة . اما اشارة جونز الى " نافذة حفر عليها صليب بشكل غير متقن " فاننا نضيف الى ذلك وجود العديد من حجارة القلعة ، خاصة في الممر المؤدي من مدخلها الى سطحها ، وعليها تثليمات متقاطعة نتيجة لعملية نحتها بهذه الطريقة ، ونتيجة لتقاطع التثليمات يُخيّل الى البعض انه قُصد من نحتها عمل شكل صليب .

وعندما لم تجد جونز ما يثبت بناء القلعة فوق انقاض دير قديم ، او وجود مخلفات رومانية واضحة المعالم ، فأنها حاولت تلمس وجود أي أثر صليبي في القلعة من خلال البحث بين حجارتها عن خطين متقاطعين ، ربما نحتا على حجر بشكل صليب ، أو بشكل مميز ، فأشارت الى وجود حجرين في الزاوية الجنوبية من (القاعة رقم

---

(١) Jones 1931: 29.

١٢ في مخططها ، وهي القاعة ط في مخططنا) تميزا بنحت زخرفي مائل .

وبالرغم من محاولاتها المتكررة في العثور على انماط صليبية في هذه القلعة مستفيدة حتى من اسم قرية كفرنجه ،على انها " كفر الفرنج "(١) ،الا اننا نراها تجيب نفسها عندما تقول « انه اذا ما كان من كفر الفرنج أسرى أُرغموا على العمل في البناء فانهم لم يساهموا بشيء مميز كبناء العقود بالحجارة المنحوتة ،كما كان شائعا في القرن الثاني عشر ، وأما بعض المظاهر الافرنجية المتواجدة في القلعة (التي اشرنا اليها هنا) او تلك التي اكتشفها الرحالة الحديثون ، فقد كانت نتيجة التقاليد المحلية ،ونتيجة الخبرة العامة المكتسبة في الحروب لا المتأتية عن نفوذ مباشر» .

انه بحدود معرفتنا لم نجد ما يشير الى ان نحت حجرين بطريقة زخرفية مائلة هو معلم عمائرى صليبي او اسلامي او غير ذلك . كما يبدو لنا ان جونز لم تكن ملمة بمعرفة اسماء القرى الأردنية والفلسطينية التي تبدأ العشرات منها بكلمة " كفر" مثل كفر خل الى الشرق من عجلون ، وكفر ابيل وكفر عوان من قرى اربد ، وكفر راعي وكفر قدوم من قرى نابلس ، و هي أسماء آرامية ، وكلمة كفر تعني بالآرامية " قرية "(٢) . واما وجود خبرات مكتسبة من الحروب او غيرها تؤثر في التقاليد المحلية ، وتتأثر بها ، فهذا سبيل تطور الحضارة بمختلف اشكالها .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا الى ان عمليات تنظيف وترميم القلعة مستمرة منذ عام ١٩٢٧ والى اليوم ، وانه قد تم اكتشاف العديد من القطع الفخارية داخل آبارها وبعض قطع النقود والحلي ، وكلها كانت اسلامية (ايوبية مملوكية) وهي محفوظة في متاحف دائرة الآثار العامة ، ولم يُعثر على اى دليل اثرى يُشير الى وجود دير في مكان القلعة ، مما يؤكد صحة قول ابو الفداء والقلقشندى والعمرى ، في ان القلعة "محدثة البناء" بناها عز الدين اسامة ، وهو ما اشار اليه ايضا ابن شداد ، وانها قلعة اسلامية بالكامل .

في ضوء ما تقدم لا ندرى على ماذا استند "آبيل" ـ الذى أشار اليه الأب مخلوف (٣) ـ في اعتقاده بأن القلعة قد أقيمت فوق انقاض قلعة رومانية ، وان عزالدين

(١) *Ibid.*, p. 29.

(٢) حتى ١٩٥٩ : ٢٩٨ .

(٣) مخلوف ١٩٧٨ : ٣٥ ؛ ١٩٨٣ : ٥٤ .

اما ه استغل موقعها الاستراتيجي فعمرها ورممها"! ولعله تأثر بمقولة ابن شـــداد التي اشرنا اليها ،والتي بدأها بعبارة " قيل بأنه كان في مكانها دير قديم. . . . " والتي لم يعثر على دليل اثرى يسندها .

وتشير جونز (١) الى اكتشافها " لبينّات أثرية دلتها على وجود ضاحية واسعــة نمت حول اسفل التل الذى بنيت عليه القلعة ـ غير مدينة عجلون ـ وانها كانت كبيرة بما فيه الكفاية لتمنح القلعة اسمها الأخير " قلعة الربض" وان بيناتها الأثرية اثبتت بأن هذه الضاحية كانت مأهولة بالسكان منذ القرن الثالث عشر، وحتى نهاية القرن الخامس عشر". ومع انها لم توضح نوعية البنيات الأثرية التي اكتشفتها ،الا اننـــا شاهدنا عند السفحين الشرقي والغربي من القلعة بقايا قطع فخارية اسلامية مـــن العهدين الايوبي والمملوكي ،كذلك يمكن مشاهدة بعض بقايا جدران لأبنية مهدمــــة كانت مبنية من الحجارة والطين ،وطراز البناء هنا أقل اتقانا منه في القلعة،ســـواء من حيث نحت الحجر او حجمه ،فهي هنا صغيرة وهشّة ،ولا ندرى فلعلها تكون مـــن بقايا منازل بني عوف، وبالتالي فانها تعود الى ماقبل القرن الثالث عشر، وربمـــا كانت ايوبية مملوكية أيضا ،ويبقى اجراء حفرية في الموقع هو الفيصل بالنسبة لتحديـد تاريخ هذه الآثار.

القلعـــــــة :ـ

تتمتع القلعة كما ذكرنا بموقع استراتيجي يصعب تسلقه من الجهة الجنوبيـــــة اما من الجهات الثلاثة الاخرى حيث يسهل الوصول اليه نظرا لقلة الميل في الانحدارات حوله ،فقد تم نحت هندق أحاط بالقلعة مما اضفى على الموقع مزيدا من القوة والمنعة . ونتيجة لدقة الاختيار وسلامة التخطيط في البناء ،فقد فشل اى غاز من دخول القلعـــة عنوة . كما ان كل من كتب عنها أو مرّبها اشاد بمدى حصانتها ،فقد وصفهـــــــا الدمشقي (٢) بانها " حصن حسن حصين وهو مشرف،يُرى من مسيرة اربعة ايام"ووصفها

---

(١) Jones 1931: 30

(٢) الدمشقي ١٨٦٦ : ٢٠٠ .

ابو الفداء (١) بقوله " وحصن عجلون حصن منيع مشهور يظهر من بيسان "، اما ابن بطوطة (٢) فقد قال عنها بانها " قلعة خطيرة ". وقال فيها القلقشندي (٣) " هي حصن جليل على صغره، وله حصانة ومنعة منيعة ". ولعل في القاء الضوء على معالمها بيان لما اتصفت به وما اشتملت عليه، وسنعتمد في ذلك على المخطط الذى رسمته جونز سنة ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ)، نظرا لدقة هذا المخطط، وسنشير الى الترميمات التي ادخلت على القلعة منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم من خلال سياق الحديث.

الخندق :-

تم نحت الخندق حول القلعة من الجهات الأربع على شكل مستطيل تقريبا متوسط طول ضلعيه ١٠٠ شرق غرب × ١١٥م شمال جنوب، وجاء نحته من الخارج بزاوية ٩٠°، وعرضه من الشمال ١٣م، ومن الجنوب ١٨,٧م ومن الشرق ١٣م، ومن الغرب ١٦,٥م، ويصل عرضه في الزاوية الشمالية الشرقية بين البرجين حوالي ٢٠,٣م، وأقل عرض له عند مدخل القلعة حيث يصل الى ١٠,٣م. مع مراعاة ان هذا العرض ليس ثابتا على طول اية واجهة منه بسبب الميلان في الجزء الصخرى الداخلي منه.

وارتفاع الجانب الخارجي من الخندق أقل منه في الجانب الداخلي، فمن الخارج يتراوح ما بين ٦-١٠م، في حين الارتفاع من الداخل بين اول مدماك في القلعة ونهاية الخندق من الاسفل تتراوح ما بين ١٢-١٥م، مع الأخذ بعين الاعتبار وجود كميات من الردم داخل الخندق. وأعلى نقطة ارتفاع له في الجهة الغربية، ثم يقل الارتفاع تدريجيا كلما اتجهنا نحو الشرق والجنوب، وذلك بحكم وجود انحدار في الهضبة التي تقوم عليها القلعة والذي يمكن ان نتبينه من خلال اتجاه الدرج الصاعد من مدخل القلعة في الجهة الشمالية الشرقية الى سطحها في الجهةالغربية.

واقل النقاط ارتفاعا في الخندق من الجهة الجنوبية حتى ان مهندس البناء استعاض عن الحفر ببناء بعض المداميك Bond من الحجر المسمسم (المنحوت

(١) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٢٤٤-٢٤٥.
(٢) ابن بطوطة ١٩٣٤ : ٥٠.
(٣) القلقشندى ج ٤ ١٩١٤ : ١٠٦.

نحتا ناعما) ، ويمكن مشاهدة عشرة مداميك منها بنيت فوق الصخر على امتداد ١٢م وارتفاعها ستة امتار،كما توجد في الجهة الجنوبية الشرقية ستة مداميك اخرى ارتفاعها ٢،٥ م وعرضها ثلاث امتار والى جانبها درج يؤدي الى الخندق اذ يمكن مشاهدة درجتان منه عرض الواحدة ٦٠ سم وارتفاعها ٢٠ سم، وربما كانت هذه المداميك جزء من مدخل يؤدي الى الخندق باتجاه البئر القائمة في هذه الجهة، او انها كانت جزءاً من برج مراقبة .

ان تخطيط الخندق بحيث يكون الجزء الخارجي منه اقل ارتفاعا من مستوى الجزء الداخلي يوفر السيطرة لحامية القلعة على محيط الخندق من الخارج، كما ان امتلاء الخندق بالماء يجعل منه سداً في وجه من يحاول اختراقه، ومن يتمكن من النفاذ منه فانه يضطر الى تسلق الجزء الداخلي من الخندق ــ وهو اعلى من الجزء الخارجي ــ ليتمكن من الوصول الى اسوار القلعة، وبذلك فان الخندق قلل من فرص الوصول الى القلعة ونقب اسوارها . كما ان امتلاؤه بالماء يساعد حامية القلعة على مواجهة الحصار، ويمكن ان يتسرّب الماء الى الخندق من المنطقة المحيطة به، وكذلك من سطح القلعة، حيث تشاهد قنوات الماء التي حفرت في الجزء الداخلي من الصخر بعرض ٢٠ سم وعمق ١٠ سم، والتي كانت تنزل اليها المياه اما من خلال مزاريب حجرية من سطح القلعة لم تعد قائمة اليوم بسبب الهدم الذى اصاب الأجزاء العليا من القلعة، او من خلال قنوات من الفخّار تشاهد بعض اجزاء منها في جدران القلعة الداخلية بحيث تصرّف المياه من الداخل الى الخارج بهذه الطريقة، وظاهرة احاطة القلعة كلها أو جهة منها بخندق عرفت منذ القدم في فلسطين، حيث كشفت الحفريات عن وجود خندق حول قلعة مجدّو يعود الى سنة ٢٠٠٠ق.م، وقد اشرنا ايضا الى قيام المسلمين بحفر خندق حول المدينة المنورة عندما تعرضوا لغزوة من المشركين، كما استعمله البيزنطيون في تحصين قلاعهم، ثم انتشر استخدامه خلال العهدين الايوبي والمملوكي، حيث وجد حول قلاع حلب وحمص وشيزر والمضيق في سوريا، كذلك استعملوه في قلعة الجبل في القاهرة والتي بناها صلاح الدين، حيث فصلت فيها الناحية الشمالية عن جبل المقطم بخندق عميق، وكذلك وجد الخندق

في قلعة صلاح الدين في سيناء، [1] كما استعمله الصليبيون في المواجهة الشمالية من قلعة الكرك ايضا .

(البئر ق) :-

في الزاوية الجنوبية الشرقية من القلعة وخارج اسوارها ، يوجد هذا البئر ومساحة ساحته ٣ر١٨×١٦م٠ وهي مرتفعة عن الخندق حوالي ثلاثة امتار ، وبها قنوات صغيرة لتصريف الماء الى الخندق في حالة امتلاء البئر ، وعمقه يزيد على خمسة امتار مليء بالماء العذب ، وأرضيته تلتقي مع الجدار الجنوبي الشرقي لمدخل القلعة ، حيث تم حفر قناة ضمن هذا الجدار تحت النافذة الرابعة على يسار مدخل القلعة من الداخل ، عرضها متر وعمقها ٢٠ سم تؤدي الى أرضية البئر ، واستخدمت لنشل الماء منه وهي صالحة للاستعمال حتى اليوم ، كما انها ربما استعملت ايضًا في تسريب الماء من سطح القلعة الى البئر ، وبالتالي الى الخندق في فصل الشتاء .

وكان حفر الآبار عملية ملازمة لبناء القلاع ، حيث تكاد لا تخلو اية قلعة منها لما لها من اهمية في ديمومة الحياة بالنسبة لحامياتها .

بعد هذه الجولة حول موقع القلعة نُلقي نظرة على بنائها من الخارج بدءاً من يمين المدخل وانتهاء بيساره ، كما جرت عليه العادة في دراستنا لكل القلاع موضوع البحث ، ثم بعدها ندخل القلعة لنتعرف على معالمها الداخلية بنفس الاسلوب .

القلعة من الخارج :- (انظر المخطط) ص : ٤١٦ - ٤١٧ .

البرج رقم (١) : يقع مدخل القلعة في الجهة الشمالية الشرقية ، وعلى يمينه مباشرة ينهض البرج رقم (١) (انظر المخطط والصور ص ٣٦٥) ، الذى يبلغ عرض جداره الشمالي الشرقي ١٣م ، وقد بقي منه ٣٢ مدماكا ، ارتكزت مع كل المداميك الاخرى التي بنيت منها القلعة على سطح الصخر ، وتمتكيفها معه ومن هنا جاء التفاوت في المستويات الأرضية للقلعة ، وفي هذه الجهة من هذا البرج نجد ان المدماك الاول احتوى على حجر واحد فقط في حين ارتفع الصخر على جانبي الحجر

---

(١) زكي ١٩٦٠ : ٨١،٥ .

كاستمرارية للمدماك ، وارتفاع الصخر عن ارضية الخندق في هذه الجهة حوالي ١٣م
اما المدماك رقم ٣٢ من الأعلى فقد بقي منه ست حجارة فقط ، وحجارة هذا البرج من
نوع الطبزة المزمول Quarry Face او Rusticate لـه
اطار منحوت نحتا ناعما بعرض ٥ سم ، ومتوسط حجم الحجر الواحد ١٠٠ سم طولا ×
٧٠ سم ارتفاعا .

ويمكن الاستدلال من خلال الطلاقات والنوافذ الموجودة في هذه الواجهة
بأن البرج يتألف من ثلاثة طوابق ، حيث توجد طلاقة في مستوى الطابق الاول بعد
المدماك الرابع وهي من النوع المستطيل طولها ١٥٠ سم وعرضها ١٥ سم يعلوها
قوس مستدق صغير ، وهي في منتصف الواجهة يعلوها نافذة بعد المدماك الخامس
عشر مساحتها ١٣٠سم × ١٣٠سم ، اما النافذة الثالثة فإنها بعد المدماك ٢٨ وهي
مدمره ، وتم وضع دربزين من الحديد في واجهتها كاجراء أمني للحيلولة دون سقوط
احد منها .

ومما يلفت النظر هنا وفي اجزاء اخرى من القلعة كالبرج رقم (٢٨ والبرج رقم
١٣) ان حجارة المداميك السفلى جاءت اكبر حجما واكثر ارتفاعا ، ففي الوقت الذي
كان فيه متوسط حجم الحجر هنا في المداميك السفلى ١٠٠ سم × ٧٠ سم فانه في
المداميك العليا يصبح ٦٥ سم × ٤٥ سم تقريبا .

السور ما بين البرجين الأول والثاني : —

يشكل هذا السور الجدار الشرقي للقاعة رقم (و) الواقعة خلفه (انظر
المخطط والصورة رقم ص ٦٦-٦٧) لم يُبنى هذا السور على موازاة جداري البرجين
(١ و ٢) بل جاء مدفوعا الى الداخل بواقع نصف متر ، ويتألف هذا السور
من أربعة عشر مدماكا ، ومنها خمسة مداميك من أصل بناء السور ، يعلوها تسع مداميك
مرممة ، بني فيها طلاقتان على الجانبين ونافذة في الوسط ، وحجارة هذه المداميك
من نوع الطبزة المزمول ، واختلاف الحجارة المرممة عن الاصلية يبدو واضحا من خلال
اختلاف اللون ، فالحجارة الجديدة كلسية بيضاء في حين القديمة كلسية مائلة اللون
الاسود ، ومع ان الحجارة المرممة هي اصلا من حجارة القلعة الا ان اعادة نحتها

جعلها اكثر بياضا من تلك القديمة التي تغير لونها من تقادم السنين ، وحجارة هـذا السور اصغر حجما من حجارة البرجين (١و٢) فمتوسط حجم الحجر ٤٥سم × ٤٠سم .

(البرج رقم "٢") :ـ (انظر المخطط والصور رقم١،٢،ص٣٧)

يدعم هذا البرج عند الزاوية الجنوبية الشرقية جدار استنادي عرضه ٥ر٣م وارتفاعه ١٨ مدماكا ، حجارته من نوع الطبزة النافرة التي شكلت بتعاقب المداميك في هذه الزاوية ما يشبه الدرج ، والواجهة الجنوبية فيه ليست متصلة مع بعضها في النصف الأعلى ، حيث يوجد فراغ يشبه المثلث رأسه الى الاسفل وقاعدته الى الاعلى وتبدو منه النوافذ الداخلية في الواجهة الشمالية ، كما تبدو آثار التشققات في الواجهات نتيجة للزلازل ، وفي هذه الواجهة فوق جدار السور الواصل بينها وبين البرج رقم(١) يوجد حجر طوله ١٢٨سم وارتفاعه ٣٨ سم وعليه نقش من سطرين (انظر الصورة رقم ١ ص٣٧٣) ونصه :ـ

١) جدد في أيام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف .
٢) ابن الملك العزيز بحمد الله خلّد الله ملكه بنظر العبد الفقير محمد بن يزيد صاحب عينتاب .

وهي قراءة تتفق مع ما ورد عن قراءة هذا النقش في سجلات دائرة الآثار الاردنية ـ مجلد عجلون ـ (١) ولا تتفق مع قراءة كومب ورفاقه (٢) ، ولا مع قراءة جونز (٣) فقد أورد كومب ورفاقه اسم "محمد بن ابي بكر" بدلا من "محمد بن يزيد" كما ان نفس الأسم "محمد بن ابي بكر" ورد في قراءة غوانمه (٤) أيضا ، في حين ورد الاسم عند جونز باللغة الانجليزية على انه "محمد زيد" . وفي كتاب "المعالم الاثرية في البلاد العربية" (٥) الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، سقط من تلك القراءة اسم "يوسف" . وبدلا من كلمة "بحمد الله" وردت عبارة "الملك العزيز (محمد خلّد)الله" .

---

(١) سجلات دائرة الآثار الأردنية ـ مجلد عجلون ـ
(٢) Combe et. al., 1943: 46
(٣) Jones 1931: 32.
(٤) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٢٤ .
(٥) المعالم الاثرية في البلاد العربية ١٩٧٢ : ٧٩ـ٨٠ .

ومن خلال هذا النقش يتضح أن التجديد في بناء البرج قد تم في عهد "صلاح الدين يوسف بن محمد بن الظاهر بن ايوب" الذى تسلم الملك في حلب ودمشق وأتبعت اليه عجلون والسلط في الفترة مابين ١٢٥٠-١٢٦٠م، (٦٤٨-٦٥٩هـ) وذلك بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين ايوب. (١)

اما الواجهة الشرقية لهذا البرج فتشتمل على واحد وأربعين مدماكا، والمدماك الأخير بقي منه حجر واحد فقط، وحجارة هذه الواجهة من نوع الطبزة المزمسول بعضها خفيفة وبعضها الآخر نافر للخارج، وهنا يظهر بوضوح فرق الحجم بين المداميك السفلى والعليا، ففي الوقت الذى نجد فيه حجارة في المداميك السفلى يصل طولها الى مابين ٥ر١م-٢م وارتفاع ٨٠سم، فانها في المداميك العليا تصبح نصف متر وارتفاع ٤٠ سم. وهذا ما يدل على مدى اتقان مهندس البناء في تخفيف الضغط الذى يقع على المداميك السفلى كلما ارتفع البناء، ولا يوجد في هذه الواجهة غير طلاقة واحدة في منتصفها بعد المدماك الخامس طولها ١٣٠ سم وعرضها ١٠ سم تسيطر على واجهة الخندق والقلعة من الجهة الشمالية الشرقية.

والواجهة الشمالية لا تختلف من حيث نوعية الحجر عن الواجهتين الشرقية والجنوبية، حيث بنيت المداميك فوق بعضها بواسطة الملاط والكلس، وفي هذه الواجهة يوجد أربع وأربعين مدماكا، كما يوجد بها نافذة بعد المدماك الرابع عشر واخرى بعد المدماك الثاني والعشرين، وطلاقة بعد المدماك الثالث والثلاثين، ويصعب الوصول اليها نتيجة للردم الذى اصاب البرج من الداخل.

السوريين الشمالي والغربي :-

بعد البرج الثاني باتجاه الغرب يواجهنا جدار طوله ٦م تقريبا، يرتفع فيه ثلاثة عشر مدماكا مرمما من النوع الطبزة، يتخللها بعض الحجارة المنحوته نحتا ناعما متوسط حجم الحجر ٤٠×٣٠ سم، ويوجد في هذا الجدار طلاقتان، طول الواحدة ١٢٠ سم وعرضها ١٠ سم، مغلقة خلف السور بسبب تراكم الردم.

---

(١) ابو شامه ١٩٤٧ : ١٨٦.

بعد مسافة ال ١٦ م يرتفع الصخر في الجزء الداخلي من الخندق ليصبح بموازاة ارتفاع المداميك الثلاثة عشر السابقة، وقد بني فوقه الجزء الآخر من السور وهي تشكل الجدار الشمالي للبرج رقم (٣)، وحجارة هذا الجزء نوعين :- في الجزء الشرقي منه يوجد بقايا خمسة عشر مدماكا من الحجارة الطبزة متوسط حجم الحجر الواحد ٥٠×٤٠ سم، ويمكن ملاحظة قاعدة عمود دائرية في المدماك الثاني منها وكلما ارتفعت المداميك كلما تناقص عدد الحجارة الطبزة، وزاد عدد الحجارة من النوع الثاني المسمسم التي تمتد على طول الواجهة الشمالية والغربية، وهي ليست من حجم واحد، فبعضها يصل حجمه الى ٣٠×٣٠ سم في حين بعضها الآخر يصل الى نصف هذا الحجم.

وهنا يبدو السور أصما حيث لا تتخلله أية طلاقة او نافذة، الا ما شكله سقوط بعض الحجارة من فراغ، كما ان فن نحت هذه الحجارة وبنائها لا يمكن مقارنته مع حجارة الواجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية من القلعة، مما يدفعنا الى القول بان البناء هنا ربما كان عملا شعبيا جماعيا جاء في اعقاب احد الزلازل التي تعرضت لها المنطقة وتسببت في هدم الأبراج الثالث والرابع والخامس والاسوار الواصلة بينهما.

ونتيجة لاختلاف حجم هذه الحجارة، وعدم التعاقب المنتظم بين الصغيرة والكبيرة منها، كذلك نتيجة لعدم استواء الصخر الذى ارتكزت عليه، فانه من الصعب حصر عدد المداميك على طول الواجهتين الشمالية والغربية، ولكن الوضع يختلف عند الزاوية الجنوبية الغربية (انظر الصورة رقم ١ ص٣٦٩) حيث ان الحجارة هنا من النوع الطبزة المزمول زملا خفيفا، فالاطار المنحوت نحتا ناعما على محيط او اطار الحجر يبلغ ٢ سم، ومن اسفل الزاوية حتى الجزء الاعلى من الجدار يمكننا ان نعد ستا واربعين مدماكا والمداميك الستة عشر السفلى تبدو مائلة الى الداخل وكأنها جدار استنادى، كما انه بعد المدماك الثلاثين من هذه الزاوية تبدأ حجارة المداميك العليا بالتناقص باتجاه الشمال لتصبح على شكل مدرج، وتتميز حجارة المداميك السفلى بأنها اكبر حجما من حجارة المداميك العليا، فمتوسط حجم الحجر في المداميك السفلى ٦٠×٤٥ سم في حين في المداميك العليا يصل الى نصف هذا

الحجم، وهذه ظاهرة موجودة من قبل في قلاع الكرك والشوبك، وبشكل خاص في الاجزاء الاسلامية من هذه القلاع.

يتوزع في هذا الجزء من السور خمس طلاقات، ومن خلال تتابعها يتضح ان المباني التي كانت خلفه مؤلفة من ثلاثة طوابق : في الطابق الأول طلاقة بعد المدماك الحادى عشر، وفي الطابق الثاني طلاقتان بعد المدماك الثاني والعشرون، وطلاقة في الطابق الثالث بعد المدماك التاسع والعشرون، وطلاقة اخرى بعد المدماك الثاني والثلاثون. ومتوسط طول الطلاقة ١٢٠-١٣٠ سم وعرضها ما بين ٨-١٠ سم، ويعلو كل طلاقة قوس مستدق، وهي لا تختلف عن الطلاقات الموجودة في البرجين الاول والثاني كما ان طراز البناء ونحت الحجارة لا يختلف عنه في طراز حجارة البرجين المشار اليهما وبالتالي يمكننا القول ان هذا الجزء من الجدار يعود لفترة البرجين السابقين وانه جزء أصلي في سور القلعة، وليس كما اشارت جونز [1] في "انه اضافة" وانه ربما كان من عهد " فخر الدين باشا" حاكم مدينة عكا في القرن السابع عشر، مستندة الى ان كثرة النوافذ في هذه الزاوية كان لابد له من تدعيم كثيف، وان بناء من هذا النوع لا يمكن مقارنته بالاضافات التي الحقها المماليك بقلعة الكرك ".

وحيث ان البرجين من فترة الملك الناصر ١٢٥٠-١٢٦٠م (٦٤٨-٦٥١هـ) في ضوء النقش المثبت في الواجهة الجنوبية من البرج الثاني - والذى سبقت الاشارة اليه - فان الزاوية الجنوبية الغربية من سور القلعة تعود الى الفترة الايوبية.

<u>السور الجنوبي :</u> - (انظر الصورة رقم ٦٩ ص ٣)

تشكل الزاوية الجنوبية الغربية التي اشرنا اليها اعلى نقطة في هذا الجزء من السور الذى يمتد الى الشرق لمسافة ٣٢م تقريبا، يدعمه في الجزء الغربي - عند الزاوية - جدار استنادى يرتفع ثمانية مداميك من الحجر الطبزة، طول امتدادها ١٢م. يعلوها حجارة من الحجر المسمسم الصغير، وهي من نفس نوعية الحجارة في السور الشمالي الغربي، ونتيجة لعدم انتظام بناء هذه الحجارة، وعدم استواء الصخر الذى بنيت عليه فانه يصعب حصر عدد مداميكها، وان كنا نستطيع عد اثنان وثلاثون مدماكا

---

(1) Jones 1931: 33.

وقد وضعت دائرة الآثار دعزين من الحديد فوق بعض الأجزاء الضعيفة من هذا السور، تلافيا لسقوط احد عنها ،كما لا يوجد في هذا الجزء من السور طلاقات، وما وضعته جونز على المخطط كان من بساب الحدس والتخمين .

ويبدو ان هذا الجزء من السور قد تعرض للانهيار في نفس الفترة التي سقط فيها الجزئين الشمالي والغربي ومن ثم أعيد بناؤه بنفس الطريقة، حيث جاء خاليا من الطلاقات، أو اى شكل من اشكال فن البناء او النحت. واذا كانت الزلازل قد ادت لانهيار هذه الاجزاء من سور القلعة فأن الزاوية الجنوبية الغربية بقيت ثابتة مع ان الزلازل احدثت فيها تشققات وشروخ .

البرج رقم (٦) :- (انظر المخطط) ص ٤١٦

بعد مسافة ٣٢م من امتداد السور الجنوبي باتجاه الشرق، ينهض البرج رقم٦ وطول ظلعه الغربي ١٢ م تقريبا ، يشتمل على اربعين مدماكا من الحجر الطبزه المزمول، وبه طلاقة بعد المدماك الثامن، ثم طلاقة اخرى بعد المدماك السابع عشر مساحة الطلاقة الواحدة ١٣٥ x ٤٠ سم، ويبدو ان توسيع عرض الطلاقة قد تم في فترة لاحقة من خلال عملية النحت الجديدة في الحجر، والتي تمت بطريقة غير فنية، حيث أبقت على تشققات في جوانب الطلاقة .

اما الجدار الجنوبي (انظر الصورة رقم ١ ص٢٧) لهذا البرج فيدعمه جدار استنادى بارتفاع تسعة مداميك من حجارة مسمسمة، كما تم اغلاق بعض العروق الترابية في الصخر الذى ارتكزت عليه مداميك هذا الحجر للحيلولة دون تسرب الماء من الخندق ، ولمنع تسلق الجدران ايضا .

طول هذا الجدار حوالي ٢٥م، يرتفع فيه ٤٠ مدماكا من الحجر الطبزة المزمول ، وتتميز حجارة المداميك السلفى بضخامة حجمها اذ يصل طول بعضها الى ٥ر٢م بارتفاع ٧٠ سم. ثم يبدأ الحجم يقل تدريجيا كلما ارتفعت المداميك . ومن خلال الطلاقات والنوافذ القائمة في هذه الواجهة فانه تبدو فيها ثلاث طوابق : في مستوى الطابق الأول بعد المدماك الثامن يوجد نافذة من الجهة الغربية تحت

على عتبتها من الأعلى شكل قلب مقلوب،ونافذة اخرى من الجهة الشرقية على موازاة الأولى ولكن أضيف اليها حجر من كل جهة لتصبح طلاّقة،يعلو عتبتها نحت على شكل قرص الشمس، أما الطابق الثاني فيوجد به ايضا طلاقتان بعد المدماك السابع عشر ،كانت في الاصل نوافذ من خلال البرواز الظاهر في الحجر من الخارج ،ثم صممت فيها حجارة بحيث تصبح طلاقة في ايام الحرب اوالبرد ،ونافذة في أيام السلم والصيف . وفي مستوى الطابق الثالث توجد نافذة بعد المدماك الثلاثين وقد وضع عليها د ربزين ومساحتها ١٣٠×٢٢٠ سم .

اما الجدار الشرقي لهذا البرج فطوله حوالي ٢٤م تقريبا تشتمل على اثنان واربعون مدماكا ،وحجارة هذه الواجهة لا تختلف عن حجارة الواجهتين الجنوبية والغربية من البرج ،ومن خلال النوافذ والطلاقات القائمة به فهو يتألف من طوابق ثلاثة ،على مستوى الطابق الأول وبعد المدماك الحادى عشر به طلاقه من الشمال ونافذة من الجنوب ـ واذا كان مستوى نوافذ الطابق الاول في الواجهة الجنوبية من هذا البرج قد جاءت بعد المدماك الثامن وهنا جاءت بعد المدماك الحادى عشر فذلك راجع للاختلاف في مستوى المدماك الاول الذى ارتكز على الصخر في كل واجهة ولأن ارتفاع الصخر في الجزء الداخلي من الخندق الذى اقيمت عليه المداميك ليس على مستوى واحد ،في حين جاءت النوافذ والطلاقات في هذا البرج من الداخل على مستوى واحد .

وعلى عتبة هذه النافذة من الأعلى يوجد نقش لايمكن قراءته من الارض الا باستعمال المنظار والوقوف في ساحة البئر (ق) ،وهو من ثلاثة اسطر :ـ

١) بسم الله الرحمن الرحيم انشأ هذا البرج

٢) المبارك ايبك ابن عبدالله استاذ الدار المعظمي

٣) في شهور سنة احد عشر وستمايه

في قراءة غوانمه (١) لهذا النقش لم ترد في السطر الثاني كلمة " ايبك " ووضع كلمة " العامرة " بدلا من كلمة المعظمي الواردة هنا . وفي الخارطة التوضيحية التي

---

(١) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٢٢ .

وضعتها دائرة الآثار العامة على يسار المدخل للقلعة لم تكمل البسملة في قــراءة هذا النقش بل وردت هكذا " باسم الله".

وعلى مستوى الطابق الثاني من هذا البرج وبعد المدماك العشرين توجــد طلاقتان ، والطلاقة الجنوبية تبدو في الاصل كنافذة ، وقد علاها نحت مجوّف علــى شكل الكتب المرصوصة في رفوفها ، وبعد المدماك الحادي والثلاثين توجد نافــذة في مستوى الطابق الثالث، وضع عليها دربزين من الحديد ، وسنأتي على مقاساتهــا عند الحديث عن القلعة من الداخل وجميع طلاقات ونوافذ هذه الواجهة توفــر السيطرة على الواجهة الشرقية وعلى مدخل القلعة .

وحجارة الطابقين الثاني والثالث من هذا البرج جاءت منحوتة بشكل افضــل من حجارة الطابق الأول وان كانت من نفس النوع "الطبزة المزمول" الا ان طبزتهــا جاءت اقل حجما وأخف بروزا للخارج ، كما أنّ طلاّقات الطابقين المشار اليهما جــاءت اكثر إتقانا وزخرفة من طلاّقات الطابق الأول ، فاشتملت في الجزء الاعلى منها علــى أقواس منحوته بشكل جميل ومماثلة لتلك الموجودة في طلاّقات السورين الغربــي والجنوبي من قلعة الكرك ــ وهي كما سنرى تعود الى العهد المملوكي في ضــوء النقوش المثبتة فيها ، ومن خلال هذا التماثل يمكننا القول بأن الطابقين الثانــي والثالث من هذا البرج قد عُملا في العهد المملوكي ــ فترة حكم الظاهر بيبــرس ــ يعززذلك العثور على حجر داخل القلعة في الجزء الداخلي من هذا البــرج ولعله كان مثبتا على احد جدران هذا البرج ثم سقط للداخل ، وعليه نقش يشيــر الى ان العمل تم في ايام السلطان بيبرس(وسنأتي على ذكر نصه عند الحديــث عن القلعة من الداخل) .

الجدار الجنوبي للمدخل :ــ

يلتقي الجدار الشرقي للبرج السادس مع الجدار الجنوبي للمدخل ، ومن خلال هذا الجدار يتضح مدى عمق القطع الذي تم في الصخر من هذه الجهة لحفر الخندق ويبلغ حوالي ١٨م ، ويبدو ان هذا المدخل قد صمم في فترة لاحقة من تاريخ بنــاء القلعة ، حيث تم نحت خمسة ثقوب في الصخر على يسار المدخل من الخارج ، ووصفــت

فيها خمسة ركب حجرية (طنف) Corbels ساهمت مع الصخر في حمل مبنى البوابه الجديد . (انظر الصورة رقم > ص ٣٧) .

وفي هذا الجدار نشاهد من اليمين الى اليسار ثلاثة طلاّقات ثم نافـــــذة حُفر تحتها قناة في الصخر تؤدي الى البئر (ق) في المخطط لنشل الماء مـــن البئر وقد سبقت الاشارة اليها في معرض الحديث عن البئر . ثم يليها طلاّقتان . وجميع هذه الطلاّقات بما فيها النافذة ليست على خط مستقيم في هذا الجدار بل ترتفـــع الواحدة عن الاخرى على التوالي وذلك بحكم انحدار الصخر أصلا من الغـــرب الى الشرق كما سبق وان أسلفنا في المقدمة ، ومتوسط طول الطلاّقة ٣٥ سم ، وعرضها ١٠ سم .

يعلو الطلاّقات بقايا أربع ركب حجرية تحمل ثلاث مشربيّات لصب المحروقـــات على كل من يحاول الاقتراب من جدران المدخل ، كما يوجد فوق سقف المدخـــل جدار به أربع طلاّقات ثم نافذة في الزاوية الغربية ، وهي تسيطر على الزاويـــة الشرقية للمدخل .

القلعـــة من الداخــل : ـ

ان مبنى القلعة مستطيل الشكل مساحته تقريبا ٧٠ شمال جنوب× ٨٠م شرق غرب. ومن خلال استعراضنا لمعالمها من الخارج ،رأينا انه يتوزع بين جدرانهـــا ستة أبراج ،منها ثلاثة اصابها الدمار هي الأبراج الثالث والرابع والخامس،أمـــا الأبراج الأول والثاني فمن خلال التماثل بين طراز بنائها وفي ضوء النقش المثبـت على الجدار الجنوبي للبرج الثاني يتضح انه تم تجديدها في عهد السلطان صــلاح الدين يوسف بن محمـد بن الظاهر أيوب ١٢٥٠–١٢٦٠م (٦٤٨–٦٥٩هـ) . وأما البرج السادس الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة (انظر المخطط) فبناء على النقش المثبت في جداره الشرقي يتضح انه أضيف الى المبنى سنة ١٢١٤م (٦١١هـ) وعلى يد أيبك بن عبد الله ،واضافته الى المبنى الغت الوظيفة الدفاعيــة للبرج السابع الذى اصبح ضمن مباني القلعة الداخلية، وبمثابة غرفة داخليـــة من الغرف التي تحويها القلعة ،كما ترتب على اضافة البرج السادس نقل مدخل القلعة من الغرفة (م) حيث كان يحميها البرجين الثالث والسابع، الى موقعها الحالــي فأصبحت تحت حماية الأبراج : الاول والثاني والسادس، وترتب على نقل المدخل وجود ممر طويل يبدأ من مدخل القلعة وينعطف يمنة ويسرة حتى يصل الى سطحها .

وبحكم توزيع الأبراج على هذا النحو الذى اشرنا اليه ،أصبح مبنى القلعـــة مؤلفا من فنائين مسورين : جنوبي غربي تحميه الأبراج الخامس والسادس والسابـــع وشمال شرقي تحميه الأبراج الاول والثاني والثالث والسادس والسابع. ومن خـــلال الأجزاء المتبقية من المبنى نستطيع القول بأنه يتألف من ثلاثة طوابق ، يضم كل طابـق منها عددا من الغرف والقاعات ،أرضياتها ليست على مستوى واحد نظرا لتكيف البناء مع سطح الصخر المائل الى الانحدار من الغرب باتجاه الجنوب والشرق ، وسنحـــاول التعرف على معالم كل طابــق : ـ

الطابق الأول : ـ (انظر المخطط) ص ٤١٦

المدخل أ :

يقع مدخل القلعة في الواجهة الشمالية الشرقية منها . والمسافة الفاصلة بينـه وبين الخندق من الخارج ٣ر١٠م وهي كما أسلفنا اقصر مسافة بين جزئي الخنـــدق

الداخلي والخارجي . وترتفع في منتصفها قاعدة حجرية مربعة، طول ضلعها متـــر تقريبا وارتفاعها حوالي ٦ م تقريبا ، تتألف من ١٩ مدماكا منها مداميك اصلية والأخرى مرممة . كان يرتكز عليها جسر خشبيّ متحرك يصل ما بين القلعة من الداخل والخندق من الخارج ، يُرفع وُيُنزل حسب الحاجة وكان يثبت من خلال تجويفين نُحتا في الصخــر تحت عتبة المدخـــــل بحوالــي ٣٠ سم. (١)

إن احاطة القلعة بالخندق استوجب وجود جسر لربطها بالمحيط الخارجــي . وكان تصميمه كجسر ٍمتحرك قد ضاعف من قيمة الخندق كخط دفاعي متقدم بالنسبـــة للقلعة ، وفي ذلك دلالة على تقدم استراتيجية القتال والبناء عند المسلمين ، اذ انتشر استعمال الجسر في معظم القلاع الاسلامية ، فقد رأيناه في قلعة دمشق التي كانـــت مقر القيادة للسلطان صلاح الدين ،(٢) وفي قلعة صلاح الدين (صهيون) ٣٣كـــم شرق اللاذقية . (٣) وفي قلعة حلب ارتكز الجسر على ثماني اقواس متفاوته فـــي الارتفاع . (٤) اما في قلعة سيزر على نهر العاصي في سوريا فقد أستُعمل جســـر حجريّ مؤلف من طابقين تحملهما قناطر حجريّة ، وكذلك في قلعة بُصرى في حــوران حيث بُني الجسر على القناطر الحجرية ، (٥) ويوجد أقدم مثل اسلامي منها في السور الشرقي لحصن القاهرة الذي شيّده صلاح الدين عندما كان وزيرا للخليفة العاضــد الفاطمي بين سنتي ١١٦٨—١١٧١م (٥٦٤ —٥٦٧هـ) ،(٦) وعندما دخل الصليبيون الى البلاد استعملوا مثل هذه الجسور في بعض القلاع التي احتلوها مثل حصـــن الأكراد في سوريا ، والكرك في الاردن .

---

(١) قامت دائرة الاثار العامة مؤخرا بوضع جسر خشبي ثابت على هذا المدخل ، وارتكز على القاعدة القائمة في منتصف الخندق ، وبذلك تم الاستغناء عـــن السلّم الحديدي الذى كانت قد وضعته في السابق ، وما تزال بعض قضبانـــه مغروسة في الصخر تحت الجسر الخشبي الحالي .

(٢) اليمني ١٩٥٤ : ٣١ .

(٣) الساطع ١٩٧٥ : ١٠٢ ، وانظر ايضا :— Müller-Wiener 1966:44.

(٤) المرجع السابق : ٥٧ ، ٦١ .

(٥) المرجع السابق : ٢٤ ، ٤١ .

(٦) شافعي ١٩٧٠ : ٢٧٤ .

بعد عبورنا الجسر نكون أمام بوابة المدخل (انظر الصورة رقم ٣ ص٣٦٥) وعرضها ١ر٢م وارتفاعها ٥ر٣ م ، وهي على شكل عقد مدبب يحمله عن اليمين اربعة حجـارة كبيرة ارتكزت على نتوء صخري ارتفاعه ٤٠ سم تقريبا ، وعن اليسار خمسة حجارة ـ بحكم عدم وجود نتوء صخري ـ وفوقها بُني العقد من سبعة حجارة بما فيها حجر الغلـق Keystone . يعلو البوابة بقايا شرفة أو (سقّاطه) Machicoulis محمولة على ركب حجرية (طنـف) Corbels بقي منها اثنتان ، كانت تستعمل لصب المحروقات على رؤوس المهاجمين .

يرى كرزويل (١) بأن أقدم مثل باق لعنصر السّقاطة من العصر العربي الاسلامي يوجد في قصر الحير الشرقي في بادية الشام ، والذى يعود لفترة حكم هشام بـن عبد الملك ٧٢٨م (١١٠هـ) ، مع احتمال كبير بأن ذلك العنصر كان موجودا في قصر الأُخيضر في العراق ، ويضيف بانه قد عثر على امثلة في شمال الشام تعود للقرنين الخامـس والسادس الميلاديين . ويؤكد الشافعي (٢) بأن عنصر السّقاطه لم يُعرف في اوروبـا قبل القرن الرابع عشر الميلادي ، وانه كان نتيجة لتأثرهم بالعمارة العربية الاسلاميـة عن طريق الصليبيين .

تُفضي البوابة الى المدخل (ب) (انظر المخطط) وطوله ٩ر٦١م وعرضه يتراوح مابين ٥ر٣ الى ٤م ، في أرضيته ٢٤ درجة وثلاث بسطات ، وطول الدرجة حسب عرض المدخل ، وارتفاعها يتراوح ما بين ١٥ و٢٥ سم ، وعرضها يتراوح ما بين ٣٠سم-٤٥ سم ، يعلو هذا المدخل قبو لمسافة ١٠م تقريبا من باب المدخل . على يمين المدخـل توجد طلّاقة واحدة ضمن الجدار لم نتمكن من أخذ مقاسها بسبب ارتفاعها عن الارضية . وهذه الطلّاقة ضمن الجدار الجنوبي للبرج الاول ، وتعطي دليلا على ان هذا المدخل ما هو الا اضافة متأخرة على مبنى القلعة و نتيجة لبنائه فقدت الطلّاقة أهميتها ، الا انه تم التعويض عنها بخمس طلّاقات وُزعت في الجدار على يسار المدخل بحيث تكـون كل طلّاقة داخل حُنية ، متوسط مساحة الحُنية الواحدة منها ٥ر١×٥ر١م ، اما الطلّاقات فمتوسط طول الواحدة ١٣٥ × ١٠سم العرض . ويمكن ان تتسع كل حُنية لأثنين من الجند يتناوبان الرماية من الطلّاقة .

---

(١) Creswell 1932: 345-347; 1940: 57-61, 336

(٢) شافعي ١٩٧٠ : ١٩٥ .

وتسيطر هذه الطلاّقات على الساحة التي يوجد فيها البئر في ساحة الخندق كما توفر الحماية للجدار الشرقي في البرج السابع، وتغطي في مجال رميها زاوية الخندق الجنوبية الشرقية .

وتتميز الحُنية الرابعة بعدم وجود طلاّقة فيها ، بل تُركت مفتوحة على شكل نافذة ،عليها اليوم دربزين من الحديد ، وفي ارضيتها من الخارج تم نحت القناة التي تؤدي الى قعر بئر الماء القائم في ساحة الخندق الشرقية . ومن هذه النافذة يمكن اليوم انتشال الماء من البئر الى داخل القلعة .

وينعطف المدخل (ب) عند نهايته نحو اليمين حيث يوجد مدخل آخر يؤدي الى الموزع (حـ) . ويتميز هذا المدخل بوجود عقدين مدببين متعاقبين ، يفصل بينهما فراغ يقدر بنصف متر ،استُخدم لصب المحروقات على المهاجمين ، ولا تزال باب حديدي Portcullis ينزلق طرفاه الجانبيان في مجريين رئيسيين موجودين بين العقدين لغلق المدخل في وجه الأعداء بواسطة بكرة ،او ربما حبال صممت لهذا الغرض، ووجود مثل هذا الباب من شأنه تشكيل عائق آخر في وجه المهاجمين ، وتكليفهم وقت اطول لرفعه واجتيازه ، مما يعطي المجال للشُرفتين القائمتين فوق هذا المدخل لايقاع خسائر كبيرة في صفوف المهاجمين قبل دخولهم الى طوابق القلعة .

عرض قنطرة العقد الخارجية ٥ر٤م ،اما الداخلية فعرضها ١ر٢م . ارتكز الجانب الايمن من عقدها الخارجي على اربعة مداميك حجرية كبيرة ،اما الجانب الأيسر فقد ارتكز على ثلاثة حجارة ، والسبب في ذلك تفاوت أحجام الحجارة في كلا الجانبين ، فالمعماري كان يعتمد على تماثل الارتفاع في كلا الجانبين بغض النظر عن التماثل في عدد المداميك في كل جانب، فالمهم تحقيق الأرتفاع المطلوب للبدء ببناء حجارة العقد فوقها ، ويبلغ مجموع حجارة العقد الخارجي ١٤ حجرا ،أما الداخلي فيتألف من عشرة حجارة يجمعها حجر الغلق .

على الحجر الرابع من الحجارة التي ارتكز عليها العقد الخارجي في الجانب الأيمن ، نحت لطائرين متقابلين في وضع قتالي ، يرجح انهما صقران ، وطريقة نحتهما تدلّ على دقة في فن النحت ومهارة في التعبير ، تتمثل في تقابل المنقارين ، وبروز

المخالب في الأرجل ، والأجنحة النافرة في الهواء ، وكأنه صراع بينهما في لحظة ارتفاعهما عن سطح الارض، يقابلهما على الجانب الأيسر من المقد ، وعلى الحجر الثالث منه ، نحت لطائر واحد من نفس النوع وبنفس الوضع، ويبدو أن امراً ما قد حال دون نحت الطائر الثاني في هذه الواجهة لتحقيق معادلة التناظر في مثل هذه الزخارف.

يمثل مدخل قلعة عجلون على هذا النحو نموذجا متقدما للمدخل المنكسر Bent Entrance . ويشير كرزويل (١) بأن مثل هذا المدخل وجد في مدينة بغداد عند تأسيسها اعتمادا على وصف المؤرخين في حين لم يُعثر على أمثلة حية من العهد الاسلامي قبل العصر الأتابكي والأيوبي في مصر والشام، يمكننا من خلالها القول بتأثر المسلمين فيها عندما قاموا ببناء بغداد ، مع ان اقدم مثل معروف لها يرجع الى العهد الفرعوني في شونة الزيب، ويؤرّخ ما بين ٢٦٢٥-١٧٨٨ق.م ، كما عُثر عليه أيضاً في اوغاريت في شمال سوريا ويعود الى سنة ٢٠٠٠ق.م، ثم بعدها ينقطع ظهور هذا العنصر المعماري حتى العهد الأيوبي أي حوالي ٢٥٠٠ سنة ، حيث وُجد مثل هذا المدخل في قلعة حلب وحصن الاكراد في سوريا (٢) كما استخدمه صلاح الدين للباب الجديد ـ احد ابواب حصن القاهرة الفاطمية أيام وزارته ، ثم استعملها في العصر الأيوبي للأبواب في أسوار القاهرة وأبواب القلعة التي شيّدها هناك سنة ١١٧٦م (٥٧٢هـ) . (٣)

<u>الموزع (ح) :-</u>

ينتهي المدخل المنكسر بالموزع (ح) ومساحته ٣٠ر١١×٧٥ر٤م ، ويعلوه قبو ، في جداره الشمالي باب ٦ر١×٦ر٢م يؤدي الى القاعة (د) ، وفي الجدار الغربي باب آخر ٣ر١×٢ر٢م يؤدي الى الممر (ز) ، وعلى يمين هذا الباب يوجد بئر قطر فوهته ٥٥سم يحيط بها اطار مربّع منحوت في الحجر طول ضلعه ٦٥سم، ويعلو فوهة هذا البئر عقد صغير يرتفع حوالي متر ضمن الجدار الغربي ، والبئر محفور على شكل حبة الأجاص، وفي الجدار الجنوبي على يسار المدخل لهذا الموزع توجد حُنية عرضها

(١) Op. Cit.; 11-18, 24-26.
(٢) الساطع ١٩٧٥ : ٥٨-٨٦.
(٣) شافعي ١٩٧٠ : ٢٧٢-٢٧٤.

متران تؤدي الى طلاّقة ١٣٠ × ١٠ سم تسيطر في مدى الرمي على الزاويـــــــة الشرقية للبرج السابــع.

القاعــة (د) :ـ

وهذه القاعة مدمرة إلاّ في جدارها الشرقي الذي يبلغ طوله حوالي ٥ م ، يتخلله في الزاوية الجنوبية الشرقية باب عرضه ١٢٠ سم، اما ارتفاعه فغير واضح بسبــب الرّدم، ويفضي هذا الباب الى الموزّع (هـ).

الموزع (هـ) :ـ

مساحته ٧ر٥ × ١ر٩ م جداره الشمالي مدمّر، وكذلك الحال بالنسبة للجـــدار الشرقي باستثناء بقايا قليلة منه على ارتفاع أقل من المتر، يتخللها ثلاثة فواصـــــل تمثّل بقايا ابواب كانت تؤدي الى القاعة (و)، وبمحاذاة هذا الجدار يوجد سُلّـــم درجيّ يصعد الى الطابق الثاني من القلعة، بقي منه اليوم ١٥ درجة، طول الدرجة الواحدة ٩٠ سم وارتفاعها ٢٠ سم، وعرض بسطتها ٣٥ سم. وفي الزاوية الجنوبيـــة الشرقية لهذا الموزّع يوجد باب عرضه ٧٥ سم وارتفاعه ١٢٠ سم يؤدي الى داخـــل البرج رقم (١).

البرج رقم (١) :ـ

ننزل الى هذا البرج من خلال أربع درجات طولها مثل عرض المدخل وهـــو ٧٥ سم، وارتفاع الدرجة الواحدة ٢٠ سم، وقد بدأ الدّمار يتسرب اليها، والبرج من الداخل مربع الشكل مساحته ٢ر٧ × ٢ر٧ م. توجد في كل من جداريه الشرقي والجنوبي طلاّقة يعلوها حَنية صغيرة، طول الطلاّقة الواحدة ١٥٠ سم وعرضها ١٥ سم. وسمك الجدار من خلال الطلاّقات ٨ر٢، وعرض الطلاّقة من داخل البرج ٢ر٢ م، ومثل هـــذه المساحة تتسع الى ثلاثة من الجُند ٦ وتسيطر الطلاقة الشرقية على الجهة الشرقية مـــن الخندق والمدخل، في حين كانت الجنوبية قبل بناء مدخل القلعة تسيطر على ساحة البئر والخندق في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة، اما بعد اضافة المدخل فقــد

اصبح مدى الرماية منها قصير لا يتعدى هذا المدخل كما اشرنا آنفا .

وفي الجدارين الجنوبي والشمالي لهذا البرج توجد ثلاثة مداميك من حجارة منحوته نحتا خفيفا من نوع الطبزة، ارتفاعها ٥ر١م، ثبتت فوق بعضها بالشيد الأبيض، وبعد هذه المداميك يبدأ تشكل قبو نصف اسطواني حجارته مائلة الى اللون الأحمر، ويتخلله فتحة مربعة الشكل تؤدي أكثر من مهمة فهي فتحة انارة وتهوية وبنفس الوقت يمكن من خلالها التخاطب بين طابقي البرج الأول والثاني .

الساحة (و) :-

وهي الساحة القائمة بين البرجين الاول والثاني ، ومساحتها ٢ر٢٤×٣ر٢٧م كانت تتألف كما يتضح من بقايا الجدران فيها من ثلاثة غرف، يفصل بين الأولى والثانية عن اليمين موزع، وتوجد الغرفة الثالثة في الجهة الشمالية أمام البرج رقم (٢) ووضعها العمائري أفضل نوعا ما من الغرف الأخرى من حيث مقاومتها لعوائد الزمن ، اذ لا تزال بقايا جزء من قبوها الى اليوم، ومساحتها ٧٥ر٤×٦ م، ويوجد في نهايتها الشمالية باب يؤدي الى البرج الثاني ، وهذه الساحة مع الموزع(هـ) والغرفة (د) تشكل فناء القلعة الشرقي ، واذا كانت اليوم تقوم في الجدار الشرقي لهذه الساحة ثلاث طلاقات مرممة كما سبق وأشرنا في وصفنا للقلعة من الخارج ، فانه لابد وانه كانت هناك طلاقات في البناء الأساسي لحماية المنطقة الواقعة خارج الخندق مالم نعثر له على أثره

البرج رقم (٢) :-

مدخل هذا البرج في الواجهة الجنوبية ، وعلى يمين هذا المدخل من خارج البرج يوجد بئر ماء فوهته مربعة الشكل ٧٠×٧٠سم، وهو أيضا على شكل الأجاصة . ولعل هنالك علاقة بين حفر هذا البئر وبين الجدار الاستنادي القائم في الزاوية الشرقية للبرج رقم (٢) اذ أن الجدار يزيد الحاجز الصخرى بين البئر والخندق مناعة وحيلولة دون تسرّب الماء من أي منهما على الآخره

مساحة الباب المؤدي لهذا البرج ٩٠×٢ر٢م وسمك جدارن٧ر٢م، اما مساحة البرج من الداخل فهي ٢ر٣×٥ر٤م. ونظام بنائه لا يختلف عن نظام البرج الأول ، وفي

كل من جداريه الشرقي والشمالي طلاّقة طول الواحدة ١٣٠ سم وعرضها ١٠ سم، وسمك جدار البرج من خلالها ٢,٨٥م، وتغطي الطلاّقتان في مجال الرّمي زاوية الخندق الشمالية والشرقية، ويعلو هذا الطابق من البرج قبو يتخلله في الوسط فتحة مربعة الشكل للتهوية والأنارة.

واذا كان البرج فوق هذا الطابق يرتفع حوالي عشرة أمتار وفي جدرانه بعض النوافذ كما اشرنا في وصفنا الخارجي له، فإن أرضيات الطوابق العليا لم تعد قائمة وربما لم تكن هناك طوابق فوقه، وجاء ارتفاع البرج والنوافذ لخدمة الحمام الزّاجل، فالشق الذي سبق وان اشرنا اليه على انه كالمثلث المقلوب في الجدار الجنوبي الشرقي لهذا البرج يبدو ان تصميمه كان على هذا الشكل كملامة مميزة لهبوط الحمام الزّاجل فيه.

المـمـر (ز) :ــ

باب هذا الممر من الجدار الغربي للموزع (هـ) وعرضه ١,٣م وارتفاعه ٢,٢م ومساحة هذا المدخل ٥,٦٠×٤,٣٥م، يتخلله عشر درجات، طولها مماثل لعرض الممر، ومتوسط ارتفاع الدرجة الواحدة منها ٢٥سم، اما بسطاتها فتتراوح عرضها ما بين ٣٠ـ٤٠سم، ويؤدي هذا الدرج شمالاً الى الطابق الثاني من القلعة من خلال انعطافه عند نهايته نحو اليسار ويوجد في هذا المدخل بسطتان الأولى في بداية الدرجات المشار اليها والثانية في نهاية تلك الدرجات طول الواحدة منها متر، بعرض ١,٣م.

وفي مستوى البسطة الأولى يوجد مدخلان الأول مدمّر يؤدي الى المستودع (ح) غربا، والثاني جنوبا يؤدي الى الطابق الأول من البرج السادس.

المستـودع (ح) :ــ

عرض الباب المؤدي لهذا المستودع متران أما ارتفاعه فيقدّر ب ٢,٥م، وهو يتألف من عقدين يفصل بينهما فراغ يقدر بنصف متر. واذا ما دخلناه تجد ان طوله كاملا ٩,٢٣م به بقايا جدار فاصل بعد طول ٢,٧٢م، وعرض هذا المستودع يتراوح

مابين ٣ـ٥ م والسبب في ذلك عائد الى ان الجدار الشمالي لهذا المستودع ارتكز فوق الصخر الطبيعي للجبل والذي يبلغ ارتفاعه في بعض المواقع ٥ر٢م يعلوه قبو يدعمه قنطرتان من حجارة منحوتة نحتاً ناعماً ،أما في الجدار الجنوبي فهنالك بابان يؤديان الى القاعة (ط) ولكن الرّدم القائم بهما يحول دون الدخول الى هذه القاعة ،لكن يمكننا ان نستنتج من خلال المخطط المرفق بأن طولها يعادل طول المستودع .

البرج السادس :ـ

مدخل هذا البرج من الجدار الجنوبي للممر (ز) . عرض هذا المدخل ٩٠سم وارتفاعه ١٨٠سم وسمك جداره ١١٠سم . ندخل منه فننزل اربع درجات، طول الواحدة ٩٠سم ، وارتفاعها ٢٢ سم ، وعرض بسطتها ٢٨ سم ، وبذلك نّصبح على ارضية هذا البرج وهو يتألف من قسمين : شرقي وغربي ، يفصل بينهما جدار يتخلله مدخل يصلهما معا .

مساحة القسم الشرقي من هذا البرج ٩ر١٦×٨ر٤م وأرضيته مرممة بالأسمنت يرتفع في الجدار الغربي خمسة مداميك حجرية وفي الجدار الشرقي اربعة مّداميك (انظر الصورة رقم ٢ ص٧٧) ارتفاعها ٦ر٢م وفوقها يبدأ تشكل القبو النصف اسطواني وحجارته من اللون الأسود المطعمة بالشيد الأبيض، وقد رُصّت الى جانب بعضها بشكل متناسق ، وتشاهد في السقف فتحتان دائريتان بقطر ٢٠ سم .

وفي الجدار الشرقي يوجد غرفتان مساحة الواحدة ٣×٤ر٢م ، وارضية كل غرفة ترتفع عن ارضية هذا القسم من البرج بواقع ٦٠ سم ، وفي وسط الغرفة الشمالية طلاّقة طولها ١٥٠ سم ، وعرضها من الخارج ١٢ سم اما عرضها من الداخل فهو ١٤٠ سم ويعلوها قوس ارتفاعه ٥٠ سم ، وتسيطر في مدى الرمي على الزاوية الجنوبية لمدخل القلعة وعلى الجهة الشرقية من الخندق .

وأما الغرفة الجنوبية فإنها تحتوى على ناقذة ، مساحتها من الخارج متر×٢٤ر١م أما من الداخل فساحتها ٢ر١×١ر٢م ، ويعلوها قوس ارتفاعه ٥٠ سم اما من الخارج فيعلوها النقش الكتابي الذي سبقت الاشارة اليه ويعود الى عهد

* الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز ١٢٥٠-١٢٦٠م، وهذه الطلاّقة توفر سيطرة على الواجهة الشرقية للقلعة، وعلى ساحة البئر (ق)، كما يمكن من خلالها مراقبة مدخل القلعة، وكان بامكان المعمار تحويلها الى طلاّقة بمجرد اضافة حجرين من الداخل على غرار بعض النوافذ الأخرى التي كانت تؤدي وظيفة الطلاّقة والنافذة تبعا للظروف السياسية للقلعة.

وفي الجدار الجنوبي لهذا القسم توجد أيضا غرفة مماثلة لغرفتي الجدار الشرقي، وتحتوى على طلاّقة ١٢٠سم×١٠سم وقد أُجريت عملية تضييق لها من الداخل بوضع حجرين فوق بعضهما من كل جهة وفوقهما حجر ثالث فأصبح طول الطلاّقة ٨٠ سم بدلا من ١٢٠ سم (انظر الصورة رقم ٢ ص٧٧) ويبدو أن المعمار اكتشف بأن طول الطلاّقة هذا ليس له ما يبرره اذ أن طول ٨٠ سم يغطي من حيث الرمي الزاوية الجنوبية الشرقية من الخندق، في حين أن ٤٠ سم التي استغنى عنها كانت تشكّل عبئا على المقاتل لامكانية اختراق الأسهم منها، فعليه قرر تضييقها، وبحيث لا يؤثر على ارتفاعها الداخلي حيث يقف الرامي.

في الجدار الغربي لهذا القسم من البرج يوجد باب يؤدي الى القسم الغربي منه، وعرض هذا الباب ٢م، وارتفاعه ٨ر١م، ومساحة هذا القسم من البرج (١ر١١×٣ر٦م)، وهو مطابق في طراز بنائه للقسم الشرقي، يتخلله في الجدار الجنوبي طلاّقة ضمن غرفة مطابقة لمثيلتها في نفس الجدار من القسم الشرقي، وفي الجدار الغربي طلاّقتان تلتقيان معاً في ممر واحد يربط بينهما. طول الطلاّقة الواحدة ١٢٠ سم وعرضها ١٠ سم، وهي تسيطر على الزاوية الجنوبية الغربية من خندق القلعة.

ويلاحظ في هذا البرج بان طلاّقاته بدأت تظهر مختلفة عن طلاّقات البرجين الأول والثاني من نفس الطابق، فهنا بدأ طول الطلاّقة يقل ليصل الى ١٢٠ سم في حين كان في البرجين المذكورين ١٥٠ سم وكذلك فإن نحت الحجر هنا بدأ اكثر فنّا وجمالاً، وأصبحت الطلاّقات تُبنى داخل غرف، يزيّن واجهتها الداخلية عقد من الحجر المشمشم، يرتفع أكثر من ٥٠ سم، وبالتالي تُهيء للرامي وضعا سليما للرمي سواء كان واقفاً او جالسا.

الطابق الثاني :ـ (أنظر المخطط) ص ٤١٦

نصعد الى هذا الطابق من خلال الدرجات العشر القائمة في الممر (ز) من الطابق الأول، فنجد أنفسنا في الممر (ز) من الطابق الثاني، ومساحته ٢ر٨×٤م وعلى يمين الصاعد في هذا الممر يوجد باب يؤدي الى القاعة (ح)، كما يوجد في الجدار الشمالي لهذا المدخل بابان : الاول في الزاوية الشمالية عن اليمين يؤدي الى القاعة (د). والثاني في الزاوية الجنوبية ويؤدي الى الساحة (ى).

القاعة (ح) :ـ

تقوم هذه القاعة فوق (الموزع ح) من الطابق الأول، مدخلها من الجدار الغربي يفتح على الممر (ز) عرضه ١ر١م وارتفاعه ٢ر٢م، وفي اعلاه بعض الدمار مساحة هذه القاعة ٢ر١١×٩ر٤م، وفي جدارها الغربي من الداخل باب يؤدي الى الطابق الثاني من البرج (٦) أما في جدارها الجنوبي فيوجد غرفتان : الغرفة الغربية ومساحتها ٧ر٣×٩ر٢م، وارتفاع أرضتها عن ارضية القاعة ٣٥ سم، وتحتوي على طلاقة باتجاه الجنوب طولها ١١٥ سم وعرضها ١٥ سم، تسيطر على ساحة البئر خارج القلعة وعلى الزاوية الجنوبية الشرقية للبرج السابع، وحجارتها من الحجر الناعم المسمسم.

اما الغرفة الشرقية فمساحتها ٧ر٣×٢ر٢م ويوجد في جدارها الجنوبي فاصل على شكل شرفة تطل من خلالها على الممر الصاعد من الى الطابق الثاني.

وفي جدارها الشرقي باب ١٨٠×٨٥ سم يؤدي الى الطابق الثاني من البرج الأول، وفي جدارها الشمالي باب صغير ١٧٠×٨٥سم يؤدي الى بقايا سلّم من الدرج كان يؤدي بدوره الى الطابق الثالث، كما انه متمم للدرج الصاعد من القاعة (د) مرورا بالموزع (هـ)، وطول الدرجة ٨٠ سم بعرض ٢٠ سم وارتفاعها ٢٥ سم وقد بقي منها ١٢ درجة ضمن هذه القاعة.

يعلو هذه القاعة قبو نصف اسطواني مرصّع بالحجارة التي ارتكزت على أربع مداميك منتظمة في الجدارين الشمالي والجنوبي، وفي سقفها ثلاث فتحات مربعة الشكل للانارة والتهوية، وبنفس الوقت لارسال او استقبال أية معلومات بين طوابق القلعة.

الطابق الثاني من البرج الأول :ـ

مدخل هذا الطابق من الجدار الشرقي للقاعة (حـ) عرضه متر وارتفاعه ٤ر٢م ،اما مساحة الطابق فهي ٤ر٧×٥ر٧م. في جداره الجنوبي من الجهة الغربية باب عرضه ٧٠ سم وارتفاعه ١٨٠سم يحتوى على ١٧ درجة صاعده باتجاه الشرق بطول ٥ر٧م ،طول الدرجة ٧٠ سم وارتفاع مرآتها ٢٠ سم وعرض دعستها ٢٥ سم. وحجارتها من الحجر الناعم المسمسم.

في جدران هذا البرج الجنوبي والشرقي والشمالي ثلاثة نوافذ مختلفة المساحات ،فنافذة الجدار الجنوبي مساحتها من الخارج ٤ر١×٢٥ر٢م في حين من الداخل ٣ر٢×٥ر٢م. ومساحة النافذة القائمة في الجدار الشرقي فهي من الخارج ٣ر١×٣ر١م، ومن الداخل ٣ر٢×٢م. اما مساحة نافذة الجدار الجنوبي من الخارج فهي ٣ر١×٥ر١م ومن الداخل ٣ر٢×٢م. ويعلو كل نافذة من الداخل عقد مدبب من حجارة منحوته نحتا ناعما .

ورغم اننا كنا نتوقع من المعمار ان تأتي نوافذه بمقاس موحد قياسا على التماثل في فن نحت الحجارة التي بنيت منها إلا أنها جاءت مختلفة وربما كان ذلك لغاية مقصودة ،كذلك فاننا كنا نتوقع ان تكون هذه النوافذ على شكل طلاّقات، ولكن ربما كانت كذلك من خلال اضافة حجرين من كل جهة في النافذة لتصبح طلاّقة عند الضرورة ومن ثم أُزيلت هذه الحجارة لانتفاء السبب الذى وضعت من اجله. وذلك قياسا على الطلاّقات التي بقيت حجارتها بها في البرج السادس، وربما عُملت كنوافذ على اعتبار أن النافذة الجنوبية تسيطر على مدخل الشّرفة التي كانت مبنية فوق بوابة مدخل القلعة، والنافذة الشمالية تسيطر على الساحة (و) في الطابق الأرضي وبالتالي فهما غير معرضتين للرماية ،اما النافذة الشرقية فهي معرضة للرماية من الجهة الشرقية للخندق .

يعلو هذا الطابق من البرج سقف على شكل قبو حجارته مرصوصة الى جانب بعضها وبنسق موحد يشبه أسنان المشط ،في منتصفة فتحة مستطيلة الشكل ، حجم حجارتها مميز فهي اكبر حجما مقارنة مع باقي حجارة السقف.

الطابق الثاني من البرج السادس :-

مدخل هذا الطابق من الجدار الغربي للقاعة (حـ) عرض هذا المدخل ٨٥ سم وارتفاعه ١٦٠ سم، وقبل أن يُفضي هذا المدخل الى البرج بمسافة ٥ر١م يكون فوق شرفة تطل على الممر (ز) في الطابق الأول. واذا كان الطابق الاول من هذا البرج يحتوي على جدار فاصل يقسمه الى قسمين شرقي وغربي، فإن الجدار في هذا الطابق لم يعد قائما، فأصبح الطابق عبارة عن قاعة على شكل حرف (ـــا)، طول ظلعها شمال جنوب ٧ر١٦م وعرض هذا الجزء ٧ر٥م. اما ظلعها شرق غرب فيبلغ ٨ر٥ ١م بعرض ٣ر٦م.

على يمين مدخل هذه القاعة - في جدارها الشمالي يوجد باب عرضه ٨٠ سم وارتفاعه ١٦٠ سم يؤدي الى غرفة ارضيتها منخفضة عن ارضية قاعة البرج بحوالي ٣٠ سم، ومساحة هذه الغرفة ٣ر٣×٦ر٢م وتحتوي على حوض من الحجر طوله حوالي متر وعرضه ٨٠ سم وعمقه حوالي ٦٠ سم وفي الجدار الشمالي لهذه الغرفة بقايا انبوب فخاري مَتّجه من الاعلى الى الأسفل، ولا يتخلل هذه الغرفة أي طلاّقات او نوافذ، ومن خلال وضعها هذا ووجود الحوض والانبوب الفخاري يمكن القول بأنها ربما كانت حمّاما، وأن هذه القاعة ربما كانت مقرّاً لوالي القلعة.

في جدارها الغربي شُبّاك يرتفع حوالي ٢م عن إرضية القاعة، وعرضه حوالي ٥ر١م وارتفاعه ٦ر١م يطل على ساحة الطابق الثالث تعلو القاعتين (ح) و (ط)، بعد هذا الشباك وفي الجزء الثاني من هذا الجدار توجد غرفة مساحتها ٩ر٢×٨ر١م يتخللها في الجهة الغربية طلاّقة ١٣٥×٤٠سم، ويبدو انه قد جرت عليها عملية توسعه في العرض فيما بعد، وأرضية الغرفة ترتفع عن ارضية القاعة ٤٠ سم، وتوفر هذه الطلاّقة حماية للزاوية الغربية من القلعة والخندق.

في الجدار الجنوبي غرفتان مساحة كل منهما ٢×٣م وارضيتهما ترتفع عن ارضية القاعة ٤٠ سم، وفي كل منهما طلاّقة باتجاه الجنوب، طولها ١٢٠ سم وعرضها ١٠ سم، وفي طلاّقة الغرفة الشرقية من الداخل حجران كبيران - في كل جهة حجر - وجاءت الطلاّقة بينهما، واذا ما أُريد تحويل الطلاّقة الى نافذة فسيكون الامر سهلا

اذ تمكنا بعتلة صغيرة من تحريك كلا الحجرين بحيث اصبحت الطلاّقة على شكل نافذة والحجارة هنا منحوته نحتا ناعما ،أما قاعدة كل حجر من الاسفل فقد تُترك فيها من زواياها الأربع نتوءا صغيرا لتسهيل عملية تحريكها .

اما الجدار الشرقي لهذه القاعة فيحتوي على غرفتان مطابقتان لغرف الواجهة الجنوبية ،وفي الغرفة الشمالية طلاّقة في حين في الغرفة الجنوبيه طلاّقة داخل شباك محصورة بين حجرين يسهل تحريكهما لتصبح الطلاّقة شبّاكاً .

أرضية هذه القاعة مرممة ، ويرتفع على جانبيها خمسة مداميك بمقدار ٢ م، يبدأ بعدها تشكل قبو القاعةوقد حُمل على عقود مدببة متقاطعة تخرج من زوايا الغرف المشار اليها مرتكزة على المداميك الخمسة ويتخلل سقف القاعة اربع فُتحات مربعة الشكل للانارة والتهوية ، وربما كان ذلك وكما اسلفنا لتمرير المعلومات بين طوابق البرج .

<u>القاعة (د) :—</u>

مدخلها عند نهاية الجدار الشرقي للممر (ز) ،وهو مردّم ومساحة هذه القاعة ١٣×٨,٥م ،على يمين المدخل درج يصعد الى الطابق الثاني بمحاذاة الجدار الشمالي للقاعة (ح) (سبقت الاشارة اليه عند الحديث عن تلك القاعة) ، في منتصف الجدار الشرقي قوس واسع مُزمر يطلّ على الشرق ويمكن مشاهدته من خارج الخندق في هذه الجهة. وفي جدارها الشمالي سُلّم درجي آخر يصعد الى الطابق الثالث بقي منه الى اليوم ١٥ درجة طول الدرجة ٧٥ سم وعرض دعستها ٢٤ سم وارتفاعها ٢٥ سم، وهي من الحجر المنحوت نحتا ناعما وفي جدارها الغربي طلاّقة كانت تفتح على هذه القاعة من الممر (ى) طولها ١٢٠×١٠ سم ،كما يوجد في هذا الجدار بابان آخران مرمان أحدهما يفتح على الممر (ى) والاخر على الغرفة (ل) الواقعة جنوب البرج الثالث، وهي ايضا مليئة بالرّدم . وفي سقف هذه القاعة فتحتان مربعتان .

اما الغرفة (ك) القائمة شمال هذه القاعة والتي توجد بقايا مدخل اليها عند اسفل السلم الدرجيّ فانها مدمرة ومعالمها غير واضحة ، وان كانت على مستوى

الطابق الاول تبدو كساحة مرممة تفصل بين البرجين الثاني والثالث.

<u>الممر (ى) :-</u>

يعتبر هذا الممر استمراراً للممر (ز) ، ولا يفصلهما الا بروز الجدار الجنوبي للممر (ى) من كلا جانبيه بما يجعله على شكل بوابة واسعة ٣م ، وارتفاعها مماثل لعرضها وحجم هذا الممر اوسع من الممر (ز) اذ يبلغ ١٦×٩م. جداره الشرقي يشتمل على طلاقة (مغلقة اليوم ٨٠×٨ سم) كما يحتوي على باب يؤدي الى القاعة (د) وربما كان في الاصل طلاقـــة قبل عملية توسيع المبنى وقد أجريت على هذا الممر عمليات ترميم واضافة من خلال وجود جدار في الجهة الشمالية - مدمّر - يؤدي الى الغرفة (ل) المدمّرة والتي تفصل الممر عن البرج الثالث.

اما الجدار الغربي لهذا الموزّع فيشتمل على باب واسع ٥ر٢×٤م يحف به من الجانبين اليمين واليسار طلاّقتان مغلقتان ، ويؤدي هذا الباب الى الغرفة (م)

<u>الغرفـة (م) :-</u>

مدخلها كما اسلفنا من الممر (ى) ، ويبدو أن هذا المدخل كان في الأصل بوابة تؤدي الى أجزاء القلعة القائمة بين الابراج الثالث والرابع والخامس والسادس ، ويوفر الحماية لها والبرجين الثالث والسادس ، كما ان الطلاّقتان القائمتان على جانبيهـــا توفران نوعاً من الحماية ايضا ، واذا كانت الطلاّقات مغلقة من الخارج اليوم - جهـــة الممر (ى) - فإنها من الداخل في الغرفة (م) واضحة المعالم ، ولكل منهما حُفيـه من الداخل ارضيتها مرتفعة عن ارضية الغرفة بواقع نصف متر ، اما الطلاّقات فهي مــن النوع الصغير ٨٠ سم × ٨ سم ، يعلوها قوس صغير ، ونحت الحجارة في هذه البوابـة اقل إتقاناً منها في مدخل القلعة (أ) و(ب) او في القاعة (حـ) مما يشير الى وجود تطوير نحو الافضل بين الفترة التي بُنيت فيها القلعة والفترات الاخرى التي تم فيها ادخال توسيمات عليها ، وكان من ضمنها المدخل (أ) و (ب).

على يسار هذه الغرفة يوجد حجر مميز طوله حوالي ٦٠ سم وارتفاعه حوالـــي ٤٠ سم ، وقد نُحت عليه صورة سيف ينتهي بأكثر من شعبة ، وفي منتصفه من الاعلى تــم

تحت درع دائري على شكل وردة تتدلى من احدى شعب السيف، (انظر الصورة رقم ٣ ص٣٧٣) ،وتجدر الاشارة الى أن السيف والدرع هما شعار السلطان صلاح الدين الايوبي . وهو شعار موجود ايضا على باب قلعة صلاح الدين في سيناء. (١)

في الزاوية الجنوبية الغربية من هذه القاعة يوجد بئر فوهته دائرية قطرها ٦٠ سم ،وهو منحوت على شكل حبة الاجاص. وفي الجدار الغربي يوجد باب واسع بعرض ٤ م وارتفاع يزيد على ٣ م وهو مكمّل للممر الصاعد الى الطابق الثالث بدءاً من الممر (ز) والممر (ى) والغرفة (م) . ومسافة الممر من الجدار الشرقي للممر (ى) حتى بداية الطابق الثالث في نهاية الجدار الغربي للغرفة (م) ٥ر٢٢م، اما العرض فيختلف مع كل انحناء لهذا الممر.

وقبل الوصول الى الطابق الثالث نشاهد على اليسار في الممر ١٢ درجة طول الواحدة ٨٠ سم وعرضها ٣٠ سم، وارتفاعها ٢٥ سم، وهذه على ما يبدو بقايا سُلّم درجيّ كان يؤدي الى الطابق الثالث، كما نشاهد بقايا ابواب مهدّمة تؤدي الى القاعات (ق، س، ع، ف، ص) ولكنها مردّمة، كما ان الابراج الثالث والرابع والخامس والسادس مردّمة أيضاً ، واما الطلاقات الموجودة فيها في المخطط فان جونز قد وضعتها على ما بدا لنا من باب الحدس والتخمين وهنا أيضا نشير الى ان القاعتين (ح) و (ط) مدمرتان من الداخل .

الطابق الثالث :- (انظر المخطط) ص ٤٦٧

انه باستثناء الطابق الثالث من البرج الأول والقاعة (حـ) والقاعة (د) ، فإن باقي اجزاء القلعة في هذا الطابق مدمرة ، وعبارة عن ساحة مفتوحة بها بقايا بعض الجدران التي ترتفع او تقل مداميكها من موضع الى آخر.

القاعة (د) :-

جدارها الغربي يلتقي مع الممر (ى) ، وفي زاويته الشمالية باب يؤدي الى هذه القاعة، عرضه ٥ر١م وارتفاعه ٢م، تبلغ مساحة القاعة ١٣×٨ر٥م، وهذه الساحة مطابقة

(١) زكي ١٩٧٠: ١١٠.

لمساحة نفس القاعة من الطابق الثاني ، في جدارها الشمالي جزء من السُّلم الدرجي يربط الطابقين الثاني والثالث من هذه الجهة حيث نشاهد ١١ درجة من هـذا السّلم ، طول الواحدة ٧٥ سم ، وارتفاعها ٢٥ سم وعرض دعستها ٢٥ سم ، وفي منتصف الجدار الشرقي قوس عرضه ٩ر٢م ، وارتفاعه حوالي ٦ م ويشاهد من خارج الخندق في الجهة الشرقية ، وفي جدارها الجنوبي بقايا درج مدمر يصد الى الأعلى .

ارضية هذه القاعة مرممة بها فتحتان ، وسقفها على شكل قبو اسطواني الشكل فيه اربع فتحات مربعة للانارة والتهوية .

القاعة (حـ) والطابق الثالث من البرج الأول :ـ

في الطابق الثالث تصبح القاعة (حـ) والبرج الأول عبارة عن قاعة واحـدة مساحتها ٢٦م×٨م تقريبا ، جدارها الغربي مهدَّم ، وبالتالي فإن القاعة تطلّ من هـذه الجهة على الممر القائم في الطابق الثاني .

نصعد الى هذه القاعة من خلال سُلّم الدرج القائم في الطابق الثانـي من البرج الأول .

على يمين المدخل يوجد الجدار الشرقي لهذه القاعة ، ويشتمل على شبّاك عرضه من الخارج ٢ر١م ، اما ارتفاعه فغير واضح بسبب الدّمار الموجود فيه ، ويبدو أن غرفـة كانت مُقامة ضمن هذا الجدار من هذه الجهة او يصل عرض النافذة من الداخـل الى ٨ر٢م .

اما الجدار الشمالي فيحتوى على شباكين : الاول عن اليمين مساحتـه ١٠٠سم×١٢٠سم ، والثاني ٣ر١×٢٥ر٢م ؛ يليهما في الجهة الغربية غرفـة ٨ر٢×٢م أرضيتها ترتفع عن أرضية القاعة ٤٠ سـم .

الجدار الغربي كما اسلفنا لم يعد قائما ، واما الجدار الجنوبي فيحتوى علـى غرفة من الجهة الغربية مساحتها ٧٥ر٢×٦٥ر٢م ، يتخللها في الجدار الجنوبـي شبّاك مساحته ١٢٠ × ٩٠ سم ، وفي جداريها الشرقي والغربي حُنيتان مساحـة الواحدة ١٠٥سم × ٥٥سم بعمق ٩٠ سم ، ولعل هذه الحنايا كانت تُستعمل لوضع بعض الاسلحة فيهـا .

أرضية هذه القاعة مرممة وبها ثلاث فتحات، ويرتفع في كل من جداريها الشمالي والجنوبي اربع مداميك ، ارتكز عليها القبو الاسطواني الشكل ، والذى تهدّم نصفه الشرقي ، في حين الجزء الغربي مايزال قائما ويغطي تحته ممر الطابق الثاني ، وفي هذا الجزء من القبو فتحة تلتقي فيها نهايات العقود المدببة وحجارة الفتحة هنا تتميز بحجمها الكبير مقارنةً مع حجارة السّقف الاخرى (انظر الصورة رقم ص) ومما يسترعي النظر انها تبدو بترتيبها كالوردة المتفتحة .

ولو تجولنا بين بقايا هذا الطابق لرأينا العديد من بقايا الأبواب تؤدي الى غرف وقاعات مدمّرة ، بعضها بقي من جدرانه مدماك واحد أو اكثر ولكن معالمها غير واضحة ، حتى غَدَتْ كأنها ساحات مكشوفة (انظر المخطط) فالقاعة (ح) مثلاً والقاعة (ط) تصبح قاعة واحدة ، ومما يلفت النظر هنا كذلك وجود حجر تمّ وضعه على الجدار الجنوبي من هذه الساحة طولة ١٢٥ سم وارتفاعة ٦٠ سم ، يحمل نقشا تمت حمايته من خلال وضع شَبَكٌ حديدي عليه ، ويتألف من ثلاثة أسطر (انظر الصورة رقم > ص٢٧٣) ونصه : ــ

١) عمل في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس ابن عبد الله الصالحي .

٢) اعز الله انصاره بنظر العبد الفقير الراجي عفو الله وغفرانه ملك الامراء عزالدين .

٣) ايبك العلائي بتاريخ العشرين من شعبان سنة تسع وخمسين وستمائه .

في قراءة الكردي (١) وغوانمه (٢) لهذا النقش لم ترد كلمة "ابن عبد الله" في السطر الاول ، كما أنهما قرآ كلمة "انصاره" على انها "انظاره" ، وقرأ الغوانمه كلمة "العبد" على انها "المعين" اما العابدي (٣) فقد قرأ السطر الثاني من النقش على الشكل التالي :

---

(١) الكردى ١٩٧٤ : ٢٧ .
(٢) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٢٥ .
(٣) العابدى ١٩٧٢ : ١١٠-١١١ .

١) غفر اللــــه(العادة) بنظــر العبــد الفقيــر الراجــــي عفو اللــــــــــــه ،
وغفــر الملـــك الامـــــراء عز الديـــــــن .

وفي السطر الثالث قرأ التاريخ على انه " سنـــــــة تســع وتسعين وستمايـــه (للهجـــــــرة) .

وحيث ان الظاهر بيبرس توفي سنة ١٢٧٧م (٦٧٦هـ) فإننا نستبعد التاريخ الذى أورده العابدي في قرآتـــه .

ويعطي هذا النقش دليلا على ان الظاهر بيبرس قد أُولى القلعة اهتمامـــه وقام ببناء أجزاء من الطابق الثالث سنة ١٢٦٠م (٦٥٩هـ) والتي بقي منها جزء مـن الشرفات والنوافذ في الجدارين الجنوبي والشرقي ،ففي الجدار الجنوبي ماتزال بقايا ١٢ درجة تصعد الى شرفة البرج السابع طول الدرجة الواحدة حوالي ٣ م وارتفـاع مرآتها ٢٥ سم، وعرض بسطتها ٣٠سم، ولم نتمكن من صعودها لما يشكله ذلك من خطر والى الشرق من هذا الدرج يوجد ضمن الطابق الثالث للبرج السابع من الجنـــوب نافذة عرضها ١ر٣م وارتفاعها ٢ر٢م، وحجارتها منحوته نحتا ناعما وهي من الحجـــم الكبير يصل حجم الحجر الواحد فيها الى اكثر من ١٠٠ سم طول × ٦٠ سم ارتفاع، كما توجد بقايا لبعض النوافذ في الواجهة الشرقية أيضاً .

في ضوء ما تقدم يتضح لنا بأن قلعة عجلون بما انطوت عليه من نواحٍ معماريـــة تعتبر نموذجا متكاملا للقلعة الاسلامية الأيوبية، فاختيار موقعها يوفر لها استراتيجيـــة دفاعية متميزة ، واذا كان من الممكن الوصول الى هذا الموقع، فإن القلعة قد أُحيطـت بخندق أضفى عليها مزيداً من المنعة، ووفر على المعماري المؤسس سهولة الحصـــول على الحجارة التي احتاجها للبناء، فجاءت الحجارة من نوع واحد " الحجر الكلســـي الأصفر" تم نحتها بالشوكلة والازميل فعُمل منها الطبزة المزمول والناعم المسمســــم ولم شذ عن هذه القاعدة غير حجر واحد في السور الشمالي حيث جاء ذلك على شكـل قاعدة عمود .

وعند ما أُجريت عمليات التوسيع على البناء تم استعمال نفس النوع من الحجـــر والذي ربما أُخذ من نفس الخندق من خلال اجراء عمليات توسيع وتعميق واكمـــــت

توسيع القلعة ،أو انها أُحضرت من محاجر قريبة وحجرها مشابه الى نوعية حجـــــر القلعة اذ تكثر مثل هذه المحاجر الأثرية في المنطقة الواقعة ما بين قرى عبين وعفنا واشتفينا ، فجاءت الحجارة متطابقة في مختلف أركان القلعة ، وبالتالي فاننا نستبعــد فكرة استعمال الحجارة الرومانية في المدخل "(١) كما ورد في سجلات دائرة الآثـــار لعدم وجود أدنى فرق بينها وبين حجارة البرج السادس باعتباره كان الجزء الرئيسي في عملية التوسع واكبّهما توسع في بناء المدخل أيضا .

كذلك فقد تم استعمال الجسر المتحرك والمدخل المنكسر ، وبنيت المشربيــات والأبواب المتحركة ، كما بنيت الأبراج والأسوار بجدرانها السّميكه ، وارتفاعاتها العالية ، وتم توزيع الطلاّقات فيها بما يكفل السيطرة الكاملة على الأرض المحيطة بها خارج الخندق وداخله ، كذلك فقد رُصفت المنحدرات حول بعض الأجزاء التي يمكن أن تُخترق وحُفرت الآبار داخل المبنى لجمع الماء من سطح القلعة بواسطة الانابيب الفخاريــة كاجراء احترازى يفيد أثناء الحصار الطويل .

ان هذه المواصفات انما كانت تعني بان كل خُطوة تقدّم للمهاجم يقابلها انزال مزيد من الخسائر في صفوفه من قبل المدافع ، وعند ما تناول بعض المؤرخين الأجانب قلعة عجلون بالحديث ووجدوا توفر هذه المواصفات فيها ، وبدلا من الاعتراف صراحــة بما تعلمه الصليبيون من المسلمين في فن العمارة العسكرى ، فقد اشاروا الى ذلـــك باسلوب مبطن كان الهدف منه اظهار الفضل الصليبي ، فباووس Boase[٢] يقـول " ان قلعة عجلون تذكرنا بأن الصليبيين لم يكونوا محتكرين لفن بناء التحصينات بـــل تعلموا الكثير من العرب ، اما سميل Smail[٣] فقد قرن الحديث عن قلعة عجلون مع الحديث عن قلعة القدس ، واعتبر ان ما تميزت به من مواصفات عمائرية ما هي إلاّ نماذج من العمارة العسكرية الصليبية .

---

(١) دائرة الاثار العامة : مجلد عجلون .

(٢) Boase 1967: 71-72

(٣) Smail 1973: 117.

وفي قلعة عجلون نستطيع ان نلاحظ لمسات من تطور فن البناء خلال المراحل المتعاقبة، فبالنسبة للبناء الذي قام به عز الدين اسامة في عهد صلاح الدين الايوبي يمكن ملاحظته في الطابق الأول من البرج الاول والثاني والمستودع (ح) ، والقاعة (م) والموزع (ى) من الطابق الثاني ، وهو يتميز بالثقل والضخامة ، وطلاقاته جاءت دقيقة على شكل الإزميل متوسط طول الواحدة ٨٠ سم وعرضها ٨ سم ، ثم بدأ التطور في التصميم وهو ما نلمسه في مستوى الطابقين الثاني والثالث من البرج الثاني وهو ما ادخله صلاح الدين يوسف سنة ١٢٥٠–١٢٦٠م (٦٤٨–٦٥٩هـ) حيث اصبحت الطلاّقات بطول ١٣٠–٥٠٠سم وبعرض من ١٠–١٢ سم، وصُمم البعض منها على شكل نوافذ ، وفي عهد الظاهر بيبرس ١٢٦٠–١٢٧٧م (٦٥٨–٦٧٦هـ) لم يطرأ أى تغيير على حجم الطلاّقات، وإنما بدأت أقواسها تحمل بعض الزخارف الفنية ، وأُدخلت عملية وضع الحجارة داخل النوافذ فتصبح النافذة على شكل طلاّقة وإذا مارُفعت الحجارة تصبح الطلاّقة نافذة . كما تم تعديل على العداميك التي تُبنى على جانبي القاعات والغرف من الداخل لترتكز عليها العقود التي تحمل الأقبية ، ورفع أرضيات الغرف عن أرضيات القاعات التي تتواجد فيها لتكون على مستوى الطلاّقات، وذلك لتوفير الحماية لِمَنْ يكون على أرضية القاعة فلا تُصيبه الأسهم لو دخلت من الطلاّقات وهو ما نلمسهُ في طوابق البرج السادس.

ومع وجود هذا التطور في تصميم الغرف والطلاّقات إلا أنّ فن نحت الحجر استمرّ سائدًا بنفس النظام إما طبزة مزمول أو مسمسم ناعم ، وقلّ ان نجد حجرًا طبزته نافرة على نحو غير مقبول ، وغنيٌ عن القول بأن هذا الاسلوب مازال سائدًا في بلادنا حتى اليوم. ولقد راعى المعمار في عملية البناء التخفيف من حجم الحجارة كلما ارتفع البناء وفي ذلك تخفيف من الضغط والحمل على المبنى بكامله ، كما يعطيه مجالا اكثر في الارتفاع بطوابقه .

ولا يفوتنا ونحن في معرض الحديث عن قلعة عجلون أن نُشير الى أنه خلال عمليّات تنظيف وترميم القلعة بما فيها بعض آبارها من قبل دائرة الآثار العامة ثم العثور على العديد من القطع الفخارية (انظر الصورة رقم ص) من بينها سلطانيات

ومزهريات وأواني طبخ ومسطرات وأسرجة ، تحمل رسومًا هندسيّة ، كما تمّ العثور على قطع من النقود ، وكانت كل هذه المادّيات من العصر الاسلامي (ايوبي مملوكي) . (١)

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه الموجودات انظر مجلد قلعة عجلون في دائرة الآثار العامة .

قلعـــــة الكـــــــرك

مقدمة تاريخيــة : ـ

تقع " قلعة الكرك" ـ بفتح الكاف والراء ـ جنوب الأردن ، على مسافة ١٣٠ كـم جنوب عمّان . وقد أُقيمت على جبل يرتفع ٩٦٠ م عن سطح البحر ، ويُشرف على البحـــر الميت ، والأغوار الجنوبية غربًا . تُحيط به الأودية من ثلاث جهات : وادي الست مـــن الشرق ، ووادي الافرنج من الغرب ، ووادي الكرك من الشمال . تلتقي هذه الأوديـــة معا ، قُرب عين ساره ، على بعد ٢ كم غرب المدينة ، وتشكّل مع قمة الجبل انحـــدارات قويّة ، هي في الشرق والشمال اكثر انحدارًا منها في الغرب . أمّا في الجنوب فقد حُفر خندق ، فَصَلَ الجبل الذي تقوم عليه القلعة والمدينة ، عن جبل الثلاّجة ، ويمرّ عبـــر هذا الخندق طريق معبد يؤدي الى بلدة الشهابية ـ الافرنج سابقا ـ ، ويتفرع عنه طريق آخر معبد يؤدي الى الحي السكني ، الذي أُقيم حديثا على جبل الثلاّجة .

ترتفع القلعة فوق الجزء الجنوبي من الجبل الذي تقوم عليه المدينة ، وهو عبـارة عن نتوء صخري ، مستطيل الشكل ، اتجاهه من الشمال الى الجنوب ، وقد فُصلت القلعة عن المدينة من خلال خندق تم قطعُه في الصخر ، وبذلك أصبحت القلعة معزولة مـن خلال خندقين ، أحدهما في الشمال ، والآخر في الجنوب ، وقد غطت أبنيتها كامـــل مساحة النتوء الصخرى .

لقد اقترن اسم القلعة باسم المدينة " قلعة الكرك" ، وعاشتا تاريخًا مشتركـــا وكان لاستراتيجية الموقع انعكاسه على مدى حصانة القلعة ، فهي " ترامي ولا ترام وتسامي ولا تسام ، ومن أجلّ المعاقل وأحصنها " .[١] ووصفها ياقوت الحموي[٢] بأنهـا " قلعة حصينة جداً في طرف الشام ، ومن نواحي البلقاء في جبالها ، بين ايلةَ وبحـــر القلزم وبيت المقدس ، وهي على سنّ جبل عالٍ تحيط بها أودية الا من جهة الرّبـض" . وذكر أبو الفداء[٣] بأنها " حصن عالي المكان ، وهو أحد المعاقل بالشام التي لا ترام" . اما الدمشقي [٤] فقد اشار الى ان الأودية السحيقة حولها ، زادت فـــي

---

(١) القلقشندي ج ٧ ١٩١٤ : ٣٤٠-٣٤٤ ؛ ابن واصل ج ٣ ١٩٦٠ : ٣٥٠ .
(٢) الحموي ج ٤ ١٩٥٧ : ٤٥٣ .
(٣) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٢٤٦ .
(٤) الدمشقي ١٨٦٦ : ٢١٣ .

مناعتها، فهي خزانة الأتراك ومعقلهم، وبها أبداً نائبٌ مأمونٌ عندهم. ووصفها العمري (١) بأنها " حصن الاسلام ومعقله"، وكتب عنها ابن بطوطة (٢) فقال انها من أعجب الحصون، وأمنعها، وأشهرها، وأطلق عليها " حصن الغُراب". كما أن موقعها أكسبها قدرة كبيرة في مراقبة واستطلاع المنطقة المحيطة بها، وهو ما أشار اليه الحميري (٣) عند ما قال " بأن لها نظراً عظيم الاتساع". وقد ذكر ابن شاهين (٤) بأنه ليس لها نظير في الاسلام ولا في الكفر، ونعتها بحصن الغُراب، وأكد أنها لم تُفتح عنوة قط.

ومهما قيل في حصانة الموقع والقلعة، فإنها ناتجة عن عاملين أساسيين: عامل طبيعي يتمثل في جبل مُرتفع، مُحاط بالأودية السحيقة، وبنيت فوقه المدينة والقلعة، وعامل صناعي يتمثل بكل ما عملته يد الانسان فيه من خنادق وأسوار وأبراج وانفاق وقنوات ماء وبرك وآبار، طمعاً في تحقيق المزيد من الأمن والاستقرار. ويبدو أن كلمة "كرخا" في اللغة الآرامية لها علاقة لفظية بكلمة "كرك"، كما ان "كرخا" تعني المدينة المحصّنة، (٥) وهي صفة من أهم صفات هذه المدينة التاريخية، أضفاها عليها الموقع الجغرافي وبناء القلعة، الأمر الذي يؤكد في نظرنا على فكرة الإشتقاق الآرامي لهذا الاسم "الكرك".

ومدينة الكرك احدى مدن مملكة مؤآب، ورد ذكرها في التوراة (٦) تحت أسماء: قير حارسة، وقيرمؤآب، وقير حارس، وتعني المدينة المحصنة فوق تل. وقد عزز هذا المعنى اكتشاف نقش ميشع ملك مؤآب (٨٥٠ق.م) في بلدة ذيبان – شمال الكرك – والذي جاء فيه "انا الذي بنى المكان المقدس لكموش – الاله – في كركا (أي الكرك)، انه مكان عال .... بنيتُ كركا، بنيتُ سورها، وبواباتها، وأبراجها وقصر

---

(١) العمري ١٣١٢هـ : ١٨٣.
(٢) ابن بطوطه ج ١ ١٩٣٤ : ٨٧.
(٣) الحميري ١٩٧٥ : ٢٠٢.
(٤) ابن شاهين ١٨٩٤ : ٤٣، ١٣١.
(٥) حول معاني تسمية الكرك انظر : – حتي ج٢ ١٩٥٩ : ٢٣١؛ رنسيمان ج ٢ ١٩٦٨ : ٣٧١؛ سترانج ١٩٧٠ : ٤٥٠؛ موسوعة المعارف الحديثة ج ٣ ١٩٧٠ : ٢٧؛ طوسون ١٩٧٣ : ٤٣؛ غوانمه ١٩٨٠ : ٤٥–٥١؛ مخلوف ١٩٨٣ : ٢١١، وانظر ايضا : – Conder 1897: 158; Meistermann 1909: 254-255; Deschamps 1939: 35-36, 93 و Medbielle 1961: 6
(٦) الملوك الثاني ٣ : ٢٥؛ اشعيا ١٥ : ١؛ ارميا ٤٨ : ٣١.

الملك ، و حفرت بركتين للماء في وسط المدينة . . . وانا حفرت القناة الى كركا . . . وشققت الطريق الرئيسية في وادي أرنون (الموجب) . . . انتقمت من ملك اسرائيل . . انتقمت منه ومن آل بيته" . (١)

وعطفا على هذا النقش، فالمدينة قائمة على جبل مرتفع، كما اسلفنا ، يوفر لها قدرة دفاعية جيدة ، وهنالك أجزاء كبيرة من السور ما تزال تحيط بها ، تتخلله بعض مداخل المدينة على شكل انفاق حُفرت في الصخر (ليست مستخدمة اليوم) ، واما البركتين فما تزالان قائمتين الى اليوم ، ومعروفتين بنفس التسمية الأولى : في الجزء الشرقي من المدينة ، تستخدم اليوم كمحطة للباصات ، والثانية في الجزء الغربي — كساحة عامّة — وكلتاهما مُجمّع للماء في فصل الشتاء ، وحَفْر قناة للماء ما تزال بقايا صغيرة منها تمتد من عين الست في الجزء الجنوبي الشرقي من حي الثلاجة باتجاه الكرك ، وشَقُّ طريق عبر الموجب يربط المدينة مع ذيبان ، هو ماعرف في العهد الروماني سنة ١٣٠م باسم الطريق الملكي او طريق النصر الذي امتد من العقبة حتى بصرى الشام عبر وادي الموجب .

ان هذه المقتطفات من هذا النقش انما تدل على مدى اهتمام المؤابيين بهذه المدينة التي بنوا فيها قصرا للملك ميشع ، ومعبدا للاله كموش ، وحصّنوها بالأسوار وزودوها بالماء ، وأسباب الحياة ، مما يُحتمل معه اتخاذها كعاصمة للملك ميشع[٢] فكانت هدفاً لبني اسرائيل ، الاّ أنه استبسل في الدفاع عنها ، وقدّم ابنه قربانا للالهة على أسوارها ، كرمز للتضحية والفداء ، وهو ما ولّد الرعب عند الاسرائيليين ، فولّوا هاربين " فكان غيظ عظيم على اسرائيل " (٣) . يفهم من هذا كله أن قلعة الكرك في الأصل كانت معبدا للأله كموش بناها الملك المؤابي ميشع لهذا الغرض ، ذلك أن المواقع الحصينة عبر التاريخ تبقى محط أنظار الأجيال ، نظرا لما توفره من الأمن والاستقرار والمكان المقدس لكموش الذى بناه ميشع مكان عال للخلاص على حد قوله .

---

(١) هاردنج ١٩٨٢ : ٤٣–٤٤ .

(٢) Medebielle 1961: 6

(٣) الملوك الثاني ٣ : ٢٧ .

وفي منتصف القرن السابع قبل الميلاد تعرضت الكرك وباقي أجزاء مملكـــة موآب الى الغزو الاشوري (٨٠٠-٦١٢ق٠م) ثم الى الغزو البابلي (٦١٢-٥٥٠ق٠م) ودفعت الجزية في كلتا الحالتين . ثم دخلت ضمن حدود الامبراطورية الفارسيـــة (٥٣٩-٣٣١ق٠م) . وفي العصر الهيلليني (٣٣١-٦٣ق٠م) صُبغت البـــلاد بالحضارة الهيللينية، وسميت المدينة "كاركا". (١)

وفي عهد مملكة الأنباط وصلت حدود البلاد الى دمشق وسهل البقاع شمالا والى الحجر (مدائن صالح) في شمال الحجاز(٢) . ولقد أصبحت الكرك ضمن هذه الحدود ، من المدن الرئيسية على طرق القوافل ، فبنوا فيها معبدا ، ربما كان علـــى انقاض معبد الأله كموش المؤابي ، كما عثر في جدران بعض أبنية المدينة على حجــــر بازلتي نحتت عليه صورة تمثل النصف الخلفي لأسد من فن ذلك العصر ، وهذا الحجر موضوع اليوم على مدخل المتحف القائم داخل القلعة ، وعُثِر أيضا على النصف الأعلـــى لتمثال انسان مقطوع الرأس من نفس العصر. (٣) وتتأكد الآثار النبطية كذلك من وجود قطع فخارية تتناثر هنا وهناك حول القلعة وداخلها .

وفي سنة ١٠٦م تمكن الرومان من الاستيلاء على البتراء عاصمة الأنباط ، فدخلت الكرك تحت سيطرتهم واحتفل هدريان سنة ١٣٠م بافتتاح "طريق النصر" أو الطريـــق الملكي الممتد من سوريا الى العقبة على البحر الأحمر(٤) ، مروراً بالطريق التي سبـــق وأن شقها الملك ميشع عبر وادي الموجب إلى الكرك ، وكانت اللجون ــ شرق الكرك ــ مقراً للفيلق الرابع (مراتيا) الروماني . (٥)

وفي العهد البيزنطي بدأت الديانة المسيحية بالانتشار فكانت الكرك فـــي القرن الخامس الميلادي أسقفية ، وظهرت قلعة الكرك وأسوار المدينة في خارطة مادبا الفسيفسائية ، والتي تعود الى القرن السادس الميلادي ، مما يؤكد على استمراريـــة الأهمية التاريخية والاستراتيجية لهذه القلعة .

---

(١) مخلوف ١٩٨٣ : ٢١ .
(٢) حتي ١٩٧٤ : ٤٠ .
(٣) العابدي ١٩٦٣ : ١٩٠ ؛ هاردنج ١٩٨٢ : ١٣٠ .
(٤) زياده ١٩٦١ : ١٢٩ ؛ سالم ١٩٧١ : ١٠٦ .
(٥) هاردنج ١٩٨٢ : ٥٢ .

واكتسبت البلاد أهميتها في نظر المسلمين باعتبارها الحد الجنوبي للامبراطورية البيزنطية ، والطريق الوحيد الذي يلابد يل عنه في الصراع مع الروم البيزنطيين، وطردهم من بلاد الشام . فكانت أول غزوة خارج حدود الجزيرة العربية قد توجهت الى هذه البلاد ، فعند ظلال قلعة الكرك وفي الموقع المعروف باسم " مؤته" كان أول لقاء حربي بين المسلمين والروم سنة ٦٢٩م (٨هـ) [١] ، فلابد ان تكون قلاع البلاد والأماكن الاستراتيجية فيهاقدشدّت اليها أنظار الجيوش الاسلامية سواء في عهد الخلفاء الراشدين أو عهد الدولتين الأموية والعباسية ، فاستفادت من خدماتها . اذ ان المسلمين كانوا على معرفة تامة بجغرافية البلاد من خلال رحلاتهم التجارية بين الحجاز والشام منذ أيام تجارة قريش والعهد المكي .

ويستفاد مما ذكره الدواداري والمقريزي [٢] بأن حصن الكرك قد لعب دورا ما في العهد الفاطمي عندما تراجع اليه بلتكين أثناء نزاعه مع أمير عرب بلاد الشام فعرج ابن دعقل بن الجراح سنة ٩٨٢م (٣٧٢هـ) فاحتله وقتل من كان به ، ثم كتب بعد ذلك الى سيده الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس في مصر .

يستفاد كذلك من هذا الذى ذكره المقريزي والدواداري بأن قلعة الكرك كانت قائمة قبل مجيء الصليبيين ، ويبقى هذا الأمر أكثر معقولية من رواية ابن شداد التي استند فيها على اخبارية ذكر انها من ثقة اعتمد عليه ، ولم يذكر اسمه ، مفادها " ان حصن الكرك المنيع عليه سور وله ربضٌ كان ديرا للنصارى" . [٣] وعنه أخذ القلقشندى عندما قال "كانت ديرا يتديره الرهبان" . [٤]

واذا ما صحّت الاخبارية المنقولة الى ابن شداد فان ذلك انما يعني بأن حصن الكرك قد تحول بعد الاحتلال الفاطمي الى دير ، وأخذ في التوسع ، الى أن أصبح قلعة فماد كما بدأ ، وان كنت الى رأى المقريزي والدواداري أميل باعتباره

---

(١) انشار ١٩٥٢ : ٨٠-٩٢ ؛ ابن الاثير ج ٢ ١٩٦٥ : ٢٣٤-٢٣٨ .

(٢) الدواداري ج ٦ ١٩٦٠ : ٢٠٥-٢٠٦ ؛ المقريزي ج ١ ١٩٧٣ : ٢٥٦-٢٥٨ .

(٣) ابن شداد ١٩٦٢ : ٦٩ .

(٤) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ١٥٥ .

أكثر توافقا مع التسلسل التاريخي والمنطق الفكري، ذلك ان هذا الحصن بموقعه الاستراتيجي لابد وانه جلب انظار كل من مرّبه، وهكذا استحوذ على الصليبيين لِما كان يعنيه بالنسبة لاستمرار وجودهم في بيت المقدس، فأقاموا فيه، واضافوا عليه، فهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، ومعترض في طريق الحجاز(١)، بالاضافة الى كثرة الحقول حوله، ووجود أشجار الفاكهة، كموارد اقتصادية، وهو ما أشار اليه أبو الفداء بقوله " تحت الكرك بساتين كثيرة، وفواكهها مفضلة من المشمش والرمان والكمثرى . (٢)

وعند ما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) كان أول ما احتاجوه من الأماكن والعمائر انما يتعلق بأسباب الدفاع عن النفس، فلجأوا الى السيطرة على المناطق المحيطة ببيت المقدس، والتي تشكل أهمية استراتيجية في الدفاع عنها، واستفادوا من القلاع والحصون الموجودة فيها، باعتبارها معالم تشد الأنظار، وتوفر الوقت والجهد في اعادة الترميم والاضافة على البناء، خاصة وأن الصليبيين كانوا يعانون من نقص في القوى البشرية .

من هنا قام بلدوين ملك القدس سنة ١١١٥م (٥٠٩هـ) باعادة بناء قلعة الشوبك — كما سيرد في الحديث عنها — كما قام خليفته " فولك انجو" سنة ١١٤٢م (٥٣٦هـ) فطلب من نديمه " باين لي بوتيليه" بالعمل على اعادة بناء قلعة الكرك فشرع في تجديدها وتحصينها وتوسيعها، واصبحت تعرف باسم "كراك Crac او جوهرة الصحراء Petra Deserti ". (٣) وقد أُختلف في المدة التي أمضاها

---

(١) الحميري ١٩٧٥ : ٢٠٢ .
(٢) أبو الفداء ١٨٥٠ : ٢٤٦-٢٤٧ .
(٣) Enc.ISL (1927):905-906;Tyre 1942:692-693; Fedden & Thomson 1957:26; Muller-Wiener,1966:98; Boase 1967: 69; Setton 1977: 149.

ان اطلاق اسم " بيترا ديسرتي " على قلعة الكرك لم يأت نتيجة لالتباس في التسمية او عدم المعرفة الجغرافية بالبتراء القديمة وانما جاء لأن أسقف البتراء انتقل الى الربة عندما أقام الصليبيون كرسيا أسقفيا في الكرك، فسُمي كرسيه " بيترا" لتحديد حدود سلطته والتي كان من ضمن من يعمل تحتها أسقف دير سانت كاترينا في سيناء والذي كان يعمل مساعداً لأسقف الربة حول هذا الموضوع انظر :— Deschamps 1937: 494-500; Meistermann 1909: 255.

في هذه المهمة، فالبعض يرى أنها كانت ست سنوات من ١١٣٦-١١٤٢م/ ٥٣١-٥٣٧هـ،[١] وفريق آخر يقول أنه أمضى عشر سنوات[٢]. والرأي عندي أنهم واصلوا عملية البناء والترميم طيلة المدة التي عاشوها في هذه القلعة، فهم لم ينعموا بالأمن طيلة الخمسين سنة التي عاشوها فيها، فقبل بنائها كانوا يتعرضون لهجمات القبائل العربية عليهم.[٣] كما قام ظهير الدين طغتكين اتابك دمشق سنة ١١٠٨م/ ٥٠٢هـ بارسال حملة الى جنوب الأردن بقيادة الأمير الأصفهبد التركماني. لم يكتب لها النجاح، مما اضطره لعقد معاهدة مع الصليبيين في نفس العام اتفق فيها على أن يكون السواد وجبل عوف اثلاثا، للأتراك المسلمين الثلث وللأفرنج والفلاحين الثلثان.[٤]

بعد "باين لي بوتيليه" خلفه في قلعة الكرك حفيده "موريس"، وكلاهما عمل على توسيع القلعة،[٥] وفي عهد موريس تعرضت البلاد سنة ١١٥٨م(٥٥٣هـ) الى حملة ارسلها الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك وصلت الى وادي موسى والشوبك وحاصرتها مما دفع الصليبيين الى ارسال الهدايا في السنة التالية الى القاهرة وطلب الهدنة.[٦]

وفي سنة ١١٦١م(٥٥٧هـ) تولى السيادة في قلعة الكرك "فيليب دي ميلي" بعد أن أقطعها له الملك بلدوين الثالث، وغدت مركزا للامارة المكلفة بتقديم عدد من الفرسان لمملكة بيت المقدس في حالة الحروب، بحيث تقدم قلعة الكرك ستين فارسا وقلعة الشوبك أربعين فارسا، في حين تقدم قلعة الخليل ـ التي أصبحت جزءاً من الامارة ـ عشرين فارسا.[٧]

---

(١) طوسون ١٩٧٣: ٤٣.
(٢) العابدي ١٩٦٣: ١٩٠؛ المعالم الأثرية في البلاد العربية ١٩٧٢: ٧٥.
(٣) Tyre 1943: 427-426.
(٤) ابن القلانسي ١٩٠٨: ١٥٨، ١٥٩، ١٦٤؛ رنسيمان ج ٢ ١٩٦٨: ١٥٩.
(٥) Tyre 1943: 682-693
(٦) المقريزي ج ٣ ١٩٧٣: ٢٣٠-٢٣٦.
(٧) Deschamps 1939: 37

وعندما اصبح فيليب أميراً للداوية في سنة ١١٦٩م (٥٦٥هـ) قام باقطاع الامارة الى ابنته الاميرة "اتيهنيت". وفي السنة التالية ١١٧٠م (٥٦٥هـ) قام نورالدين محمود بمحاصرة الكرك، ونصب عليه المجانيق" (١) واستمر الحصار اربعة ايام، ضيّق فيها على المدينة، الى إن وصلتها نجدة من بيت المقدس فتحرك نورالدين لملاقاة تلك النجدة التي حادت عن طريقه قرب بلدة ماعين ــ شمال الكرك ــ فواصل طريقه عائدا الى دمشق. (٢)

ولا يفوتنا ذكر ما فعلته الزلازل في سنة ١١٦٩م (٥٦٥هـ) من اعمال الهدم فاشتغل المسلمون والصليبيون بعمارة البلاد، وكل طرف متخوف من الآخر. (٣)

وقد ادرك صلاح الدين الأيوبي مدى خطورة قلعة الشوبك بالنسبة الى المملكة الايوبية، فبدأ بشن الحملات عليها، ففي سنة ١١٧٢م (٥٦٨هـ) خرج اليها من القاهرة وعندما علم نورالدين بهذه الحملة خرج بدوره في حملة مماثلة من دمشق باتجاه الكرك، إلا ان مرض والد صلاح الدين جعله يعود الى القاهرة (٤)، وبالتالي عاد نور الدين الى دمشق بعد ان حاصر حصن الكرك ولم يظفر منه بغرض. (٥)

وفي سنة ١١٧٧م (٥٧٢هـ) تم زواج سيدة الكرك "اتينيت دي ميلي" من ريجنالد دي شاتيلون، بعد ان أفرج عنه من سجن حلب، اذ كان قد أعتقل سنة ١١٦٠م (٥٥٥هـ) على يد جيوش نورالدين، وبهذا الزواج اصبح ريجنالد سيد امارة الكرك (٦). وبدأ بدوره يشن الغارات على القوافل التجارية، ويمارس اعمال السلب والنهب (٧). فخرج اليه سنة ١١٨١م (٥٧٧هـ) عزالدين فرخشاه ابن اخ صلاح الدين، ونائبه على دمشق واضطره الى العودة من تيماء، بعد أن كان في طريقه الى المدينة المنورة. (٨)

---

(١) ابو شامه ج ١ ١٩٦٢ : ٤٦٤–٤٦٥ ؛ ابن الأثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٣٥٢.
(٢) ابن شداد ١٩٠٣ : ٢٧ ؛ ابن واصل ج ١ ١٩٥٣ : ٩٨٥ ؛ الاصفهاني ١٩٦٥ : ١٩٢ ؛ وانظر ايضا :ــ Baldwin 1958: 526
(٣) ابو الفداء ج ٢ ١٢٨٦هـ : ٦٦ ؛ ابن شداد ١٩٠٣ : ٢١٣ ؛ ابو شامه ج ١ ١٩٦٢ : ٤٦٧ ؛ ابن الأثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٣٥٥ ؛ وانظر ايضا :ــ Baldwin 1958: 526
(٤) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ٥٠ ؛ ابن الأثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٣٩٢.
(٥) ابن شداد ١٩٦٢ : ٧٠ ؛ أبو شامه ج ١ ١٩٦٢ : ٥٢٧ وانظر ايضا :ــ Baldwin 1958: 575-576.
(٦) Conder 1897: 117; Meistermann 1909: 255
(٧) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ٨ وانظر أيضا :ــ Baldwin 1958:575-576
(٨) ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ١١٠ ؛ غوانمه ١٩٨٠ : ١٢٣–١٢٤ ؛ الحنبلي ج ١ ١٩٧٣ : ٣١٦–٣١٧.

ان اعمال ريجنالد ومحاولاته الاستيلاء على الحجاز، دفعت صلاح الدين لتجهيز حملة كبيرة انطلقت من دمشق سنة ١١٨٣م (٥٧٩هـ) متجهة الى الكرك، بعد ان كتب الى اخيه الملك العادل نائبه في مصر لتجهيز الجيش المصري، وان تكون الكرك هي الملتقى، [١] وتمكن صلاح الدين من اقتحام المدينة وحاصر القلعة "ونصب عليها سبعة مجانيق ... ترمي بالحجارة ليلا ونهارا"، [٢] ووصل العادل بالجيش المصري وادرك ريجنالد الخطر المحدق به، فسارع في طلب المساعدة من بيت المقدس بواسطة الاشارات النارية، [٣] فتوجهت اليه النجدات، ولم يكن صلاح الدين قد استصحب معه ما يكفي من آلات الحصار لهذا الحصن العظيم والمعقل المنيع، فأضطر الى الانسحاب عنه [٤] بعد حصار دام حوالي خمسة واربعون يوما.

الا ان صلاح الدين عاد في محاولة أخرى سنة ١١٨٤م (٥٨٠هـ) واستنفر جميع عساكره من العراق وسوريا ومصر، وتمكن من احتلال مدينة الكرك، وحاصر القلعة مدة ثلاثة اسابيع، ونصب على بابها تسعة مجانيق، [٥] وشرع في ردم الخندق المؤدي اليها تمهيدا لاقتحامها، [٦] وتمكن من هدم جوانب من ابراجها وسقوف ابنيتها، فبعث ريجنالد يستنجد مرة اخرى بيت المقدس، فخرجت اليه النجدات، وآثر صلاح الدين مواجهة هذه النجدات اولا ثم متابعة الحصار، فخرج اليهم عند بلدة ماعين الا انهم توجهوا الى الكرك، عندئذ توجه هو نحو فلسطين، فدمر بعض معاقل الصليبيين في نابلس وسبسطيه وجنين ثم عاد الى دمشق بكثير من الغنائم. [٧]

---

(١) المقريزي ج١ ١٩٣٤: ٨١؛ ابو المحاسن ج٦ ١٩٣٦: ٣٠؛ ابن واصل ١٩٦٠: ١٥٢؛ ابن الاثير ج١١ ١٩٦٦: ٥٠٢.

(٢) ابن الأثير ج١١ ١٩٦٦: ٥٠٢.

(٣) رنسيمان ج٢ ١٩٦٨: ٧١٢ وانظر ايضا :-
Fedden and Thomson 1957: 26

(٤) ابن الاثير ج١١ ١٩٦٦: ٥٠٢.

(٥) ابن كثير ج٢ ١٣٥٨هـ: ٣١٥؛ ابن واصل ج٢ ١٩٦٠: ١٥٧؛ ابو الفداء ج٢ ١٩٦٠: ٩١؛ ابو شامه ج٢ ١٩٦٢: ٥٦.

(٦) ابن واصل ج٢ ١٩٦٠: ١٥٨؛ ابو شامه ج٢ ١٩٦٢: ٥٦؛ ابن الأثير ج١١ ١٩٦٦: ٥٠٦؛ الحنبلي ج١ ١٩٧٣: ٣١٧؛ وانظر ايضا :-
Baldwin 1958: 579-582.

(٧) ابو الفداء ج٢ ١٩٦٠: ٩١؛ ابن جبير ١٩٦٤: ٢٧٢؛ غوانمه ١٩٧٩: ١١٤؛ وانظر ايضا :- Tyre 1943: 1124-1125.

امام هذا الصمود للقلعة، بدا صلاح الدين يعد للأمر عدته ويكثف جهوده، في الوقت الذي استمر فيه ريجنالد اعتداءه على قوافل المسلمين التجارية وقوافل الحجيج حتى انه في نهاية عام ١١٨٦م (٥٨٢هـ) اعتدى على احدى القوافل التجارية القادمة من مصر الى دمشق، وأسر من فيها، وخاطبهم بقوله "قولوا لمحمدكم يُخلّصكم". (١) فخرج اليه صلاح الدين سنة ١١٨٧م (٥٨٧هـ)، ويُغطي العماد الاصفهاني (٢) وابو شامه (٣) والحنبلي (٤) اخبار هذه الفترة وكيف ان صلاح الدين استدرج الجيش الصليبي الى سهل حطين، فكان له النصر وقبض على ريجنالد، فقُطعت رأسه، وأُطعمت جثته للكلاب، في الوقت الذى كانت فيه قوات من جيش صلاح الدين تحاصر قلعة الكرك بقيادة سعد الدين كمشبه الأسدى — صهر الملك العادل — في حين كان العادل يحاصر الشوبك. واستسلمت الكرك في رمضان ١١٨٨م (٥٨٤هـ) بعد حصار دام سنة ونصف. (٥)

ان صمود القلعة امام جميع تلك الحملات، وعدم استسلامها الا من خلال اطالة أمد الحصار عليها، ونفاذ اقواتها انما يعني مدى اهتمام الصليبيين فيها، ذلك الاهتمام الذى اشار اليه صلاح الدين في الخطاب الذى ارسله الى اخيه سيف الاسلام صاحب اليمن يُخبره بما وقع له من الفتوحات في سنة ١١٨٨م (٥٨٤هـ)، فالكرك بالنسبة للصليبيين كانت نقطة مراقبة لِجَمْع المعلومات عن تحركات الجيوش الاسلامية، كما انها ذات منافع اقتصادية "ان الفرنج — لعنهم الله — كانوا يقعدون منه مقاعد للسمع، ويَحُولُون بين قاتورا كبها"، وهي عنوان الأمن لبلاد مصر والحجاز" والآن ما امن بلاد الحرمين باشد من بلاد الحرمين، فكلها كان مشتركا في نصرة المسلمين بهذه القلعة". انها كانت محصّنة قوية استنفذت من المسلمين الاموال والرجال والحملات المتواصلة" كانت ترامي ولا ترام، وتسامي ولا تسام، وطالما استفرغنا عليها بيوت الاموال، وانفقنا فيها اعمار الرجال، وقرعنا الحديد بالحديد الى ان ضجت النصال". (٦)

---

(١) ابن شداد ١٩٠٣ : ٢١، ٢٢ ؛ ابن واصل ج ٢ ١٩٦٠ : ١٩٤ ؛ ابو شامه ج ٢ ١٩٦٢ : ٨١.
(٢) الاصفهاني ١٩٦٥ : ٥٩.
(٣) ابو شامة ج ٢ ١٩٦٢ : ٧٤
(٤) الحنبلي ج ١ ١٩٧٣ : ٣٢٢.
(٥) المرجع السابق : ٣٥٥ ؛ وانظر ايضا :— Baldwin 1958: 615
(٦) القلقشندى ج ٧ ١٩١٤ : ٣٤٠—٣٤٤ ؛ ابن واصل ج ٣ ١٩٦٠ : ٣٥٠.

بعد فتح الكرك اقطعها السلطان صلاح الدين الى اخيه الملك العادل ، مقابل ستة الاف غرارةَ غله ،(١) وشرع العادل باعادة بناء ما تهدم من اسوارها ، وشيّد بناءها ووسع فناءها ، ونقل اليها ارباب الصناعات حتى جعلها مدينة لاتحتاج الى غيرها . (٢) وبدَأتالقلعة تشهد مرحلة جديدة من البناء والاعمار لتزيدها قوة ومنعة على قوتها ، وتضفي عليها طابعا اسلاميا ،اذغدت اسلامية للأبد ،فقام العادل ببناء الاجزاء السفلى من البرج الجنوبي في القلعة ، (٣) وبنى جامعاً فيها ، ووافق صلاح الدين على طلب تقدم به القاضي الفاضل خطيب جامع عيذاب للانتقال الى خطابة الكرك . (٤) وربما أمر السلطان ببناء مدرسة الى جانب الجامع ،على عادته في بناء المدارس لنشر المذهب السني . كما قام العادل ببناء سجن في القلعة ،أودع فيه عزالدين بن اسامه ـ صاحب قلعتي عجلون وكوكب الهوى ـ عندما رفض تسليم القلعتين له ، فبقي في السجن الى ان مات. (٥)

وفي سنة ١٢١١م(٦٠٨هـ) ضربها زلزال عنيف" وسقط عدة من ابراج قلعتها"(٦) فقام الملك المعظم عيسى بن العادل باعادة بنائها . وفي عهد الملك الناصر داوود (١٢٢٦-١٢٤٩م/٦٢٤-٦٤٧هـ) ، تم تجديد مباني القلعة ، واقام فيها قاعة اسماها " القاعة الناصرية" ، وهي القاعة التي جلس فيها فيمابعد الظاهر بيبرس عندما استولى على الكرك سنة ١٢٦٢م(٦٦١هـ) (٧) . كما انشأ دار السلطنة" في القلعة ، وعُرفت باسم " دار السعادة" . (٨) كما قام الناصر داوو بانشاء بيمارستان لمعالجة المرضى

---

(١) الغرارة تساوى ١٢ كيله ، حول هذا الموضوع انظر :ـ طوقان١٩٦٨ : ٣٩ ، ٥١٦.
(٢) ابن شداد ١٩٠٣ : ١٩٨ ؛ العمرى ١٣١٢هـ : ٩ ؛ ابو شامه ١٩٤٧ : ١٥٢ ؛ ابن شداد ١٩٦٢ : ٧٣.
(٣) Boas 1967: 70
(٤) ابو شامه ج ٢ ١٩٦٢ : ١٣٤-١٣٥.
(٥) ابن واصل ج ٣ ١٩٦٠ : ٢١٠ ؛ ولمعرفة المزيد ممن سجنوا في سجن قلعة الكرك انظر : البخيت ١٩٧٦ : ٨١-٨٢.
(٦) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ١٧٥ ؛ ابو شامه ١٩٤٧ : ٧٨ ؛ ابن كثير ج ١٣ ١٣٥٨هـ : ٦٢
(٧) غوانمه ١٩٨٠ : ٣٢٣ ؛ وانظر ايضا :ـ Sadeque 1956: 315.
(٨) ابو المحاسن ج ١١ ١٩٥٠ : ٣٤٨ ؛ المقريزى ج ٣ ١٩٧٠ : ٦٥٧.

كان بمثابة كلية للطب قام بالتدريس فيها شمس الدين عبد الحميد الخسر وشاهي . (١) وفي سنة ١٢٦١م(٦٦٠هـ) تعرضت القلعة الى زلزال عنيف، نتج عنه انهيار بعض ابنيتها ، فقام الملك المغيث عُمر بإعادة بنائها . (٢) وفي عهده دخلت القلعة في الصراع الذي نشب بين الايوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر ، حيث حاول الايوبيون استعادة مُلكهم في مصر ، لكنهم لم يفلحوا ، وقام الظاهر بيبرس سنة ١٢٦٢م (٦٦١هـ) بتجريد حملة كبيرة الى قلعة الكرك ، تمكن معها من الاستيلاء عليها ، وأَسر الملك المغيث عمر ، والقضاء على الحكم الأيوبي فيها .

وبدخول الظاهر بيبرس اليها اصبحت القلعة تحت سيطرة المماليك ، فجلس في القاعة الناصرية ، وحمد الله على ما وهبه ، وصلى بمسجدها ودُعي له فيه ، ثم " طاف على القلعة والمدينة من خارجها وباطنها ورسم بعمارة ما يحتاج الى العمارة" (٣) فحصّنها وزاد فيها ، وأمر بتنظيف خندقها ، ونقل اليها خزائنه وذخائره ، وعيّن الأمير" عزالدين أيدمر" نائبا له فيها وعهد الى امراء القبائل العربية فيها بالحفاظ على امن الطريق المؤدي الى الحجاز . (٤)

وقد تكررت زيارات الظاهر بيبرس الى قلعة الكرك لادراكه مدى اهميتها الاستراتيجية ، فعندما زارها سنة ١٢٦٦م (٦٦٥هـ) أحضر معه البنائين والنجّارين ، وأمر بإعادة بناء بعض أبراجها (٥) . وفي سنة ١٢٧٤م (٦٧٣هـ) سقط احد ابراجها فأحب ان يكون إصلاحه بحضوره . (٦) كما انه قام في سنة ١٢٨١م(٦٧٦هـ) بتجديد بناء برجين كانا صغيرين فهدمهما واعاد البناء ليكونا اكبر واوسع واعلى . (٧) وان كنالا نستطيع تحديد مواقع هذه الابراج اليوم وفقا للتسلسل التاريخي الا اننا نستطيع القول بأن

---

(١) ابن ابي اصيبعه ج ٢ ١٨٨٢ : ٢١٦ ؛ اليونيني ج ١ ١٩٥٤ : ١٤٨ .
(٢) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ٤٩٢ ؛ ابن عبد الظاهر ١٩٥٦ : ٣١٧ .
(٣) المرجع السابق : ٧٧ .
(٤) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ٤٩٢-٤٩٣ ؛ ابن عبد الظاهر ١٩٥٦ : ٣١٦-٣١٧ ؛ ابن شداد ١٩٦٢ : ٧٩ .
(٥) اليونيني ج ٢ ١٩٥٤ : ٣٦١ .
(٦) ابو المحاسن ج ٧ ١٩٣٨ : ١٦٤ ؛ اليونيني ج ٣ ١٩٦٠ : ٨٥ .
(٧) المرجع السابق : ٢٥٩ ؛ ابو المحاسن ج ٧ ١٩٣٨ : ١٩٤ ؛ ابن شاكر ج ١ ١٩٥١ : ١٦٨ .

من هذه الأبراج البرج نصف الاسطواني (ب) من ابراج المدينة، والبرج (هـ) الذي ما زال يحمل اسم برج الظاهر بيبرس، وعلى كلا البرجين مازلنا نُشاهد شريطا كتابيا يحمل اسم الظاهر بيبرس، كما أنها تحمل نقشا لصورة الأسد ، وهو شعار بيبرس ولكن التاريخ في كلا النقشين غير محدد ،كذلك يمكننا القول بأن البرج الجنوبي من القلعة هو من عمل بيبرس نظراً للتطابق في طراز البناء مع البرجين المشار اليهما هنا ومن خلال التطابق في العبارات المنقوشة عليها كما سنرى .

كما زارها من بعده قلاوون في سنة ١٢٨٦م (٦٨٥هـ) فأمر بتنظيف البركة الواقعة جنوبي القلعة قرب باب النصر . فعمل في تنظيفها كل من كان في خدمة السلطان من المماليك والحاشية مدة اسبوع، وعيّن بيبرس الدوادار نائبا لها . (١)

وعندما تعرضت البلاد الى زلزال شديد وامطار غزيرة سنة ١٢٩٢م (٦٩٢هـ) نجم عنها سقوط ثلاثة ابراج من القلعة، واجزاء اخرى من ابنيتها وابنية المدينة، قام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في تلك السنة بارسال الأمير علاء الدين ايزغدي الشجاعي من دمشق ومعه الصناع لاعمار ما تهدم في الكرك (٢) . وليس بمقدورنا اليوم تحديد موقع تلك الابراج الثلاثة لعدم وجود نقوش كتابية تشير اليها - وبقيت الزلازل من اكبر الاخطار التي تهدد القلعة، فقد تعرضت لهذه اخرى سنة ٧٠٢هـ ١٣٠٧م هدمت بعض اجزائها ، فأمر الناصر محمد بن قلاوون باعادة بنائها .(٣)

كما انه زارها سنة ١٣٠٨م (٧٠٨هـ) واتخذها مقرًا له خلال فترة الصراع على السلطة مع المماليك في مصر، وأثناء عبوره اليها سقط الجسر الذي يربطها بالمدينة فعهد الى النائب جمال الدين آقوش الأشرفي بإعادة بنائه . (٤) كما انه قام في سنة ١٣١١م (٧١١هـ) ببناء مدرسة في الكرك لتدريس المذهب الشافعي أسماها "المدرسة الشافعية" وعهد بالبناء الى سنجر بن عبد الله الجاولي . (٥) وارسل ابناءه للتعلم

---

(١) ابن الفرات ج ٨ ١٩٣٩ :٣٨ ؛ ابن عبد الظاهر ١٩٥٦ :١٢٧-١٢٨ ؛ المقريزي ج ٣ ١٩٧٣ :٧٢٢.

(٢) ابن الفرات ج ٨ ١٩٣٩ :١٥٤-١٥٥ ؛ أبو المحاسن ج ٨ ١٩٣٩ :٣٦ ؛ ابن كثير ج ١٣ ١٣٥٨هـ :٣٣٣ ؛ المقريزي ج ٣ ١٩٧٠ :٧٨٣.

(٣) الدواداري ج ٩ ١٩٦٠ :١٠٠-١٠٢ ؛ ابن اياس ج ١ ١٩٦٠ :١٤٦.

(٤) ابو الفداء ج ٧ ١٩٦١ :٦٥.

(٥) ابن حجر ج ٢ ١٩٦٦ :٢٦٦.

فيها (١) ، واهتم بدار العدل فصار يجلس فيها ويباشر الأمور بنفسه فأحبه الناس واقبلوا عليه . (٢) كما كان هناك جامعين واحد للقلعة ، وآخر للمدينة ، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون خُطب بهما بأمر منه للمظفر بيبرس الجاشنكير ، إيهاماً له بولاء الكرك . (٣) حيث كانا في نزاع على السلطة .

ونظرا لاهمية قلعة الكرك ، فقد كان يعهد بالنيابة فيها الى فئة من خواص السلاطين ، كما كانت حصانتها سببا في تشوب النزاع بين السلاطين انفسهم ، ففي سنة ١٣٤٢م (٧٤٣هـ) حُوصرت قوات السلطان احمد بن محمد بن قلاوون في قلعة الكرك من قبل قوات أخيه الملك الصالح اسماعيل ، وضُربت القلعة بالنفط والمجانيق ، فشَرَع السلطان احمد في تحصين القلعة والمدينة ، (٤) الا انهما تعرضتا للحصارة مرة اخرى سنة ١٣٤٤ (٧٤٥هـ) ، فُتحت القلعة ، وهُدم فيها برجين من الامام ، واستسلم الناصر أحمد ، فأعاد الصالح اسماعيل بناء ما تهدم منها . (٥)

واستمرت الزلازل من اكبر العوامل خطورة على قلعة الكرك وغيرها من المباني ففي سنة ٨٦٣هـ ١٤٦٨م تعرضت البلاد لزلزال كبير ، هَدَمَ العديد من ابراج القلعة فعمل السلطان الاشرف سيف الدين اينال على بناء ما تهدم منها . (٦) كما قام السلطان قايتباى بارسال القاضي شرف الدين الانصاري سنة ١٤٧١م (٨٧٦هـ) لاجراء بعض الاصلاحات فيها . وفي عهد السلطان قانصوه الغوري تعرضت القلعة سنة ١٤٩٦م (٩٠٢هـ) الى غزوة من القبائل البدوية ، كما نجح البدو في مهاجمة بيت المقدس . (٧)

وفي سنة ١٥١٠م (٩١٦هـ) اصبحت الكرك تحت سيطرة الاتراك العثمانيين ، وعُيّن ناصيف باشا حاكما لها ، فلمس مدى حصانتها ، وحاول اعلان استقلاله فيها ، فأرسلت اليه الدولة العثمانية والي دمشق الذي تمكن من احتلالها وأعدمَ ناصيف باشا . (٨)

---

(١) القلقشندى ج ١٢ ١٩١٤ : ٢٢٤ ؛ ابو المحاسن ج ٩ ١٩٤٢ : ١٦٤ ؛ المقريزى ج ٢ ١٩٧٠ : ٢٣٥ ، ٢٧٢ .

(٢) ابن كثير ج ١٤ ١٣٥٨هـ : ٤٧ .

(٣) ابو المحاسن ج ٨ ١٩٣٩ : ٢٤٥ ؛ المقريزى ج ٢ ١٩٧٠ : ٤٧ .

(٤) ابن الوردى ج ٢ ١٢٨٥هـ : ٣٣٥ ؛ ابو المحاسن ج ١٠ ١٩٤٩ : ٦٩ ؛ ابن كثير ج ١٤ ١٣٥٨هـ : ٢٠١ ؛ المقريزي ج ٢ ١٩٧٠ : ٦١٠ .

(٥) ابو المحاسن ج ١٠ ١٩٤٩ : ٩٢-٩٣ ؛ ابو الفداء ج ٧ ١٩٦١ : ١٦١ ، ١٦٥ ؛ المقريزى ج ٢ ١٩٧٠ : ٦٦٢-٦٦٦ .

(٦) ابو المحاسن ج ١٦ ١٩٧٢ : ١٢٧ .

(٧) ابن الصيرفي ١٩٧٠ : ٤١٧ .

(٨) العابدى ١٩٦٣ : ١٩٢ .

وفي سنة ١٥٦٦م (٩٧٤هـ) كان عدد افراد حاميتها التركية سبعة وسبعين جنديا .[١] وكانت ضمن محطات الحج الشامي ، ويبدو انها اصبحت فيما بعد مقرًا للخارجين عن الدولة العثمانية ، فتوجه اليها نصوح باشا العظم والي دمشق سنة ١٧٢٧م (١١٤٠هـ) فقام بوضع الالغام تحت اسوارها مما أدى لأنهيار اجزاء كبيرة منها . [٢]

كما تعرضت لحملة قام بها ابراهيم باشا سنة ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ) ، كما شنّ عليها حملة أُخرى سنة ١٨٤٣م (١٢٥٩هـ) متعقبا زعيم نابلس " قاسم الاحمد " الذي لجأ اليها خلال ثورته على الأتراك — فضرب القلعة بالقنابل ونسف بعض أجزائها . [٣] وفي سنة ١٨٩٨م (١٣١٦هـ) توجهت اليها فرقة عثمانية بقيادة حلمي باشا لقمع التمرد الذي حصل فيها ، وإعادة الأمن للمسافرين ، وفي السنة التالية أُصبحت على مستوى متصرفيّة مرتبطة بدمشق . [٤] وفي سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ) أقيمت فيها المدرسة العثمانية (ثانوية الكرك للبنين حاليا) والتي انتزعت حجارتها من اسوار المدينة . واثناء الحرب العالمية الأولى ، كانت الكرك مركزًا اداريا للسير كركبرايد ، [٥] واصبحت القلعة مقرًا للحامية وبُنيت البوابة الحالية لها ، والتي جددت سنة ١٩٦٣م .

ان هذه المقدمة التاريخية انما تشير الى زخم الأحداث التي شهدتها القلعة واختلاف الوجوه والايدي التي كانت تقذف اسوارها وابراجها مُهاجمة ، ثم ما تلبث بعد فتحها في البدء باعادة التحصين والبناء ، واذا ما اضفنا الى ذلك ما عانته القلعة من عوامل الطبيعة متمثلة في تعاقب الليل والنهار والهزات الأرضية ، فإننا ندرك اليوم مدى ضخامة هذه القلعة من خلال ما تبقى من معالمها في ضوء ما شهدته من احداث منذ تأسيسها وحتى اليوم .

---

(١) الحمود ١٩٨١ : ٥٤ .
(٢) ابن جمعه ١٩٤٩ : ٥٣ ؛ العابدي ١٩٦٣ : ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٣) العابدي ١٩٦٣ : ١٩٣ .
(٤) Meistermann 1909: 253,256.
(٥) Hoade 1966: 174

سور المدينة ،ابراجها ، مداخلها :ـ (انظر المخطط ص٤١٨)

تعتبر قلعة الكرك من القلاع ذات الأسوار المزدوجة ، فبالاضافة الى اسوارها هناك سور المدينة الذي يبدأ من الزاوية الشمالية الشرقية للخندق الفاصل مابين القلعة والمدينة ، ويمتد حول الجبل الذي تقوم عليه المدينة من الشرق فالشمال فالغرب حتى يلتقي مع الزاوية الشمالية الغربية لذات الخندق . (انظر مخطط السوروالمداخل والأبراج) . ومن خلال الأجزاء الكبيرة التي ماتزال قائمة منه ، نلاحظ انه يسير وفقا للخطوط الكنتورية للجبل ، ويزداد ارتفاعه في المناطق المنخفضة في حين يقل في المناطق المرتفعة ، كما يرتكز في كثير من المواقع على صخر الجبل مباشرة دونما اساسات في الأرض، ويمكننا مشاهدة ثلاثة انواع مختلفة من الحجر في قواعد هذا السور ، منها نوع ضارب الى اللون الأسود ، كبير الحجم متوسط طول الحجر نحو متر ونصف وارتفاعه نحو ٧٠ سم ، من النوع الصّلب والهش الذي لم يشذّب بشكل مقبول واكتُفي بوضع الحجر فوق الآخر ، وهذه تُشاهد في المداميك من عهد ميشع ملك مؤآب على ضوء ما ورد في نقشه من قيامه ببناء سور المدينة . أما النوع الثاني من الحجارة فهو من النوع الأول لكن حجمه جاء اصغر فمتوسط طول الحجر نحو ٢٥ سم وارتفاعه نحو ٣٠ سم ، وتم تشذيبه بما يسمح بوضع الحجر فوق الآخر . وهذه مشابهة في نوعها وطراز دقتها الى حجارة السور الشرقي من القلعة الذي بني على يد الصليبيين . أما النوع الثالث فإنه حجر كلسي ، لونه اصفر او رمادي متوسط حجم الحجر الواحد ٦٥سم×٤٠سم دُقت بزاوية ٩٠° ومن النوع الطبزة أو المسمسم وهذه من الفترة الايوبية المملوكية لتطابقها مع اسوار وابراج القلعة والمدينة العائدة لتلك الفترة ، وهي تعلو مداميك النوعين السابقين .

وكما اسلفنا ـ يبدأ سور المدينة عند الزاوية الشمالية الشرقية للخندق الذي يفصل القلعة عن المدينة ، وعلى مسافة ١٢م من هذه الزاوية باتجاه الشرق نُشاهد بقايا السور المرممة على ارتفاع مترين ، وعلى بعد عشرة امتار عن هذا السور باتجاه الجنوب نشاهد بقايا برج مربّع طول ظلعه ١٢م (برج أ في المخطط) بقي منه مدماكين في الأظلاع الاربعة طرازها من النوع الأول السابق ذكره والذي ربما كان من عهد ميشع أيضا ، وبعد مسافة الاثني عشر مترا باتجاه الشرق ، تبدو أجزاء السور أكثر وضوحا

اذ ترتفع الى خمسة عشر مدماكا ، حجارتها من النوع الطبزه ، وقد دُقت في الزوايا الاربعة بشكل ناعم وبعرض ٣ سم وبزاوية ٩٠ درجة ، وهي مماثلة لتلك الحجارة القائمة في سور القلعة الغربي والجنوبي والتي تعود للعصر الاسلامي ، وهذه المداميك الخمسة عشر تمتد باتجاه الشرق لمسافة ستين مترا ، وفي اسفلها نشاهد بقايا مداميك متقطعة ربما كانت من السور الصليبي لمطابقتها من حيث طريقة نحتها وحجم حجارتها مع الحجارة القائمة في الاجزاء الشمالية من القلعة والتي تعود للفترة الصليبية — وبلغ اقصى ارتفاع لهذه المداميك من هذه الجهة ٥ر١م.

وفوق المداميك الخمسة عشر نشاهد مداميك لنوع آخر مختلف بيد وانها بُنيت من العهد العثماني لتكون جزءا من الجدار الجنوبي لدار الحكومة العثمانية ، والتي يشغلها اليوم جهاز الأمن العام ، وسمك هذا الجدار حوالي متر ، فتحت فيه نافذتين مساحة الواحدة ٦٠ سم عرض × ١٢٠ سم طول .

بعد مسافة الستين مترا التي يمتدها السور الاسلامي للشرق تبدأ الابنية الحديثة التي اقيمت على انقاض السور (انظر الصورة رقم (٢) ص ٣٧٨) واستعمل في بنائها حجارة من نفس حجارة السور ، وتمتد الأبنية لمسافة ستين مترا اخرى باتجاه الشرق لنُشاهد بعدها البرج النصف اسطواني (ب) .

<u>البرج النصف اسطواني (ب) :— (انظر الصور (٢) ص ٣٧٦)</u>

شكل هذا البرج نصف اسطواني ، وقطره حوالي ٢٥م ، أقصى ارتفاع له في الجهة الجنوبية اذ يرتفع اربعة عشر مترا ، مؤلفة من ثلاث وثلاثين مدماكا ، ارتكزت على الصخر الطبيعي للجبل ، فاشتمل المدماك الأرضي على حجرين فقط ، لتُصبح على مستوى واحد مع الصخر الطبيعي للجبل ، اما المدماك العلوي فلم يبق منه إلا ثلاث حجارة ، حجارته من النوع الطبزة ، المدقوقة بشكل ناعم في الأطراف وبزاوية ٩٠ درجة ، وهي من النوع الكلسي . بعد المدماك الثالث والعشرين عن مستوى الأرض نشاهد مدماكا من الحجر المسمسم ، الضارب الى اللون الأحمر ، يحمل شريطا كتابيا يلف البرج من الشرق الى الجنوب فالغرب نصه :—

"... وعمارته مولانا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل الكبير العالم العادل العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام

والمسلمين سيد الملوك والسلاطين ناصر الحق مغيث الخلق ملك البحرين صاحب القبلتين) خادم الحرمين الشريفين محي الخلافة المعظمة ظل الله في الأرض قسيم امير المؤمنين بيبرس بن عبد الله الصالحي اعز الله انصاره".

وبعد كلمتي (مولانا والعالم) الواردتين في النقش نشاهد حجرين نُحت على كل منهما صورة الأسد ، رنك الظاهر بيبرس : (انظر الصور رقم ٣٢، ٣٦ ص٣٧٦) ، هذا وقد سقطت عدة حجارة من بداية هذا النقش إلا ان كومب[1] ورفاقه تمكنوا من مشاهدة تلك الحجارة قبل سقوطها وقرأوا عليها عبارة " بسم الله الرحمن الرحيم" ، في الوقت الذي لم يتمكنوا فيه من قراءة كلمتي (وعمارته مولانا) الوارده هنا ، وتجدر الأشارة كذلك الى أن أحرف هذا النقش بعد كلمة (المسلمين) بدأت تتآكل بفعل عوامل الطبيعة ، بحيث تصعب القراءة دون الاستعانة بمنظار ، مما يستوجب ضرورة الحفاظ عليها .

ومثل هذا النقش والرنك وُجد على واجهة البرج الدائري الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من قلعة الحصن في سوريا ، والذي قام بتجديده الظاهر بيبرس بعد تحرير القلعة من الصليبيين . [2]

يتألف هذا البرج من طابقين : الطابق الأول ، والطابق الأرضي ، في الجهة الشرقية منه يوجد سُلّم من الدرج عطلته دائرة الآثار يؤدي الى المدخل الكائن في الجهة الشمالية من البرج . حيث يوجد بابين ، عرض الواحد ٩٠ سم اما الارتفاع فغير واضح بسبب وجود الردم نظرا لاستعمال البرج كمكان تلقى فيه النفايات من قبل القاطنين حوله ، أحد الأبواب على يمين الداخل يؤدي الى سطح البرج من الأعلى وتبدو فيه بقايا ثلاث درجات ، والباب الثاني يؤدي الى موزّع عرضه مترين وطوله ثلاثة أمتار ، يُفضي الى صالة الطابق الأول من البرج ، وهذه الصالة تتألف من اربع قناطر متقابلة ، تخرج منها أربع مثلثات كرويّة حملت السقف والذي يظهر من الداخل على شكل قُبّة ، في منتصفها فُتحة دائرية نصف قطرها ٦٨ سم (انظر الشكل رقم ١ ص٣٧٥) أُستخدمت هذه الفتحة لأنارة الصالة ، وقد اشتملت كل من القناطر الأربعة على طلاقة طولية لقذف السهام طول الواحدة ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم ، ويشاهد فيها بقايا تهدم

---

(١) Combe et.al., 1943: 223-224.

(٢) الساطع ١٩٧٥ : ٨٧-٨٩ .

من الخارج ، وتتميز الطلاّقة الغربية منها بوجود حُنية في أعلاها وقد شُذبت حجارتها على الجانبين لاعطاء يد الرامي حرية الحركة اثناء قذف السهام ، وتلتقي هذه الطلاّقية بمدى النظر مع الزاوية الشمالية الشرقية للقلعة حيث يوجد احد مداخل القلعة ، وفي ارضية هذه الصالة توجد فتحة اخرى على موازاة الفتحة الكائنة في السقف تعمل على اضاءة الطابق الأرضي .

في الجهة الغربية من الموزع يوجد باب عرضه ١١٠سم × ١٨٠ سم ارتفاعه ، يؤدي الى غرفة مساحتها ٣٫٨٠م×٥م تشبه تماما في تصميم بنائها الصالة المجاورة لها من حيث ان سقفها محمول على اربع قناطر تخرج منها مثلثات كروية تحمل القبة ، وفي الجدار الغربي نلاحظ بقايا فتحة مهدمة .

في الجهة الشرقية من الموزع يوجد باب عرضه ٩٠ سم× ١٨٠ سم ارتفاعه ينزل منه درج متعرج ، يتألف المكشوف منه من عشر درجات ، طول الواحدة ٩٠ سم وعرض دعستها ٢٢ سم ، وارتفاع مرآتها ٢٦ سم ، تؤدي الى الطابق الأرضي ، اما باقي الدرج فيغطيه الردم . وتصميم هذا الطابق على غرار تصميم الطابق الأول . ويحتوى على أربع طلاقات ، موزعة بحيث ان واحدة تتجه نحو الشرق واثنتان نحو الجنوب وواحدة نحو الغرب ، وتتعامد مع طلاّقات الطابق الأول فوقها ، ومشابهة لها من حيث الحجم . وهي مجتمعة توفر سيطرة كاملة على منحدر الجبل الذي تشرف عليه ، كما انها توفر اسنادا متبادلاً مع الأبراج (أ) و (جـ) ، فالمسافة الى البرج (أ) حوالي ١٢٠م ، في حين الى البرج (حـ) حوالي مائة متر ، ويتخلل كلتا المسافتين أجزاء متقطعة من سور المدينة .

<u>البرج (حـ) :-</u>

وهو واقع في الجهة الشرقية من المدينة والقلعة ، وبذلت دائرة الآثار العامة جهودا كبيرة في ترميم هذا البرج (انظر الصورة رقم ا ص٢٧٧ وهي قبل ترميم البرج وانظر الصورة رقم ، ص٢٧٧ بعد ترميمه) ، ويصعد اليه اليوم من خلال ٢٨ درجة مرممة تؤدي الى مدخله في الجهة الشرقية ، وعرض هذا المدخل ١٦٠ سم وارتفاعه ثلاثة امتار جاء على شكل قوس ، في اعلاه حُنية تشكّل نصف قبة ، مجوفة للداخل ، شكل هذا البرج أقرب ما يكون للمربع ، طول ظلعه الشرقي ٢٣م ، يتوزع فيه نوعين من الحجارة : نوع

سمسم قائم في ارضية هذا الجدار وعلى ارتفاع اربعة عشر مدماكا ، وبنيت بحيث تتراجع المداميك الى الخلف كلما ارتفعت ليصبح من الصعب تسلقها فتشبه الرّصيف، وربما بنيت كذلك لتكون بمثابة تسوية للأرض، ويوجد فوقها خمس وعشرين مدماكا من نوع الطبزة ثم تبدأ التّركب الحجرية في الجدار بالبروز نحو الشرق ،لتحمل فوقها شُرفات أو سقّاطات Machicoulis على شكل اقواس كانت تمتد على طول هذه الواجهة بارتفاع عشرة مداميك ، ولم يبق منها اليوم غير أربعة شُرفات ،عرض الواحدة ١٤٠ سم وارتفاعها ١٨٠ سم (انظر شكل الشرفة صورة رقم ے ص٣٧٥) يتخللها فتحات في ارضيتها بمساحة ٤٥ سم × ٤٥ سم ،استُخدمت لصب المواد الحارقةعلى كل من يقترب من المدخل الرئيسي للبرج ، وهذه الشُرفات مغطاة بقبو نصف برميلي ،ارتكز في الجهة الغربية على أقواس مماثلة بقي منها الى اليوم ثلاثة ، والمسافة بين الأقواس الشرقية والغربية ١٩٠ سم ، رُصفت أرضيتها بالحجارة الطولية الناعمة التي تشبه البلاط ، وهذه الشرفات تسيطر على مدخل المدينة الشرقي رقم (١) .

اما الجدار الغربي من هذا البرج فيمتد بطول ١٩م ، وهو مدمّر ، وأقل ارتفاعا من الجدار الشرقي بحكم طبيعة الأرض، حيث أن ارتفاعه نحو عشرة امتار فقط في حين ارتفاع الجدار الشرقي نحو ٢٥م ، وطول ظلع الجدار الشمالي عشرين مترًا ، وبه قوس عرضه ٢ر٥م وارتفاعه ٢ر٦م وربما كان اكثر من ذلك بحكم وجود ردم في المكان ، ويبدو انه كان هناك مدخل آخر للبرج عبر هذا القوس، ومداميك هذا الجدار تبدأ بالإرتداد للداخل كلما ارتفعت، وحجارته السفلى اكبر حجما من العليا ، وطول بعضها وصل الى ٢٤٠ سم بارتفاع ٥٠ سم في حين العليا كان طولها ٥٠ سم وارتفاعها ٥٠ سم واما طول ظلعه الجنوبي فهو ٢٤م.

يؤدي بنا مدخل هذا البرج الى قاعة كبيرة مساحتها ٣ر١٥م شرق غرب × ٤ر١٣م شمال جنوب ، وتتألف هذه القاعة من اربعة عقود مدببة ، متحدة في قواعدها، ارتكزت عليها مثلثات كروية ، حملت السقف الذي جاء على شكل قبّة ضحلة ، تتوسطها فُتحة للانارة طول قطرها ٢١٠ سم ،كما توجد آثار فتحة مماثلة في أرضية هذه القاعة مليئة اليوم بالرّدم ربما كانت بابًا لبئر يقوم تحتها حيث لا يوجد ما يشير الى وجود طابق تحت هذه القاعة ، يتوزع في جدران هذه القاعة عشرُ طلّاقات ثلاثة غربا وثلاثة شرقا وأربعة في الجنوب

أرضيتها جاءت مرتفعة من ارضية القاعة من خلال مصطبة ارتفاعها ٤٠ سم، تساعد الرامي في السيطرة على اقرب نقطة من حول البرج .

في الجهة الشمالية من هذه القاعة يوجد باب يؤدي الى حجرة صغيرة، ربما كانت لمن يتولى مهمة الاشراف على الدفاع عن البرج، او للتخزين وسقفها محمول على شكل قبه، ومساحتها ٢٫٥٠م×٢٫٥٠م، والى جانبها في الجهة الشمالية يوجد باب يصعد منه الى سطح البرج من خلال درج بقي منه ثمانية عشر درجة، ومغطاه بقبو حجرى، من الحجر المسمسم، طول الدرجة ٨٥ سم، وعرض دعستها ٢٠ سم، وارتفاع مرآتها ٢٢ سم، ويبدو أنها كانت تستمر لتصل الى أعلى الشُرفات القائمة في الجدار الشرقي، حيث ما يزال في الجهة الشمالية من الشُرفات بقايا ست درجات ايضا طول الواحدة ١٤٥ سم وعرضها ٣٠ سم وارتفاع ٢٥ سم.

وبمحاذاة الزاوية الشرقية من هذا البرج يمتد سور المدينة باتجاه الشرق فالشمال لمسافة حوالي ١٥٠ م منها حوالي سبعين مترا مرممة، ارتفاعها عن الأرض اربعة عشر مترا، ويعتبر جزء من هذا السور هو الجدار الشرقي ايضا للبركة الشرقية رقم (١) في المخطط. وفي نهاية هذا السور من الجهة الشرقية نشاهد أحد مداخل المدينة والذي اسميناه في هذا البحث المدخل رقم (١) انظر الصورة رقم ١ ص٣٧٨)، وقد نُحت في أسفل المداميك داخل الصّخر الطبيعي للجبل، عرضه ٠٫٧٠ م وارتفاعه ٢٫٥٠م وبعمق ٣١ م يؤدي الى البركة (مجمع السيارات اليوم) ولكنه في نهايته مغلق بردم وهنالك تفكير لدى بلدية الكرك بفتحه واستغلاله كما كان في السابق، باعتباره محاذي لمدخل الكرك القائم اليوم (الشارع العام) ولعل هذا المدخل هو باب النصر الذي اشار اليه ابن عبد الظاهر (١) عندما تحدث عن قيام الملك المنصور بتنظيف البركة الغربية منه وذلك في سنة ١٢٨٦م (٦٨٥هـ).

البرج (د) :ـ (انظر مخطط المدينة ص٤١٨)

يقع هذا البرج في الزاوية الشمالية الشرقية من الجبل الذي تقوم عليه مدينة الكرك، شكل هذا البرج مستطيل تقريبا، طول ضلعه الشرقي ١٤٫٣م وارتفاعه ١٤٫٤م تشتمل على اثنين وثلاثين مدماكا في الزاوية الشمالية الشرقية، منها الثلاثة السفلى

(١) ابن عبد الظاهر ١٩٦١ : ١٣٨.

وضعت دونما تشذيب جيد ، وفوقها المداميك الأخرى من النوع الطبزة . اما الظلع الغربي فطوله ٤١م ، وارتفاعه حوالي ٨م ، على زاويته الجنوبية أقيمت سنة ١٨٩٧م المدرسة العثمانية (ثانوية الكرك اليوم) واستخدمت في بنائها بعض حجارة هذا البرج وحجارة السور في الجهتين الشرقية والشمالية . (١) فأعيد نحتها ثانية فجاءت أصغر حجما ومن الصعب تحديد عدد مداميك حجارة هذا الظلع نتيجة للردم الذي غطى المداميك السفلى منه ، اما الظلع الشمالي فطوله عشرين مترا ، وارتفاعه مابين ٥ـ١٠م وذلك بحكم الانحدار في صفحة الجبل .

ولا يوجد في جدران هذا البرج اية طلاقات ، او ما يشير الى انه كان على شكل طوابق اذ ملىء داخله بالردم ، ولا بد انه كان يحتوي في الاجزاء العليا منه على مزاغل لرمي السهام ، ليؤدي وظيفته كبرج ، وثم انهارت مع تقادم الأيام ، وهو يسيطر على المنطقة التي يلتقي فيها وادي الست مع وادي الكرك ، كما يشرف على الجبال المقابلة للمدينة من الشرق والشمال بمدى نظر يتجاوز ٥ كم . وقد اطلق مايسترمان (٢) على هذا البرج اسم " برج النصارى " لوقوعه الى الشرق من الحي المسيحي في المدينة ، وقد غطى العمار في هذا الحي على معظم اجزاء سور المدينة في الجهة الشمالية ، في الوقت الذي تظهر منه اجزاء كبيرة في الجهة الشمالية الغربية على مقربة من البرج (هـ) برج الظاهر بيبرس وقد قامت فوقها بعض المنازل الحديثة .

البرج (هـ) برج الظاهر بيبرس :ـ

يقع هذا البرج في الزاوية الشمالية الغربية للجبل الذي تقوم عليه المدينة ، ويحتل نقطة استراتيجية تشبه موقع القلعة ، وتدافع عن اللسان الذي يربط الهضبة مع صحن المدينة ، شكل هذا البرج يشبه المعين المنحرف ، طول ضلعه الغربي خمسين مترا ، وعرضه ٣٠ر٦م ، وقد فُصل عن الهضبة بخندق عرضه حوالي ١١ـ١٤ م حفر في الصخر بعمق حوالي ٦ـ٧ أمتار ،

---

(١) Meistermann 1959: 252.

(٢) Ibid., 256.

وقد بقي من مداميك الجدار الغربي في الزاوية الشمالية الغربية تسع وثلاثـون مدماكا ، وفي الزاوية الجنوبية الغربية اثنان وثلاثون مدماكا ، اما في منتصف هذا الجدار فنجد أن العدد يصل الى اثنان واربعون مدماكا والسبب في ذلك ارتكاز هـــذه المداميك على صخر ليس على مستوى واحد ، تم فيه حفر الخندق ، وترتفع هذه المداميـك فوق الخندق تسعة عشر مترا ، يوجد في منتصف هذا الجدار بقايا فتحة طولية محصـورة بين آخر مدماكين من الأعلى عرضها ١٢ سم وطولها ١٢٠ سم ، حجارة المداميـك نوعين : كبيرة يصل طول الحجر الأكثر من مترين وصغيرة طول الواحدة ٦٠ سم .

الواجهة الشرقية لهذا الجدار لا تسير على استقامة واحدة بل تنعطف الـى الداخل قبل منتصفها ، عدد مداميكها ٢٢ مدماكا ، يقابلها ٤٢ مدماكا في الواجهـة الغربية كما أسلفنا ، وهذا الفرق ناتج عن درجة الانحدار في سفح الهضبة التي يقـع عليها البرج ، وتحمل هذه الواجهة بعد المدماك السابع عشر نقشا من سطر واحد على طول المدماك نصـه :

" بسم الله الر(حمن الرحيم) . . . السلطان المالك الظاهر السيد الأجل الكبير العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاتل الكفره والمشركين ناصر الحق مغيث الخلـق ملك البحرين صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين محي الخلافة المعظمة ظل اللـه فـي الأرض قسيم امين المؤمنين بيبرس بن عبد الله الحالـي اعز الله سلطانـه " .

هكذا قراءة كومب[١] ورفاقه ، ووضعوا كلمات (الرحمن الرحيم) بين قوسين تقديرا لما قبلها ، في الوقت الذى ما تزال فيه الاحرف الثلاثة الاولى من كلمة (الرحمـن) واضحة ومقروءة حتى اليوم .

لقد كان يحف بهذا النقش حجرين نُحت على كل واحد منها صورة الأسـد شاهدها بيركلهاردت[٢] سنة ١٨١١م في موضعها ، وربما سقط الحجران سنة ١٩٢٦م او أنه تم انتزاعها فوُضعا في واجهة مبنى المستشفى الايطالي في الكرك (ضمن البناء)

---

(١) Combe et.al., 1943:223

(٢) بيركهاردت ١٩٦٩ : ١٠٤ .

وهما من أجمل الحُلي التي وضعت في غير مكانها (انظر الصورة رقم ٣٣ ص ٢٧٦) .

وعلى ضوء التماثل في نص النقش الذي يحمله هذا البرج مع النص الذي يحمله البرج (ب) والتشابه الكبير في صورة الأسد التي وضعت ضمن كلا النقشين، يمكننا القول بأن تاريخ هذين البرجين ربما يعود الى سنة ١٢٧٧م (٦٧٦هـ) عندما قام الظاهر بيبرس باعادة بناء برجين كانا قبل ذلك صغيرين، ليكونا اكبر وأوسع وأعلى (١) ويبدو ان المعماري استفاد من الحجارة القديمة في إعادة البناء، فأعاد نحتها فجاءت اصغر حجما وأقل عددا من باقي حجارة كلا البرجين .

يلتقي مع الجدار الغربي للبرج جداران آخران : — واحد من الشمال وآخر من الجنوب، ويمتدان نحو الشرق، ليسا متوازيين، فالجدار الشمالي لا يلتقي مع الجدار الغربي بزاوية قائمة بل ينحرف نحو الجهة الشمالية الشرقية بحكم ارتكازه على صخر الجبل، ويشتمل هذا الجدار على ثمانية وأربعين مدماكا، يدعمه جدار إستنادي من الزاوية الشمالية الشرقية للمدخل، عرضه حوالي أربعة امتار ويرتفع الى اثنان وأربعون مدماكا حجارتها من النوع المسمسم المائل الى اللون الأسود، اما الجدار الجنوبي فيلتقي مع الجدار الغربي بزاوية قائمة، وطوله ٢٢م، بقي منه واحد وثلاثون مدماكا وحجارة كلا البرجين من النوع الطبزة الخفيفة، بعضها كبير يصل في طوله الى مترين والآخر صغير طوله حوالي نصف متر، وحجارة الجدار الجنوبي مائلة الى اللون الأسود .

مدخل هذا البرج في الجهة الشرقية من الجدار الشمالي، كان يُصعد اليه بواسطة درجتين، تُشاهَد بعض بقاياها اليوم، عرضه ٩٠ سم وارتفاعه ٢٣سم وعرض الجدار الذى يقع فيه هذا المدخل ٢٠ر٠م، بعد باب المدخل يبدأ سلم درجي متعرج، طول بعضها ٩٠ سم، وبعضها الآخر ٨٥ سم، وعرض دعستها ٢٥ سم، وارتفاع مرآتها ٢٥ سم يغطيها قبو حجرى، وهي تشبه الدرج في بعض المآذن، ومع كل تعرج للدرج، توجد فتحة في الجدار للاضاءة، فعلى يمين الداخل توجد طلاقتان متعاقبتان في الجهة الشمالية، طول الواحدة من الخارج ٩٠ سم، وعرضها ١٢ سم، واما عرضها من الداخل فيبلغ ٤٠ سم، وهذا التصميم جعلها تؤدي وظيفة دفاعية بالاضافة الى الانارة الداخلية

(١) ابو المحاسن ج٧ ١٩٣٨ : ١٩٤؛ ابن شاكر ج١ ١٩٥١ : ١٦٨؛ اليونيني ج٣ ١٩٦٠ : ٢٥٩.

وعلى يسار الداخل توجد فتحتان ،مسافة الواحدة ٣٠×٣٠سم ساهمتا في اضاءة السلم الدرجي .

يؤدي هذا الدرج الى سطح البرج حيث توجد مصطبة تمكن المدافع من التنقل على الجدران الثلاثة للبرج والتي يتراوح عرضها مابين ٦ — ٨ أمتار،ويبدو ان هذا الجزء من البرج قد دُمر مع الايام اذ لم تعد تظهر فيه سوى بقايا غرفة مراقبة في الجدار الغربي ،فيها بقايا طلاقة طولية من الجهة الغربية محصورة بين مدماكين ،عرضها ١٢ سم،كماتوجد بقايا اقل حجما من هذه لغرفة مراقبة مماثلة في الجدار الشمالي وقياسا على ذلك ربما كان هناك غرفة مع طلاقة في الجدار الجنوبي .

ومن خلال صورة لهذا البرج تعود الى منتصف القرن التاسع عشر (انظر الصورة رقم ، ص ٣٧٨)(١) يتضح لنا ان هذا البرج كان يتألف من ثلاثة طوابق : الاول يضم المدخل مع ساحة أمامية ،والثاني كان يحتوى على مجموعة من الغرف حيث تظهر غرفتان في الجدار الشمالي وثمانية غرف في الجدار الغربي يتقدمها مصطبة (برنده) على طول الجدار،اما غرف الجدار الجنوبي فغير واضحة في الصورة اذ يغطيها الظل ،ولعله كان في هذا الجدار غرفتان على غرار الجدار الشمالي المقابل له. اما الطابق الثالث فانه كان يحتوى على مجموعة من المزاغل ،موزعة على الجدران الثلاث،كان يصعد اليها من نفس السلم الدرجي القائم في مدخل البرج في الجهة الشرقية من الجدار الشمالي . ومن خلال هذه الصورة ندرك مدى التطابق بين تصميم هذا البرج وبين برج القلعة الجنوبي (الحصن) بحيث نستطيع القول بان مصمم البناء في كلا البرجين معماري واحد والحصن من عهد الظاهر بيبرس في ضوء الكتابة التي يحملها كلاهما . كما ندرك ايضا مدى الخسارة التي لحقت في هذا البرج ،حيث زال اكثر من نصفه خلال قرن من الزمن ،وتغطي هذا البرج في مجال المراقبة كافة التلال المقابلة للمدينة من الشرق والشمال والغرب والجهة الغربية باتجاه القلعة .

---

(١) عرضت هذه الصوره في معرض" رحلة الى الاردن في القرن التاسع عشر الذى اقامه مصطفى حمارنه في المركز الثقافي الملكي في عمان بمنتصف شهر كانون الثاني ١٩٨٥ .

المدخل رقم (٢) :ـ

على بعد ٧٤م الى الجنوب من البرج (هـ) ـ برج الظاهر بيبرس ـ يوجد مدخل المدينة رقم (٢) (انظر مخطط المدينة ص ٤١٨ وصورة رقم ٣ ص ٢٧٨) ، عرض هذا المدخل ٢٨٥سم ، وارتفاعه ٣٣٥سم ، ثم يبدأ الارتفاع في الزيادة كلما تعمقنا فيه حتى يصل الى سبعة امتار ، فبناء هذا المدخل على شكل قوس ، ارتكز في كل جهة على خمسة مداميك مدقوقة بشكل ناعم ، وعدد حجارة القوس تسعة ، أربعة من كل جهة ثم حجر الغلق ، يفتح هذا الباب باتجاه الغرب مع انحراف بسيط جهة الجنوب ، ونظام بنائه مشابه تماما لنظام القاعات الغربية في القلعة .

وفوق القوس يوجد حجر مستطيل الشكل ، كان يحمل كتابة عربية ـ لم تعد قائمة اليوم ـ وقد تمكن ماوس[1] وسوفير سنة ١٨٦٤م من قراءة بعض الكلمات التي كانت موزعة على اربعة أسطر نصها :

" بني هذا الباب المبارك في عهد . . . . . (مولانا السلطان المالك) المعظم . . . شرف الدنيا والدين عيسى ابن (الملك العادل) سيف الدين ، في ولاية شمس الدين سنقر المعظمي ، وكان الفراغ منه سنة ٦٢٤هـ" (١٢٢٩م) .

وقد شاهد مسترمان[2] هذا النقش سنة ١٩٠٨م ، إلا انه اشار الى أن هذا القوس من ايام الرومان ، دون بيان الأسس التي استند اليها في حُكمه هذا ، مع ان الحجر الذي حمل النقش لا يختلف عن باقي حجارة القوس من حيث النوع وطريقة النحت ، كما ان طراز هذا القوس لا يختلف في شيء عن تلك الأقواس القائمة في الاجزاء الغربية من القلعة التي تعود للفترة الاسلامية .

وبعد القوس نجد ان المدخل نُحت في الصخر ، وهو من النوع المنكسر ، يمتد لمسافة اربعة عشر مترا باتجاه الشمال ، ثم ينكسر باتجاه غرب المسافة اثني عشر مترا وهنا نشاهد في سقفه فتحة للانارة (مغلقة اليوم) ثم ينعطف المدخل باتجاه شمال

---

(١) Mauss et Sauvaire 1874: 106,206

(٢) Meistermann 1909: 258

شرق ولمسافة عشرين مترا بعدها نشاهد النور، وندخل الى مدينة الكرك من الجهة الغربية للمستشفى الايطالي ، وارتفاع صفحة الجبل عن باب كلا المدخلين (١ ، ٢) حوالي خمسة وعشرين مترا . . . . وقد أشار سترمان [1] الى أن مدخل ثالث للمدينة يبعد عن المدخل الثاني حوالي خمسمائة خطوة باتجاه الجنوب قُرب بركة الحجاب، وأنه مشابه له ، ونصفه مسدود وان المار به يواجه صعوبة كبيرة بسبب وجود الرّدم داخله . الا انني لم اتمكن من بيان موقع هذا المدخل بسبب انتشار المعمار الحديث، وإن كنت اعتقد انه لا يبعد كثيرا عن البرج الغربي (و) حتى يتسنى لحامية البرج الاشراف والسيطرة عليه .

وعلى بعد مائة متر تقريبا من المدخل رقم (٢) باتجاه الجنوب نشاهد بقايا جدارين متعاقبين من سور الكرك يمتد الواحد لمسافة ثلاثين مترًا تقريبًا وبارتفاع يتراوح ما بين ٨-١٥ مترا والمسافة الفاصلة بينهما حوالي ستين مترا ، حجارتها هشّة غير مشذبة إلا بالحد الذي يسمح بتركيب الحجر على الآخر ، ولا ندري فيما إذا كان الجدار الخارجي يمتد على طول حافة الجبل الغربية أم أنه بُني في هذه النقطة التي تعتبر مسيل ماء في فصل الشتاء لمنع الانزلاق في حافة الجبل ، حيث لا نُشاهد بقايا تدلّ على استمراره حول الجبل .

<u>البرج (و) :</u> - (انظر مخطط المدينة والصورة رقم ١ ص٣٧٩)

يقع هذا البرج في الجهة الغربية من المدينة ، لم يبق من جدرانه الأربعة غير الجدار الغربي والجنوبي وعند قواعده من الغرب نُشاهد ردما كثيرا وفوق الردم يمكننا ان نشاهد خمسة عشر مدماكا من النوع المسمسم بنيت بشكل مائل الى الداخل ، وهي من القطع الكبيرة متوسط طول الحجر الواحد ١٣٠سم × ٦٠ سم الارتفاع، وقد بُنيت فوقها وبزاوية ٩٠ درجة حجارة من النوع الطبزة بقي منها عشرين مدماكا ، مشابهة لحجم الحجارة في المداميك السفلى ، ومن خلال الطلّاقات في هذا الجدار يمكننا القول بانه كان يتألف من طابقين كحد أدنى ، حيث ما تزال أربع طلّاقات طول الواحدة ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم، اما الطلّاقة الشمالية العليا فعرضها ٢٠سم، كما

---

(١) Ibid., 258.

تتميز في انها من الداخل لها حُنية من الأعلى في حين الطلاّقات الاخرى بنيت على شكل قلب يعلوه مربع " " ، وهو ما سنرى مثله في قلعة الشوبك (انظر ص ٣٩٥)

اما الجدار الجنوبي فانه يحتوي على طلاّقتان في كل طابق ، من النوع الثاني ويزداد الردم عند قواعده من الخارج . والبرج من الداخل شبه مدمر ، وقد أُسيء استعماله من قِبَل السكان المجاورين ، واستغلوا بعض غرف منه لتخزين التبين ، اوكمربط للدواب بعد ان أُضافوا عليه بعض الجدران وبنوا فيها أبوابا لهذه الغاية ، وبعد هذا الجدار لا نُشاهد أجزاء من سور المدينة باتجاه الجنوب إذ أن العمار الحديث غطى عليها ، وانتشر حتى الزاوية الشمالية الغربية للخندق الذي يفصل القلعة عن المدينة .

وبذلك نكون قد تعرفنا على ماتبقى من سور المدينة ، وعلى مدخلين من مداخلها وعلى ستة أبراج من أبراجها ، ولا يفوتنا هنا ان نذكر بأن موري (1) قد اشار سنة ١٨٦٨م الى وجود سبعة ابراج في سور مدينة الكرك ، فربما كان البرج السابع بين البرجين (د و هـ) بحكم وجود مسافة فاصلة طويلة بين هذين البرجين على خلاف المسافات بين باقي الابراج الأخرى ، ثم ما لبث أن اندثر كباقي اجزاء سور المدينة في هذه الجهة بحكم انتشار العمار الحديث فيها .

مما تقدم نستطيع القول بأن المسلمين قاموا ببناء الأبراج بمختلف أنواعها : المربع والمستطيل وشبه المنحرف والدائري ، مع مراعاة طبيعة الأرض ، وبما يتلائم من العمليات الحربية ، فهي تسيطر على مداخل المدينة ، وعلى سطحها يتمكن المحاربون من التنقل بحريّة خلف جدران واقية من النيران ، كما ان باستطاعتهم مراقبة أي حشد من الاعداء ولمسافات طويلة والتهيوء له واخذ الاحتياطات اللازمة قبل وصوله ، وهو بتوزيعها تضمن وجود اتصال سريع وفعّال بينها كابراج وبينها وبين القلعة ، فبواسطة الصوت أو الاشارة يمكن توصيل او استقبال اية معلومات ما بين القلعة والأبراج (أ ، ب ، حـ ، د) وما بين القلعة والابراج (هـ) و(و) .

---

(1) Murry 1868: 56-57.

ومن حيث تصميم البناء فقد روعي فيه توفير الراحة للمقاتل على مختلف فصـــول السنة، فهو واسع من الداخل تتوفر فيه الأضاءة والتهوية الجيدة، كما ان سماكه الجدران من خلال استعمال الحجر جعلته باردا في الصيف دافئا في الشتاء، وتصميم سقوفهـــا على شكل قبة محمولة على مثلثات كروية او على شكل قبو برميلي جعل من السهـــــل انسياب الماء عنها في فصل الشتاء عبر قنوات أو مزاريب لتخزن اما في آبار اسفـــــل الابراج او الى البرك الموجودة داخل المدينة.

وبوابات هذه الأبراج جُعلت من الداخل، بحيث يسهل الانسحاب منها باتجـاه القلعة في حال تمكن الاعداء من الدخول الى المدينة واحتلال الابراج باعتبار ان القلعة هي المكان الأخير الذي يُلجأ إليه بعد سقوط المدينة.

قلعـة الكـرك :ـ

تنهض القلعة على ذُروة الجبـل، في الجهة الجنوبية، يفصلها عن المدينة خنـدق قُطع في الصخر، وقبل الدخول للتعرف على معالمها الداخلية لا بد لنا من إلقاء نظرة على محيطها الخارجي لاستطلاع خنادقها واسوارها وابراجها وطلاّقاتها وبركتها، ونبـدأ من الجهة الشمالية باعتبار ان المدخل المؤدي اليها اليوم قائم من هذه الجهـــة.

الخندق الشمالي :ـ

حُفر هذا الخندق على طول واجهة السور الشمالي للقلعة، وحَفْره لم يكن عاموديا او على خط مستقيم، بل تأثر بدرجة صلابة الصخر، ووجود العروق الترابية فيه، ونتيجـة لذلك كان التباين في عرضه، اذ تراوح ما بين : ١١-١٦-٢٣م، وعمقه اليوم يتـــراوح ما بين ٦-٨ امتار، بعد ان تسربت اليه كميات كبيرة من الرّدم، في الوقت الذي أشـار فيه ابن الاثير[1] إلى أن وجود هذا الخندق وعمقه نحو ستين ذراعا كان عقبة لم يتمكن معها صلاح الدين الأيوبي من فتح القلعة سنة ١١٨٤م (٥٨٠هـ) بالرغم من احتلالـه للمدينة، ومحاولاته في ردم الخندق.

---

(١) ابن الاثير ج١١ ١٩٦٦: ٥٠٦.

ويبدو ان الردم استمر في التسرب الى الخندق مما دفع بالظاهر بيبرس للأمر بتنظيفه عندما احتل القلعة والمدينة سنة ١٢٦٢م (٦٦١هـ) (١) ، ويشير ابو الفداء (٢) الى ان عمق هذا الخندق كان خمسين ذراعا ، وانه كان عليه جسر عَبَرَ عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ١٣٠٨م (٧٠٨هـ) ، وأثناء عبوره سقط الجسر فسقط الى الخندق خمس وثلاثون من مماليك السلطان كما سقط غيرهم من أهل الكرك لم يهلك غير شخص واحد ، ويبدو أن هذا الجسر كان يمتد ما بين الباب السريّ القائم في السور الشمالي والصخرة التي تقابله على الطرف الآخر من الخندق حيث يوجد بروز لهذه الصخره باتجاه المدخل ، يقابله بروز آخر في الصخر تحت المدخل ، كما أن جسرا آخر كان قائما عند الباب الموجود في الزاوية الشمالية الشرقية للسور الشمالي ، حيث يوجد بروز في الصخر عند عتبة هذا المدخل ، كما توجد بقايا قاعدة حجرية مقابل هذا المدخل على بعد ١٦م ، في منتصف نهاية الخندق الشرقية ، محيطها ١٢م وارتفاعها ٤م ، كانت تشكل نقطة الوسط التي كان يرتكز عليها الجسر ، اذ يقابلها على الطرف الثاني من الخندق نتوء صخرى .

ان الجزء الغربي من هذا الخندق ملىء اليوم بالردم بعد فتح البوابة الحديثة للقلعة في الجدار الشرقي للبرج رقم (١) سنة ١٩٦٣م ، وهذا الجزء يستعمل كموقف للسيارات القادمة الى القلعة ، ويوجد امام البوابة بعض الحجارة الكبيرة بطول ٢م وارتفاع ٨٠ سم ، وقد نُحت فيها تجويف بطول ١٨٠سم وعمق ٤٥ سم وعرض ٥٥سم ، نُحت في بعضها إطار من الأعلى بعرض ٥ سم ، لعله كان من اجل تثبيت غطاء فوقه ، وبالتالي ربما استخدمت كمدافن ، وقد عثر عليها في اماكن أثرية من محافظة الكرك وحملت الى هنا ، وبعضها الاخر بدون اطار لعلها استخدمت كمعالف او مشارب للدواب .

ولا ندري الى أي أمة يرجع الفضل في استعمال الخندق في التحصينات ، لكنه كما اسلفنا في المقدمة ظهر في تحصينات بعض المواقع في فلسطين مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد ، وتطور مع نمو تطور بناء القلاع ، ورأينا كيف أن المسلمين قاموا ببناء خندق حول المدينة المنورة عندما تعرضوا لغزوة من المشركين ، واستطاعوا افشال تلك الغزوة

---

(١) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ٤٩٣ .

(٢) ابو الفداء ج ٧ ١٩٦١ : ٦٥–٦٦ .

والتي سميت " بغزوة الخندق " ولعلهم انطلقوا من هذه الفكرة في تحصين مواقعهم تيمنًا بالرسول صلّى الله عليه وسلم، وليس كما أشار فيدن (١) عندما اعتبر أن الخندق تقليدا بيزنطيًا اعتمدوه في بناء تحصيناتهم، اذ أن الخندق اصبح في القرون الوسطى ذو أهمية كبيرة في حماية القلاع، ومظهرًا مميزا لدى حصانتها، اذ نُشاهده في معظم قلاع سوريا وفلسطين والأردن ومصر.

السور الشمالي :— (انظر المخطط والصور رقم ٢ ص٢٧٩)

ان هذا السور لايمتد على استقامة واحدة، بل فيه ثلاث زوايا، وذلك نتيجة لارتكاز مداميكه على صخر الجبل الذي قُطع فيه الخندق، فكان لا بد ان يكون اتجماه المداميك وفقا لطبيعة الجبل الجغرافية، طول الجزء المتبقي من هذا السور حوالي (١٢٠)م، ومن خلال الطلاّقات القائمة فيه نستطيع القول بأن المباني التي كانت خلفه تتألف من ثلاثة طوابق، وعدد الطلاّقات المنتشرة في الطابق الأول ستة عشر، وفي الطابق الثاني خمسة عشر، وفي الثالث عشر طلاّقات، تم اغلاق بعضها في وقت متأخر، ليس بينها أي تجانس من حيث الطول أو العرض، بعضها في الطابق الثاني جاء اطول وأعرض من غيره، وبعضها الآخر نُحتت أطرافه بعرض ٤٠ سم فشكّل هذا النحت افريزًا للطلاّقة وبعضها الآخر لم ينحت الافريز كاملا بل تم نحت بعض الحجارة فقط، وبعضها الآخر لم يُنحت نهائيا، وسنأتي على قياساتها في حديثنا عن القلعة من الداخل.

بقي من هذا السور واحدًا واربعين مدماكا، ليست موحدة الارتفاع، فبعضها يصل الى ٦٥ سم والآخر لا يتعدى الثلاثين سم، وكذلك الحال بالنسبة لاطوال الحجارة المستعملة فبعضها قد يصل الى ٢٢٠ سم في حين بعضها الآخر لا يتعدى المتر، وهي من النوع الصلب، بعضها يميل الى اللون الاحمر، والبعض الاخر الى اللون الأسود، ليس في نحتها ما يشير الى وجود خبرة او فن في النحت، بل اكتفى بتربيعها الى الحد الذى يسمح بتركيب الحجر فوق الآخر، ويعلل ديشامب(٢) السبب في ذلك الى أمرين هما : صلابة الحجارة المستعملة من جهة والى وجود هذه القلعة على حافة الصحراء

---

(١) Fedden 1955: 24.

(٢) Deschamps 1939: 81

من جهة ثانية فلم يتمكن الصليبيون من الاستفادة من وجود مهندس معهم، فكان لابد من استخدام الجنود المحاربين الذين لا يدركون فن النحت والبناء لأداء هذه المهمّة، لكننا نرى ان السبب ربما يرجع الى حالة الحرب والذعر التي كان يعيشها الصليبيون من جهة، والى عدم توفر الخبرة الكافية لدى مهندسيهم في النحت والبناء فالكرك لم تكن بعيدة عن بيت المقدس لاحضار مهندس من هناك قدم مع احدى الحملات طالما ان النجدات كانت تتحرك باستمرار وتصل في الوقت المناسب وتفك الحصار عن الكرك، كما اوضحنا ذلك في المقدمة التاريخية.

ولم يكتف ديشامب(1) بما اورده من تعليل عندما تحدث عن هذا السور بل اضاف قائلا انه لم ير فيه اثراً للحصار الذي فرضه صلاح الدين على القلعة سنة ١١٨٣/ ١١٨٤م بالرغم من استعماله للمنجنيق !!

ولا ندري ماذا كان القصد من عبارة "اثر الحصار" فهل وجد ديشامب برجي هذا السور الشرقي والغربي كاملين ؟ أم انه وجد بضع مداميك في الغربي فقط، واساسات البرج الشرقي فقط، وهو الواقع الصحيح لهما !او لم يشاهد فزاغل هذا السور وقد تهدمت، ام انه لم يلاحظ أماكن ضربات المنجنيق في السور وقد كُسّرت اجزاء من بعض الطلاّقات ؟ وهُدمت الواجهة الغربية الداخلية المقابلة للبرج المنهار، وبلغ طول الجزء المنهار ٥٠م، وان بعض قذائف المنجنيق، ومتوسط وزنها ٢٥ كغم قد عملت حُفراً في بعض حجارة السور، وأنها ما تزال موجودة داخل الأجزاء الصليبية.

مداخل السور الشمالي :-

يوجد في هذا السور مدخلين كانا يؤديان الى داخل القلعة : الأول في الزاوية الشمالية الشرقية لهذا السور يفتح الى الشرق، وهو اليوم مهدّم لم يتبق منه غير بقايا قوس، ويوجد خلفه باتجاه القلعة درج يصعد الى داخل القلعة، نحو الطابقين الثاني والثالث، غير أنه مدمر في كثير من أجزائه، وبالتالي يصعب عدّ الدرجات القائمة فيه، وان كنا نستطيع عد ١٢ درجة صاعدة، و ١٩ درجة تهبط الى طابق أرضي معالمه غير واضحة بسبب الردم، وطول الدرجة ٩٠ سم وعرضها ٢٧ سم، وارتفاع مرآتها ٢٧ سم.

---

(1) Deschamps 1939: 83

وكان يتقدم هذا الباب جسر متحرك يرتكز على قاعدة تبعد عن المدخل ستة عشر متـرا الى الشرق ،بقي من هذه القاعدة بعض المداميك التي ترتفع نحو اربعة امتار، ويقطـر يزيد عن ١٢ م في جوانبها ، وسبقت الاشارة اليه.

أما المدخل الثاني فيبعد عن هذا المدخل مسافة ٣١ م باتجاه الغرب حيث ينحرف السور الى الداخل بعمق ٠٫٨٠م ، وفي هذه الزاوية يقوم باب المدخل الثانـي ويفتح الى جهة الغرب (وهو اليوم مغلق) وفوق عتبته تمّ نحت صليب داخل دائـرة ونُحت ورده بين كل ظلعين من اظلاعه على هذا الشكل (انظر الصـورة رقم ٣ ص٧٩)، اذا وضع الصليب داخل دائرة او نصف دائرة فانه يعرف باسم "الصليب الكوني" ويصبح رمزاً للدلالة على الكون ، وأحيانا يوضع داخل مربع ليرمز الى الارض، مـع وجود الحرفين اللاتينين (Ω λ) كما هو الحال في كنائس جرش، ومثل هـــذه الصّلبان يرجع الى الفترة ما بين بداية القرن الثاني ونهاية القرن الرابع الميلادي. (١)

وفوق عتبة المدخل بُنيت الحجارة بحيث تكون مغروزة الى الداخل ، مع نُحت بـروز الى الخارج ، ربما استخدم لتركيب مظلة خشبية فوق المدخل في ايام الشتاء ،كما يوجد فوق هذا المدخل فتحتان ربما استخدمتا لصب المحروقات على كل من يقترب من الباب في ايام الحرب.

ابراج السور الشمالي :ـ (انظر المخطط ص٤٢،٣)

توجد بقايا لبرجين في هذا السور أحدهما في الجهة الغربية (برج رقم ١ فـي المخطط) ، وقد فتحت سنة ١٩٦٣م في جداره الشرقي بوابة تؤدي الى داخل القلعـة ولم يبق من هذا البرج الا بعض المداميك في الجهة الشمالية ويتخللها طلاّقة واحدة طولها ١٠٠ سم وعرضها ٢٠ سم ، ويبدو ان هذا البرج اعتمادا على ما بقي من اساسات كان يمتد الى الغرب بعرض تسعة امتار.

اما البرج الشرقي رقم ٦ ، فقد تهدمت مداميكه ، ولم يبق منه الا أجزاء صغيـرة من الأساسات ومن خلالها يمكن القول انه كان مربع الشكل طول ظلعه حوالي خمسة عشر مترا ، وفي ضوء انهياره يتضح لنا معالم ثلاثة طبقات من القلعة انظر الصورة رقم ص .

---

(١) Medebielle 1967: 12

وهذا السور وهذه المعالم من الفترة الصليبية. نظرا لوجود الصليب المنحوت على المدخل، ووجود الكنيسة خلف السور، والى جوارها فرن ومعصرة، وفوق عتبة المعصرة يوجد نقش بالاحرف اللاتينية - سنأتي على وصفه - كما ان طريقة نحت على الحجارة تختلف عن غيرها من اجزاء القلعة التي تعود للفترة الاسلامية من خلال النقوش التي تحملها، فالحجارة في هذا الجزء هشة لا تدل على ممارسة او فن في هذا المجال، كما ان الجدران جاءت سميكة، تصل الى ثلاثة أمتار وليس في حجارتها أي تجانس.

وفوق الطابق الثالث خلف اجزاء القلعة المنهارة، بقي سبعة مداميك من الحجر تختلف من حيث لونها وحجمها وطريقة نحتها عن باقي الاجزاء الاخرى التي تحتها فهي من الحجر الجيري الأبيض، نُحتت بشكل جيد، وبطريقة الطبزة المزمول، يحف بالحجر اطار بعرض ٤ سم تقريبا، منحوت بشكل ناعم، ومطابقة لنوعية الحجر الذي بُني منه السور الغربي للقلعة والذي يعود للفترة الاسلامية - المملوكية - استنادًا الى وجود بقايا نقش باللغة العربية على واجهة هذا السور الغربية.

<u>السور الغربي من الخارج :-</u> (انظر المخطط والصور رقم ١ ص٣٨)

طول هذا السور حوالي (٢٠٥م) حتى بداية بركة ام الناصر (انظر المخطط) ولو سرنا بمحاذاة هذا السور من الشمال الى الجنوب لوجدنا ان أول ٤٧ م منه مدمرة حجارتها من النوع الطبزة المنحوت بشكل جيد، معظمها تساقط، وتُشاهد في الاجزاء المتبقية منها الشقوق والتصدعات نتيجة للزلازل، وهذا الجزء يمتد على استقامة واحدة ثم ينعطف باتجاه الغرب لمسافة ١٠٫٣٠م، وهنا يزداد ارتفاع المداميك المتبقية فتصل الى ثلاث واربعين مدماكا، ويتخلل هذا الجزء من السور شبّاكين واسعين احد هما على مستوى الطابق الثاني، والآخر في الطابق الثالث بعد ثمانية مداميك من الشباك السابق، ومساحة الشباك الواحد ١٠٠ سم عرض × ١٨٠ سم ارتفاع تقريبا وربما استخدمت هذه النوافذ كمداخل جانبية يُدخل اليها بشكل او بآخر، او انها خصصت لاستعمال القادة لتمكنهم من تسيير العمليات الحربية.

وبعد مسافة ١٠٫٣٠م يعود السور للامتداد جنوبا على استقامة واحدة ولمسافة ١٢٠٫٦٠م، ويتخلل هذا الجزء على مستوى الطابق الاول، وبعد مسافة ٨٧٫٣٠م باتجاه

الجنوب ، يتخلله المدخل الرئيسي للقلعة من الجهة الغربية ، وعرض هذا المدخل ٠٫٨م وهو مغلق اليوم ، وتم بناؤه بحيث يكون مختفيا الى الداخل عن مستوى مداميك السور بحيث يكون على شكل قنطرة عالية ترتفع الى ثمانية وعشرون مدماكا ، وذلك لحمايتـــه من مياه الأمطار كما يوجد فوق المدخل قوس به فتحه (سقاطه لصب المحروقات منهـــا "انظر الصورة رقم ص") ومما يلفت النظر هنا انه على بعد ٢٠ م من كلا جانبي المدخل وعلى مستوى الطابق الاول يوجد في هذا الجزء من السور فتحتان مساحة الواحـــدة ٨٠ سم × ٨٠ سم ، تؤدي الى داخل القلعة بعمق حوالي عشرين مترا ، تتسع لانسان قد يسلكها زحفا على بطنه ، ولا ندري ما الغاية من ورائها وتبقى الأجابة على ذلك مرهونة باجراء عمليات التنظيف لها ، وتوفير الامكانات للقيام بذلك .

بعد المسافة المشار اليها ينحرف السور مرة اخرى باتجاه الغرب ولمسافـــة تسعة امتار ، ويمكن مشاهدة مدخل آخر سري يعلوه قوس في هذا الجزء ، وهو مغلق اليوم وكان يفتح باتجاه ، الشمال ، وتتم حمايته من خلال وجود طلاقتان . وبعد مسافة التسعة أمتار يستمر اتجاه السور الى الجنوب لمسافة ٢٢م ينعطف الى الداخل (نحو جســـم القلعة) مشكلا بذلك بُرجا مستطيلا هو البرج (رقم٣) ، وعمل على تكوينه استمرار السور مع خطوط الكنتور للجبل ، كما ان هذا البرج شكّل دعّامة للسور نفسه ، وفي الجدار الجنوبي للبرج يوجد أيضا طلاّقتان ، وفوقهما تبرز حجران عن جسم السور ربما كانت تحمـــل (سقّاطات) لصب المحروقات على كل من يقترب من الباب السري القائم تحتها في اسفل الجدار ، ويفتح نحو الجنوب (وهو مغلق اليوم) اما الجدار الغربي لهذا البرج فإنـــه يحتوي على اربع طلاّقات على مستوى الطابق الثاني ، وسنأتي على ذكر مقاساتها عنـــد الحديث عن القلعة من الداخل ، وتحت هذه الطلاّقات توجد بقايا نقش كتابي على مداكين من الحجر المسمسم أُمكن قراءة بعض الكلمات منه وهـــي :

١) ... لا الـــــه الا اللـــــه .....

٢) ... السلطـــان الملـــك ....

بعد هذا البرج باتجاه الجنوب ، يستمر السور لمسافة حوالي ٢٥ م حيث تبـــدو بعدها أجزاء اخرى مدمرة ، وهنا يمكن مشاهدة جدار آخر خارجي ، غير واضح الهويـــة حجارته من النوع الصلب ، وليست مدقوقة بشكل مقبول ، ولونها ما بين الأحمر والاسود ، والى

جانبها رصيف صغيـر .

انه من خلال الطلاّقات الموزعة في السور الغربي يمكننا القول بأنه كان يشتمل على ثلاثة طوابق كحد ادنى وما تزال معالمها حتى اليوم، فالطابق الأول يشتمل على احد عشر طلاّقة، والثاني يشتمل على ثمانية عشر، والثالث على احدى وعشرين طلاّقة، تم توزيعها بحيث تغطي نيرانها كامل الأرض التي تشرف عليها من جهة الغرب حتى بداية البرج رقم٣ في السور الغربي نفسه. حيث يحتوي هذا البرج على طلاّقتان في الجهة الشمالية وطلاّقتان من الجهة الجنوبية وأربع طلاّقات في الواجهة الغربية، وسنأتـي على ذكر مقاسات هذه الطلاّقات عند حديثنا عن الأجزاء الداخلية للقلعة، أما الجدار الذي يلي البرج من جهة الجنوب فإنه من خلال الطلاّقات القائمة فيه يمكننا القول أنـه كان يتألف من ثلاثة طوابق في كل طابق خمسة طلاّقات، ويعلو السور من الاعلى بقايـا المزاغل لإطلاق السهام .

ان السور الغربي بكامله عمل اسلامي وذلك من خلال التجانس الكامل في نوعية الحجر الكلسي الأبيض المستعمل في البناء، والذي نُحت بشكل جيد وعلى نظام الطبزة مع نحت اطار ناعم لكل حجر في الجوانب بعرض ٣-٤ سم، كما ان وجود النقش ايضـا يؤكد بأن هذا العمل اسلامي، ويحطنا على اخذ مواصفات هذه الحجارة لنقارن بهـا أعمال معمارية مشابهة حتى يسهل تاريخها، وكذلك طراز البناء المتمثل في القاعـات والغرف القائمة داخل هذا السور والتي سنتعرف عليها في الصفحات اللاحقة، وقـد أقرّ ديشامب[1] بأن هذا العمل اسلامي باستثناء وجود رصيف في الطرف الجنوبـي من هذا السور اعتبره فرنسيا، وكذلك وجود بعض اجزاء من السور ترتفع بعض الامتـار من صنع فرنسي، دون توضيح للسبب الذي حمله على ذلك، ان وجود الرصيف حول القلاع لم يكن في يوم من الايام من صنع صليبي، فقد عرفته قلاع فلسطين في الألف الثاني قبـل الميلاد، وأما وجود اجزاء من السور ترتفع بعض الامتار تعتبر صليبية. فهذا امر لم ألاحظه ربما لوجود ردم احاط بسور القلعة نتيجة تنظيف بعض أجزائها في الداخل والقـاء الردم خلف الاسوار، الا انني شاهدت عند الطرف الجنوبي للأسوار جزء يرتفع نحو نصف متر وحجارته صغيرة مختلفة من حيث الحجم وغير منحوتة كالحجارة التي فوقها، ولم تصمم

---

(١) Deschamps 1939: 92.

لتكون مداميك بل صممت بحيث تكون ضمن أساسات الاسوار الغائرة في الأرض.

السور الجنوبي من الخارج :-

طول هذا السور حوالي تسعين مترا ، ولا يسير على استقامة واحدة بل ينحرف نحو الداخل والخارج بالنسبة للقلعة على ضوء جغرافية الصخر الذي تقوم عليه ، ولو استعرضناه من الغرب باتجاه الشرق ، لوُجد ان طول أول جزء منه تسعة امتار ، وتتألف من سبع وثلاثين مداماكا من النوعين الطبزة والمسمسم ارتكزت على حجارة أصغر حجما وأقل دقة من حيث نحتها ، على اعتبار انها جزء من أساسات السور ، وأنها لا تُرى لمن يلقي نظرة على القلعة من جهة جبل الثلاجة ، وليس في هذا الجزء طلاّقات.

بعد هذا الجزء ينحرف اتجاه السور الى الجنوب ولمسافة خمسة امتار ، ومما يلفت النظر في هذا الجزء وجود مدخل سري للقلعة يفتح باتجاه الغرب ، وما يزال يعترض مدخله بعض الحجارة وان كانت معالم المدخل واضحة لمن يقترب منها ، بعد ذلك ينعطف اتجاه السور نحو الشرق ولمسافة ٢٢م تقريبا حيث يلتقي مع النتوء الصخري للجبل والذي يرتفع أعلى من هذا الجدار ، وفي هذا الجدار توجد بقايا أربعة طوابق من خلال تعاقب الطلاّقات التي يصعب قياسها بسبب ارتفاعها ، فعلى مستوى الطابق الاول توجد طلاّقة واحدة وفي الطابق الثاني ثلاثة ، وفي الطابق الثالث اثنتان بالاضافة الى وجود مشربيّات (سقاطة) لصب المحروقات ، وفي الطابق الرابع طلاّقتان ، وعدد مداميك هذا الجدار الظاهرة فوق الردم الموجود بمحاذاة السور أربع واربعين مداماكا من النوع الطبزة يتخللها حجارة مسمسة ، وجميعها كلسيه بيضاء منحوته بشكل جيد ، ومطابقة لحجارة السور الغربي .

يلي هذا الجزء من السور جدار آخر متمم له هو جدار الحصن ، وهو اعلى نقطة في القلعة ، يمكن أن نعدّ فيه سبعة وأربعين مداماكا من النوع الطبزة المزمول ، وطوله حوالي . أربعين مترا ، ومن خلال الطلاّقات نلاحظ انه يتكون من اربع طوابق (انظر الصورة رقم ٢ ص ٣٨) الطابق الاول وفيه طلاّقتان اطول من غيرهما اذ تمتد على ارتفاع أربعة مداميك ، الطابق الثاني وفيه ثلاث طلاقات ، والثالث فيه اربع طلاّقات ، والطابق الرابع يحتوى على خمس طلاقات ، كما يعلوه بقايا مزاغل . وسنأتي على ذكر مقاسات

بعض هذه الطلاّقات عند الحديث عن الحصن من الداخل .

ومما تجدر الاشارة اليه انه مابين طلاّقات الطابق الثاني وطلاّقات الطابق الثالث يُشاهد شريط كتابي على طول واجهة الجدار ، ونُحت على ارتفاع مدماكين ، وبواسطة استعمال منظار امكننا قراءة : ـ

" اللـه . . . الملك السلطان المظفر المؤيد . . . . محيي الخلافة المعظمة . . . ظل اللـه في الارض . . . اعز اللـه " .

والمتأمل في هذا النقش يستطيع مشاهدة بقايا نحت لأسدين كانا يحفان به الا ان عوامل الطبيعة أدّت الى زوال الملامح الرئيسية وابقت على الجزء الخلفي من صورة الأسد .

ويلتقي مع هذا الجدار ـ الذي يحمل النقش ـ جداران آخران : واحد من الغرب بطول حوالي اثني عشر مترا ، والثاني من الشرق وطوله حوالي عشرين مترا ، في كل منهما طلاّقة واحدة طويلة على مستوى الطابق الأول ، في حين يوجد على مستوى الطابق الثاني في كل منهما طلاّقتان ، ويصعب الوصول اليها لأخذ مقاساتها . وهي ليست متعامدة في ترتيبها فوق بعضها ، بل جاءت موزعة في مختلف انحاء الجدار بما يوفر الحماية للسور من هذه الجهة ، والسيطرة على الارض المطلّة عليها ، وإن كان مداها ضيقا بحكم وجود جبل الثلاجة في مواجهتها .

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من القلعة نشاهد جدارًا آخر مرتفعا خلف سور القلعة تتخلله أُربع طلاّقات ، ويبدو أن مهندس البناء أدرك ان هذا الجزء من الأرض قد يشكل نقطة ضعف يمكن تسلقها او انهيارها فأقام فيه هذا الجدار ، كما إقام عدة غرف بين كلا الجدارين (سور القلعة وهذا الجدار) تبدو معالمهما واضحة من الجهة الشرقية ، وهنا لا يفوتنا ان نذكر بأنه نتيجة للزلازل تبدو آثار التشقق والتصدع في السور الجنوبي من القلعة أكثر من باقي الأسوار .

ونتيجة لعوامل الطبيعة فقد تشكلت بعض التجويفات في الصخر الذي ارتكز عليه السور الجنوبي للقلعة ، فقام المعماري بملء هذه الفراغات بالمداميك الحجرية ، لتحقيق مزيد من المناعة في السور ، وللحيلولة دون تسلقه او اختراقه ، كما قام أيضا بعمل رصيف

باتجاه سفح الجبل جنوبا ، نحو البركة لتشكل حاجز بينها وبين سور القلعة ، من شأنه منع تسرب مياه البركة الى اسوار القلعة ، وبنفس الوقت تكون البركة سدًا في وجه أية محاولة لاختراق القلعة من هذه الجهة . وعند الزاوية الجنوبية الشرقية للسور الجنوبي والبركة يوجد بقايا بعض المداميك الحجرية في وسط شق صخري ، ولعل هذه المداميك تمثل بقايا قاعدة كانت تحمل فوقها جسر متحرك كان يصل الى داخل القلعة ، حيث يشاهد على موازاة هذه القاعدة فُتحة تؤدي الى داخل القلعة _ يصعب الوصول اليها اليوم .

البركة :_ (انظر موقعها في الصورة رقم ا ص ٢٨١) .

يوجد في الكرك ثلاثة برك ، الأولى وتقع في الجهة الشرقية من المدينة عند المدخل رقم (١) من مداخل المدينة ، وتستعمل اليوم محطة للسيارات ، والثانية تقع في الجهة الغربية من المدينة وتعرف باسم " بركة الحجاب" وقد اقيمت فيها المنازل الحديثة والثالثة هي البركة الواقعة خارج سور القلعة الجنوبي ، بين الخندق _ الذي يفصل جبل الثلاجة عن الجبل الذي تقوم عليه القلعة _ وبين سور القلعة ، وتتألف من جزئين : بركة كبيرة من الجهة الغربية مساحتها ٦٠ م شرق غرب ، و٣٠ م شمال جنوب ، وعمقها يتراوح ما بين ٨_١٠ م ، وسمك جدرانها يصل الى ٣٫٤م ، في حين ذكر ديشامب(١) ان مساحتها ٥٥×١٢_٢٠م٣ . ويوجد الى الشرق منها بركة أُخرى أصغر حجما اذ تبلغ مساحتها ٢٠٫٣١م شرق غرب و ١٥ شمال جنوب ، وهي مماثلة من حيث طريقة البناء للبركة الغربية ، وكلا البركتين طُوبتا من الداخل بالمداميك الحجرية ، وهي من الحجم الكبير اذ يصل طول بعضها الى مترين بارتفاع ٩٠ سم ، ويمكننا مشاهدة مابين ١٠_١٣ مدماك ويبدو انها كانت مقصورة من الداخل بالملاط حيث ما يزال اجزاء كبيرة منه الى اليوم .

ومستوى أرضية البركة الشرقية منخفض عن مستوى البركة الغربية ، وبالتالي فانها ربما استُخدمت لتصريف الماء الزائد عن سعة البركة الغربية .

وتشاهد بقايا بعض الغرف في الجهة الشرقية من هذه البركة ، ومساحة احدى هذه الغرف ٥×٥ م ، وقد بقي جزء صغير من سقفها البرميلي الشكل ، كذلك توجد بقايا سكنة على السور الغربي من البركة ، بقي منها شباك يفتح باتجاه الغرب عرضه ٢٫٥م

---

(١) Deschamps 1939: 86.

وارتفاعه ٣م ، وفي الوقت الذي اشار فيه ديشامب(1) على "ان هذه البركة من صنع فرنسي عاد وذكر الى ان هذه السكنة عمل اسلامي ، واضافه انه وجدت مثل هذه البركة في قلاع اخرى مثل المرقب والصبيبة والشقيف". ولعل هذه الغرف كانت لفئة من الناس مهمتها الأشراف والرعاية للبركة بالاضافة الى قيامهم بمهمة المراقبة والدفاع عن القلعة .

انا نختلف مع ديشامب في نسبة هذه البركة للصليبيين ، ذلك ان الجهد الذي تطلّبه بناؤها يعادل بتقديرنا جميع العمل الصليبي في القلعة إن لم يكن اكبر منه وان المداميك التي بُنيت منها البركة جاءت مختلفة تماما عن تلك التي بُني فيها السور الشمالي للقلعة والذي قلنا عنه انه صليبي من خلال الدلائل الموجودة على مدخله والتي اشرنا اليها في معرض الحديث عنه ، وكذلك ذكر ديشامب بأن ذلك السور صليبي ، ورأينا ان حجارة ذلك السور لم تكن مشذبة ولا تنم عن أي فن في نحت الحجر ، في الوقت الذي نجد فيه أن حجارة المداميك في هذه البركة منحوته نحتا ومن الحجم الكبير ، بعضها من النوع الصلب والبعض الآخر حجر كلسي ابيض مشابه الى حجارة السور الغربي في القلعة ـ وهو اسلامي من خلال النقش المثبت فيه ـ ومطابقة لحجارة السور الجنوبي القائم على مقربة من البركة .

وفي الوقت الذي سعى فيه ديشامب(2) جاهدًا للدلالة على أن القلعة زمن الصليبيين كانت تمتد حتى هذه البركة ، وحتى الجزء الغربي من القلعة ـ القلعة السفلى ـ وذكر ان المسلمين احترموا وجود الأساسات الصليبية ، فبنوا فوقها ، فإننا لم نجد ما يشير الى وجود تطابق في نوعية الحجر وطريقة نحته في هذه الاجزاء وفي تلك التي بناها الصليبيون ، كما انه عاد للقول بأن الحصن عمل عربي اسلامي وكذلك المباني القائمة خلف السور الغربي من القلعة .

كذلك فإنه بالامكان مشاهدة العديد من القطع الفخارية الاسلامية المتناثرة حول وداخل البركة ، ولعل هذه القطع جزء من الانابيب الفخارية التي كانت تستخدم لتصريف الماء من سطح القلعة الى البركة ، وبتقديرنا انه مهما بلغت كميات الامطار التي تسقط على مسطح القلعة سنويا ، وتنقل الى البركة والابار الموزعة داخل القلعة فإنها لن

---

(1) <u>Ibid.</u>, 86.

(2) <u>Ibid.</u>, 86-87,89.

تملأها اذ ان متوسط سعة البركة وحدها في ضوء مساحتها يصل الى مابين ٢٠-٥ ٢ الف متر مكعب، ولا يُعقل أن يقوم المعمار ببناء بركة بهذا الحجم، ويبذل فيها ذلك الجهد معتمدا فقط على مياه الامطار من سطح القلعة، وبالتالي فإننا نستطيع القول أن الماء كان ينقل الى هذه البركة من مياه ونبع عين الست وينابيع اخرى من سفح جبل الثلاجة بواسطة قنوات، قُدّر لنا ان نشاهد جزءا صغيرا منها، واذا كانت تلك الينابيع قد جفّت مع مرور السنين فإنها في بعض السنوات التي تزيد فيها كميات الامطار المتساقطة تعاود الظهور على شكل مصابات . وفي هذا الصدد ذكر ديشامب(١) ان خوري طائفة الكرك (ابوديا) ذكر له عن تلك القناة التي كانت تنقل الماء من النبع الى البركة، وأضاف ديشامب الى ان ليونز ومايوس وسفير قد قاموا سنة ١٨٦٤م وبواسطة أحد الأدلاء بالعبور من خندق طويل محفور في صفحة جبل الثلاجة ويتصل مع اسفل القلعة ويؤدي الى عين الماء. واليوم ونتيجة لشق الطريق الى بلدة الشهابية — جنوب غرب الكرك — وقطع صفحة الجبل نشاهد العديد من الفتحات في سفح الجبل ولعل احداها هي التي تؤدي الى نبع الماء.

والمصادر التاريخية الصليبية التي قُدّر لنا الاطلاع عليها لا تشير الى وجود بركة في الفترة التي كان فيها الصليبيون في قلعة الكرك، في حين تشير بعض المصادر العربية(٢) الى أن السلطان قلاوون قام سنة ١٢٨٦م (٦٨٥هـ) أثناء زيارته للكرك بالوقوف على تنظيف بركة قريبة من باب النصر، وفي صحبته الأمراء والخواص وجميع الناس حتى حفرت ونظّفت في مدة ثلاثة ايام، وقيل في أسبوع.

ولما كان في الكرك ثلاثة برك، ولها اكثر من مدخل، فإنه من الصعب القول بأن هذه البركة هي المعنيّة بالحديث، اذ لعلها تكون البركة الموجودة خلف المدخل رقم (١) من مداخل المدينة، باعتباره المدخل الوحيد للمدينة من جهة الشرق، علمًا بأن ديشامب(٣) اعتبر البركة الواقعة جنوب القلعة "بركة النصر" قياسا على تسمية المدخل عند المؤرخين العرب.

واذا كانت البرك والآبار من الأمور التي تساعد حامية القلعة في مواجهة أي حصار فإنها أيضًا يمكن ان تستغل في زراعة الخضار في فصل الصيف، كما ان البرك يمكن استغلالها لهذه الغاية اذا ما جفت، حيث يبقى في ارضيتها مخزون من الرطوبة التي تساعد في زراعة الخضار.

---

(١) Ibid., 86.
(٢) ابن الفرات ج ٨ ١٩٣٩ : ٣٨ ؛ ابن عبد الظاهر ١٩٦١ : ٣٨
(٣) Deschamps 1939: 86.

السور الشرقي من الخارج :- (انظر المخطط)

وطول هذا السور حوالي ١٧٠م ، يتخلله اربعة ابراج من الشمال الى الجنوب وذلك على النحو التالـي :-

البرج رقم(٦) :-

وهذا البرج مدمر، وقد بقيت اجزاء صغيرة من اساساته ومن خلالها إتضح أنـه مربع الشكل طول ظلعة ١٥م، وقد ادى دماره لكشف معالم الطوابق الثلاثة الداخلية وسهل تمييزها من خلال الجدار الغربي المتبقي منه، والمبني من حجارة غير منحوتـه وقد بُني فوق هذه الطوابق الثلاثة سبعة مداميك من الحجر الكلسي المنحوت نحتـا ناعما بشكل جيد ، ويتخلل الجدار، مستوى الطابق الاول والثاني أبواب تؤدي الى ممر قائم داخل القلعة اتجاهه من الشمال الى الجنوب.

البرج رقم(٧) :-

ان طول جدار السور الممتد من البرج رقم(٦) الى البرج رقم(٧) ٥ر٢١م وتتوزع فيه اربع طلاّقات، بقي منه عشرون مدماكا ترتفع حوالي ستة أمتار، يدعمه جـدار استنادي يرتفع حوالي متر ويسير بموازاته من الشرق ويبعد عنه مسافة مترين . وأمـا البرج رقم(٧) فهو مستطيل الشكل ، طول ظلعه الشرقي ٩م وطول ظلعيه الشمالـي والجنوبي ٤٠ر٥م، وأعلى ارتفاع له في الزاوية الجنوبية الشرقية والتي بقي منها ثلاثيـن مدماكا ، مبنية بنوعين من الحجارة : حجر كبير صلب يصل طوله الى مترين وارتفاع مدماكه ٦٥ سم ، لونه مائل الى اللون الاحمر، وحجر آخر حجمه صغير، متوسط طول الحجـر فيه ٣٥ سم وارتفاع مدماكه ٤٠ سم، في جداره الشمالي باب سري - مغلق اليوم - كان يفتح على المنطقة الفاصلة من بين السور والجدار الاستنادي الموازي له ، ويعلو عتبتـه لوحة كانت تحمل نقشا ضربت جميع معالمه . ويتوزع في جُدران البرج وعلى مستوى الطابق الأول منه ثلاث طلاّقات، واحدة في الشرق ، واخرى في الجنوب وثالثة في الشمال ،أما على مستوى الطابق الثاني منه ففيه طلاّقة من الشمال ، واثنتان من الجنوب، واثنتان من الشرق ، وهذه الطلاّقات مدمرة ، حيث يبدو أن سكان القلعة من اهل الكرك قاموا بعملية توسعة لها عندما كانوا يقيمون فيها في الخمسينات.

برج رقم (٨) :-

طول جدار السور الممتد ما بين البرجين السابع والثامن ٤١م، تبدو فيه بقايا طابقين من خلال الطلاقات المتبقية حيث يوجد ثلاثة في كل طابق، وهي من الداخل مغلقة ومن الخارج يصعب الوصول اليها، واما البرج رقم (٨) فهو ايضا مستطيل الشكل طول ظلعه الشرقي ١٥م في حين طول ظلعيه الشمالي والجنوبي ٥,٥٠م، ويصل اعلى ارتفاع له الى ثلاث وخمسون مدماكا، حجارته رمادية صلبة من الحجم الصغير ٣٥×٤٠سم وقد نُحتت بشكل مقبول يسمح ببنائه فقط دون مراعاة لوجود إطار ناعم او زاوية قائمة تماما او أن يكون الحجر بشكل ناعم مسمسم أو طبزه.

برج رقم (٩) :-

طول جدار السور الواصل ما بين البرجين الثامن والتاسع حوالي اربعين مترا تظهر فيه اربع طلاّقات في الطابق الاول وستة مع مستوى الطابق الثاني، وحجارته لا تختلف عن حجارة الجزء الذي قابله، وقد بقي أربعة عشر مدماكا، اما البرج رقم (٩) وهو مستطيل الشكل فطول ظلعه الشرقي ١٠,٥م واما طول ظلعيه الشمالي والجنوبي فهو ٥,٧٠م، يشتمل في جداره الشرقي على ست وعشرون مدماكا، بقي من المدماك العلوي حجر واحد، وفي هذه الواجهة طلاّقة واحدة.

ويستمر السور بعد البرج رقم (٩) باتجاه الجنوب لمسافة ٣٣م تقريبا، وهو هنا من جزئين : الأسفل ويترفع حوالي ثمانية أمتار وقد بُني من الحجارة والطين ووصل سمك هذا السور الى ثلاثة امتار، والجزء الثاني ويتألف من ست وعشرون مدماكا من الحجر الكلسي المنحوت بشكل جيد على نظام الطبزة المزمول، ومن الحجم الكبير، اذ يصل متوسط حجم الحجر الواحد الى ١٣٠ سم × ٥٠ سم، ويتخلل جدار السور ضمن طلاّقات على مستوى واحد، يعلوها ثلاث طلاّقات اخرى، ثم طلاّقتان. وهذه الطلاّقات ليست متعامدة مع بعضها في التوزيع، بل تغطي الواجهة بكاملها، ويعلوها شرفات ومزاغل في اعلى السور، وتجدر الاشارة الى ان هذا الجزء من السور يشكل الجدار الشرقي لحصن القلعة الجنوبي، وسنأتي على ذكر مقاسات طلاّقاته عند حديثنا عن الحصن من الداخل.

ان من يشاهد حجم حجارة المداميك من الخارج ومدى ارتفاعها فوق الجزء الاسفل من هذا الجدار الذي تتمثل فيه حجارة صغيرة، يسجل عيبا على المعماري الذي قام بعملية البناء حيث وضع بناء ثقيلا وضخما فوق حجارة صغيرة الحجم، ولكن عندما ندقق في الجزء السفلي من الجذر من داخل القلعة وخارجها نجد ان سمكه يتراوح ما بين مترين الى ثلاثة امتار، وكلما اتجهنا نحو الجنوب يقل سمك الجدار السفلي ليحل محله صخر الجبل ذاته الذي تقوم عليه القلعة، ويبدو ان المعمار أخذ هذه الامور بعين الاعتبار واراد ان يوفر على نفسه الوقت والجهد فبنى فوقها، ودلالة على دقة ومتانة البناء فإن هذا الجزء ما زال قائما الى اليوم وان كانت الزلازل قد عملت شرخا فيه من الجهة الجنوبية الشرقية وهذه مسألة طبيعية.

ولا يفوتنا ان نشير الى ان حجارة هذا السور وابراجه تختلف تمام الاختلاف على حجارة السور الشمالي للقلعة من حيث حجمها وطريقة نحتها، ففي الوقت الذي بدت فيه حجارة الواجهة الشمالية هشة كبيرة ليس فيها أي شكل من اشكال فن النحت، فقد بدت حجارة هذه الواجهة أصغر بكثير مع نحتها بشكل مقبول.

والجهة الشرقية من القلعة تتميز بوجود رصيف دفاعي من حجارة كبيرة، سطحها ناعم، تمتد من الشمال الى الجنوب بطول حوالي تسعين مترا، وتنحدر باتجاه الشرق حوالي خمسين مترا، ويصعب تسلقها، بسبب شدة الانحدار في صفحة الجبل، كما ان وجودها شكّل دعامة للسور والأبراج، وقلّل من فرصة تصدعها وانهيارها، وهذا الرصيف مشابه للرصيف القائم حول بعض الاجزاء من قلعة عجلون، ويمكننا القول أنه بُني بعد عملية التوسيع التي جرت في الواجهة الشرقية من القلعة، فجاءت حجارته منحوته نحتا ناعما في وجهها الظاهر فوق الأرض، ولو أن بناءه تزامن مع بناء السور الشمالي للقلعة والذي يعود للفترة الصليبية، كما أشرنا لما جاء منحوتا، أو لكان من باب أولى ان تكون حجارة السور الشمالي منحوته نحتا ناعما، وعليه يمكننا القول بأن هذا الرصيف من العهد الأيوبي حيث وجد كثيرا حول القلاع الأيوبية في حلب وحمص وحارم [1]، كما رأيناه حول البرجين الثاني والسادس من قلعة عجلون.

---

(١) الساطع ١٩٧٥: ٤٧، ٥٢، ٥٧.

القلعـة من الداخـــل :ـ

الجزء الأسفل الغربي : (انظر مخطط الطابق الثاني للقلعة ص ٤٢٤)

ندخل الى القلعة من الباب المستحدث في الواجهة الشمالية، فنجد انها تتألف من جزأين رئيسيين :ـ الجزء الأسفل ويقوم في الجهة الغربية على يميننا والجزء الاعلى ويقوم في الجهة الشرقية على يسارنا، وهذا التقسيم ناتج عن طبيعة الجبل الجغرافيـة حيث الجزء الغربي اقل ارتفاعًا من الجزء الشرقي، كما ان في الجبل انحدارًا قليـــل نحو الجنوب في كلا الجزائين، ونبدأ استطلاع الجزء الاسفل، فنتابع سيرنا عبر درج مستحدث ولمسافة خمسين متر تقريبا ثم ننعطف نحو اليمين للتعرف على مجموعة مـــن الغرف عددها ست (انظر الصورة رقم ١ ص٣٨٤).

الغرفة رقم (١) :ـ

وهي قائمة في الجزء الشمالي مساحتها ٣×٣٠ر٢م وارتفاع سقفها ٥ر٢م، مدخلها على شكل قنطرة عرضها ٣٠ر٢م، في صدرها من الشمال شباك مساحته ١٠٠×١٢٠سم ومن يجلس في هذا الشباك يستطيع مشاهدة ما يجري على سطح البرجين (و) و (هـ برج الظاهر بيبرس)) من ابراج المدينة، وتلقي أية اشارة تصدر من حامية كلا البرجيـن كما تحتوي هذه الغرفة في جدارها الغربي على باب عرضه ١٠٠سم وارتفاعه ١٧٠سم يؤدي الى غرفة صغيرة مساحتها ٢٥ر١×٤٥ر٣م، وبها طلاّقة عرضها من الداخـــل ١٧٥ سم في حين من الخارج باتجاه الشمال طولها ٦٠سم، وعرضها ١٥ سم، وسقف هذه الغرفة من حجارة مستوية منحوته نحتا ناعما، وتحقق مدى سيطرة يصل الى البـــرج (و) ومدى رؤيا يصل الى البرج (هـ).

والى الغرب من هذه الغرفة، وفي الزاوية الشمالية الغربية للسور الغربـــــي للقلعة يوجد باب صغير مشابه لباب الغرفة الصغيرة السابقة وعلى عمق درجتين نجـد أنفسنا في غرفة صغيرة أيضا، تحتوي على طلاّقة باتجاه الغرب، طولها ١٩٠ سم وعرضها من الداخل ٦٠ سم في حين من الخارج ١٥ سم، سقفها على شكل قبو، ويوجد فـــي جدارها الشرقي قناة، مصممة ضمن الجدار، عرضها ٤٠ سم وعمقها ٥١سم تؤدي الـــى أسفل القلعة (الى القاعة ب ـ الملحق ـ) ربما استخدمت لتوصيل المعلومات بيـن طوابق القلعـة.

الغرف الخمس الاخرى : ـ

أما الغرف الخمس الأخرى في جدار السور الغربي من الشمال فمساحة الواحدة ٢٫٨٥م × ٢٫١٠م وكل غرفة تحتوي على طلاّقة، وطول كل طلاقة فيها ١٥٠سم وعرضها ١٢سم من الخارج، اما من الداخل فعرضها ١٧٥سم، اذ تم نحت الحجر بحيث يشكل مساحة واسعة من الداخل تتسع لأثنين من الجند، وتكون ضيقة من الخارج (١٢سم) وتم تصميم حُنية على شكل قوس فوق كل طلاّقة ارتفاعه ٥٠ سم من جهة الداخل، ومدخل كل غرفة على شكل قنطرة تفتح باتجاه الشرق، عدد حجارة القنطرة الواحده منها ثمانية عشر حجرا، تسعة من كل جهة ثم حجر الغلـق، وعدد المداميك في واجهة هذه الغرف ثمانية مداميك ترتفع ٢٫٨٠م، وفوق سطح الغرف بقايا لبعض المزاغل، وامامها ساحـة مكشوفة تحتوي على خمس فتحات توفر الاضاءة لقاعات قائمة تحتها.

بعد هذه الغرف نتابع السير باتجاه الجنوب فتنخفض الأرض تدريجيا، بحيـث تبدو لنا الغرف التي غادرناها كطابق ثالث، ثم نشاهد على يمننا ثلاثة أبواب تفتـح للجنوب : الأول يؤدي الى القاعة (أ)، والثاني مهبط درج، والثالث يؤدي الـى القاعة (ب) ـ المتحف ـ) ضمن الطابق الثاني (انظر المخطط للطابق الثاني).

القاعة (أ) في الطابق الثاني : ـ (انظر الصورة رقم ٢ ص ٣٨٢)

مساحة المدخل ٢٫٤٠ × ٢٫٢٠م، يُفضي الى قاعة مساحتها ٢٣٫٦٠م × ٥٫٤٠م ارضيتها مبلطة بالحجارة المنحوته نحتا ناعما كالبلاط، وفي سقفها الذي يرتفع حوالـي ٦ م فتحتان للانارة والتهوية، وهو على شكل قبو برميلي، والجدران مقصورة حد يثـا بالاسمنت والرمل، وتُستعمل هذه القاعة كمستودع لدائرة الآثار، وقاعة طعام للبعثـات الاثرية التي تعمل في المحافظة، وليس بها طلاّقات، وانما تحتوي في جدارها الجنوبي على يمين المدخل على قبو صغير ١٫٥ × ٢م منخفض عن مستوى أرضية القاعة، فغلـق في نهايته وبتقديرنا انه يحتوي على درج ينزل الى الطابق الاول من القلعة.

الباب الثاني (مهبط الدرج) : ـ

عرض هذا الباب متر وارتفاعه ١٫٩م ينزل منه ٢٦ درجة، طول الدرجة ٨٠سم وارتفاع مرآتها ٢٥ سم، وعرض دعستها ٢٢ سم، ويؤدي هذا الدرج الى القاعة الشمالية

القائمة في الطابق الأول، فبعد نزول ٢١ درجة من المدخل باتجاه الشمال ننعطف نحو الغرب خمس درجات اخرى فنصبح على ارضية القاعة الشمالية من جهة الشرق، ويعلو هذا الدرج سقف وحجارة منحوته نحتا ناعما.

القاعة ب ـ المتحف ـ : ـ (انظر الصورة رقم ٢ ص ٣٨٢)

عرض باب المدخل ٠٥ر١م وارتفاعه ٦٥ر٢م، وسمك جداره حوالي متر، يهبط منه ست درجات الى ارضية القاعة، والتي تستعمل اليوم كمتحف، ومساحة هذه القاعة ٢٠ر٣م×٥ر٨م، ارضيتها مبلطة بالحجارة الناعمة، وعلى جانبي القاعة من الشرق والغرب توجد ست مداميك في كل جهة، حجارتها كبيرة ومنحوته نحتا ناعما، ولونها رمادي وترتفع عن ارضية القاعة من كل جهة ٤٥ر٢م، يبدأ بعد هذا الارتفاع بشكل القبو الرملي الذي يشكل سقف القاعة، ويتخلل الصقف ثلاثة فتحات مربعة الشكل للانارة والتهوية، يساهم في حمل السقف قنطرتان بنيت حجارتهما بشكل عرضي.

وفي الجدار الشرقي لهذه القاعة توجد غرفة وعلى شكل خُينة، مساحتها ٢٥ر٣×١٠ر٣م، اما الجدار الجنوبي فيشتمل على غرفة بداخلها شباك ومساحتها مطابقة لمساحة الغرفة السابقة، واما الشباك فمساحته مماثلة لمساحة الشباك الذي يعلوه في مستوى الطابق الثالث من القلعة (١٠٠سم×٢٠١سم) ويختلف عنه من حيث وجود خُينه في اعلاه تشبه في تصميمها الكتب المرصوصة في رفوف.

اما الجدار الغربي للقاعة فيوجد فيه في الجهه الشمالية باب صغير يرتفع عن أرضية القاعة نصف متر، ومساحة هذا الباب ٨٠سم×٨٠ر١سم، يفضي الى ممر يتجه غربا بعمق ٩ر٢م وعرض ٨٠ سم ثم ينحرف الى الشمال حيث توجد غرفة صغيرة ذات موقع استراتيجي، مربعة الشكل ١٠ر٢×١٠ر٢م، تحتوي على طلاّقة باتجاه الغرب، طولها ٥ر١م وعرضها من الخارج ١٢ سم، في حين عرضها من الداخل ٧٠ سم، في جدار الغرفة الشرقي قناة لتمرير المعلومات للحامية التي تكون موجودة في القاعة السفلى تحت هذه القاعة، وقد قمنا بتجربة النداء بصوت عادي بين كلا القاعتين فكان الصوت بمنتهى الوضوح، كما قمنا بانزال جرة من الحجم العادي بواسطة حبل عبر هذه القناة فنزلت بسهولة. وسقف هذه الغرفة عبارة عن قبة حجرية بمنتهى الاتقان ارتكزت

على حجارة اخرى مجوفة للداخل على شكل أقواس. ويعتقد بينا أن بناء هذا السقف على شكل قبّة يساعد في عملية توصيل الصوت واضحا، فقد كنا نسمع الصوت الصادر من الطابق الاسفل وكأنه يأتي من الأعلى، نتيجة لارتداده.

نُغادر هذه القاعة (المتحف) ونواصل سيرنا بمحاذاة السور الغربي من الداخل باتجاه الجنوب نشاهد تسعة غرف هي امتداد للغرف التي سبق وتحدثنا عنها في هذا الجانب من القلعة، كما انها مطابقة لها من حيث التصميم والحجم، وكل منها تحتوي على طلاّقة، يغطي الردم ارضية بعضها، اما التي لا يغطيها الردم فطولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم، بعدها نجد غرفة اصغر حجما اذ أن طولها متران وعرضها ١٫٩٠م وارتفاع سقفها عن الارض ٢٫٢٠م، يليها على نفس الامتداد ستة غرف اخرى، من الحجم الذي سبق وان أشرنا اليه، ولا يفوتنا الاشارة الى ان في كل غرفة من هذه الغرف طلاّقة باتجاه الغرب طولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم وفوق هذه الغرف وعلى طول امتداد السور الغربي توجد الطلاّقات والمزاغل التي تساهم مع باقي الطلاّقات القائمة في القاعات الأخرى بالاشراف والسيطرة على الارض التي تطل عليها غربا نحو وادي الإفرنج، وتوفر مدى رؤيا واستطلاع للتلال المقابلة وعلى مسافة تزيد عن ٢٠ كم.

بعد صفّ الغرف هذا يوجد وعلى نفس الامتداد وضمن السور الغربي من الداخل ثلاثة ابواب او مداخل تفتح باتجاه الساحة المركزية :-

<u>الباب الأول :-</u>

عرضه ٧٥ سم وارتفاعه ١٤٠ سم، يؤدي الى غرفة صغيرة مساحتها ١٫٧×٢٫٢م وتحتوي في جدارها الغربي على طلاّقة طولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم، وارتفاع سقفها ٢٫٤٥م، وهو نصف اسطواني بُني من حجارة منحوتة نحتا ناعما، وتُستخدم هذه الغرفة كمستودع صغير لمصلحة دائرة الآثار.

<u>الباب الثاني :-</u>

عرض هذا الباب ٩٠ سم وارتفاعه ١٦٠ سم يُفضي الى درج حلزوني الشكل عرض الدرجة ٨٠ سم، وارتفاع مرآتها ٢٠ سم، ويشتمل على ٣٥ درجة، تؤدي الى القاعة الجنوبية القائمة في الطابق الأول من هذا الجزء، يتخلل هذا الدرج في بدايته ومنتصفه طلاقتان تفتحان باتجاه الغرب، وهي تؤدي اكثر من وظيفة اذ تعمل على توفير

انارة الدرج وتهويته بالاضافة الى وظيفتها الدفاعية، ويغطي الدرج سقف مسطح من حجارة منحوته نحتا ناعما، صُفّت الى جانب بعضها بعضا .

اما الباب الثالث :ـ

فعرضه ١٢٠ سم وارتفاعه ٢١٥ سم ويؤدي الى داخل البرج رقم (٣) .

البرج رقم (٣) :ـ انظر المخطط والصوره رقم (ص ٣٨ ،)

نهبط من الباب الثالث عبر اربع درجات لنجد انفسنا في قاعة طولها ١٣٫٨٠م وعرضها ٥م، يرتفع في جداريها الشرقي والغربي خمسة مداميك ثم يبدأ القبو، اذ يوجد به فتحتان للانارة، أرضيتها مبلطة بالحجارة الناعمة، وفي كل من جداريها الشمالي والجنوبي طلاّقة.

واما الجدار الغربي لهذه القاعة فيحتوي على اربع ابواب صغيرة، عرض الباب الواحد ٨٠ سم وارتفاعه ١٥٠ سم :ـ الباب الأيمن منها يؤدي الى غرفة مساحتها ٤م×٣٫٠٢م، سقفها على شكل قُبّة تكونت نتيجة لتقاطع اربع قناطر او أقواس في جدرانها الأربعة، وفي هذه الغرفة طلاّقتان واحدة تفتح باتجاه الشمال، وتسيطر على مدخل القلعة الغربي، والأخرى تفتح باتجاه الغرب، وطول كل منهما ١٥٠ سم وبعرض ١٢سم.

اما البابين الثاني والثالث فيؤدي كل منهما الى غرفة مساحتها ٢٫٥×٢٫٨م تحتوي كل غرفة في جدارها الغربي على طلاّقة، طول الواحدة ١٠٥سم وعرضها ١٢سم يعلوها حُنية بارتفاع ٥٠ سم، وتتسع لمقاتل، اذ يبلغ عرضها من الداخل حوالي متر وتسيطر حتى قعر وادي الافرنج غربا . اما الباب الرابع فيؤدي الى غرفة مطابقة من حيث مساحتها وتصميمها الى الغرفة التي يفتح عليها الباب الاول والتي تحدثنا عنها وهذه تحتوي على طلاّقتان واحدة باتجاه الغرب والاخرى باتجاه الجنوب، وهي مماثلة للطلاقات السابقة، والجنوبية تسيطر على السفح الجنوبي للجبل.

بعد ان تعرفنا على البرج الثالث، نُغادره من حيث دخلنا لنواصل التعرف على ماتبقى من غرف على السور الغربي، حيث يوجد خمسة غرف اخرى في النهاية الجنوبية للسور، اثنتان منها مدمرة، والثلاثة الاخرى مطابقة تماما للغرف الأخرى التي اشرنا

على هذا السور، كما نشاهد فوق أجزاء كبيرة منه بعض الطلاقات والمزاغل ، طول الواحدة ٦٠ سم وعرض ١٥ سم، وتوفر مزيداً من الإسناد والسيطرة على الواجهة الغربية للقلعة.

اما الجدار الجنوبي للجزء الاسفل من القلعة فيوجد فيه بقايا طابقين من الغرف، كل طابق يحتوي على ثلاث غرف، وفي كل غرفة طلاّقة وهي من حيث الحجم وطريقة البناء مشابهة للغرف القائمة في السور الغربي من القلعة، وإن كان أصابها الدمار في الجهة الجنوبية الغربية، وطلاّقاتها تسير على الزاوية الجنوبية الغربية للقلعة والخندق والبركة، وأمام هذه الغرف ـ جهة الشمال ـ ست فتحات للاضاءة والتهوية لقاعات قائمة في الطابق الأول من الجزء السفلي للقلعة.

الطابق الأول من الجزء السفلي للقلعة :ـ (انظر المخطط ص ٤٢٣)

في منتصف الساحة العليا للطابق الثاني من القلعة وفي الجهة الشرقية منه يوجد بناء مستطيل الشكل، ٨ر٦ × ٢ر٨م، يشتمل على ثمانية مداميك ، ترتفع ٧ر٣م، له مدخلان غربي عرضه ٢ر١م وارتفاعه ٢٥ر٢م، وشمالي طوله ٥ر١م وعرضه ٢ر٢م، ندخله فنجد أنفسنا في مدخل طوله ٥ر٢٣م وعرضه ٢ر٢م، وعند بداية هذا المدخل على اليمين يوجد حُنية صغيرة، وارضية المدخل مبلطة بالحجارة الناعمة التي رتبت على شكل درج او بسطات تعتبر مريحة جداً في الصعود أو النزول، وسقفه على شكل قبو معقود بالحجارة المنحوته يتخلله ثلاث فتحات للانارة. (انظر الصور رقم ٤١ ص ٣٨٣).

بعد مسافة ٥ر٢٣ م لهذا المدخل يواجهنا باب عرضه متر وارتفاعه متران، يؤدي الى غرفة صغيرة مساحتها ٧ر١ × ٨ر١م يعلوها فتحة في السقف للانارة والتهوية، وربما استُخدمت لجمع الماء شتاء ليصب في البئر القائمة في ارضية هذه الغرفة، وعمقه ثلاثة امتار، وفوهته اليوم مغلقه بالاسمنت، الجدار الجنوبي لهذه الغرفة مغلق اليوم، في حين يوجد به باب في الأصل يؤدي الى ممر يوصل الى الغرفة الوسطى في الجدار الشرقي للقاعة الجنوبية في الطابق الاول (انظر المخطط) ، بعد مسافة المدخل المشار اليها ينعطف الممر الى اليمين لمسافة ٨٥ر٤م ليفضي الى قاعة مُقبّاة كما توجد بقايا أنابيب فخارية ضمن جدار المبنى عند زاوية الانعطاف.

القاعة المُقبّاه ـ حـ ـ : ـ (انظر مخطط الطابق الأول من القلعة)

وهي قائمة ضمن السور الغربي للقلعة، في الطابق الأول، ومساحتها ٦٫٣٠ م× ٦٫١٣ م، تتقابل في منتصف جدرانها الأربعة أربع قناطر كبيرة، وفي نقاط التقــاء هذه القناطر الأربعة ببعضها، تخرج مثلثات كروية، تحمل فوقها قبّه ليست مغلقة في اعلاها بل تُركت مفتوحة للانارة والتهوية، وفتحتها تعتبر اكبر فتحة في ارضية الطابق الثاني حيث ان قطرها الخارجي ٢٫٧م، وارتفاع القُبّة عن ارضية القاعة ثمانية أمتار، وتظهر فيها ستة مداميك دائرية، ارتكزت على مدماك حجري، حجارته منحوته على شكل تجويف داخلــي مثلث الشكل.

وانتشر استخدام المثلثات الكروية تبعا للتوسع في استعمال القِباب وانصافها ويرجع الفضل في ابتكارها وانضاجها الى العرب في بلاد الشام منذ القرن الرابــع الميلادي، حيث استعملوها للانتقــال بالمساحات المربعة الى مناطق مستديرة ترتكــز عليها الحواف السفلى للقباب. (1)

على يمين الداخل الى هذه القاعة توجد غرفة على شكل حُنية يقابلها في الجدار الغربي على اليسار غرفة مماثلة، وبها طلاّقة نحو الغرب، طولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم والى جانبها غرفة اخرى أصغر حجما، وتحتوي على طلاّقة مماثلة للطلاّقة السابقة، وتستندان لبعضهما، وتسيطران على سفح الجبل حتى وادي الأفرنج غربا، والى الشمال مــــن الغرفتين يوجد المدخل الرئيسي للقلعة (على يسار الداخل الى (القاعة الشمالية .د) عرضه ١٤٠ سم وارتفاعه ٢٢٠ سم بعمق ٣م، وهو مغلق اليوم يتخلل هذا المدخــل من الأعلى قناة تم نحتها ضمن حجارة البناء وتصب باتجاه المدخل من الخارج، كما تــم نحت قناة اخرى تصب باتجاه المدخل من الداخل، يمكن استخدامها من الطابق الثاني في حال تمكن العدو من اقتحام المدخل من الطابق الاول، و تعتبر هذه القاعة حلقــة وصل بين قاعتين اخريين، واحدة من الشمال واخرى من الجنوب، والمدخل لكــــلا القاعتين يفتح من خلال هذه القاعة المُقبّاة.

---

(١) شافعي ١٩٧٠ : ١٣٩ ؛ وانظر ايضا :ـ
Creswell 1932: 304-310.

القاعة الشمالية (د) : ـ

المدخل لهذه القاعة في الجدار الشمالي للقاعة المُقبّاه ـ الوسطى ـ ، عرضه ٤ر١م وارتفاعه ٥ر٢م ، يفضي الى قاعة مستطيلة مساحتها ٨ر٠٨م×٢ر٧م ، أرضيتها مبلطة بالحجارة المنحوته بشكل ناعم ، في جدارها الشرقي درج يصعد الى الطابق الثاني من القلعة يؤدي الى الباب القائم بين مدخلي القاعتين (أ) و (ب) وفي الجدار الشمالي غرفة بها طلاّقة باتجاه الشمال ، طولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم مساحة هذه الغرفة ٢ر٢م×٣م ، كما يوجد في الجدار الغربي خمس غرف مماثلة ، وفي صدر كل غرفة طلاّقة باتجاه الغرب. وفي نهاية الجدار الغربي لهذه القاعة يوجد باب صغير عرضه ٨٠ سم وارتفاعه ١٧٠سم يؤدي الى غرفة موقعها تحت الغرفة المماثلة الموجودة في القاعة (ب ـ المتحف) في الطابق الثاني ، وهي غرفة ذات مكانة استراتيجية ، لذلك فلا نظن أن ديشامب[1] كان على صواب في قوله بأن هذه الغرفة كانت تستعمل كحمام.

على يسار مدخل هذه القاعة يوجد باب المدخل الرئيسي الغربي للقلعة والذي سبقت الأشارة اليه.

وعلى جانبي القاعة الشمالية (د) ترتفع المداميك الحجرية المنحوته بشكل ناعم ـ مسمسم ـ الى ثلاثة مداميك من كل جهة ، بعدها يبدأ تشكل سُقف القاعة على شكل قبو ويساهم في حمل هذا السقف ستة قناطر وضعت حجارتها فوق بعضها بشكل عرضي ، كما يوجد في الصقف أربع فتحات دائرية للانارة والتهوية ، ويلاحظ مدى التناسق في تثبيت الحجارة في صقف القبو.

القاعة الجنوبية (هـ) : ـ

المدخل لهذه القاعة كما أسلفنا من منتصف الجدار الجنوبي (للقاعة المُقبّاه حـ) وعرض هذا المدخل ١٨٠ سم وارتفاعه ٢٤٠ سم وسمك جداره ٨٠ سم ، مساحة هذه القاعة ٥ر٣٧م×٦٥ر٨م ، يرتفع في كل جدار من جداريها الشرقي والغربي خمسة مداميك من الحجارة المنحوته نحتا ناعما ، وفوق هذه المداميك يبدأ تشكل السقف ـ على شكل قبو ـ كما يساعد في حمله قنطرتان حجارتهما منحوته نحتا ناعما ومبنية بشكل عرضي

---

(١) Deschamps 1939: 92.

ويتخلل السقف ثلاث فتحات مربعة للانارة والتهوية وارتفاعه حوالي ستة امتار، وسُمكه يزيد على المتر.

يوجد في الجدار الغربي لهذه القاعة من اليمين الى اليسار ثلاثة غرف وفي كل غرفة طلاّقة باتجاه الغرب طول الطلاّقة ١٤٠ سم وعرضها من الخارج ١٠سم، تُشرف على وادي الإفرنج غربا، أما متوسط مساحة الغرفة الواحدة فيبلغ ٣×٤,٢م، بعد الغرف الثلاثة يوجد باب صغير ٩٠×١٦٠سم. يشتمل على الدرج الحلزوني (عدد درجاته ٣٥ درجة) تؤدي الى سطح الطابق الثاني من القلعة، يلي هذا الباب جنوبا غرفتان ليس بهما طلاّقات.

أما الجدار الشرقي لهذه القاعة فيشتمل على ثلاثة غرف، مشابهة من حيث الحجم للغرف المقابلة لها في الجدار الغربي، وفي الجدار الشرقي للغرفة الوسطى باب صغير ٥٠×٨٠ سم، عليه اليوم باب حديدي وهو يؤدي الى ممر يلتقي مع المدخل النازل من منتصف الساحة في الطابق الثاني الى هذا الطابق، وان كان مغلقا اليوم عند البئر القائم في هذا الممر ـ كما اسلفنا ـ، اما الجدار الجنوبي فيتخلله باب يؤدي الى غرفة يلموءها الردم، وفي جدارها الغربي طلاّقة حوافها مردمة ايضا.

واذا كنا قد اطلقنا على هذه القاعات تسميات ابجدية او حسب موقعها من القلعة، فذلك لأننا لا نعرف تسميات تاريخية لها، وان كان قد ورد ذكر للقاعة الناصرية (١) التي نزل بها الظاهر بيبرس عندما استولى على القلعة سنة ١٢٦٢م (٦٦١هـ)، كما ورد ذكر "قاعة النحاسين" (٢) التي انشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ١٣٨٨م (٧٩١هـ). الا انه من الصعب تحديد موقع هذه القاعات بين القاعات القائمة اليوم.

الجدران والأبراج الفاصلة بين جزئي القلعة العلوى والسفلي :-

بالرغم من ان طبيعة الجبل الجغرافية الذي تقوم عليه القلعة هي التي تحكمت في مظهر البناء فقسمته الى قسمين: علوي وسفلي، إلا أنه تم بناء جدران فوق الصخر

---

(١) ابن عبد الظاهر ١٩٥٦ : ٧٥.
(٢) ابن الفرات ج٩ ١٩٤٢ : ١٠٧ ؛ ابن حجر ١٩٦٩ : ٣٦٩.

الذي يفصل جزئي القلعة، وتم بناء البرجين ٤، ٥ (انظر المخطط) ، لتحقيق مزيد من المنعة والسيطرة على الأرض المحيطة، وعلى المدخل المؤدي الى الطابق الاول من الجزء السفلي للقلعة، وفي الجهة الجنوبية يرتفع صخر الجبل مابين ١٠-١٥م، ويعلوه جدار يرتفع الى خمس وثلاثين مدماكا حجارتها سوداء صوّانية واخرى رمادية اللون من الحجم الصغير، نحتها لا يدُل على قدر كبير من الفن، وتوجد في هذا الجدار طلّاقتان ويصعب قياسها كما درجت عادتنا في هذا البحث.

بعد هذا الجدار يوجد البرج رقم (٤) ، وابرز ملامحه الجدار الغربي وعرضه ٨ر٦م، ويرتفع فيه ٣٣ مدماكا من الحجارة الصفراء الكلسية من كلا النوعين الطبزه المسمسم متوسط حجم الحجر ٥٠ سم× ٤٠سم، وحجارة هذا البرج مطابقة لحجارة سور القلعة الغربي، وهو مدمر من الداخل.

البرج رقم (٥) :-

وهو قائم بمحاذاة الغرفة التي تحتوي على المدخل للطابق الأرضي من القلعة في الجزء السفلي، ويشرف على الباب الشمالي لهذه الغرفة، عرض جدار هذا البرج من جهة الغرب ٨ر٩م، وهو ملاصق للصخر في الجزء الاسفل منه، ويتكون من ثلاث واربعون مدماكا، وارتفاع المدماك الواحد نصف متر، وبعد المدماك الثاني والثلاثون يبرز من البناء ركبتان حجريتان كانتا تحملان شرفة، ما يزال قوسها واضحًا، وهي تسيطر على المدخل الشمالي المؤدي الى الطابق الأرضي من القلعة في الجزء السفلي، وحجارة هذا القوس من النوع الطبزة، وهي مماثلة لحجارة السور الغربي للقلعة، وهذا البرج من الداخل مدمر.

بعد هذا البرج يوجد جُدران أخرى حجارتها سوداء صوانية وبيضاء كلسية يليها جدار آخر مميز بوجود سبعة مداميك من الحجارة الصوانية السوداء في أسفله وقد بُني فوقها ست وعشرون مدماكا من حجارة كلسية رمادية اللون منحوته بطريقة الطبزة مع وجود اطار على دائر الحجر بعرض ٣ سم، وبعد المدماك الخامس تُشاهد ثلاث طلّاقات، يليها بعد المدماك السادس عشر أربع طلّاقات صُمّمت بنفس اسلوب الطلّاقات في السور الغربي من القلعة ويصعب الوصول اليها لأخذ مقاساتها.

بجانب هذا الجدار من الجهة الجنوبية يوجد درج ،تم قطعه في الصخر،ليصل ما بين جزئي القلعة العلوي والسفلي (انظر المخطط) مجموع درجاته ٧٥ درجة موزعة على ستة انعطافات باتجاه الشمال والجنوب حتى الوصول الى الجزء الأعلى من القلعة ،وتختلف مقاساتها من انعطاف لآخر،انما متوسط طول الدرجة الواحدة من ٢ـ ٣م ،وعرضها من ٤٠ـ٦٥سم ،وارتفاع مرآتها من ٢٠ـ٣٠سم .

يلاحظ من خلال نوعية الحجارة المستعملة في بناء الجدران والأبراج بهذه الجهة تداخل الفن المعماري منها ،فبعضها القائم في الاجزاء السفلى بالنسبة للجدران صليبي ،وبعضها الآخر أيوبي والجزء الأعلى منها مملوكي ،وذلك اعتماداً على نمط الحجارة المبنية ،اما البرجين فإنهما من الفترة المملوكية لتماثلهما مع جدار السور الغربي للقلعة ،والذي هو مملوكي في ضوء ما ورد عليه من كتابة ،ولعل المسلمين لاحظوا ضعف السور الصليبي في هذه الجهة فعملوا على اعادة بنائه وتقويته بدعمه بأبراج ،وبنفس الوقت قاموا ببناء الجزء الأسفل من القلعة ليكون بمثابة خط دفاع متقدم بالنسبة للجزء الأعلى .

وهكذا نرى أن الجزء الاسفل من القلعة عمل عربي اسلامي تمثّل في السور الغربي والقاعات والمباني القائمة خلفه ،في حين يظهر التداخل بين العمل العربي الاسلامي وبين العمل الصليبي في السور الفاصل بين جزئي القلعة السفلي والعلوي واذا كان ديشامب(١) قد اشار الى أن هذا الجزء عمل عربي اسلامي باستثناء بعض الأمتار في السور الغربي اعتبرها من صنع فرنسي (صليبي) ارتكز عليها العمل العربي واعتبرناها نحن جزءاً لا يتجزأ من العمل العربي الاسلامي يدخل ضمن اساسات البناء ،فإن مولر وونر(٢) " اشاروا الى أن هذا الجزء الذي يتميز بمدخله العربي الأنيق لم يُبنى الا بعد الاحتلال العربي ".

---

(١) Deschamps 1939: 92

(٢) Muller and Wiener 1966: 97

الجزء الشرقي الأعلى من القلعة :ـ (انظر المخطط)

القاعة الغربية (و) :ـ

بعد ان تعرفنا على الجزء الأسفل (الغربي) من القلعة نعود باتجاه مدخلها المستحدث، وقبل وصوله بعشرة أمتار ننعطف نحو الشرق، وبعد مسيرة عشرين مترا، نجد انفسنا امام أطول قاعة في القلعة قائمة في الجهة الغربية من هذا الجزء نطلق عليها اسم :ـ (القاعة الغربية (و)) ، يبلغ طولها ٥ر١١١م، وعرضها في بدايتها شمالاً ١ر٣م، تتجه جنوبا لمسافة ٧ر٩٠م، ثم تنحرف بزاوية قائمة نحو الشرق ولمسافة ٨ر٢٤م فيصبح عرضها متر ونصف تقريبا ، وبهذا الإنعطاف تصبح القاعة على بعد متر واحد من جدار الكنيسة الجنوبي ، ومارّة تحت مستوى هذا الجدار.

يتوزع على جانبي هذه القاعة غربا وشرقا عدد من الأبواب التي تؤدي الى غرف، وهي مختلفة عن بعضها من حيث طريقة البناء، اذ تلمس أن المباني الواقعة على الواجهة الشرقية، متوسط حجم الحجر ٦٥×٤٥سم يغطي هذه القاعة قبو نصف اسطواني، ارتكز من كل جهة على ثمانية مداميك، حجارة المداميك القائمة في الجهة الغربية منحوته نحتا ناعما في حين القائمة في الجهة الشرقية نحتها أقل اتقانا وغير متناسقة في أطوالها وأحجامها ، مع وجود عدد من القناطر الداعمة، وأحد عشر فتحة للانارة، في الواجهة الغربية يمكننا إن نعُد احد عشر بابا، منها إثنان مغلقان ، والباب السابع منها على اليمين يؤدي الى درج يصعد الى الاعلى ، وهو اليوم مدمر لم يبق منه الا سبع درجات أما الابواب الاخرى فبعضها يؤدي الى غرف مدمرة، مساحة بعضها ٥×١٥م، وبعض هذه الغرف يتصل مع السور الغربي للجزء الأعلى من القلعة، ويتقديرنا أن باقي الغرف ايضا تتصل مع هذا السور وإن كان الردم يغطيها .

اما الواجهة الشرقية لهذه القاعة فيها أربعة أبواب منها الباب الأول يؤدي الى درج مدمر، والى جانبه فوهة في الارضية ربما تكون فوهة بئر وفي الجهة الشرقيه منه كهف ملئ بالردم، واما البابين الآخرين فيقوم الردم خلفهما ويخفي معالم المباني التي يؤديان اليها .

هذا بالنسبة للجزء الممتد لمسافة ٧٨ر٩٠م من القاعة، اما الجزء الثاني الـذي ينحرف شرقا ولمسافة ٨ر٢٤م فإن عرضه يُصبح ما بين ٥ر١–٢م، يعلوه قبو اسطوانـي يدعمه انصاف قناطر تخرج من الجدار الجنوبي للقاعة وترتكز على جدارها الشمالي، وهذا الجدار بدوره ارتكز على صخر الجبل الذي يرتفع اكثر من مترين ويتحكم في عرض القاعـة من هذه الجهة، وفي الجدار الجنوبي لهذا الجزء من القاعة توجد ثلاثة أبواب نهاياتها مغلقة بالردم، ومما تجدر الاشارة اليه وجود انابيب فخارية في بعض أجزاء من جدران القاعة، ربما كانت تستخدم لتصريف ماء المطر من سطح القلعة او لتزويد القاعات بالماء.

الحصـن :ـ (انظر المخطط للطابقين والصورة رقم ١ ص٣٨٥)

تعتبر الواجهة الجنوبية من الجزء الأعلى في القلعة من احصن النقاط الاستراتيجية وامنعها، ومن هنا ارتأينا تسميتها "بالحصن"، وهي تمتد بطول ٣٥م من الشرق الـى الغرب، كما يلتقي معها جزء من السور في الشرق بطول حوالي ١٨م به خمس حُجـرات او غرف تصميم بنائها على غرار الغرف القائمة في الواجهة الغربية من الجزء السفلـي في القلعة، وكل غرفة منها تحتوي على طلاّقة باتجاه الشرق، طولها ١٠٥سم وعرضهـا ١٢سم، تغطي من حيث مجال قوس الرمي سفح الجبل المطلّة عليه، ومن حيث المراقبـة فإنها تكشف لمسافة ٦كم باتجاه منطقة ابو حمور، كذلك فأنه يلتقي معها جزء من السور في الجهة الغربية بطول ١٢م.

يتقدم الواجهة الجنوبية ولبضعة أمتار بقايا غرف تحت مستوى الارض مدمره، يمكن التعرف على وجودها من خلال بقايا بعض القناطر والأبواب، إلا أنها ليست واضحـة المعالم.

واما الحصن فإنه من خلال الاجزاء القائمة منه الى اليوم يمكننا القول بأنه كـان يتألف من اربع طوابق (انظر الصورة رقم ١ ص٣٨١).

الطابق الأول :ـ

وهو عبارة عن قاعة، المدخل اليها من أقصى الجهة الشرقية للحصن، وعرض المدخل ٢ر١م وارتفاعه ٣ر٢م، يُفضي الى ممر طوله ستة أمتار وعرضه متر، وعلى يمين الداخـل

توجد غرفة مساحتها ٣ر٢×٥ر٢م، بعد الممر ندخل الى قاعة كبيرة طولها ٥ر٢٦م وعرضها ٨ر٥م، على جانبي هذه القاعة يرتفع من كل جهة تسعة مداميك حجارتهـــا منحوته نحتا ناعما، ومن القطع الكبير، متوسط حجم حجر المدماك ١٠٠سم×٧٠سم ارتفاع وبعد هذه المداميك يبدأ تشكل قبو القاعة الذي يرتفع عن الأرضية عشرة امتار، ويتخلله فتحتان مربعتان للانارة والتهوية، يساهم في حمل هذا القبو ثلاثة قناطر، تعتبر جزء من السقف، حجارتها وضعت بشكل عرضي، عددها ٢٨ حجرا، اربعة عشر من كل جهـــة يجمعها حجر الفلـــق.

بعد المداميك التسعة القائمة على جانبي القاعة، يوجد في الجدار الشرقـــي حنيه على شكل غرفه مرتفعة بها طلاّقة نحو الشرق، ويعلو هذه الغرفة سدّة مرتفعـــــة عن الغرفة بها ايضا طلاّقة باتجاه الشرق، أما في الجدار الجنوبي فيوجد طلاّقتـــان أيضا، اما في الجهة الغربية فيوجد ايضا طلاّقتان واحدة فوق الاخرى، وارتفاعهمـا عن مستوى ارضية البرج حوالي ٤-٥م لم يسمح لنا بأخذ مقاساتها، مما يدعونا للقول انه كان يتم استعمال السلالم الخشبية في الصعود الى هذه الطلاّقات، أو ربما كـان هناك سقف خشبي لهذه القاعة ثبت فوق المداميك الحجرية بحيث يسهل استعمـــال الطلاّقات ويضاعف من استيعاب القاعة.

الطابـــق الثانـــي :-

في الزاوية الشرقية من مدخل الطابق الأول توجد بقايا لخمسة درجات يصعـــد منها الى مصطبة الطابق الثاني، والذي يتألف من خمسة غرف (انظر الصورة رقم ص) واجهتها تتألف من اثني عشر مدماك، وجميعها تفتح باتجاه الشمال على شكل قناطـــر تتميز الغرفة القائمة على اليمين في الغرب بوجود باب في صدرها يؤدي الى ممر عرضه ١ر٢م يتخلله درج يتجه من الشرق الى الغرب لمسافة ٥ر٥م، ثم ينعطف باتجاه الجنوب صعوداً ولمسافة ٧ر٥م، بعضها مدمر، وطول الدرجة الواحدة منه ٨٠سم، عرضها ٣٠ سم وارتفاعها ٢٠ سم، يتخلل جداره الغربي طلاّقتان طول الاولى ٩٥ سم وعرضها ١٨ سم اما الثانية فطولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢ سم، وتسيطر على الزاوية الغربية للقلعـــــة وتكشفان حتى بلدة الشهابية، وهذا الممر مغطى بسقف حجري مستو، منحوت نحتا ناعما ويؤدي هذا الممر الى الطابق الثالث.

الطابق الثالث :ـ

ويتألف من أربع حجرات في الواجهة الجنوبية، واثنتان في الواجهة الشرقيـــة وفي كل حُجرة طلاّقة ، مساحة الحجرة الواحدة ٢٫٧٥ × ٢٫٥ م وعمق الطلاّقة في الجدار ١٫٢م، وعرض الطلاّقة من الداخل ١٫٢م في حين من الخارج ١٢ سم؛ اما طولها فيبلـغ ١٦٠ سم ، يعلوها حُنيه ارتفاعها ٥٠ سم. اما المصطبة القائمة أمام هذه الغرف فيبلغ عرضها من ٦-٧م، ويبدو أن هذه المصطبة وهذه الغرف كانت تمتد فوق الجدار الشرقي للحصن ،اذ ما تزال بعض بقايا للغرف والطلاّقات، وإن كان الدمار قد اصاب معظـــم الجدار.

الطابق الرابـع :ـ

إن الصعود اليه كان من خلال استمرار الدرج القائم في الجهة الغربية مـــن الحصن ، والواصل الى الطابق الثالث، اذ توجد أجزاء منه باتجاه الطابق الرابـــــع وصعودها يتطلب حذرًا كبيرًا ، وهذا الطابق عبارة عن مصطبة يتقدمها ثمان طلاّقـــات يتعاقب معها متوسط مساحة الطلاّقة الواحدة ١٠٠ سم طول× ٥٠ سم عرض، واذا كـانت طلاقات الطابق الاول والثاني من الحصن تغطي مساحة الارض التي تقوم عليها البركـة الجنوبية ، والخندق الجنوبي وزاويتي الحصن الشرقية والغربية ، فإن الطلاّقات القائمـــة في الطابق الثالث والرابع تسيطر من حيث مدى الرمي على قمة جبل الثلاجة المواجهة للقلعة في الجهة الجنوبية ،كما انه من خلال هذين الطابقين يمكن تمرير أية ملاحظـــة بالصوت أو الاشارة لحامية الأبراج الشرقية من القلعة ، ولحامية ابراج المدينة (أ، ب، حـ ، د) ، وكشف أي عدو قادم نحو المدينة من الجهات الاربع .

ومما تجدر الاشارة اليه ذلك التطابق بين تصميم هذا الحصن من الداخل ، وبين تصميم (البرج هـ ـ برج الظاهر بيبرس) أحد ابراج المدينة ـ والذي رأيناه في صورة البرج التي عثرنا عليه من القرن التاسع عشر والتي سبقنا الاشارة اليها ، ومدى تماثـــل تلك الصورة مع واقع الحصن اليوم من حيث الشكـل العام لكليهما ، وطريقة توزيع الغرف وبناء مصعد الدرج ، ومن خلال التطابق في الكلمات التي تمكنّا من قرآتها على واجهـــة الحصن الجنوبية ، مع كلمات النقش الوارد على واجهة البرج الشرقية ، مما يدفعنا الـــى

القول مرة اخرى بأن كلا البرجين أقيما في عهد الظاهر بيبرس.

ويبدو أن هذا التطابق بين البرج والحصن، جعل غوانمه (١) يخلط بينهما عند ما اعتبر بأن النقش الوارد على واجهة البرج ـ والذي اورده نقلا عن كومب ورفاقه ـ على انه موجود على واجهة الحصن، واطلق على الحصن اسم برج الظاهر بيبرس، ثم عاده سمّاه "برج القلعه او الطليعة".

السور الشرقي من الداخل :ـ

يتميز السور الشرقي والأبراج (٦، ٧، ٨، ٩) بوجود موزع يفصل بينها وبين الأبنية القائمة خلفها، كما ان نظام البناء ونوعية الحجر المستعمل مختلف أيضا، اذ نلاحظ ان بناء السور والأبراج جاء متناسقا من حيث استعمال الحجارة المنحوتة بشكل مقبول، وتغصل الأبواب المؤدية الى الأبراج والسور عبر هذه الممرات، فقد جاءت حجارتها منحوته نحتا ناعما وان كان ارتفاعها اقل من ارتفاع الابواب القائمة في الابنية الموجودة خلف السور والأبراج او الموجودة في الجزء السفلي من القلعة، الا انها مطابقة لابواب ومداخل المدرسة والمسجد القائمة في الجزء الجنوبي من القلعة، والتي سنتحدث عنها في الصفحات اللاحقة.

كذلك يلاحظ من خلال وجود الموزع الفاصل للسور والابراج عن جسم القلعة ووجود الطلّاقات في المباني القائمة خلف هذا السور وهذه الابراج الى ان السور والابراج في الجهة الشرقية قد أعيد بناؤها في مرحلة لاحقة وتم دفعها الى الخارج بعيدا عن المباني القائمة خلفها لمسافة تتراوح بين ١٠ـ٥م لتصبح ملاصقة للرصيف القائم في السفح الشرقي، ومتعامدة معه للحيلولة دون الوصول اليها ،او تسلقها.

يذكر ديشامب(٢)" الى ان السور في هذه الجهة كان يتسع لصف الغرف القائمة في القائمة في الطابق الأول وان الكنيسة كانت بارزة للقلعة كلها وجدارها الشرقي جزء من السور تتخلله طلّاقه (معالمها واضحة حتى اليوم وان كانت مغلقة) وانه حتى منتصف القرن الثاني عشر لم يكن للقلعة الا سورها الشمالي وبعدها بقليل اضيف العمل في

---

(١) غوانمه ١٩٧٩: ٢١٥.

(٢) Deschamps 1939: 82

الجهة الشرقية من القلعة، فتم بناء السور والأبراج أمام صف الغرف والكنيسة".

اننا لا نختلف مع د. بشامب في نظرية المرحلتين للبناء، ولكننا نخالفه الرأي في نسبة هذا السور والأبراج الى الصليبيين، واستناده في ذلك الى قول وليم الصوري :- " انه في عهد "الملك فولك" عبر "بايان لي بوتيه" - سيد المنطقة - الأردن وبنى القلعة ثم خلفه حفيده موريس ثم فيليب دي ميلي سيد نابلس، وقاموا بتوسعة القلعة، فجعلوا المكان المسمى سابقا بالوديان والأبراج اكثر فخامة واهمية". (١)

ان هذا النص لا يدل بشكل واضح على الواجهة الشرقية من القلعة طالما ان الجبل الذي تقوم عليه القلعة محاط بالاودية من جهاته الثلاثة، كما أننا لا نجد تفسيرا لعملية التوسيع على يد الصليبيين التي ترتب عليها طمس معالم الكنيسة، وفرض التعتيم عليها، وعلى الغرفة المجاورة لها وكذلك على المعصرة والغرن (انظر المخطط)، وانـنا نرى أن عملية التوسع هذه قد تمت على يد الأيوبيين بعد احتلالهم للقلعة وذلك للتماثل القائم بين بناء هذا السور والأبراج الموجودة فيه مع بناء المسجد والمدرسة القائمة جنوب الكنيسة، والتي بدورها تتماثل مع نمط بناء مسجد قلعة الشوبك، وبعض غرف الطابق الاول من قلعة عجلون التي تعود الى العهد الايوبي، في حين تختلف في نمط بنائها عن الكنيسة والمعصرة الواقعة الى الشمال منها.

يبدأ هذا الموزع الفاصل بين السور والأبراج وبين الأبنية القائمة خلفها من البرج رقم (٦) شمالا ويستمر بشكل متقطع حتى البرج رقم (٩) جنوبا، وعلى مستوى الطابق الأول (انظر المخطط)، وعرضه عند بدايته شمالا ٨٫٦٢م، ثم يبدأ بالتناقص فيصل الى عرض مترين، وفي الجدار الشمالي لهذا الموزع يوجد درج يقصد الى الطابق الثاني من القلعة، بقي منه سبع درجات، طول الدرجة الواحدة ٩٠سم، وارتفاعها ٢٧ سم وعرضها ٢٧ سم، كما يوجد في الجدار الشرقي ايضا سُلّم درجي يحتوي على تسعة عشر درجة تهبط الى الطابق الارضي من غرب البرج رقم (٦) نهايته مردمة، طول الدرجة ٩٠ سم وعرضها ٢٧ سم وارتفاعها ٢٧ سم، كما ان هذا الدرج يصعد باتجاه الطابق الثاني لكنه مدمر وبقي منه اثني عشر درجة، يغطي سقفه قبو برميلي به أربع فتحات للانارة، كما يلاحظ بقايا انبوب فخاري عبر السقف وفي الجهة الشمالية منه مدخل هذا

---

(١) Tyre 1943: 1124

الموزع من قاعة الطابق الاول القائمة بمحاذات السور الشمالي ،كما ان الدرج الصاعد في جداره الشمالي يلتقي مع باب سرّي قائم في الجهة الشمالية الشرقية من القلعة والى الشرق من هذا الدرج يوجد حجر ضمن السور الشمالي للقلعة من الداخل نُحت عليه شكل فارس يرتدي لباس الحرب، ويعتقد العامة من الناس أنه تمثال الى صلاح الدين الدين ، ومما يؤسف له ان احد الفضوليين قام بصب القار على هذا التمثال .

ويمتد هذا الموزع باتجاه الجنوب حوالي ٤٨م (من البرج ٦ الى البرج ٧) ،ثم ينقطع بين البرجين (٧و ٨) بسبب تراكم الردم ، ومن ثم نراه بين البرجين (٨و٩) جنوب الكنيسة ، ويطول ٥٠م تقريبا ويعرض متر ونصف الى مترين ، يقوم على الجانب الشرقي هذا الموزع عدد من الغرف مع اربعة ابراج هي :٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) اما على الجانب الغربي منه فيوجد عدد من المباني هي : معصرة ، فرن ،كنيسة في الجزء الشمالي من القلعة ثم حمام وسجن ومسجد ومدرسة في الجزء الجنوبي (انظر المخطط للطابق الاول) .

البرج رقم (٦) من الداخل :ــ

سبق وأن اشرنا الى ان هذا البرج مدمر من الخارج ، ومن خلال دماره تبدو لنا بقايا ثلاثة طوابق في الجدار الغربي منه ،كما يتخلل هذا الجدار باب يفتح باتجاه الموزع ، وبداخله درج يهبط تسعة عشر درجة الى طابق ارضي معالمه ليست واضحة بسبب الردم ،كما ان هذا الدرج يصعد الى الطوابق الثلاثة العليا لكنه اليوم مدمر لم يبق منه الا اثني عشر درجة (سبقت الاشارة الى مقاساتها عند الحديث عن مداخل السور الشمالي وعن السور الشرقي من الداخل) وفي الجدار الجنوبي لهذا البرج بابين يؤديان الى غرفة مدمرة ترتبط مع غرفة اخرى تقع جنوبها ، من خلال بابداخلي ويبدو ان قمة هذا البرج من الغرب قد اعيد بناؤها على يد المسلمين اذ لقي من بنائهم سبعة مداميك .

القاعة (ح) :ــ

وفي المنطقة الواقعة ما بين البرجين (٦و ٧) يوجد غرفة وقاعة ، ويعتقد برنا ان الجدار الفاصل بينهما جدار مستحدث بحكم عدم تناسقه من حيث مادة البناء وطريقة

والسّمك مع باقي الجدران ، وان المكان كله عبارة عن قاعة واحدة طولها ٥ ٣م وعرضهـــا ٩ر٤م ، لها اثني عشر بابا في الجدار الغربي لتفتح على الموزع، الا ان خمسة منهــا تبدو مغلقة من جهة الموزع، واغلاقها تم حديثا ، في حين تظهر بوضوح من داخـــل القاعة ، عرض الباب ٩٠ سم ، اما الارتفاع ٤ فهو ١٣٥ سم ، ويلاحظ انخفاض هذه الابواب الا اذا كان الردم يغطي ارضية هذه الأبواب (ارضية الموزع والقاعة) ، ومع ذلك فإن .. هذه الابواب مماثلة لأبواب المسجد والمدرسة ، فواجهاتها من حجر منحوت نحتا ناعما ، ذات جدران سميكة ، يبلغ سمكها متر ونصف ، وتشتمل الواجهة على تسعة مداميك ، فـــي حين الواجهة المقابلة الغربية بالنسبة للموزع فتشتمل على سبعة مداميك ، وحجـــارة مداميك الواجهتين تختلف عن بعضها فهي في الجدار الغربي اكبر حجما واقل اتقانا في نحتها .

اما الجدار الشرقي لهذه القاعة فيحتوي على طلاّقتان مساحة الواحدة ٦٥ سم× ١١٠ سم ، مع وجود انهيار في الجزء الشمالي من هذا الجدار ربما كانت تتخلله طلاّقــه أيضا ، وفي الجدار الشمالي لهذه القاعة باب داخلي مدمر يؤدي الى غرفة مدمــره ايضا ، اما الجدار الجنوبي فإنه يشتمل على باب مدمر أيضا تهبط منه أربع درجات الــى ارضية القاعة وسقف هذه القاعة على شكل قبو يتخلله ثلاثة فتحات للإنارة .

القاعة (ك) :ـ

يعلو هذه القاعة قاعة أخرى مماثلة في الطابق الثاني من القلعة مدخلها مــن الجنوب ، عرض المدخل ١٢٠ سم وارتفاعه ثلاثة أمتار وسمك جداره متر ، اما القاعـــــة فمساحتها ٣٦٫٦×٧ر٤م ، يتخللها اربع طلاّقات مدمره باتجاه الشرق مع باب يؤدي الى الطابق الثاني من البرج رقم (٧) (انظر المخطط للطابق الثاني من القلعة) .

البرج رقم (٧) من الداخل :ـ

يتألف هذا البرج من طابقين مساحة الطابق الواحد ٥×٣ر٥م ، في جدران الطابق الاول الجنوبي الشرقي طلاقتان مدمرتان ، أما في الجدار الشمالي فيوجد باب (مغلق اليوم) ، ويعتبر أحد مداخل القلعة السريّة ، أما في الطابق الثاني فيوجد في كل جدار طلاّقة شرقا وشمالا وجنوبا ، وهي مرتفعة عن مستوى الارضية بواقع ٦٠ ١سم ، وهي مدمرة ايضا يغطي سقفه قبو يتخلله فتحة للانارة ، ويصل سمك جدرانه الى متـــــران

البرج رقم (٨) من الداخل :ـ (انظر المخطط)

يتألف هذا البرج من غرفتان ترتبطان معًا من خلال باب داخلي مدمّر، سُمكه ١٣٠ سم، ومساحة الغرفتان ٥ر١٠×٦م، والمدخل اليهما من الغرفة الجنوبية، عرضه متر وارتفاعه ١٦٠ سم، وفي الغرفة الأولى طلاّقة للجنوب واخرى للشرق، وطول الواحدة ١١٣سم وعرضها ٢٠ سم، أما الغرفة الثانية فتحتوي على طلاّقة في الجدار الشرقي واخرى في الجدار الشمالي، طول الطلاّقة الواحدة متر وعرضها ٢٠ سم، والبناء من الداخل من الحجر والطين، والسقف على شكل قبو.

البرج رقم (٩) من الداخل :ـ

المدخل الى هذا البرج من الجزء الثاني من الموزع القائم غرب هذا البرج وهو مدمر، يؤدي الى غرفة مساحتها ٥×٦سم، وفي أرضيتها فوهة لبئر تحتها، وفي جدارها الشرقي طلاّقة حوافها مدمرة، يصعب حصر قياسها، في جداري البرج الشمالي والجنوبي بابين مدمرين يؤديان الى غرف مدمرة، كما يوجد شمال هذا البرج ستة غرف قائمة خلف السور الشرقي (شرق الموزع) ولكل غرفة طلاّقة باتجاه الشرق، ومتوسط مساحة الغرفة الواحدة ٣×٦م، وتتميز الغرفتان الاولى والرابعة بوجود بابين لكل منهما في حين الغرف الأربع الاخرى تتميز بوجود باب واحد لكل غرفة، وهذه الغرف تفتح شرقا على الجزء الثاني من الموزع القائم في الجهة الجنوبية من السور الشرقي للقلعة. وارضية الموزع هنا أعلى من ارضية الحمّام والسجن الواقعين خلف جداره الغربي بحوالي مترين.

بعد ان تعرفنا على الأبراج الواقعة في السور الشرقي للقلعة نعود لنلقي نظرة على مجموعة المباني الواقعة الى الغرب من هذا السور والتي تمثّل أبرز معالم القلعة الواضحة حتى اليوم، ونبدأ بها من الشمال الى الجنوب على النحو التالي :ـ

المعصرة :ـ (انظر المخطط للطابق الأول من القلعة)

مدخل المعصرة في منتصف الجدار الغربي للموزع (غرب البرج رقم٨) ، عرض المدخل متر ونصف وارتفاعه متران، ومساحة المعصرة ٨ر١٩ ×٨م، تتوزع في أرضيتها

من الشرق تسعة أحواض، ومن الغرب ثلاثة، وهي ليست متساوية في حجمها فبعضهـــا صغير ٩ر١×٥ر١م، وبعضها الاخر اكبر ٥ر٣×٥ر١م، وقد بنيت هذه الاحواض مـــن حجارة منحوته نحتا ناعما تشبه البلاط، وعمقها مختلف بين حوض وآخر ويتراوح مابيـــن المتر ونصف المتر، وبعضها مدمر نتيجة للبحث عن الذهب من قبل بعض الفضوليـــن وعلى أرضية هذه المعصرة تشاهد بعض القطع لطواحين حجرية كانت تستخدم فـــي المعصرة.

وفي الزاوية الشمالية الغربية توجد بقايا فرن صغير وعن يمينه ويسار أحواض من تلك التي اشرنا اليها، مما يستدل معه ان هذا الجزء كان يستخدم كمطبخ، أما في الجهة الجنوبية من المعصرة فتوجد قاعة مساحتها ١٥×٨م، وأرضيتها أعلى من أرضية المعصرة بحوالي مترين والجدار الفاصل بينها وبين المعصرة منخفض لا يلتقي مع السقف مما يستدل معه أنها ربما استُخدمت كقاعة طعام وهذه القاعة بها دمار كبير.

أما في الجدار الغربي لهذه المعصرة فيوجد بابين :ـ الأول من الشمال وهو مدمر في بعض جوانبه ويؤدي الى غرفة مدمرة، وطول عتبة هذا الباب ١٣٦سم، وارتفاعها ٤٦ سم وسُمكها ٢٣ سم، وتحمل نقشا باللّغة اللاتينية يتألف من سطرين (انظـــر الصورة رقم ا ص٣٨٦) ويعود تاريخه الى القرن الثالث الميلادي، فقد تمكنّا من قـــراءة اسم "سيباستيوس "Sebastius" في الجزء الاخير من السطر الثاني، وفـــي قاموس لا روبوس(١) وجدنا ان "سيباستيوس" هذا "ضابط روماني ولد في ناربون ـ مينا" في جنوب فرنسا ـ وتوفي في روما في القرن الثالث الميلادي، وفي الديانة المسيحية يعتبرونه شفيعا لرماة السهام او النشاب، وله عيد يذكّر به هو يوم العشرين من الشهـــر الأول في كل عام.

وقد اوردت "كانوفا"(٢) نص هذا النقش، كما اورده ايضا "جيرمر دوراننـــد"(٣) وأشار هذا الى أن القلعة كانت قاعدة للجنود الاتراك، وفي الوقت الذي أشاروا فيـــه الى أن تاريخ هذا النقش يعود الى الفترة من ٣٠٥-٣١١م فانهما لم يذكرا شيئـــا عن قراءتـــه.

---

(١) Larousse 1971: 1691

(٢) Canova 1954: 12.

(٣) Germer-Duraand 1896: 616

أما الباب الثاني من الجنوب فيؤدي الى غرفة مساحتها ٧×٥م في واجهتهـا الجنوبية فرن آخر من الحجم الكبير، قطر فوهته حوالي مترين، يزينها اطار حجري من الحجر المسمسم الناعم، وقد طُوي هذا الفرن بالطوب الأحمر المشوي، أما عمقه فغير واضح بسبب الردم الموجود بداخله، ويعلو هذا الفرن في الجدار الجنوبي مدخنـة ومن خلال تصميم هذا الفرن يتضح أنه (فرن تنّور)، وفي الجدار الغربي لهذا الفرن يوجد باب نهايته مغلقة ربما كان يؤدي الى مستودع.

كما يوجد الى الغرب من هذا الفرن فرن آخر في غرفة مساحتهـا ٥ر١١×٤ر٧م، ملاصقة للجدار الجنوبي لقاعة الطابق الأول، وهذا الفرن قائم في الواجهة الجنوبية من الغرفة، وارضيته مرتفعة عن ارضيتها، ونتيجة لتشابه هذا الفرن مع الأفران القائمة اليوم فإنه يعتقد بأنه من العهد التركي.

كذلك يوجد فرن ثالث، يبدو أنه أحدث من الفرن السابق، وموقعه في غرفة واقعة الى الغرب من الفرن السابق (انظر المخطط) يتقدم هذا الفرن في الجهة الجنوبية من الغرفة مصطبة مربعة الشكل، وساحة هذه الغرفة ١٠×٧م.

<u>سكنة سيد الكرك :</u> — (انظر المخطط)

لقد رأينا ان الجزء الصليبي من القلعة يتألف في معظمه من قاعات مستطيلـة الشكل لإقامة الجند، ومن غرف اخرى كانت تؤدي خدمات متممة بحكم تصميمها، واسميناها على ضوء ما كانت تؤدي من خدمات، وبقي عندنا مجمّع من الغرف أجزنا لأنفسنا اطلاق اسم "سكنة سيد الكرك" عليها بحكم موقعها البعيد عن قاعات الجند، وقُربها من الكنيسة اذ تقع الى الشمال منها، ولما توفره من راحة في ضوء ذلك، وهذه السكنة تتألف من غرفتين بينهما موزع، يُنزل اليهما من خلال ست درجات اتجاهها من الغرب الى الشمال ثم تنعطف بست درجات اخرى، نحو الجنوب ثم سبعة نحو الشمال، طول الدرجة الواحدة ١٥٠ سم، وعرضها ٢٨ سم وارتفاعها ٣٠ سم، وتؤدي الى موزع يتخلله ثلاثة ابواب (مردمة) تؤدي الى غرفتين، تفتحان على بعضهما، مساحتها ١٥×٨م تقريبا لها باب واسع من الشرق جوانبه مدمرة، وفي الزاوية الجنوبية الغربية حُنية صغيـرة ضمن الجدار الجنوبي، ويغطي الردم أرضية هذه الغرف واما جدرانها فيُلاحظ الاعتناء

ببنائها اكثر من بناء القاعات ، فحجارة المداميك متناسقة ، كذلك حجارة السقف القائم على شكل قبـوه

الكنيسـة : — (انظر المخطط للطابق الاول ص ٤٤٣ والصورة رقم ٢ ص ٣٨٦)

في وسط الجزء الأعلى من القلعة يوجد بقايا لهذه الكنيسة تتمثل في الجـزء الغربي منها ، في حين أن الجزء الشرقي مدمر ، كما يوجد جزء صغير من سقفها الأسطواني تدعمه قنطرة ، وضعت حجارتها بشكل طولي وعرضي على شكل صليب. طول الكنيسـة ٢١م وعرضها ٨٫٦م ، حجارتها من الداخل غير متناسقة حيث نُشاهد بينها قواعـد اسطوانية لبعض الأعمدة وانتزعت من مباني اخرى ويمكن مشاهدة مثل هذه القواعـد ايضا في الجدار الجنوبي للكنيسة ، كما يوجد بقايا شباك في الجدار الأعلى منه .

يذكر ديشامب(1) ان هذه الكنيسة كانت بناية بسيطة وصدرها كان بشكل نصـف دائري ، تتخلله طلاّقة باتجاه الشرق ، في حيـن يُشير ترسترام (٢) وانلارت(٣) الى أنهـا كانت تُضاء بواسطة أربعة شبابيك ضيقة وعالية . وانها كانت مزينة برسومات — لم يحددوا ماهيّتها ، وطولها ٢٥م . أما اليوم ، فلم يعد قائما فيها غير بقايا شباك واحد فـي الجهة الجنوبية ، في حين اختفت الرسومات التي كانت تزيّنها ، ولم نجد سوى حجـر واحد مثبت في الجدار الشمالي — من الداخل — نُحت عليه صليب وزينته بعض الازهـار النباتية ، وارضية هذه الكنيسة غير واضحة المعالم بسبب تراكم الردم .

في الجدار الشمالي للكنيسة من جهة الشرق يوجد سبعة عشر درجة ، طـول الدرجة ١١٥سم ، وعرضها ٣٥ سم وارتفاعها ٢٠ سم ، تؤدي في النهاية الى بـاب عرضه ٨٥ سم ، وارتفاعه غير واضح بحكم الردم ، يفضي الى غرفة مجاورة الى الكنيسة (انظر المخطط للطابق الاول من القلعة) مساحتها ٦٫٢ × ٩٫٤م ، ولها طلاّقة باتجاه الشـرق نحو الممر الفاصل بينها وبين البرج رقم (٨) ، وفي الجدار الجنوبي لهذه الغرفة بـاب مغلق ، اما الجدار الشمالي فيوجد فيه فتحة صغيرة ترتفع عن ارضية الغرفة ٢٥ سم ومساحتها ٥٠ × ٧٠ سم ، وقد نُحت في زاويتيها الشرقيتين ثقبان لتثبيت مفصليّ حجـر

(١) Deschamps 1939: 88.

(٢) Tristram 1874: 77.

(٣) Enlart 1925: 319.

الأغلاق وهو ملقى اليوم داخل البئر في نفس الغرفة . اما مساحتها من الداخل فهي ١٠٠×١٠٠سم وبارتفاع مترين تقريبا ، تصلح كمكان حصين لحفظ المواد الثمينة او حفظ ما يتعلق بشؤون الكنيسة ، وفي الزاوية الشرقية من ارضية هذه الغرفة يوجد فوهة بئر والى جانبها حوض حجري صغير ، ولسنا ندري فيما اذا كانت ارضية الكنيسة منخفضة لتكون على مستوى ارضية هذه الغرفة او أنها مرتفعة ارتفاع السبعة عشر درجة التي نزلناها الى ارضية هذه الغرفة ، واذا ما كانت مرتفعة وهو الأرجح فإن ذلك يعني وجود كنيسة اخرى تحت انقاض الكنيسة التي ما تزال بعض بقاياها قائمة الى اليوم .

في صقف هذه الغرفة المعقود بالحجارة والطين توجد فُتحة متعامده مع فوهة البئر ، بحيث تؤدي أكثر من غرض فهي فتحة إنارة وتهوية ، وفي الشتاء يتسرب عبرها الماء داخل البئر القائم تحت ارضية الغرفة .

ولا يوجد الى الجنوب من الكنيسة ما يمت بصلة الى الصليبيين ، فالمباني القائمة جنوبها هي الحمام والسجن والمدرسة والمسجد ، وكلّها مبان من العهد الأيوبي ، يليها في السور الجنوبي للقلعة " الحصن " وهو عمل مملوكي من عهد الظاهر بيبرس كما أُسلفنا . ومن يشاهد هذه المباني يدرك الفروق الكبيرة في فن العمارة بينها ، واذا ما كان هناك مواقع للصليبيين في هذه الاماكن فربما كان لهم مواقع للمراقبة بين صخور الجبل وبذلك فإننا لا نوافق ديشامب[1] عندما ذكر بأن حدود القلعة الصليبية كانت ممتدة الى ارضية البرج الجنوبي والجزء الغربي من القلعة معتبرا ان المداميك السفلى في بعض الاجزاء من السورين الجنوبي والغربي صليبية باعتبارها غير منحوته ومن النوع الصلب ، في حين ان وجود المداميك السُفلى في العمار من الحجر الكبير غير المنحوت أمر طبيعي باعتبارها جزء من اساسات البناء وليست ظاهرة للعيان .

---

(١) Deschapms 1939: 86,90.

الحمّام ، السجن ، المدرسة ، المسجد (أنظر المخطط المرفق الاول ص ٢٤٣) :-

الحمّام :-

الى الجنوب من الكنيسة مبنى مربع الشكل يُنزل اليه من خلال خمس درجـات من الجهة الغربية ، سقفه لم يعد قائما ، حجارته من الداخل منحوته نحتا ناعما ، وهي من الحجر الكلسي الأبيض، وتختلف عن حجارة الجزء الشمالي من الكنيسة حيث تبدو فيه قواعد دائرية أُخذت من بعض الأعمدة في عمارة أُخرى ، وفي الجدار الشمالي لهـذا الحمّام يوجد حجر نُحتت عليه صورة وردة ، ومن هنا فالعامة يطلقون عليه اسم حمـام الوردة ، وتحت هذه الوردة يوجد حوض حجري مُلئ اليوم بالردم ، وفي اسفله ثلاثة ثقوب لتصريف الماء ، اما الماء فبتقديرنا انه كان يصل الى المكان بواسطة أنابيب فخاريـة كانت موضوعة في سقف الحمّام ، اما اجزاء الحمّام الأُخرى فغير واضحة المعالم بسبـب الردم المتراكم عليها ، والذي اخفى ايضا الانابيب الفخارية لتصريف المياه العادمة .

سجن الخياله :-

الى الجنوب من الحمام يوجد مدخل به بعض الدمار يؤدي الى مبنى مستطيـل الشكل مساحته ٧ر٢ × ٤ر٤م ، ارضيته منخفضة عن ارضية الموزع الفاصل بينه وبين السور الشرقي للقلعة بواقع مترين ، وتوجد في الجزء الاعلى من جداره الشرقي ثلاث فتحات للتهوية والإنارة ، ويُصعد الى الفتحة الشمالية منها بخمس درجات من الداخل طولهـا ١٥٠ سم وعرضها ٣٠ سم ، اما الجدار الغربي فهو مبني من حجارة كبيرة بطول ١٠٠سم وارتفاع ٨٠ سم للحجر الواحد تقريبا ، بعضها من نوع الطيزة وبعضها الاخر من النـوع المسمسم. ومما يلفت النظر وجود حجرين كبيرين من هذه الحجارة وقد نُحت على كـل واحد منها صورة لوردة ، مما جعل العامة من الناس يطلقون اسم " سجن الوردة " علـى هذا المكان ، في حين ورد في بعض المصادر التاريخية[1] اسماء عدد من الامـراء الذين سُجنوا في " جب الكرك " أو سجن " الخيالة في الكرك " منهم على سبيل المثـال الامير عزالدين اسامه[2] الذي اعتقل على يد الملك المعظم عيسى ، ولمّا كانـت

---

(١) ابن كثير ج ١٣ ، ١٣٥٨هـ : ٦٣ ؛ واصل ج ٣ ١٩٦٠ : ٢١٠ ؛ ابو الفداء ج ٦ ١٩٦١ : ٨٠ ؛ المقريزي ج ٢ ١٩٧٣ : ١٥٥ .

(٢) لمعرفة الأسماء انظر : البخيت ١٩٧٦ : ٨١-٨٦ .

"الجباب" في القلعة كثيرة يصعب حصر الجب الذي كان يستعمل لتلك الغاية، فقد ارتأينا اعتماد اسم "سجن الخيّاله" على هذا المكان الذي برأينا لا يصلح بحكم تصميمه الا لمثل هذه الغاية، ولأن كل من وردت اسماؤهم ممن سجنوا فيه كانوا من الامراء الفرسان "الخيالة".

كذلك يوجد على بعض حجارة الجدار الغربي تثليمات لبعض الخطوط، وبعض الرسومات التي لا تعبر عن شيء إلا التسلية أو حساب الأيام، كما ان جدران هذا السجن تتسم بالضخامة، اذ يزيد سمك الجدار على المترين، ليس به أبواب غير المدخل ويوجد في سقفه ثلاث فتحات للانارة والتهوية.

المدرسة :ـ

الى الجنوب من السجن، وامام الحصن يوجد مجمّع من المباني يشتمل على مسجد ومدرسة وغرف والمدخل الى هذا المجمع من الجهة الشمالية اذ يُنزل اليه من خلال ستة عشر درجة تنتهي بباب عرضه ١٢٠ سم وارتفاعه ٢١٠سم واجهته من حجارة منحوتة نحتا ناعما، ويعلو عتبته لوحة كان عليها نقش، تآكلت جميع أحرفه، يؤدي هذا الباب الى موزع طوله ٩ر٩م وعرضه ٤ر١م، في الجدار الشرقي لهذا الموزع بابين : الشمالي يؤدي الى غرفتين مفتوحتين على بعضهما مساحتهما ١١×٥ر٣م، وفي الجدار الجنوبي للغرفتين باب يؤدي الى موزع آخر امام المدرسة، وسقف الغرفتين على شكل قبو مرتفع، تحمله مجموعة من القناطر التي تخرج من جدرانهما.

اما الباب الثاني في الموزع فيؤدي الى موزع آخر قائم امام مبنى المدرسة، حيث توجد فيه اربعة ابواب في جداره الشرقي تؤدي الى مبنى المدرسة.

يتألف مبنى المدرسة من ايوانين متقابلين واحد من الشمال وآخر من الجنوب بينهما فناء، ومساحة المبنى ١٦×١٠م وملحق بها غرفتان من الشمال سبقت الاشارة اليها. وواجهات المدرسة مبنية من الحجر الكلسي الأبيض المنحوت نحتا ناعما، وترتفع الى عشرين مدماكا، ويغطي كل ايوان صقف اسطواني الشكل، اما الفناء الاوسط فانه مكشوف، ويمكننا القول بأنه كانت تغطيه قبه حيث تبدو القناطر التي ارتكزت عليها بقايا لمثلثات كروية كانت تحمل تلك القبة.

المسجد :-

في الواجهة الشرقية من فناء المدرسة باب عرضه ٨٥ سم وارتفاعه ١٨٠ سم يؤدي الى المسجد ، والى الشمال من هذا الباب وفي نفس الواجهة يوجد شباك ايضا يتألف المسجد من غرفة واحدة مستطيلة الشكل مساحتها ٩ر٧ × ٩ر٤م في جدارها الجنوبي محراب عرضه ١ر١م وعمقه ٦ر١م وفي الجدار الشرقي فتحة للانارة والتهوية يحف بها تجويفان من الداخل ٢٠ × ٣٠سم ، يقابلهما تجويف ثالث في الجدار الغربي ، ولعل هذه التجاويف استخدمت لوضع مصابيح للانارة يغطي هذا المسجد قبو ، والى الجنوب من المسجد غرفة بها فتحة في السقف ومدخلها من فناء المدرسة وفي حال امتلاء المسجد بالمصلين فإنه من السهل استعمال فناء المدرسة للصلاة حيث انه لا يتقدم على المحراب (انظر المخطط) .

ومع انه لا يوجد نقوش تعيد المدرسة والمسجد الى تاريخ محدد ، الا اننا نستطيع القول بانها تعود الى العهد الأيوبي الذي تميز بانشاء المدارس وانتشارها لتعزيز مذاهب أهل السنة وتعطيل مذهب الشيعة ، مع التركيز على المذهب الشافعي الذي كان له الحظ الاكبر من العناية باعتباره مذهب الدولة الذي اختص به القضاء .

كذلك فإن بناء المدرسة والمسجد ومعها سجن الخيالة والحمّام والسور الشرقي بأبراجه الأربعة يغلب عليها طابع البساطة والتقشف ، وبنفس الوقت فانها تتميز بالمتانة والقوة ، واتقان التخطيط والبناء ودقة نحت الحجر باحجامه الكبيرة ، وكلها ميزات للعمارة الأيوبية رأيناها في الجزء الداخلي من قلعة عجلون ، وبشكل خاص في مباني الطابق الاول في الابراج (١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ والغرف ل ، م ، ن ، س ، ص ، ع انظر مخطط الطابق الاول لقلعة عجلون) وهي عمارة تعبر عن حالة الحرب التي كانت تعيشها الدولة الايوبية .

ومما يؤكد وجود هذا المسجد في القلعة خلال العهد الايوبي ، أن الظاهر بيبرس عندما استولى عليها منهيا الحكم الايوبي لها ، قام بأداء صلاة الجمعة في مسجدها ودُعي له على منبر المسجد (٢) ، ولا ندري فلعل الناصر محمد بن قلاوون قد اعاد

---

(١) سامح ١٩٧٠ : ٤٦ .

(٢) ابن عبد الظاهر ١٩٥٦ : ٧٥ .

بناء هذا المسجد ،او انه بُني مسجداً آخر في المدينة ،عندما عهد الى الأمير سنجر بن عبد الله الجاولي سنة (١٣١٠م (٧١١هـ) ببناء قصر للنيابة ومسجد جامع ومدرسة وبيمارستان . (١)

السور الشمالي من الداخل :ـ

تقوم خلف السور الشمالي من الداخل قاعتان تمتدان بطول السور تقريبا واحدة في الطابق الاول والثانية في الطابق الثاني ،وكلا القاعتين تعرضتا للدمار في الجزء الغربي منهما ،اذ دُمر منهما حوالي ٥٠م طول ،فغدتا من هذه الجهة كالقناطر الواسعة المفتوحة باتجاه الغرب.

القاعة (ز) في الطابق الأول :ـ (انظر مخطط الطابق الأول)

طول هذه القاعة ٦٧م تمتد من الشرق الى الغرب مع امتداد السور الشمالي للقلعة ،ومن المؤكد انها كانت اطول من ذلك ولكن الدمار اصابها في الجزء الغربي منها ونعتقد برنا ان هذا الدمار جاء نتيجة للحصار المتكرر الذي كان يشنّه عليها صلاح الدين الأيوبي ،حيث كان التركيز على هذه الجهة في محاولة لفتح ثغرة في القلعة ،بعيدا عن المدخل الرئيسي القائم في الجهة الشرقية من السور الشمالي ،اما عرض هذه القاعة فإنه غير متناسق ،ففي الوقت الذي يكون فيه العرض في الجزء الغربي ستة امتار فإنه في الجزء الشرقي يصل الى سبعة امتار ،وذلك على عكس القاعات في الجزء الاسفل الاسلامي من القلعة حيث كان ثابتا ودقيقا .

يلاحظ في بناء هذه القاعة عدم وجود تجانس بين الحجارة التي استعملت في البناء ،ففي الوقت الذي نُشاهد فيه بين جدرانها حجارة منحوته نحتا ناعما نجد ان هذه الحجارة وضعت في البناء بشكل عشوائي حيثما اتفق دونما ترتيب على شكل مداميك او قناطر كما اننا نشاهد حجارة صماء بنيته دونما نحت أو تشذيب كذلك يمكننا ان نُشاهد أيضًا قاعدة عمود دائرية ثُبتت في جدران القاعة دونما غاية معمارية غير ملء الفراغ. كما ان الباني استفاد من الصخر الطبيعي في الجبل فثبت عليه بعض اجزاء من الجدار الجنوبي لهذه القاعة ،حيث يرتفع الصخر هنا الى مترين ،وفضّل

---

(١) ابن حجر ج ٢ ١٩٦٦ : ٢٦٧.

بناء الجدار فوق الصخر والاكتفاء بهذا العرض للقاعة، على ان لا يبذل جهدا في تسوية الصخر وتوسيع العرض.

مما سبق يمكننا القول بأن الصليبيين باعتبار ان هذه القاعة والقاعة الاخرى التي فوقها والسور الشمالي كلها مخلفات صليبية، كانوا يعملون على كسب الوقت وتوفير الجهد باستغلال الحجارة الموجودة في الاماكن الأثرية القائمة في المنطقة فانتزعوا حجارتها واستفادوا منها في البناء، دونما مراعاة للنواحي الفنية طالما انهم في حالة حرب مع المسلمين.

كذلك يلاحظ استعمالهم للطين والكلس في تثبيت حجارة القبو لهذه القاعة وان كنا نلاحظ عدم وجود ترتيب في تثبيت الحجارة فبعضها بارز بشكل نافر، وبعضها الآخر غائر، وهذا كله على عكس القاعات الاسلامية التي كان التناسق واضحا في تثبيت حجارة السقف فيها.

يتخلل الجدار الشمالي لهذه القاعة عدد من الطلاّقات ليس بينها تجانس كبير فالطلاّقة رقم (١) عن يمينا من الشرق ترتفع عن ارضية القاعة ١٢٠سم، طولها ١٤٠سم وعرضها من الخارج ٢٠سم، في حين عرضها من الداخل ١٠٥سم، تتصل من الغرب مع مدخل القلعة السرّي حيث توجد فيه طلاّقتان في السور الخارجي، وارضية المدخل منخفضة عن مستوى ارضية الطلاّقة(رقم ١) انظر المخطط) والطلاّقتان الموجودتان فيه متجاورتان احداهما مغلقة اليوم، في حين طول الثانية ١٨٥سم وعرضها ٢٥ سم من الخارج اما من الداخل فعرضها ١٠٥سم، ولا يعلوها قوس بل جاء سقفها مستو، اما الطلاّقة الرابعة فإن ارضيتها ترتفع عن ارضية القاعة نصف متر، وطولها ١٨٥ سم، وعرضها ٢٥ سم، ولا يوجد فوقها حنيه، في حين الطلاقة الخامسة تنخفض ارضيتها حوالي متر لتحتوى على طلاّقة اخرى الى الاسفل منها، وطول الاولى ١٦٠ سم وعرضها ٢٠ سم اما الثانية، فطولها ٩٥ سم وعرضها ٢٠ سم، ويمكننا ان نعد في هذا الجدار الشمالي لهذه القاعة اثني عشر طلاقة، تتميز الثامنة عن اليمين بوجود درج الى جانبها يؤدي الى الطابق الثاني من القلعة، عرضه عند البداية ٨٠ سم، وعند نهايته ٧٠ سم، وهذا العرض يمثل طول الدرجة الواحدة فيه، اما عرض الدرجة فيبلغ ٣٠ سم، وارتفاع مرآتها ٢٥ سم، ومدى الرؤيا والسيطرة لهذه الطلاّقات لا يتعدى حدود الخندق الشمالي للقلعة.

وأما الجدار الشرقي لهذه القاعة فيوجد فيه في الزاوية الجنوبية باب يؤدي الى موزع يفصل بين هذه القاعة وبين سور القلعة الشرقي والأبراج ٦ ، ٧ كذلك توجد في هذا الجدار اربعة نوافذ موزعة في النقطة القائمة فوق المدخل المشار اليه ، ارضية القاعة ترابية غير مبلطة ، ويتخلل سقفها خمس فتحات للانارة .

القاعة (ط) الطابق الثاني :ـ (انظر مخطط الطابق الثاني للقلعة)

يُصعد الى هذه القاعة من خلال الدرج القائم الى جانب الطلاقة الثامنة في القاعة السفلى ، وقد سبقت الاشارة الى مقاييسه في معرض الحديث عن القاعة (ز) فبعد صعود خمس درجات من تلك القاعة ، ننحرف الى الشرق ، فنصعد اثني عشر درجة لنصل الى هذه القاعة ، وهي من حيث مادة البناء وطريقة البناء والتصميم مماثلة الى قاعة الطابق الأول ، لكنها اصغر حجما فطولها ٥٧ م وعرضها ٦٫٥م ، الجدار الغربي فيها مدمر ، في ارضيتها خمس فتحات لانارة القاعة السفلى ، اما سقفها فيحتوي على اربع فتحات لا تتعامد معا ، ونلاحظ وجود قناطر تدعم السقف بعضها كامل وبعضها لم يكتمل ، وقد بُنيت حجارتها بشكل طولي وعرضي بحيث تعطي شكل الصليب ، وفي ارضيتها خمس فتحات لانارة القاعة السفلى ، اما السقف فيحتوي على اربع فتحات لا تتعامد مع فتحات الارضية بعضها مربع الشكل والآخر دائري .

وفي الجدار الشمالي لهذه القاعة سبعة غرف متوسط مساحة الغرفة الواحدة ٤×٢٫٥م ، وفي كل غرفة طلاقة باتجاه الشمال ، ومن خلالها يظهر تفاوت في سُمك السور الشمالي اذ يتراوح ما بين متر ونصف الى ثلاثة امتار ، وهذه الطلاقات لا تختلف في حجمها عن طلاقات القاعة في الطابق الأول ، كما ان مدى سيطرتها واشرافها لا يتعدى قمة الخندق شمالا ، حيث يبدأ الجبل بالانحدار التدريجي نحو الشمال . وتتميز الغرفة الخامسة عن اليمين بوجود باب عرضه ١٢٥سم وارتفاعه ٢٤٠ سم ، وارتفاع ارضيتها ٢٠ سم عن أرضية القاعة ، مع وجود حُنية في جدارها الغربي .

اما بالنسبة للجدار الجنوبي لهذه القاعة فيوجد به باب ٢م×٤م ، وعلى جانبيه شباكان ، يرتفعان عن مستوى ارضية القاعة حوالي متر ونصف ، ومساحة الشباك الواحد ١×٢م ، وتلاحظ عمليات الترميم التي تمت في الفترة الاسلامية للباب والشبابيك فجاءت

حجارتها متميزة عن غيرها من شبابيك وابواب كلا القاعتين العليا والسفلى ، فهي مبنية من حجارة كلسية بيضاء نُحتت بزاوية ٩٠ْ ، ومن النوع المسمسم ، في حين الحجارة الاخرى رمادية اللون او سوداء أحجامها غير متساوية ، نُشاهد في بعضها قاعدة عمود دائرية او مربعة .

واذا ما قارنا بين هاتين القاعتين والطلّاقات القائمة في جدارهما الشمالي وهي كما اسلفنا صليبية ، وبين القاعات القائمة في الجزء السفلي الغربي من القلعة ، وهي اسلامية مملوكية ، فإننا ندرك الفرق الكبير بينهما ، ففي الوقت الذي رأينا فيه القاعات (ب ، حـ ، د ، هـ) ذات ارضيات مبلطة ، فإن القاعتين (ز) و (ط) ذات ارضيات ترابية ، كذلك فإنه في الوقت الذي ارتكز فيه القبو في القاعات (ب ، د ، هـ) على بعض المداميك الحجرية التي أقيمت في الجدارين الشرقي والغربي ، فإننا لم نشاهد مثل هذه المداميك في القاعتين (ز) و (ط) . كما ان حجارة القبو في القاعات الاسلامية كانت مرصوصة الى جانب بعضها بتناسق كبير ، بحيث تبدو كأسنان المشط ، في حين كانت حجارة الأقبية في القاعتين الصليبيتين غير متناسقة ، بعضها ناتئ وبعضها الاخر غائر والمسافات بين كل حجر وآخر تتسع وتضيق .

ويمكن ان نلاحظ ايضًا ان القبو في القاعات الاسلامية جاء مدببا اكثر منها في القاعات الصليبية ، مما جعل ماء المطر ينساب على جانبي هذا القبو ، في حين جاء القبو في القاعتين الصليبيتين مستو اكثر ، بحيث شاهدنا مياه الامطار تنساب عبر فتحات الانارة الى داخل القاعة العليا (ز) ومنها الى القاعة (ط) ، حيث لم يتم بناء مداميك حجرية فوق هذه الفتحات ، في حين رأينا وجود المداميك في فتحات القاعات الاسلامية ، وسُمك السقف في القاعات الاسلامية تجاوز المترين في حين في القاعات الصليبية لم يتجاوز المتر .

كذلك فإن عرض كل قاعة من القاعات الاسلامية كان ثابتا على طول امتداد القاعة في حين كان عرض القاعة (ز) يختلف في جزئيها الشرقي والغربي ، فمن الشرق كان ٦م في حين من الغرب أصبح ٧م ، وفي الوقت الذي كان فيه سُمك الجدار الغربي في القاعات الاسلامية ثابتا على طول امتداد القلعة بواقع ٣ م وقد توزعت في الجدار عدة غرف

تخللتها طلاّقات، فإن سُمك الجدار الشمالي الصليبي لم يكن ثابتا بل تراوح ما بين ٥ر١ـ٣م. اما متوسط مساحة الغرف التي اقيمت على الجدار الغربي الاسلامي فكانت ٣×٥ر٢م، في حين كان متوسط مساحة الغرف على الجدار الشمالي الصليبي ٤×٥ر٢م.

هذا وقد ساهمت القناطر في حمل السقف في القاعات الاسلامية، وكانت حجارتها من النوع المسمسم، وبُنيت بشكل طولي، في حين لم نجد مثل هذه القناطر في القاعة (ز). وفي القاعة (ط) لم يكتمل بناء بعضها، اما الذي اكتمل بناؤه فقد بنيت حجارتها بشكل طولي وعرضي، وبالتناوب، وهي من النوع المسمسم، لكنها في بنائها غير متناسقة، حيث لا يوجد تماثل بين حجارتها من حيث الطول او العرض وبالتالي فلعلها أُخذت من بقايا أبنية اخرى، اذ أن بعضها عبارة عن حجارة أعمدة مربعة الشكل.

أما بالنسبة للطلاّقات القائمة في جداري هذه القاعات: الشمالي الصليبي والغربي الاسلامي، فهي ايضًا تختلف عن بعضها، ففي الوقت الذي كانت فيه الطلاّقات الصليبية ذات عرض يبلغ ٢٠ـ٣٠سم من الخارج، فإن عرض الطلاّقات الاسلامية كان ثابتا وقدره ١٢ سم، وزيادة عرض الطلاّقة تعني زيادة فرص تعرض المُدافع للاصابة من قبل المهاجم، ويبدو أن المعماري الصليبي كان مضطرا لزيادة العرض نظرًا لقصر مدى الرمي والاستطلاع، فالمسافة التي تكشفها هذه الطلاقات هي عرض الخندق الشمالي الذي تيراوح ما بين ١١ـ١٦ـ٢٣م، في حين كانت الطلاّقات الاسلامية وبحكم موقعها الجغرافي تسيطر على مسافات واسعة، فمدى الرمي من خلالها يزيد عن ٢ كم، ومدى الرقابة والاستطلاع يزيد عن ١٠ كم.

أما عرض الطلاّقات الصليبية من الداخل فكان حوالي متر واحد تقريبا ويبدأ هذا العرض بالتناقص كلما تقدمنا داخل الطلاّقة، بحيث لا يمكن ان تتسع لأكثر من جندي واحد للقيام بالرماية، فتصميمها على شكل الرقم (٨) تقريبا، في حين عرض الطلاّقات الاسلامية من الداخل يتراوح ما بين ١٠٠ـ١٥٠سم، ونُحتت حجارتها بما يضمن تشكيل تجويف للداخل في الحجر، ويزداد التجويف مع اتجاه الحجر من الخارج الى الداخل فالمسافة الفاصلة بين حجارة الطلاّقة تبدأ بـ ١٢ سم من الخارج لتصبح من الداخل ما بين ١٠٠ـ١٥٠سم، وهذا التجويف يسمح للطلاّقة باستيعاب اثنين من الفرسان

للرماية في آن واحد ، بالاضافة الى حماية يد الرامي خاصة اذا كانت الطلاّقة تشـــرف على زوايا الأبراج ، كما تعطي للمدافع راحة نفسية اكثر فلا يشعر أنه محصور في زاويـــة حادة بين جدارين ، كما أن وجود كسحة في الحجر من الخارج على جانبي الطلاقـــة وفي الجزء الأسفل منها ، يزيد من اتساع قوس الرمي ومدى الرؤيا .

اما بالنسبة لطول الطلاّقات فقد تراوح في الطلاّقات الصليبية ما بين ١٥٠ـ٢٠٠سم والطلاّقات التي يقل طولها عن ١٦٥سم تضطر الرامي لأن يجلس على ركبتيه ، اذ ان سقف هذه الطلاّقات جاء مسطحا . في حين بلغ متوسط طول الطلاّقات الاسلاميـــة ١٥٠ سم ، وتم تصميم حنية على شكل قوس ارتفعت ٤٠ـ٥٠ سم فوق كل طلاّقة ، وبالتالي فإن الرامي يستطيع الرماية عبر هذه الطلاّقة من مختلف اوضاع الرمي ، ولا يمكن ان يتعرض رأسه للخطر كما هو الحال في الطلاقات الصليبية .

وفيما يتعلق بهذه الطلاّقات من خارج القلعة ، فإن بالامكان مشاهدة الطلاّقات الصليبية من خلال عرضها الذي يتراوح ما بين ٢٠ـ٣٠سم من مسافات بعيدة ، وذلـــك لأن حجارة السور من الخارج لا توفر تمويها كافيا لها ، واذا حُصرت الطلاّقة بين حجرين لهما طبزة فإنها تكون من غير اطار ناعم في جوانبها الخارجية ، واذا ما كان لها هذا الاطار فإن طبزة الحجر لا تغطي عليها ، وهذا على عكس الطلاّقات الاسلامية والتـــي بلغ عرضها من الخارج كما اسلفنا ١٢ سم ، وتم نُحت اطار لها بهدف زيادة طبزة الحجر حولها للتغطية عليها ، مما قلل من فرص تحقيق اصابة دقيقة فيها على عكس الطلاّقـــات الصليبية اذ تزداد فرص اصابتها بدقة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار قصر المسافة بينهـــا وبين قمة الجبل المقابلة لها والتي لا تزيد عن ٢٥م ، ولعلهم وتحاشيا لهذه النقطـــــة ركزوا على رفع السور ليصبح أعلى من قمة الجبل المقابلة له ، فاستفادوا من مزاغله العليـــا في الرماية والمراقبة اكثر من طلاقات القاعتين (ز) و(ط) .

كما تجدر الاشارة الى ان توزيع الطلاّقات في القاعات الاسلامية لم يكن متعامداً في طوابقها بل جاءت موزعة ، بما يحقق سيطرة كاملة على الارض المقابلة للسور الغربي ونستثني من ذلك تلك الغرف الصغيرة ذات الاستراتيجية الخاصة التي كانت تحتـــوي على طلاّقات مع قناة لتمرير المعلومات بين الطوابق ، وهو ما افتقرت اليه القاعتيـــــــن

الصليبيين ،كما رأينا كيف أن بعض الطلاقات في القاعة (ز) الصليبية جاءت منخفضة عن ارضية القاعة لتغطية جزء معين على الأرض، وذلك على عكس الطلاقات الاسلامية فلم نجد أي منها تنخفض عن مستوى ارضية اية قاعة، بل جاءت كلها ذات مصاطب مرتفعة بمعدل نصف متر عن ارضية القاعة، موفرة بذلك سيطرة اكثر على الأرض التي تقابلها ، وتحول دون ايقاع اية اصابات بمن يكون جالسا داخل تلك القاعات.

كذلك فإن القاعة (ز) الصليبية اشتملت على مدخل القلعة الصليبي ، وحماية هذا المدخل تقوم من خلال طلاقتين ارضيتها منخفضة عن مستوى القاعة، ولمجرد الدخول منه ، يصبح الحد الفاصل مع القاعة ثلاثة أمتار تقريبا ، ولا توجد اية قواطع بين اجزاء هذه القاعة، في حين رأينا أن المدخل في الجزء الاسلامي محصور بين قاعتين (د) و(هـ) مما يربك الداخل منه، ويجعله في حيرة لاختيار الطريق الذي يسلكه، وبالتالي يسهل ايقاع خسائر اكبر في صفوفه اذا ما كان عدوا ،كما ان تصغير مساحة القاعات الاسلامية من خلال قواطع بينها وبناء غرف ذات استراتيجية خاصة تربطها بالطوابق العليا ، يسهّل من السيطرة على الحامية التي تتواجد في كل قاعة.

<u>الموجودات التي عثر عليها في القلعة :-</u>

ان من يتجول داخل القلعة او حولها او في محيط المدينة يشاهد العديد من الكسر الفخارية الاسلامية المطلية باللون الأزرق أو الأخضر، والمشوية بشكل جيد والمصنوعة بواسطة الدولاب، كذلك فقد عُثر عام ١٩٦٩م داخل القلعة على لوحة رخامية موضوعة اليوم على مدخل القاعة رقم (٢) (متحف القلعة) نُحت عليها بخط نسخي جميل عبارة :

"عـز لمولانا السلطان الملك المنصور"

(انظر الصورة رقم ١ ص ٢٨٤).

كذلك عُثر في البرج رقم (٣) من أبراج المدينة من نفس العام على حجر يحمل نقشا من ثلاثة اسطر (انظر الصورة رقم ٢ ص٢٨٦) نصه :

جدد هذا السبيل

احمد بن عيسى الحاكم

بالكرك سنة ثمانين وسبعمائة

كما عثر ايضا على هاون من الحجر مجوف على شكل دائرة قطرها ١٢ سم، في حين من الخارج مربع الشكل، طول ظلمه ٢ سم، اما قاعدته فهي دائرية الشكل نحت على جدرانه الأربعة الخارجية اربع صور هي : صورة فارس، صورة صليبين متصلين معا، صورة حمامة، واخيرا صورة وردتين متعاكستين في الأتجاه.

ومما تجدر الاشارة اليه انه تم العثور على مجموعة من قطع العملة الاسلامية داخل القلعة وداخل (البرج هـ - برج الظاهر بيبرس)، وكل هذه المكتشفات محفوظة في متحف القلعة، وقد قرأنا ما تحمله قطعتان على سبيل المثال لا الحصر :

القطعة الاولى :

الوجه : السلطان الملك الناصر بأمر الله.
الظهر : لا اله الا الله محمد رسول الله.

القطعة الثانية :

الوجه : السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس قسم امير المؤمنين وتحت هذه العبارة نُقشت صورة الأسد).

الظهر : لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق.

وخلال القيام بإعداد هذه الدراسة عثرنا في الجزء الأعلى من القلعة - قرب المدرسة والمسجد - على جزء صغير من لوحة رخامية ١٣سم×٣١سم تحمل كلمات موزعة على اربعة اسطر (انظر الصورة رقم ٢ ص٣٨٤) نصها :

السطر الاول : غير مقروءه

السطر الثاني : ..... عيسى

السطر الثالث : (مولا)نا الملك العادل

السطر الرابع : .... ر خليل امير المؤ (منين)

ولا بد من التنويه بأن ما تحدثنا عنه من مبان داخل القلعة ليست هي كل ما تضمنه بل ان هناك العشرات من المداخل المردمة، وفتحات الانارة التي تخفي العديد من الغرف والقاعات، والممرات التي قد تؤدي الى طوابق اخرى قائمة تحت الانقاض

مما يدفعنا الى القول بأن قلعة الكرك بضخامتها تعتبر نموذجا للمدن العسكريـــــة الحصينة، وتحتاج الى جُهد كبير للكشف عن باقــي معالمهــــا .

قلعـــة الشوبـــــك

مقدمة تاريخيـــة : -

تقع قلعة "الشوبك" - بفتح الباء وتسكين الكاف، ما بين الكرك والبتراء، اذ تبعد عن مدينة الكرك ١٢٠ كم جنوبا، وعن البتراء ٣٥ كم شمالا، في حين تبعد عن عمـــان ٢٣٠ كم بطريق الخط الصحراوي. ويصفها الحموي والبغدادي (١) بأنها قلعـــة حصينة في اطراف الشام بين عمّان وايلة والقلزم قرب الكرك. كما يشرح ابو الفـــداء والقلقشندي (٢) كيف أنها بلد صغير كثير البساتين، ينبع من ذيل قلعتها عينـــان: احداهما عن يمين القلعة، والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه، فالتسمية كما نلاحـــظ جاءت للتعريف بالقلعة، ثم للدلالة على البلد، حيث اصبحت القلعة معلمًا جغرافيـــا مميزًا لها، لِتَوفُّر اسباب الحياة فيها.

تربض القلعة فوق قمة منفردة من قمم جبال الشراه، ترتفع ١٣٣٠م عن سطـــح البحر، وتحيط بها اودية من جهاتها الأربع هي: وادي الحماط من الشرق والشمـــال ووادي الرغاية من الجنوب، ووادي مدقات الزبيب من الغرب، والمسافة ما بين قمـــة الجبل وقيعان الأودية المحيطة، تتراوح ما بين مائة متر في الجزء الشمالي الغربي، الى حوالي ٢٥٠م باتجاه الشرق. وتحيط بالقلعة عيون الماء العذبة، ففي قاع الـــوادي شرقا توجد عين العاصي، وفي الغرب عين مغاس، كما توجد عين الرغاية في الزاويـــة الجنوبية الشرقية للقلعة. ولقد كان لوجود الماء في هذه العيون الفضل في جعـــل الأودية التي تنساب فيها دائمة الخضرة، كما ان الأرض حول القلعة زراعية، تصلح لزراعة الأشجار والحبوب.

لقد دخل المكان تاريخيا ضمن حدود مملكة الأدوميين، ثم الأنباط، وكما هـــو معلوم فقد كانت التجارة هي المصدر الرئيسي للأنباط، وموقع قلعة الشوبك، يشكـــل نقطة استراتيجيـــة متقدمة بالنسبة لعاصمتهم "البتراء"، ويوفر المزيد من الأمن والراحـــة للقوافل التجارية المتجهة ما بين سوريا والجزيرة العربية وبلاد النيل والبحر الاحمـــر

---

(١) الحموي ج٣ ١٩٥٧: ٣٧٠؛ البغدادي ١٨٦٤: ١٣٢.
(٢) ابو الفداء ١٨٥٠: ٢٤٦-٢٤٧؛ القلقشندي ج ٤ ١٩١٤: ١٥٧.

فقاموا ببناء حصن كان بمثابة النواة الأولى للقلعة ،إلا أن يد الدمار امتدت اليه بعد سقوط البتراء بيد الرومان سنة ١٠٦م .

يؤكد ذلك ما اورده ياقوت(١) في إعادة بناء هذا الحصن سنة ٥٠٩م على يد الملك الغارسي " بقدور" الذي سار الى بلاد ربيعة من طيّ اثناء نزاعه مع البيزنطيين ، ونزل على حصن قديم خراب يُعرف بالشوبك بقرب وادي موسى ، فعمَّره ورتّب فيه رجاله فتعطل السفر من مصر الى الشام بطريق البر مع العرب بعمارة هذا الحصن .

ونرى بأن الحصن قد استمر في اداء دور معين عند ما عبرت جيوش الفتح الاسلامي لهذه الديار حاملة رسالة التوحيد ، فهو رابض على الطريق التي لابد منها في الصراع مع الروم البيزنطيين ، لفتح بلاد الشام ومصر ، فلابد ان يكون موقعه الاستراتيجي وخصب أراضيه وعيون مائه وفواكهه قد استرعت اهتمام اولئك المجاهدين . وعلى مقربة منه وفي بلدة أذرح كانت البيعة لمؤسس الدولة الأموية ، وعند ظلاله في بلدة الحميمة قامت الدعوة للعباسيين ، وفي العهد الفاطمي اصبح الموقع حلقة الوصل ما بين القاهرة وبغداد والشام والحجاز ، فلا يعقل ان يكون قد هُجر تماما طالما انه عايش تلك الظروف والاحداث ، وله هذه المميزات .

واذا كانت المراجع العربية التي تُقدّر للباحث الاطلاع عليها لا تشير بشكل واضح وصريح الى الدور الذي لعبه ذلك الحصن في تلك العهود ، فإن ابن القلانسي(٢) يشير الى ان اتابك دمشق ظهير الدين طغتكين قد اقطع البلقاء ومآب ووادي موسى الى الاصفهبد التركماني سنة ١١٠٧م (٥٠١هـ) فتوجه الى وادي موسى على رأس جيش من ثلاثة الاف جندي ، إلا أن الصليبيين تمكنوا منه ، فلحقت به هزيمة عاد معها الى دمشق فاستقبله الأتابك وخفف عنه .

ولئن كانت رواية ابن القلانسي قد انتهت عند هذا الحد ، فإن المؤرخ الصليبي جروسيه(٣) Grusset قد أشار الى ان الملك بلدوين ١١٠٠-١١١٨م/٤٩٤-٥١٢هـ علم بأن ثلاثة الاف دمشقي تحت إمرة القائد التركي

---

(١) الحموي ج ٣ ١٩٥٧ : ٣٧٠ .
(٢) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ١٥٨ .
(٣) Grousset 1935: 250,679

الأصفهيد قد بنوا قلعة في وادي موسى ،لمنع المسيحيين من المرور في تلك المنطقـــة فخرج اليهم في الفترة من شباط الى نيسان من سنة ١١٠٧م(١٠٠٥هـ) على رأس جيش من خمسمائة جندي ، يصحبه دليله الكاهن السوري ثيودور ، فأجبر المسلمين على ترك المنطقة ، وهدم القلعة ، وعاد الى بيت المقدس بعد أن أحضر معه بعض المزارعيــــن المسيحيين من ضواحي البتراء ، ليعملوا كمزارعين في أرض فلسطين ، ولا ندري فلعل تلك القلعة التي بناها الاصفهيد هي التي قامت على انقاضها قلعة الوعيرة او الحبيــس في وادي موسى ــ البتراء ــ أوأنها أقيمت هي على انقاض قلعة الشوبك !؟

لقد شنّ بلدوين في الفترة من ١١٠٠ـ١١١٥م/٤٩٤ـ٥١٠هـ اربع غــزوات على المنطقة ، رافقه فيها الكاهن والمؤرخ فوشيه دي شارتيـــــــــــــــر (١) "Foucher de Charters" فذكر بأن المنطقة خصبة مليئة بعيون المــــاء وانه في غزوة سنة ١١١٢ـ١١١٣م / ٥٠٦ـ٥٠٧هـ التي اشترك فيها مائتي فــارس ومائتين من المشاه ، وبمساعدة احدى القبائل البدوية ، عاد الملك محملا بالغنائم التـي حصل عليها من قافلة دمشقية. (٢) ثم اراد الملك تقوية وجوده في المنطقة ــ شرق البحر الميت ــ فعمد سنة ١١١٥م(٥٠٩هـ) لاختيار موقع قلعة الشوبك ، على مسافــة أربعة ايام من القدس ، نظراً لتوفر القُدرة الدفاعية فيه بشكل طبيعي ، ولسهولة إغـــلاق الممر الذي يسلكه الاعداء (المسلمين) ، ولمراقبة الطرق التجارية ، وطرق الحــــج الاسلامي ، فشرع ببناء القلعة .

ويُجمع مؤرخوا المملكة الصليبية على أنه بقليل من الأشخاص ، وبقليل من الوقــت تمت عملية البناء ، دونما تحديد للعدد أو المدة الزمنية . هذا ما ذكره شارتيــــر (٣) الذي واكب عملية البناء مع بلدوين ، وهو ما أكده وليم الصوري (٤) ، واضاف عليه البــرت اكس Albert of Aix (٥) بأن الملك بلدوين اشتغل بنفسه في البناء مــدة ثمانية عشر يوما ، وأراد أن يترك ذكرى لهذا التأسيس ، فأطلق عليه اسم " الجبل الملوكي " Mont Royal ، ثم تحولت الى مونتريال Montreal ، وبات بلدويــــن يحلم بالواردات التي سيحصل عليها من القوافل التجارية .

---

(١) Chartres 1913? 380-381

(٢) Deschamps 1939:90-91; Stephenson 1968:62

(٣) Op. Cit., 431

(٤) Tyre 1943: 499-500.

(٥) Aix بدون تاريخ : 702-703

من المعلوم انه في حالة الحرب يحرص القائد على ان يكون القدوة للجندي فإذا كانت إندفاعة الملك القائد لمدة ثمانية عشر يوما ، فإنها مدة قليلة من وجهة نظر كاهنه و مؤرخه ، وهي بتقديرنا لا تكفي مع العدد القليل ـ الذي لم يُحدد على خلاف الغزوات الاخرى التي شنّها الملك ـ لا تكفي لبناء بيت او ملجأ ، فكيف بها ستبني قلعة استعصت فيما بعد على جيش المسلمين لمدة عشرين شهرا من الحصار !؟

لقد اقام الصليبيون معظم قلاعهم فوق انقاض حصون تهدمت من تقادم السنين واستفادوا من بقايا تلك الحصون وعملوا بالمثل القائل " الحصن المتهدم مبني نصفه " وذلك في ضوء معاناتهم الدائمة من قلة العدد ، من هنا كان بناؤهم لقلاع يبنه وغزة وبيت جبرين ودير البلح وعتليت[1] والكرك ، وعندما قاموا ببناء قلعة الشوبك لم يخرجوا عن هذه القاعدة ، اذ ان بلدوين قام بإعادة بناء ذلك الحصن الذي كان في نواته الأولى نبطيا ، تقارعت عليه السنين ، فأُعيد بناؤه في العهد الفارسي على يد "بقدور" كما اسلفنا ، ثم تعاقبت عليه صروف الدهر بين هدم وبناء في العهود الاسلامية الى أن جاء " بلدوين ". ويؤيد ذلك ما ذكره المقريزي[2] من أخذ بلدوين للشوبك وتعميره له سنة تسع وخمسمائة ، وكان قد خرب من تقادم السنين . وما اشار اليه مؤرخ مجهول كتب" تاريخ سلاطين المماليك" بقوله " قصدة بغدوين صاحب القدس في سنة تسع وخمسمائة ، وهو يومئذ حصن خراب من تقادم السنين ، فعمّره ورتّب اصحابه فيه ، وملك تلك الاعمال ". [3]

وبعد اعادة بناء القلعة على يد بلدوين كان "رومين د وبـاي" Romain du Puy أول سيد لها ، وذلك في سنة ١١١٨م (٥١٢هـ) ، وكان قبل ذلك ساقٍ في بلاط المملكة في القدس ، ووصفه وليم الصوري بأنه سيد الارض عبر الأردن ، [4] وكان يساعده في ادرة شؤون القلعة ابنه راؤول Raoul حتى سنة ١١٢٦م (٥٢٠هـ) حيث عُين باين لي بوتيليه Payen Le Bouteiller" " سيداً " لها ، فقام في سنة ١١٤٢م (٥٣٧هـ) باعادة بناء قلعة الكرك ـ كما اسلفنا ـ

(١) Benvenisti 1970: 286.

(٢) المقريزي ج ١ ١٣٢٤هـ : ٣٦٦.

(٣) مجهول ١٩١٩ : ٢٤٢.

(٤) Tyre 1943: 627.

والتي اصبحت قصبة هذه الولاية الاقطاعية ، وخلفه فيها ابن اخيه " موريس "[1] "Maurice" ، ثم جاء بعده سنة ١١٦١م (٥٥٧هـ) " فيليب دي ميلي " حيث أقطعه الملك بلدوين الثالث هذه البلاد ، بدلا من نابلس وصور التي الحقت في بيت المقدس فامتدت حدود اقطاعية فيليب من عمّان الى خليج العقبة ، اي بطول ٣٠٠ كم وعرض ٦٠ كم — من الكرك الى الخليل — التي أتبعت لهذه الاقطاعية .[2]

وقد تنبه المسلمون لخطورة اعادة بناء الصليبيين لقلعة الشوبك ، نظرا لاستراتيجية موقعها على الطريق ما بين مصر والشام ، فقام الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك سنة ١١٥٧م (٥٥٢هـ) ، بتوجيه حملة الى الشوبك في عهد "موريس" عادت محملة بالغنائم والأسرى ،[3] وبعدها بسنتين سيّر حملة أخرى ، قامت بضرب الشوبك والطفيلة ، عندئذ طلب الصليبيون الهدنة ، وأرسلوا الهدايا الى القاهرة[4] .
كما تعرضت القلعة ، ومعها سائر قلاع بلاد الشام لعدة هزات ارضية في الفترة من ١١٥٦–١١٦٩م / ٥٥١–٥٦٥هـ ، نتج عنها تهدُّم كثير من المباني وأسوار وأبراج القلاع دفعت بالمسلمين والصليبيين للانشغال في اعادة بناء ما تهدم من قلاعهم .[5]

وبعد موت ابن رزيك سنة ١١٦١م (٥٥٧هـ) اشتد الصراع على السلطة عند الفاطميين بين شاور بن مجير السعدي وضرغام بن عامر ، فاستنجد شاور بنورالدين في دمشق في حين استجد ضرغام بالصليبيين ، وقام نورالدين بارسال جيش بقيادة شيركوه ومعه صلاح الدين سنة ١١٦٤م (٥٦٠هـ) ، فقتل ضرغام ، واستعاد شاور الوزارة ، وعاد شيركوه الى دمشق . فتعرض الى كمين نصبه له الصليبيون بقيادة عموري ، مما اضطره الى تغيير خط سيره من جانب الشوبك الى غور الأردن والبلقاء ، ومنها الى دمشق[6]

---

(١) Descehamps 1939: 45.
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١٣ : ٤٣٩ ؛ وانظر ايضا : Deschamps 1939:98
(٣) المقريزي ج ٣ ١٩٧٣ : ٢٣٠–٢٣٦ .
(٤) Deschamps 1939: 48.
(٥) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ٣٣٤–٣٤٣ ؛ ابن الاثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٣٥٤–٣٥٥ .
(٦) ابو شامه ج ١ ١٩٦٢ : ٣٣٧ .

ثم ما لبث شاور أن نَقَضَ العهد مع نورالدين ، واستعان بالصليبيين ، فسارع نورالدين باعادة تسيير شيركوه ومعه صلاح الدين سنة ١١٦٧م (٥٦٣هـ) ، وسلكا الطريق بمحاذاة الشوبك ، وفي هذه المرة تم اسقاط الخلافة الفاطمية ، وانقاذ مصر من الصليبيين ، وهو ما اعتبره المؤرخون فتحا جديدا لها . (١)

ولم ينس صلاح الدين ذلك الدور الذي كانت تلعبه قلعة الشوبك في قطع الطريق على الجيش الاسلامي وتعرض حاميتها له فتوجه اليها سنة ١١٧١م (٥٦٧هـ) وفرض حصارًا محكما عليها ، أذعنت معه حاميتها للاستسلام وطلبت مهلة عشرة أيام فأعطاها المهلة ، وفي ذلك الوقت خرج نورالدين على رأس جيش من دمشق للمشاركة في شرف الفتح ، فلما علم صلاح الدين بذلك نقل عائدا الى مصر ، قبل انقضاء المهلة وهو ما نتج عنه بداية الوحشة بينهما ، والتي انتهت باعلان صلاح الدين الولاء والطاعة لنورالدين . (٢) وهكذا قُدِّر للقلعة الافلات من يد المسلمين .

وعندما اعتلى صلاح الدين الايوبي سدة الحكم كان عليه ان يتردد ما بين مصر والشام لتفقد احوال رعيته وأمور ملكه ، وتأمين الاتصال بين شطري دولته من خلال الطريق البرى الوحيد المار عبر الشوبك ، والتي لم ترتدع حاميتها عن التعرض للقوافل التجارية وقوافل الحجاج ، والجيوش الاسلامية (٣) ، فبقي الطريق محفوفا بالمخاطر ، وهو ما اشار اليه العماد الأصفهاني سنة ١١٧٦م (٥٧٢هـ) أثناء عودته مع صلاح الدين من دمشق الى القاهرة ومروره بقلعة الشوبك حيث انشد :ـ

طريق مصر ضيق المسلك	سالكه لا شك في مهلك
وحب مصر صار حُبًّا لمن	اوقعه في شبك "الشوبك"
لكنما من دونها كعبة	محجوجة مبرورة المنسك
بها صلاح الدين يشكي الذي	اليه من ايامه يشتكي (٤)

---

(١) المرجع السابق : ٣٨٩-٣٩٩ ؛ ابن شداد ١٩٠٣ : ٢٠٩ ؛ ابن واصل ج ١ ١٩٥٣ : ١٦٠ ؛ الحنبلي ج ١ ١٩٧٣ : ٢٧٦ .

(٢) المقريزى ج ١ ١٩٣٤ : ٤٤ ؛ ابن الاثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٣٧١ ؛ ابو شامه ج ١ ١٩٦٢ : ٥١٩-٥٢٠ ؛ ابن سعيد ١٩٧٠ : ١٨٦ ؛ ابن خلدون ١٢٨٤هـ : ٢٥٠-٢٥١ .

(٣) Smail 1973: 103; Avi-Yonah 1969: 232

(٤) ابو شامه ج ١ ١٩٦٢ : ٦٨٠ .

وفي سنة ١١٧٧م(٥٧٢هـ) تم زواج ريجنالد من الأميرة "اتينت" صاحبة الكرك والشوبك، وحمل لقب سيد الشوبك والخليل (١)، ووصلت به الجرأة انه قام في سنة ١١٨١م(٥٧٧هـ) بغزوة الى الحجاز وصل فيها الى تيماء، واستولى على احدى القوافل التجارية، ثم عاد في السنة التالية فغزا الحجاز بحطة برية وبحرية، تصدى لها الاسطول المصري بقيادة الشيخ حسام الدين لؤلؤ وتمكن من افشالها، (٢) واتجاه هذه الافعال من حامية الشوبك رأى صلاح الدين ان يقف امام الصليبيين في معركة فاصلة فجمع جيشه سنة ١١٨٧م(٥٨٣هـ)، واستدرج الصليبيين الى سهل حطين في الوقت الذي أبقى فيه جزء منه بقيادة أخيه العادل لمحاصرة قلعة الشوبك، وتحقق النصر له في حطين واستسلمت القلعة في شهر نيسان ١١٨٩م(بربيع الاول ٥٨٥هـ)، وبسقوطها انتهى التواجد الصليبي في الاردن. (٣)

بعد ذلك اقطعها السلطان لأخيه الملك العادل فبقيت بيده الى أن اعطاها لابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى، فقام بتحصينها وتجميلها، وجلب اليها غرائب الأشجار حتى تركها تضاهي دمشق في بساتينها. (٤) وعندما زارها الرحالة(ثتمار) بعد ثمانية وعشرين سنة من سقوطها بيدالمسلمين اي في سنة ١٢١٧م(٦١٤هـ) ونزل عند ارملة فرنسية، وجد القلعة، واسوارها الثلاثة المتتابعة على درجة من القوة والمنعة بحيث لم يرى احصن منها. (٥)

وبلغ من اهتمام الايوبيين بالكرك والشوبك ان الملك الكامل أبدى استعداده اثناء حصار الصليبيين بقيادة حنا دي برين سنة ١٢١٨م(٦١٥هـ) لمدينة دمياط للتنازل له عن كل ما فتحه صلاح الدين في بلاد الشام باستثناء الكرك والشوبك، مقابل الانسحاب عن مصر، الا ان الصليبيين رفضوا العرض، وأصرّوا على تسلم الكرك والشوبك لادراكهم ما تعنيه القلعتان بالنسبة لوجودهم في بلاد الشام ومصر. (٦)

---

(١) Meistermann 1909: 241; Schumberger 1923: 161

(٢) زكي ١٩٧٠: ١٢٥-١٢٩.

(٣) ابو المحاسن ج٦ ١٩٣٦: ٤٣؛ ابن واصل ج٢ ١٩٦٠: ٢٨٤؛ ابو شامه ج٢ ١٩٦٢: ١٣٩؛ ابن الاثير ج١١ ١٩٦٦: ٥٢٩؛ ابن سعيد ١٩٧٠: ١٥٩.

(٤) القلقشندي ج٤ ١٩١٤: ١٥٧؛ ابن شداد ١٩٦٢: ٨٠.

(٥) Meistermann 1909: 241; Deschamps 1939: 43

(٦) ابن كثير ج١٣ ١٣٥٨هـ: ٩٥؛ ابو الغداء ج٦ ١٩٦١: ٢٦؛ الدواداري ج٧ ١٩٧٢: ٢٠٩؛ ابن واصل ج٤ ١٩٧٢: ٩٥.

كما ان قلعة الشوبك كانت من جملة الأسباب التي ادت الى الخلاف الذي نشب بين الملك الناصر داوود وعمه الملك الكامل محمد ، أضطر معه الناصر للتنازل عنها لعمه سنة ١٢٢٨م (٦٢٦هـ) . (١) فاهتم الكامل بها باعتبارها على حد قوله الحصن الذي يحمي راسه فيه ، ويلجأ اليه عند الشدائد . (٢) كما اهتم بها من بعده الملك الصالح نجم الدين ايوب ١٢٣٩-١٢٤٩م/٦٣٧-٦٤٧هـ فقد عُثر على نقش محفور على حجر ملقى اليوم داخل الكنيسة في القلعة يتألف من ستة اسطر ، يشير الى ان والي القلعة الأمير عز الدين بن عبد الله المعروف بالاسكندراني قام ببعض اعمال البناء في القلعة سنة ١٢٤٢م (٦٤٠هـ) . (وسيرد نصه مع باقي النقوش عند الحديث عن نقوش القلعة) . كما ان الملك الصالح أمّر واليا آخر من الذين تعاقبوا على ولاية القلعة وهو الامير شرف الدين عيسى بن خليل بن مقاتل بإعمار القلعة ، وخلّد ذلك بنقش من ستة اسطر يعود لسنة ١٢٤٨م (٦٤٦هـ) .

بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٩م (٦٤٧هـ) تولى الحكم ابنه توران شاه فقام بنفي الملك المغيث عمر بن الملك العادل إلى قلعة الشوبك حتى لا يبقى له منافس في الحكم ، وبعد مقتله في السنة التالية أُفرج عن المغيث عمر وتسلم امارة الكرك ، وحاول بالتنسيق مع الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب إسترجاع الحكم الايوبي من المماليك في مصر ، الا انهما لم يوفقا في ذلك وعندما اعتلى عزالدين ايبك التركماني الملقب بالملك المعز عرش مصر سنة ١٢٥٠-١٢٥٧م/٦٤٨-٦٥٥هـ قام بالاستيلاء على قلعة الشوبك ، وشرع ببعض أعمال البناء فيها وثبّت ذلك في نقش من ستة اسطر موجود في احد جدران القلعة الداخلية يعود تاريخه لسنة ١٢٥٣م (٦٥١هـ) ، سنأتي على نصه فيما بعد .

ومع اعتلاء ايبك سدة الحكم بدأ اهتمام السلاطين المماليك بقلعة الشوبك ، فقام الظاهر بيبرس بتجديد البناء فيها وخلّد ذلك في نقش توزعت اجزاؤه بين اعمال الترميم في اسوار القلعة ، كما انها كانت الحصن الذي التجأ اليه ابناؤه من بعده _ الملك

---

(١) المقريزي ج١ ١٩٣٤ : ٢٣٥ ؛ ابن واصل ج٤ ١٩٧٢ : ٢٥٦-٢٥٧ ؛ الدواداري ج٧ ١٩٧٢ : ٢٩٥ .

(٢) المقريزي ج١ ١٩٣٤ : ٢٢٦ ، ٢٣٥ ؛ ابن سعيد ١٩٧٠ : ٣٩٦ ؛ ابن واصل ج٤ ١٩٧٢ : ٢٢٥ ، ٢٥٦ .

السعيد ناصر الدين محمد والملك المسعود نجم الدين خضر اثناء نزاعهم على السلطة مع الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، فسيّر اليهما قلاوون جيشا بقيادة الأمير بدر الدين بيليك الايدمري سنة ١٢٧٩م(٦٧٨هـ) فاستولى عليها ، وأُبقي على الأمير حسام الدين لاجين نائبا فيها ، والامير جمال الدين الهمامي والياًللبر ، وسُيّرت اليهم الخلع والهدايا من قلاوون . [1] وتم اعمار القلعة وحُملت اليها الذخائر من كل الاصناف ، وبدأت تلعب دورا اقتصاديا كبيرا في رعايتها للقوافل المتواصلة بين مصر والشام وعكا . [2]

واذا كان التاريخ قد سجل للملك الأشرف خليل بن قلاوون ١٢٩٠–١٢٩٣م/ ٦٨٩–٦٩٣هـ فضل الاستيلاء على آخر حصن صليبي في عكا فإنه لن يغفر له اصدار اوامره سنة ١٢٩٢م(٦٩٢هـ) لنائبه في دمشق عزالدين ايبك الافرم بالتوجه اليها وهدمها ، بناء على نصيحة قدمها له الأمير عتبة بن عقبة امير عرب بني عقبة ، لا لشيء الا لأنها كانت شوكة في حلوق الأعراب[3]. فتوجه اليها الأفرم وهو مغلوب على امره يصحبه طاقم الهدم من حجّارين وعُمّال ، وشرع في هدمها حتى سواها بالارض ، واكتفى بالابقاء على القلة ــ البرج الجنوبي الغربي منها ــ ولم يجد المؤرخون سببا معقولا لفعلة خليل ، فوصفوا ما قام به بانه ناتج عن سوء التدبير وفساد في الرأي وأنّ طالع ذلك الملك اقتضى الخراب لما فعله في بعض قلاع مصر والشام والساحل وانه قصد ذلك لمعنى خطر بباله . [4]

ويذكر الغوانمه [5] بأن بعض المخطوطات تشير الى ان ابن الافرم عندما هدمها وجد فيها اربعة الاف ختمه من القرآن الكريم مخطوطة بخط مذهب بالاضافة الى كثير من الاسلحة التي ادخرها فيها سلاطين بني ايوب ، منها سيف كبير قيل انه سيف خالد بن الوليد رضي الله عنه .

---

(١) ابو المحاسن ج ٧ ١٩٣٨ : ٢٦٨–٢٦٩ ؛ ابن الفرات ج ٧ ١٩٣٩ : ١٤٤– ١٤٥ ؛ عاشور ١٩٥٩ : ٩٤–٩٦ ؛ ابن عبدالظاهر ١٩٦١ : ٥٧ ، ٦٠ .

(٢) ابن جبير ١٩٦٤ : ٢٧٦ ؛ الحميري ١٩٧٥ : ٢٠٢–٢٠٣ .

(٣) ابن كثير ج ١٣ ١٣٥٨هـ : ٣٣٤ .

(٤) ابو الفضائل ج ٢ ١٩٢٠ : ٣٩٧ ؛ ابو المحاسن ج ٨ ١٩٣٩ : ١٥–١٦ .

(٥) غوانمه ١٩٧٩ : ١٣٩ .

ولئن كان الاشرف خليل قد أُعمل فيها معول الهدم فقد جاءها سنة ١٢٩٦م (٦٩٦هـ) من يُحْكِمُ فيها يد البناء والاعمار، عندما تسلم مقاليد الحكم المالك المنصور حسام الدين لاجين، وهو الذي كان يوما نائبا فيها. فسبر اعماقها، وادرك قيمتها لدولة الاسلام، فشرع في سنة ١٢٩٧م (٦٩٧هـ) باعادة بنائها من جديد، وعهد بذلك الى الأمير "علاء الدين قبرص المنصوري" والمهندس "محمد بن عبد الحميد"، فبدءآ بهما من الداخل ثم باسوارها الشمالي والشمالي الشرقي، وتمت تَحْلِيَتُها باشرطة كتابية حملت اسم لاجين واقترنت بسنة ١٢٩٧م (٦٩٧هـ) فشكلت اعماله معظم اجزاء القلعة القائمة حتى اليوم، ولو لم تعاجله يد المنون لقدر له اكمال بنائها، فقد قُتل سنة ١٢٩٨م (٦٩٨هـ) بعد حكم دام سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما. (١)

ولقد زارها في سنة ١٣٣٦–١٣٤١م/٧٣٧–٧٤٢هـ (لدلف سود هيم)، فوصفها بأنها حصينة جداً، ويحفظ السلطان بها كنوزه، وانها كانت محاطة بثلاثة اسوار (٢) سنأتي على ذكرها فيما بعد.

الا ان القلعة تعرضت للزلازل التي كانت تضرب البلاد فتهدم بعض اجزائها كما انها بعد موت لاجين عانت من الخلافات التي نشبت بين السلاطين المماليك في صراعهم على السلطة، فقد لجأ اليها ابناء السلطان قلاوون وبدأوا بالعمل على استرداد الحكم في مصر والشام او بالاستقلال في الكرك والشوبك، مما ترتب عليه تسيير الحملات من هذه القلاع او اليها، ولم نعد نقرأ نقوشا فيها تتحدث عن اعمال التجديد والبناء.

وبعد ان دخلت القلعة تحت حكم العثمانيين أُصبح فيها سنة ١٥٦٣م (٩٧١هـ) حامية من اربعة وسبعين جنديا، ودبّ فيها الاهمال حتى غدت مأوى للفلاحين (٣). وتعرضت سنة ١٨٣٤م (١٢٥٠هـ) لاعمال التخريب والهدم اثناء حملة ابراهيم باشا (٤) حيث اوكل مهمة هدمها الى "سعيد ابو دبيس" (٥)، ثم اقام فيها سكان الشوبك الحاليين حتى العقد السادس من هذا القرن حيث قامت دائرة الآثار العامة بترحيلهم، كما قامت بتنظيف القلعة.

---

(١) ابن عبد الظاهر ١٩٦١: ٢٩٥.

(٢) Meistermann 1909: 241

(٣) الحمود ١٩٨١: ٥٤.

(٤) Op. Cit., 241.

(٥) Brünnow and Domaszewski: 1904: 116

اسوار القلعــة : ـ

تشير المصادر التاريخية الى انه كان لقلعة الشوبك ثلاثة اسوار متتالية، فقد ذكر الرحالة ثتمار[1] الذي زارها سنة ١٢١٧م(٦١٢هـ) أي بعد ثمانية وعشرين سنــــة من احتلال المسلمين لهاـ الى انه وصل الى الجبل المسمى بترا" باللاتيني، ومونتريال بالفرنسي وشوبك بالاسلامي، فوجد على قمة الجبل قلعة ذات ثلاثة اسوار متتابعـــــة تتصف بالقوة والمتانة، لم ير أحصن منها، وانه قد نام عند ارملة فرنسية زودته بما احتاج اليه من موءن في رحلته الى جبل سيناء".

ومع ما ذكره من وصف لأسوار القلعة، الا انه اخطأ باطلاقه اسم بترا" باللغــــة اللاتينية على الشوبك، ذلك أن هذه التسمية هي لقلعة الكرك حسبما اسماها "وليـــم الصوري" [2]: Petra Deserti أي جوهرة الصحراء" وأما اسوارها الثلاثة فقـــد اشار اليها فيما بعد سنة ١٣٣٦م(٧٣١هـ) لدلف دي سود هيم[3] عندما زراهـــا فأعجب بها، وذكر انها تسمى بالعربية عرب وبالكلدانية شوبك، وباللاتيني الجبل الملوكي وانها كانت تحتوي على ثلاثة اسوار: السور الخارجي ويرتكز على صخر كبير تخرج منه ثلاثة عيون ماء، والسور الثاني وكان مزروعا بالقمح الذي يكفي القلعة لمدة سنة كاملـــة واخيرا السور الداخلي وهو السور الرئيسي، تقوم داخله الكروم الطيبة، وكان فوق القلعة حي يدعى حي ساباب (Sabab) يسكنه حوالي ستة الاف مسيحي .

ويبدو ان الدمار قد اصاب هذه الاسوار مع مرور الأيام ، فالسور الخارجي لم يعد قائما منه اليوم الا اجزاء صغيرة متقطعة في الجهة الغربية من القلعة، في سفوح الهضاب المقابلة للقلعة وعلى حافة الوادي، تصل في بعض الاحيان الى اكثر من عشرة مداميـك وتمتد لمسافة خمسة عشر مترا، حجارتها من النوع الكبير، يصل طول بعضها الى ١٣٠سم وارتفاع ٦٢ سم، وقد شذبت للحد الذي يسمح بوضع الحجر على الآخر، وتم بناء بعضها على الصخر الطبيعي لحافة الجبل والبعض الآخر له قواعد في حافة الواد، ويسير مـــع

---

(١) Meistermann 1909:241; Deschamps 1939: 43

(٢) Tyre 1943: 692-693

(٣) Meistermann 1909: 241.

حواف الاودية المحيطة بالقلعة، فكان بذلك يؤدي وظيفة دفاعية، وبنفس الوقت يحول دون وقوع انهيارات في سفوح الجبال المحيطة بالقلعة، مما قد ينشأ عنه صعوبة في الخروج خارج القلعة. كما بُنيت على الأودية المحيطة بالقلعة بعض القناطر لتسهيل العبور عنها في أيام السلم، وما تزال بقايا اربع منها في وادي الحماط شرق القلعة واثنتان على مسافة عشرين متر جنوب عين مغاس، كما توجد بقايا بعض الأبنية في الواد شرق القلعة ربما كانت بقايا حمامات او مصايف.

اما السور الثاني وان كانت قد اندثرت معالمه فوق سطح الارض، الا انه يمكننا القول بأنه كان قائما بمحاذاة البرج المربع القائم اليوم الى الشرق من القلعة، ويبعد عنها حوالي ٧٥م تقريبا وهذا البرج (انظر الصورة رقم ٤ ص٣٩) مربع الشكل طول ظلعه اربعة امتار، حجارته صلبة رمادية اللون منحوته نحتا ناعما " مسمسم" متوسط حجم الحجر ٨٠ سم طولا وارتفاعه ٦٠ سم، ترتفع منه فوق سطح الأرض اربعة عشر مدماكا بارتفاع ٦,٢٧م، به بقايا طلاّقة في الجهة الجنوبية، ونوعية حجارته مشابهة لحجارة الابراج الشمالية في القلعة والتي تعود للفترة الاسلامية وربما اقيم فوق برج آخر اقدم منه، ذلك انه من خلال قيام دائرة الآثار بمحاولة شق طريق حول القلعة من الشرق، وبالقرب من هذا البرج، ظهرت بعض الاجزاء لجدار من الحجر يمتد حول الجبل وبشكل متقطع، وتختلف حجارته عن حجارة البرج حيث لا يوجد فيها اية محاولات للنحت بل بُنيت من الحجر والطين، كما تم الكشف عن بئر ماء، ووجدت خلف السور بقايا بعض الفرق التي ربما كانت تستعمل كمقابر، ويبقى الجزم بأن هذا الجدار هو السور الثاني للقلعة مرهون بالقيام بحفريات أثرية لمعرفة مدى امتداده حولها، وامكانية وجود قواعد لأبراج فيه.

ويبدو من خلال وصف سود هيم (Ludolphe de Sudheim) لمنطقة هذا السور، وزراعتها بالقمح، انه كان يؤدي اكثر من وظيفة، فبالاضافة الى الناحية الدفاعية، كان يحول دون انجراف تربة الجبل الذي تقوم عليه القلعة، مما قد يسبب اذى للقلعة ذاتها، ومما يؤكد ان هذه التربة زراعية، نمو الحشائش الخضراء فيها في ايام الربيع بشكل كبير.

واما السور الداخلي ، فهو السور الرئيسي للقلعة ، ويعتبر من اكثر معالم القلعة وضوحا الى اليوم ، بالرغم من الدمار الذي اصابه ، ويبدو من خلال وصف سود هيم ان معرشات العنب كانت موجودة داخل هذا السور ، وهذه الشجرة من اكثر الاشجار زراعة في الشوبك الى اليوم ، يدعم هذا السور عدد من الابراج المربعة والمستطيلة والدائرية ، تزينها كتابات عربية بالخط الكوفي المزهر من القرن الرابع عشر ، ولا توجد أي اشارة او أثر للصليبيين في هذا السور. (١)

ومن الأهمية بمكان القاء نظرة على هذا السور وأبراجه من الخارج ، للتعرف ما تحمله من نقوش، وما تشتمل عليه من طلّاقات، وأعداد المداميك المتبقية الى اليوم ونوعية الحجر الذي بُنيت منه هذه المداميك . ونبدأ حديثنا من مدخل القلعة .

مدخل القلعة :ـ (انظر الصورة ص ٣٨٩)

لقد أجمع رحالة القرن التاسع عشر الذين زاروا قلعة الشوبك (٢) على وجود مدخل واحد للقلعة في الجهة الشمالية الشرقية منها ، وان هذا المدخل متعرّج (من النوع المنكسر او غير المباشر) يتخلله درج غليظ نُحت في الصخر ، ينتهي عند القلعة ببوابة يعلوها قوس، تشبه ابواب النصر ، وصنع عليها باب حديدي ، كان يعبر منه اولئك الرحالة الى القلعة ، ويضيف برونو نقلا عن اربي Irby ومانجلس Mangles انهم شاهدوا هذا الباب سنة ١٨١٨م ، وأن تفاصيل هندسة هذا الباب يذكّرهم بهندسة البنايات العربية من القرن الرابع عشر .

ويبدو ان الطريق المعبد الذي يصل اليوم الى القلعة قد غطى على ذلك الدرج وأما البوابة فقد قامت دائرة الآثار العامة باعادة ترميمها ، مستعملة حجارة من حجارة القلعة ، وعرض هذه البوابة ٢٣٩سم وارتفاعها ٣٤٥سم ، وهو على شكل قوس مؤلف من اربعة عشر مدماكا يجمعها حجر الغلق Key Stone ، وقد ارتكز القوس في كل طرف من طرفيه على ستة مداميك حجرية ، كما بُني فوقه مداماكين . وعلى يمين المدخل

---

(١) Lagrange 1897: 214.

(٢) من هؤلاء الرحالة اربي ومنجلس وثوماس لج سنة ١٨١٨م ، وهورنستين سنة ١٨٩٥ ولاجرانج سنة ١٨٩٧ ، حول هذا الموضوع انظر :ـ
Brünnow and Domaszewski 1904: 115-116.

باتجاه الشمال ، يقوم جزء من سور القلعة المرمم ، يمتد لمسافة اربعين مترا ، وقد بُني خلفه داخل القلعة جدارين آخرين متعاقبين ، وبنفس الامتداد ، ويرتد كل جدار عن الآخر ثلاثة امتار ، وربما كانت هذه الجدر اجزاء من غرف كانت مقامة خلفها . وفي نهايتها ينهض البرج رقم (١)

البرج رقم (١) : — (انظر المخطط رقم ١٩ والصور رقم ٢٨٩ ، ٢+١ ص ٢٩٠) .

شكل هذا البرج مستطيل تقريبا ، فطول ظلعه الجنوبي أربعة عشر مترًا ، والشرقي عشرين مترا ونصف المتر ، والشمالي خمسة عشر مترا ، أعلى ارتفاع له في الزاوية الجنوبية الشرقية ويصل الى عشرين مترا حيث تحتوي هذه الجهة على ثلاث وثلاثين مداماكا في حين يصل عدد المداميك في الزاوية الشمالية الشرقية الى سبع وعشرين مداماكا وقد ارتكزت المداميك على الصخر الذي ارتفع عند الزاويتين المشار اليهما الى متر ونصف عن سطح الأرض . وفي أعلى هذه المداميك من الجهة الجنوبية تبرز ثمانية ركب أو طنف Corbel حجرية ، في حين وصل عددها في الجهة الشرقية الى عشرة وهي تحمل اليوم سقفا صُفت فيه جسور حديدية في فترة متأخرة في حين كانت هذه الركب تحمل شرفات (سقّاطات) فوقها — قياسا على ما هو قائم الى اليوم في البرج (رقم٣) في الكرك ، والتي كانت تستخدم لصب المحروقات على رؤوس الاعداء في حال اقترابهم من الاسوار . حجارة هذا البرج من النوع الطبزة والمزمول ، ذات إطار ناعم في الزوايا بعرض ٤ سم ومنحوت بزاوية قائمة ، والحجارة من حيث الحجم نوعين : كبيره يصل طول الحجر الواحد الى متر ونصف وبارتفاع ٦٠ سم ، يعلوها حجارة اصغر حجما متوسط طول الحجر منها ٤٠ سم بارتفاع ٦٠ سم ، وهي من النوع الصلب ذو اللون الجيري الأصفر .

وفي الجدار الجنوبي لهذا البرج (انظر الصوره ، ص ٢٨٩) نشاهد ثلاثة طلاّقات طولية ، يستدل من خلال تعاقبها على وجود ثلاثة طوابق في هذا البرج ، وهي غير متعامدة في ترتيبها ، بل وُزعت في الجدار ، بحيث تغطي من خلال قوس الرمي الذي تشكله كامل الارضية التي تشرف عليها (وهي الارض القائمة امام المدخل للقلعة) ويمتد طول الطلاّقة على ارتفاع مداميكين اي حوالي ١٢٠ سم اما عرضها من الخارج

فهو ما بين ١٠–١٢ سم ،وفي الزاوية الغربية لهذا الجدار وضمن الجزء المرمم توجد نافذة مستطيلة مساحتها ٨٠ سم×٥٠ سم.

في المدماك الرابع والعشرين من هذا الجدار يوجد شريط كتابي نُحت على طول المدماك حتى الجزء المرمم (انظر الصورة رقم ٣ ص٣٨٩) نصه :ـ

" لاجين خلد الله ملكه وادام ايامه وذلك في سنة سبع وتسعين وستمايـة". (١)

وتحت هذا النقش مباشرة ،وعلى حجر واحد مستطيل الشكل نقرأ نقشا (انظر الصورة المشار اليها اعلاه) ونصه :ـ

" في مباشرة الأمير علاء الدين قبرص المنصوري". (٢)

وفي الجزء المرمم من هذا الجدار يوجد نقشين آخرين ،نُحت كل منهما على حجر واحد ،ووضعا في الجهة الغربية من الجدار ،النقش العلوى : (انظر الصورة رقم ص) نصه :

" أمر بانشأئه مولانا ال......"

اما السفلى :(انظر الصورة رقم ٣ ص٢٨٩) فيمكن ان نقرأ منه :

" المؤمنين ايد (ه) ....."

اما الجدار الشرقي من هذا البرج :(انظر الصورة رقم ١ ص٣٩٠) فيوجد في مستوى الطابق الأول منه طلاّقتان بعد المدماك الرابع عشر ،جاءتا اكثر استطالة من غيرها ،حيث بلغ طول الواحدة بارتفاع ثلاثة مداميك أي حوالي ١٨٠ سم وعرضها ١٥سم وهو ما املته جغرافية المنطقةالتي تشرف عليها الطلاّقتان ،فهي منخفضة ،ومستورة خلف هضبة صغيرة ،يسهل التسلل منها الى جدران القلعة ولكن العمل على استطالة الطلاّقات السفلى ،اعطى للرامي القدرة على المراقبة لمسافات قريبة من سور القلعة.

---

(١) انظر النص ايضا في : Brünnow and Domaszewski 1904: 119; Combe et.al 1944: 177.

(٢) انظر النص في المراجع السابقة ،وفي نفس الصفحات المشار اليها من ملاحظة انهم وضعوا ياء بدلا من الهمزة في اسم "علاء الدين" فقرأوها علايالدين .

وفي الطابق الثاني توجد ثلاث طلاقات. ١٢ سم×١٢ سم بعد المدماك الحادي والعشرين وفي الطابق الثالث يوجد بعد المدماك الثلاثين اثنتان طوليتان في الوسط واثنتان اوسع على الجانبين مساحة الواحدة ١٢٠ سم×٨٠ سم، وهذه الطلاقات ليست مرتبة فوق بعضها بعضا، بل وزعت في الجدار لتغطي مجال رؤيا واسع على الارض.

في المدماك الرابع والعشرين من هذا الجدار نشاهد شريطا كتابيا منحوتا على الحجر نصه :ـ

" بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله ان الدين عند الله الاسلام امر بانشاء هذه القلعة وتجديدها مولانا السلطان الاعظم الملك المنصور العالم العادل المجاهد المأيد المظفر حسام الدنيا والدين المنصور ابو الفتح لاجين". (١)

ان جملة " ان الدين عند الله الاسلام" الواردة في هذا النقش لم ترد في قراءة كومب(٢) ورفاقه، كما انهم لم يشيروا الى عدم معرفتهم بقراءتها بوضع فراغ محلها وبالتالي يصعب تعليل السبب في ذلك، ولقد اضاف الغوانمه (٣) الى بداية هذا النص عبارة " الله جلّ جلاله لكني لم اجد لهذه العبارة أي اثر ظاهر في هذا النص وان الحجر الذي يبدأ فيه النقش يحمل زخرفة على شكل خطوط متقاطعة طولية فقط.

بعد كلمة لاجين الواردة هنا ينتهي المدماك من الجهة الشرقية ثم تبدأ كلمة " لاجين" الواردة في نص النقش بالجدار الجنوبي وحتى نهاية السنة المؤرخ بها هذا النقش.

بعد كلمة القلعة الواردة في نقش الجدار الشرقي، نُشاهد ثلاثة حجارة مصفوفة مع الشريط الكتابي، ومنحوته نحتا ناعما، لكنها لا تحمل اية كتابات، ولا نعرف السبب

---

(١) انظر النص ايضا في :ـ Brünnow and Domeszewski 1904: 119

(٢) Combe et.al. 1944: 177.

(٣) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٠٦-٢٠٧.

الذي وُضعت من اجله هكذا خالية من أية عبارة، وبنفس الوقت نستبعد ان يكون الهدف تغيير اسم المنشئ* والمجدد للقلعة نظرا للتطابق الكامل في الخط في حين نجد تحت كلمة القلعة وعلى اربعة حجارة، كل حجرين في مدماك نقش آخر من سطرين بخط مختلف تماما عن خط النقش السابق، ونصها :—

" بسم اللـــــه

. . . . محمد بن عبد الحميد المهندس (س)"

وكلمة " بسم الله" الواردة هنا، قرأها برونو ورفيقه (١)، وكومب (٢) ورفقاه على أنها " رحمة الله".

اما الجدار الشمالي فقد تبقى منه سبع وعشرون مدماكا، وفي بداية المدماك السابع عشر، نرى طلاقتين على مستوى الطابق الثاني من البرج، كما توجد طاقة في الزاوية الغربية للمدماك الثالث والعشرين في الجزء المرمم منه، وفوق الطلاقتين المشار اليهما يوجد نقش على حجر واحد، ومن سطر واحد، نصه :—

"ونصد لونشا واعانه بمحمد خاتـــم"

وبعد هذا النص بحجرين فقط نجد نقشا على حجر ثالث، نصه :—

" الحـق امانـــــه"

وبين الطلاقتين نقرأ على احد الحجارة : " اللـــــــه"

وفوق النقش المكتوب فيه " ونصد لونشا . . . " يوجد حجر نقش عليه اسم" بيبرس بن (عبد) اللـــــه".

<u>البرج رقم (٢) :—</u>

بعد هذا البرج رقم (١) باتجاه الشمال نشاهد بقايا برج مستطيل الشكل معظم اجزائه مدمرة انظر (الصورة رقم ١ ص ٣٨٧) طول ضلعيه الشمالي والجنوبي حوالي عشرين مترا في حين طول ضلعه الشرقي ١٢٫٣٠م، بقي منه سبعة عشر مدماكا في الواجهة الشمالية، معظمها مدمر، بحيث انه لم يعد في المدماك العلوي غير ثلاث حجارة، وحجمها يختلف عن حجم الحجارة في البرج رقم (١) فمتوسط حجم الحجر

(١) Brünnow and Domaszewski 1904: 119

(٢) Combe et. al., 1944: 177

٣٠ سم طول × ٢٥ سم ارتفاع، وهي من النوع الطبزة الخفيفة.

البرج رقم (٣) :-

بعد الزاوية الشمالية للبرج رقم (٢)، يوجد بقايا جدار من سور القلعة، يمتد باتجاه الشمال لمسافة ٢٦٫٥٠م بقي منه عشرين مدماكا، حجارتها من النوع الطبزه. لكنها في نحتها أقل جمالاً من تلك التي في الابراج، وتبدو بقايا رصيف بمحاذاة هذا الجدار للحيلولة دون تسلقه، وبعد هذا الجدار توجد بقايا برج مربع رقم (٣) (انظر مخطط القلعة). طول ظلعه ستة امتار، بقي منه في الزاوية الشرقية باعتبارها اعلى نقطة ستة عشر مدماك، ترتفع حوالي اربعة امتار حجارتها من النوع المثلم، متوسط حجم الحجر ٥١ سم طولا بارتفاع ٢٦ سم، ولم يعد يضم هذا البرج اية طلاّقات.

يلي هذا البرج جدار طوله ١٣٫٧٠م، ويترفع حوالي ١٤٫٤٠م، بقي منه ثمانية عشر مدماكا من نوعية تختلف تماما عن الحجارة السابقة، فهي من الحجم الكبير الصلب، متوسط طول الحجر متر ونصف بارتفاع ٨٧سم نحتت بشكل مسمسم، لونها رمادي لم تبنى بزاوية قائمة بل جاءت مائلة الى الداخل، ونحتها بالطريقة المذكورة جعل تسلقها امرًا صعبا، وهذا الجدار يصل ما بين البرجين الثالث والرابع ويوجد جدار آخر مشابه له، ويبني بنفس النظام يصل ما بين البرجين الرابع والخامس، وطول هذا الجدار ١٥٫٨٠م، وبقي منه ستة عشر مدماك، بعد المدماك الرابع عشر بدأ البناء على شكل عمودي بعد ان كان مائلا الى الداخل، وبدأ باستعمال الحجارة الطبزة بدلا من المسمسم، والمداميك متوازية مع مداميك كلا البرجين الرابع والخامس (انظر الصورة رقم ٤ ص٣٩٠) ص٤١٩.

البرج الدائري رقم (٤) :- (انظر المخطط والصورة رقم ١ ص٣٨٧)

قطر هذا البرج من الخارج سبعة عشر مترا تقريبا، بقي منه اثنان وثلاثون مدماكا ارتكزت على صخر الجبل، وفي المدماك الأرضي حجر واحد فقط، وقد سقط من المداميك الثاني والثالث والرابع ست حجارة استقرت بجانب البرج، وسقوطها يهدد هذا البرج بالانهيار، وهي من النوع الطبزة، المنحوته على زاوية ٩٠ درجة ولها شريط ناعم

بعرض ٣ سم في الاطراف الاربعة لكل حجر. لونها رمادي، ومعظمها من القطع الكبير، يصل طول الحجر الى مترين بارتفاع ٦٠ سم، اما الصغيرة فإن متوسط طولها ما بين ٤٠-٥٠ سم. بعد المدماك الثامن عشر من الاسفل الى الاعلى توجد أربع طلاّقات طولية ١٢٠ سم×١٠ سم (المقاس من الخارج)، وفوق المدماك الرابع والعشرين تبرز ثمانية ركب حجرية، أربعة من كل جهة، ربما كانت تحمل مشربّيات يصب من خلال فتحاتها المواد الحارقة على كل من يقترب من اسوار القلعة، ومما يلفت النظر ان العدد هنا مماثل للعدد القائم في الجدارين الشرقي والجنوبي من البرج رقم (١).

بعد المدماك الثالث والعشرين يوجد شريط كتابي جميل بالخط الكوفي على طول واجهة البرج نصه :-

" (لا اله) الا الله محمد رسول الله ان الدين عند الله الاسلام أمر بانشاء هذه القلعة وتجديدها مولانا السلطان الملك المنصور العالم العادل المجاهد المؤيد المنصور حسام الدنيا والدين لاجين وذلك في سنة سبع وتسعين وستمائه". (١)

ولا ندري كيف غفل كومب(٢) ورفاقه مرة اخرى عن قراءة عبارة " ان الدين عند الله الاسلام" الواردة في هذا النقش والتي سبق ان اسقطوها من نقش الجدار الشرقي للبرج الأول.

بعد كلمة الملك الواردة في النقش يوجد حجر ضمن الشريط الكتابي، ولكنه لا يحمل اية كتابات، وبعد انتهاء كلمة "وستمائة" وضع حجر آخر حُفرت عليه عبارة :

" سعادته وايد نصره"

(انظر الصورة رقم ٣ ص ٣٩١).

واختلاف الخط بين هذه العبارة والنقش الذي قبلها واضح تماما، مما يشير الى ان هذا الحجر الذي يحمل هذه العبارة ثُبت في غير مكانه الأصلي اثناء عمليات الترميم، وطراز خطة مماثل للنقش القائم على واجهة البرج رقم (٥) كما سنرى عند الحديث عن هذا البرج.

---

(١) انظر النص أيضا في : Brünnow and Domaszewski 1904: 119

(٢) Combe et. al. 1949:176-178.

ويوجد في الجهة الغربية من المدماك رقم (٢٠) نقش على حجر واحد، نصه :-
"المجاهـــد في سبيل اللــــه".

وتحت الطلاّقة رقم (٢) من اليمين نقرأ على احد الحجارة عبـــارة
"اذل اللـــه".

البـرج المستطيل رقم (٥) :- (انظر المخطط والصورة ص٣٨٧)

يعتبر هذا البرج من اكبر الابراج في قلعة الشوبك وهو على شكل مستطيل، طول ظلعه الغربي ٣٠ر٤٤م، في حين طول كل ظلع من الظلعين الشمالي والجنوبـي ٢٠ر٥م، ولا توجد أية طلاّقات في الجدار الشمالي الذي تبقى منه ثلاث وعشـرون مدماكا من النوع الطبزة، ذات اللون الرمادي، وهو مطابق في تصميمه للجدار الجنوبي. اما الجدار الغربي لهذا البرج فإنه يحتوي على نوعين من الحجارة : في الجهـة الشمالية منه، وعلى امتداد حوالي عشرين مترا وعلى ارتفاع اربعة عشر مدماكا نُشاهـد حجارة طباشيرية ذات لون أصفر من النوع الطبزة، اما في الجهة الجنوبية فإن لـون الحجارة رمادي ومن النوع الصلب الذي نُحت على نظام الطبزة، وهي في الغالب اكبـر حجما من النوع الاول، وربما كان هذا البرج في الاصل قبل تجديده يمتد في طولـه الى ٢٢م، ثم جرت عملية توسيع وتكبير له لمسافة ٢٢م اخرى، فاستفاد البناء من الحجارة القديمة الصفراء ثم اضاف عليها وبنى فوقها، بحجارة النوعية الثانية والتي تبقى مـن مداميكها ستة عشر مدماكا، وبذلك يكون مجموع مداميك هذا البرج ثلاثين مدماكا، يبـرز منها في اعلى البرج اربع ركب حجرية.

من خلال الطلاّقات المتبقية القائمة في الجدار الغربي يتضح أنه يتألف مـن طابقين، فبعد المدماك السادس عشر يوجد طلاّقتان طوليتان. واحدة في اقصـى الشمال واخرى في اقصى الجنوب مساحة الواحدة ٢٠٤سم×١٠سم تقريبا، وبعـد المدماك الثاني والعشرين نشاهد سبع طلاّقات من نفس نوع الطلاّقتان المشار اليهمـا هنا، وان كانت المسافة بين الواحدة والاخرى هنا متشابهة وتبلغ حوالي خمسة امتار وتغطي من حيث قوس الرمي صفحة الجبل الغربي المقابل للقلعة، كما تغطي ايضـا مع الطلاّقتان السفليتان الوادي وسفح الجبل الذي تقوم عليه القلعة.

بعد المدماك الرابع والعشرين نشاهد نقشا نُحت على مدماكين من الحجر المسمسم نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه القلعة وتجديدها السلطان الملك المنصو(ر) حسام ... لا (جين) ... "

ان حرف الرا من اسم المنصور لم يعد مقروءا اليوم في حين تمكن برونو ودوماس فسكي [1] من قراءته ، في الوقت الذي لم يتمكن فيه هؤلاء ومعهم كومب[2] ورفاقه من قراءة الأحرف الثلاثة الأولى من اسم " حسام " او حرف (لا) من اسم لاجين كما انه من خلال تطابق نوعية هذا الخط مع الخط الذي نقش على الحجر الأخير في نقش البرج الدائري رقم (٤) ، يتضح ان كلمة " سعادته وايد نصره " الواردة هناك هي في الاصل جزء من هذا النقش، ووجود اسم " حسام " يؤكد ان هذا البرج ايضا من عمل السلطان " لاجين " .

وفي اسفل الطلاقة الشمالية من الطابق الاول حجر نُحت عليه كلمة "المعظم" وبين الطلاقتين الجنوبيتين وفي المدماك الخامس والعشرين نقرأ على احد الحجارة اسم " محمد " ، كما نقرأ على بعض الحجارة عبارات " العرب والعجم " و " الرحيم " .

الابراج السادس والسابع والثامن :-

بعد البرج الخامس يوجد جدار يمتد نحو الجنوب بطول ١٥م ، وهو مرمم في كثير من اجزائه ، حجارته من النوع الطباشيرى المائل الى اللون الاصفر ، يليه البرج رقم (٦) انظر المخطط وهذا البرج مستطيل تقريبا مساحته ٧ × ٣م ، وهو مدمر ، وقد اعادت دائرة الآثار بعض من مداميكه وليس فيها طلاقات او نقوش ، ويلي هذا البرج جدار طوله ١٢م ، ومن خلال مداميكه الثلاثة الاولى يمكن القول انه كان على غرار الجدار الواحد بين البرجين (٤ ، ٥) حيث نرى بضعة حجارة من النوع المسمسم ذات الحجم الكبير ، وقد بنيت بشكل مائل للداخل .

---

(١) Brünnow and Domaszeski 1904: 119.

(٢) Combe et. al., 1944: 178.

بعد هذا الجدار نشاهد بقايا البرج الدائري رقم (٧) ،إلا أن طراز حجارة هذا البرج تختلف عن الحجارة التي بُنيت فيها الابراج الاخرى فقد جاءت صغيرة الحجم وبدلاً من نحت اطار ناعم لحجر الطبزة فإن الاطار هنا جاء خشنا ، وطليئا بالثقوب الصغيرة قطره الخارجي ٧٧ر٢م، ولم يكامل الاستدارة نتيجة لاستعمال حجارة اخرى غير حجارته الأصلية في الترميم، ولا يوجد طلاقات او نقوش فيه، واعلى ارتفاع له واحد وعشرون مدماكا (انظر الصورة رقم ١ ص٣٨٨) بعد هذا البرج يوجد جدار على غرار الجدار الفاصل بين البرجين (٦ ، ٧) وهو مدمر ايضا ، ومن ثم بقايا البرج رقم (٨) وشكله تقريبا مربع طول ظلعه حوالي تسعة امتار، وهو شبه مدمر، ولا توجد فيه نقوش او طلاّقات (انظر الصورة رقم ١ ص٣٨٨) .

البرج رقم (٩) :-

ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقلعة (انظر المخطط والصور ١ ص٣٨٨) ، ويعتبر من احصن النقاط في القلعة، حجارته من النوع الطبزة الصغير كلسية، متوسط طول الحجر نصف متر وبارتفاع ٤٥ سم، عدد المداميك الظاهرة من هذا البرج في الجدار الشمالي الغربي ثلاث وخمسون مدماكا ، ترتفع ٢٥م، وهذا الجدار لم يبنى على استقامة واحدة بل جاء منكسرا ، اذ يمتد من الشرق الى الغرب بطول ١٢م، ثم ينحرف باتجاه الشمال مسافة مترين ، ومن ثم يعود فيتجه نحو الغرب ولمسافة حوالي عشرين مترا وفي الجزء الاول الممتد لمسافة ١٢م يوجد طلاّقتان ، اما في الجزء الثاني الممتد لمسافة العشرين مترا ، فتوجد بقايا طابقين وفي كل طابق ثلاث طلاّقات طولية ٤٠x١٠سم جاءت متعامدة فوق بعضها على خلاف نظام ابراج القلعة الأخرى اذ وزعت في الطلاّقات بما يتناسب وتغطية المنطقة المطلة عليها بالنيران .

في الزاوية الجنوبية الغربية لهذا البرج اقيم جدار استنادي ، يبدو انه اضيف الى البرج في فترة لاحقة لعدم تداخل مداميكه مع مداميك البرج ، وينتهي هذا الجدار الاستنادي عند المدماك الخامس والعشرين من هذا البرج وحجارته جاءت أصغر حجما من حجارة البرج ، ومن الجهة الجنوبية أصبحت مداميكه مائلة للداخل فشكلت رصيفا داعماً للبناء ، ويتألف هذا الجدار من ثمانية واربعين مدماكا وهي مدمرة في الجهة الشرقية ، كما ان الجدار الشرقي مدمر ايضا ، مما يخشى معه على الجدار

الجنوبي من الانهيار لوجود بعض التشققات فيه .

ويعتبر الجدار الجنوبي لهذا البرج مع الجدار الاستنادي من اعلى الجدران في القلعة، اذ يقدر ارتفاعه بحوالي خمسين مترا، ويحتوى هذا الجدار على اربع طلاقات بمستوى الطابق الاول من البرج (انظر الصورة رقم > ص ٣٨٨) .

بعد هذا البرج وباتجاه الشرق نشاهد اكواما من الحجارة التي سقطت من مبنى القلعة الرئيسي، فتم تجميعها وبناء قسم منها على شكل جدران استنادية للحيلولة دون وصول اية حجارة قد تسقط من سطح القلعة باتجاه الواد، ولاتبدوا من هذه الجهة اية معالم واضحة للقلعة الأساسية، باستثناء احد الجدران اذ نشاهد فيه ثلاثة طلاقات، كونتها حجارة هشة، ليس فيها أي فن اوبينها أى تناسق، وهذه الطلاقات كما سنرى هي جزء من مبنى الكنيسة رقم (١) في القلعة .

بعد هذه الجولة حول القلعة نكون قد عدنا الى مدخلها القائم من الشرق، وعلى يسار الداخل يمتد جدار مرمم بطول ١٢م وارتفاع ٣٫٧٠م، ثبت فيه حجر نقش عليه بخط رفيع (يمكن قراءته بوضوح مع اشراقة الشمس اوبعد انكسار الظل عليه) ونصه :_

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروطيت عثمانية حريات عدالت مساواة

والمدخل القائم اليوم قامت بعمله دائرة الآثار العامة، ومنه ندخل للتعرف على معالم القلعة من الداخل .

القلعة من الداخل :_

تسيطر الحيرة على الباحث من اين يبدأ وكيف؟ فحيثما توجه داخل القلعة تطالعه عشرات الأبواب والعقود والشبابيك تتداخل مع بعضها، يغطي الردم اجزاء كبيرة منها اواصابها الدمار بحيث يغدوا من الصعب التعرف على مبنى واحد كامل المعالم ومع هذا التداخل والدمار نشاهد طرزا معماريه مختلفه منها مااستعمل فيه الحجر الاسود الصلب المنحوت نحتا جيدا، ويشتمل على الطبزه والمسمسم والمثلم، حجارته كبيرة الحجم، ومنها مااستعمل فيه الحجر الكلسي الابيض من الحجم المتوسط اوالصغير، ونحت ايضا على نظام الطبزة ، ومنها مبا جاءت الطبزة على شكل مربع اومستطيل ولنبه وجه ناعم ، يحف به اطار عرضه ٥ سم نحت بكشل ناعم، اوعلى

نظام المسمسم. وبعض المباني استعملت فيه حجارة هشة ليس فيها عنصر جمالي ، وقد نجد حجارة كلسية تعلوها حجارة سوداء او العكس.

من خلال هذا التباين في طريقة البناء واختلاف المواد ندرك اختلاف الوجوه والايدي التي تعاقبت على هذه القلعة ،كما ان تداخل المباني مع بعضها ، وحالة الدمار التي اصابتها جعلت الأمر صعبا في التعرف على مخططها ، وان كنا نلاحظ اليوم بقايا ثلاثة طوابق فيها ، الا انه من الصعب معرفة المباني الداخلية التي اشتمل عليها كل طابق ، اذ يتوقف ذلك على اجراء عمليات تنظيف وترميم للقلعة ، ومن المؤكد عند ئذ اكتشاف طوابق اخرى اسفل الطوابق القائمة ، حيث يوجد اكثر من مكان في القلعة يحتوي على عدة درجات تنزل الى الأسفل لبضعة أمتار ، ثم تغطى بالردم.

لذلك فإن المخطط المرفق للقلعة ما هو الا محاولة للتعرف على معالم القلعة الخارجية اولا ، ومن ثم بعض المعالم الداخلية التي امكن تمييزها ، وارتأينا ان يكون الحديث عنها باتباع نفس الاسلوب الذي تعرفنا فيه على اطار القلعة الخارجي بدءاً من يمين المدخل للقلعة وانتهاء بيساره.

نعبر من مدخل القلعة في الشرق ، وبعد بضع خطوات ننحرف الى اليسار لوجود جدار تم بناؤه حديثا من بعض حجارة القلعة التي تساقطت مع الأيام ، ومن بين هذه الحجارة حجر عليه بقايا نقش غير مقروء (انظر الصورة رقم ٣ص٢٩٩) وبعد مسافة عشرين مترا ننحرف نحو اليمين عبر اربع درجات ومنها نسير باتجاه البرج رقم(١) ، فنشاهد على يسارنا بقايا اقواس لبعض الغرف ، وبعضها مسقوف بسقف برميلي الشكل ، ونعبر تحت سقف مفتوح طوله ٠٤ر٠١م وعرضه ٥ر٢م ، وقد رُتبت حجارة السقف على شكل الصدفة (انظر الصورة رقم ١ ص٢٧٩) . وبعد خروجنا نشاهد على يسارنا ثلاثة عقود لثلاث غرف او قاعات والى جانبها من الشمال عقود اخرى غطاها الردم ، نسير قُدُماً عدة خطوات فنجد انفسنا امام البرج رقم(١) .

<u>البرج رقم(١) من الداخل :-</u>

له ثلاثة ابواب تفتح باتجاه الغرب (انظر الصورة رقم ١ ص٢٩٩) ، يؤدي البابين الجنوبي والشمالي الى داخل الطابق الثاني من البرج ، في حين يوجد في الباب الاوسط درج يهبط الى الطابق الأول - غير صالح لوجود الردم ، ندخل من الباب

الجنوبي فنجد انفسنا في غرفة بها طلاقتان واحدة للجنوب على شكل حُنيه والاخرى للشرق على شكل مستطيل وتحته حُنيه (انظر صور الطلاقات ص٢٩٥) وفي هذه الغرفة على يسار الداخل باب يؤدي الى ممر داخلي يربطها مع غرفة اخرى في الجزء الشمالي من البرج ،كما ان الباب الخارجي الشمالي يؤدي الى هذه الغرفة ايضا . وتحتوي على طلاقتان باتجاه الشمال وواحدة نحو الشرق ، ويوجد في الممر بين الغرفتين باب داخلي يؤدي الى غرفة صغيرة في منتصف الواجهة الشرقية بها طلاقة واحدة نحو الشرق طولها ٢٢٠سم وعرضها ١٦٠سم ، وربما خُصصت هذه الغرفة للقائد ، حيث تتميز باشرافها على مساحة كبيرة من الارض شرق القلعة ، ومساحة الغرف الثلاثة حوالي ١٥م طول × حوالي تسعة امتار ، وسمك الجدران من خلال الطلاقات حوالي ١٨٥سم ، والطلاقات في الجنوب والشمال لم تُنحت حجارتها الداخلية من الجهة اليمنى بشكل زاوية قائمة بل جاءت مائلة ومجوفة لاعطاء اليد اليمنى للرامي القدرة في السيطرة على زوايا البرج ، ومتوسط مساحة الطلاقة من الداخل ١٢٠ سم عرض وارتفاعها ١٧٠ سم. وسقف الغرف محمول على عقود مدببة بحيث يحمل سقف كل غرفة اربعة عقود متداخلة .

اما الطابق الثاني فيُصعد اليه من خلال ثلاثة عشر درجة مرممة قائمة في الزاوية الشمالية من البرج ، وعدد غرف هذا الطابق ثلاثة غرف مع موزع بينها ، ونظامها نفس نظام الطابق الثاني ، باستثناء طلاقات الواجهة الشرقية فهي اثنتان طوليتان في الوسط وأثنتان اوسع على الجانبين ، ولهذه الطلاقات مصاطب ترتفع عن مستوى ارضية الغرف بواقع ٥٠-٦٠ سم ، في حين مصاطب طلاقات الطابق الثاني اختفت عندما قام اهالي الشوبك في الستينات برفع ارضيات الغرف الثلاث بالرمل والاسمنت الى مستوى مصاطب الطلاقات ، وفي الزاوية الشمالية لغرف الطابق الثالث توجد بقايا سلم من الدرج كان يؤدي الى سطح الطابق الثالث حيث توجد بقايا الشرفات "السقاطات" .

البرج رقم (٤) من الداخل :ـ

بعد خروجنا من البرج رقم (١) نصعد عبر سُلّم درجي مرمم في الزاوية الشمالية لهذا البرج باتجاه البرجين ١ ، ٢ ولا يوجد في هذين البرجين اية معالم توضح ما كانا عليه في الأصل فقد انهارت معظم اجزائها وُملئ ماتبقى منها بالردم ، نتابع سيرنا

لبضعة امتار، فنجد انفسنا على الزاوية الشرقية للبرج رقم (٤) وامامنا مباشرة درج مكون من ٢٣ درجة عرض الواحدة ٨٠ سم، مُلوٍ في نهايته بالردم يؤدي الى الطابق الأول في البرج ، ومدخله يفتح الى الشرق ، أما من الغرب فقد سُقف بالحجارة التي صفت واحداً بعد الآخر، والنزول والصعود منه غير مريح لشدة الانحدار في تصميمه .

ننحرف عن هذا المدخل باتجاه الجنوب ثم نتجه الى الغرب عبر الردم الموجود لندخل الى الطابق الثاني من البرج من باب واقع في الجهة الغربية منه يفتح باتجاه الجنوب، كما يوجد باب آخر الى الشرق لكنه اليوم مغلق ، ندخل من الباب الغربي فنشاهد قاعة كبيرة تتوزع منها أربع حنايا وفي كل حُنيه طلاّقة، تفتح جميعها الى الشمال ، ولها مصاطب ترتفع عن مستوى أرضية القاعة بواقع ٦٠سم، وهذا الارتفاع جعل امكانية اصابة الجالس في القاعة بالسهام امرًا صعبا ، واما بخصوص الطابق الثالث من البرج فإن اجزاءه مدمرة ولكن من خلال الملامح العامة يمكننا القول انه كان على غرار الطابق الثاني من حيث الترتيب.

<u>البرج رقم(٥) من الداخل :ـ</u>

يتألف الطابق الاول لهذا البرج من غرفتان واحدة في الشمال والاخرى في الجنوب يصل بينهما ممر أو موزع، وباب الغرفة الشمالية يفتح باتجاه الشمال وهي تتألف من اربعة حنايا تحمل مثلثات كروية حملت السقف، وفي صدر الحُنيه الشمالية طلاّقة مغلقة ، اما الحنية الغربية ففيها طلاّقة واحدة مفتوحة ، ولكل طلاّقة منهما مصطبة ترتفع عن أرضية الغرفة حوالي ٦٠ سم، كما يوجد باب في الجهة الجنوبية لهذه الغرفة يفتح باتجاه الموزع ولكنه أُغلق في فترة لاحقة ، كما أن باب الموزع الذي يفتح باتجاه الغرب أُغلق ايضا . وسبب اغلاق هذا المدخل هو البناء الأضافي الذي بُني امام هذا البرج وفوقه ، فقد أُضيفت في الجدار الشرقي للبرج انصاف اقواس ارتكزت على جدار في الجهة الشرقية ، نتج عنها ممر عرضه مترين تقريبا وطوله حوالي اربعين مترًا وقد أُقيم فوق هذا الممر طابق آخر من جزئين جزء فوق الطابق الأول من البرج ـ مدمر اليوم ـ انظر الصورة رقم (ص٩٣ ب)، والجزء الآخر شرق الممر وهو ايضا مدمر اليوم (انظر الصورة رقم ص٩٣ج) .

وحجارة انصا ف الاقواس والطابق الثاني فوقها تختلف في لونها وطريقة نحتهـــا عن حجارة الطابق الاول من البرج ، فهي كلسية بيضاء منحوته بشكل ناعم " مسمســـم" في حيـن حجارة الطابق الأول سوداء صلبة منحوته ، إما بشكل ناعم او طبزه .

قبل نهاية الممر في الجهة الجنوبية بثلاثة أمتار يوجد مدخل الى اليمين يؤدي الى الغرفة الجنوبية وهي تحتوي على طلاّقتين واحدة للغرب مفتوحة ، والاخرى للجنـوب وهي مغلقة ، لا تختلف عن طلاّقات الغرفة الشمالية من هذا البرج — ومن هذه الغرفـة نُشاهد عن يميننا بابًا آخر يصلها بالممر الداخلي الذي يربطها مع الغرفة الشمالية .

أما الطابق الثاني من هذا البرج فيتألف من اربع غرف يربطها ايضًا ممر ، وقـــد ارتكز سقفها على عقود متداخله مع بعضها بعضا ، ويتوزع فيها سبع طلاّقات باتجـــاه الغرب ، على طول واجهة البرج الغربية ، مع بقايا واحدة في الجهة الجنوبية تبـــدو على شكل نافذة نتيجة لسقوط بعض حجارتها ، كما يوجد في الممر الذي يصل بيـــن الغرف شبّاك واسع باتجاه الجنوب [illegible] وتعلو هذا الطابـــق بقايا بعض المزاغل فوق جدار البرج الغربي ، ومعظم اجزاء هذا الطابق مدمر ومـــن الخطورة بمكان الصمود فوق الاجزاء المتبقية .

بعد خروجنا من هذا الممر نواصل سيرنا باتجاه الجنوب ، فنرى عن يميننا — غربا — بقايا الابراج (٦ ، ٧ ، ٨) وهي مدمرة من الداخل بالكامل ، مليئة بالردم ، معالمهـــا الأصلية غير واضحة ، وعن يسارنا نشاهد بقايا ابنية تتمثل في عقود بعض الابـــواب وسقوف بعض القاعات برميلية الشكل ، لها فتحات في السقف للاضاءة ، والى الشـــرق من البرج رقم (٧) في المخطط نشاهد بقايا درج يهبط باتجاه هذا البرج ربما كـان يؤدي الى الطابق الأرضي فيـه . بالمقارنة مع مهبط الدرج للبرج رقم (٤) الـــذي يؤدي الى الطابق الأول فيه .

البرج رقم (٩) من الداخل : —

ان الأجزاء الغربية الداخلية من هذا البرج على مستوى الطابقين الثاني والاول مدمرة تقريبا ، وفي الجهة الشرقية منه وعلى مستوى الطابق الاول يوجد مدخل يفتـح باتجاه شمال شرق يؤدي الى غرفة لها طلاّقة باتجاه الجنوب ، وفي جدارها الغربـــي

يوجد باب يؤدي الى ممر فيه باب آخر لغرفة اخرى منفصلة لها طلاّقة واحدة باتجاه الجنوب، ومن الممر باب آخر يؤدي الى غرفة اخرى في الغرب بها طلاّقتان وباب مغلق اليوم يؤدي الى الجزء الغربي من البرج، ونظام الغرف في هذا البرج على غرار الابراج الأول والخامس من حيث التوزيع ووجود ممر يصل بينهما .

بعد هذا البرج نتجه الى الشمال فنشاهد بقايا لمبان اخرى اصابها الدمار تتمثل في قناطر واسعة وعالية، فوقها اجزاء من سقوف برميلية مرصعة بالحجارة، نعبر من هذه القناطر ونتجه نحو اليمين، فنشاهد بقايا ابنية أخرى مدمره، وتحت مستواها الى الشرق نشاهد قاعة تهدم جزء من سقفها الجنوبي، وهذه القاعة عبارة عن كنيسة صغيرة قائمة على يسار الداخل الى القلعة بعد مسافة ٣٥ م تقريبا، ولا يتخلل هذه المسافةأية معالم عمائرية تذكر .

الكنيسة رقم (١) :- (انظر الصورة رقم، ص٣٩٦ والمخطط ص ٤١٩)

اتجاه هذه الكنيسة به انحراف عن الوضع الطبيعي للكنائس حيث تأخذ اتجاه شمال شرق وجنوب غرب، وقد املى هذا الوضع ارتكاز جدار الكنيسة على سور القلعة في الجهة الجنوبية الشرقية، كما أن اتجاه السور كان وفقا للخطوط الكنتورية للجبل، وللكنيسة مدخلان في الجهة الجنوبية الغربية مدخل رئيسي عرضه ١٢٠ سم، وارتفاعه غير واضح بسبب تهدم بعض اجزائه، واما المدخل الثاني فهو جانبي وعرضه ٩٠ سم وارتفاعه ١٩٠ سم، ندخل من الباب الرئيسي، فننزل ست درجات، نقف بعدها في صحن الكنيسة، الذي يبلغ طوله ١٢ م وعرضه ٦ر٥م، أرضيتها مبلطة بالحجارة، يرتفع في جداريها الشرقي والغربي تسعة مداميك هشة مبنية بالطين، يتخللها بعض الحجارة المائلة الى اللون الاحمر، وبعد هذه المداميك يبدأ تكون قبو الكنيسة وهو نصف برميلي، ويساعد في حمل هذا القبو قنطرة في منتصف الصحن عدد حجارتها ثلاثين حجرا بالاضافة الى حجر الغلق، وهي حجارة منحوته نحتا ناعما، وبنيت بحيث يكون حجر منها طوليا والآخر عرضيا، فجاءت على شكل صلبان، بدءاً من الجدار الشرقي وحتى الجدار الغربي .

في الجدار الشمالي الشرقي للكنيسة يوجد الهيكل (انظر الصورة رقم ص) وهو على شكل تجويف بُني في الجدار بحجارة نُحتت بشكل ناعم، عمقه في الجدار ٥٠ سم وبعد المدماك الثامن عن سطح الأرض زين بمدماك نحت فيه تجويف داخل على شكل اطار (انظر الصورة رقم ١ ص٢٩٦) ويعلو هذا الاطار تسعة مداميك اخرى من كل جهة ثم يجمعها حجر الغلق، وتحيط بهذا الهيكل حنيتان صغيرتان على شكل حذوة الفرس مساحتهما ٢٥×١٥ سم.

في الجدار الغربي توجد اربعة تجويفات صغيرة مساحة الواحدة ٢٥×٣٠ سم يقابلها في الجدار الشرقي ثلاثة اخرى ايضا، ربما استخدمت لوضع الشموع فيها او المناظر، كما يوجد في الجدار الجنوبي الشرقي طلاقة خُصصت لقذف السهام بالاضافة للأنارة، فتحتها من الداخل ٥٦ سم عرضا و ١١٠ سم طولا، ووجود هذه الطلاّقة في هذا الجدار يشير الى أن الجدار جزء من السور الجنوبي الشرقي للقلعة، وليس في حجارة هذه الطلاّقة أي شكل من اشكال الفن، بل بُنيت حيثما اتفق لتعطي شكل طلاقة تسمح بالاضاءة وقذف السهام دونما مراعاة لوضع الرامي، فليس لها مصطبة يجلس عليها الرامي، كما أن من يرمي خلفها يرمي لمسافة بعيدة عن زاوية السور، فلا يستطيع حماية الأسوار من النقب.

ويبدو ان هذه الكنيسة هي الأولى التي بناها الصليبيون عندما شرعوا في اعادة بناء القلعة، فهي بمساحتها تتلاءم مع العدد القليل الذي قام بعملية البناء في البداية كما اشار الى ذلك مؤرخوا المملكة الصليبية كما اسلفنا في المقدمة، وتجدر الاشارة هنا الى ان حجاج العصور الوسطى من اوروبا مؤرخوا الغرب الذين زاروا القلعة او كتبوا عنها لم يتناولو هذه الكنيسة بالحديث في الوقت الذي تحدثوا فيه عن الكنيسة الواقعة في الجزء الشمالي من القلعة اكثر من حديثهم عن القلعة ذاتها، واعتبروا هذه الكنيسة والدرج الذي يؤدي الى نبع الماء هي القلعة كلها . (١)

ومما يلفت النظر في هذه الكنيسة بعض المباني الملاصقة لها، فمن الجهة الغربية حيث تقوم مداخلها توجد قاعة مربعة الشكل، في وسط سقفها فتحة للانارة وعلى يمين مدخل الكنيسة الرئيسي ضمن هذه القاعة يوجد بئر حُفر على شكل اجاصة، قطر فوهته

---

(١) انظر على سبيل المثال : Boase 1967: 68; Setton 1977: 149

٦٨ سم، وعمق رقبته حوالي متر، طويت بشكل دائري، وهو مليء بالردم.

وامام هذه الكنيسة من الجهة الجنوبية غرفة ملاصقة لجدار الكنيسة الجنوبي مساحتها ٤٫٥٠م×٣٫٤٠م ومما يلفت النظر في هذه الغرفة انها تشتمل في الجهة الغربية منها على سبعة احواض، وتظهر بقايا انبوب فخاري في الجدار الغربي، أما ارضية الغرفة من الجهة الشرقية فتشتمل على ستة احواض، والمسافة الفاصلة بين مجموعتي الاحواض هذه مرصوفة بالحجارة الناعمة، (انظر الصورة رقم ٣٩ب). إن وجود هذه الغرفة امام الكنيسة، واحتوائها على الأحواض وانبوب الفخار يدفعنا الى القول بأنها ربما كانت معصرة أو مكانا لجمع الماء، او مكانا للتعميد طالما انها الى جانب الكنيسة، ويبقى القطع في اصل هذا المكان مرهونا باجراء عمليات تنظيف له وللمنطقة المحيطة به.

ومما يلفت النظر في هذا المكان وجود نفق قائم بين الكنيسة والغرفة - المعصرة - (انظر المخطط) وتحت مستوى ارضيتهما، نحت في الصخر، على عمق ٤٫٥م، اشتمل على (٩٠) درجة، يتجه شرقاً ثم شمالاً فجنوبا فهو ليس على استقامة واحدة، بل فيه عدة انكسارات نحو اليمين واليسار، كما ان فيه بضعة امتار لا يظهر فيها الدرجة بل يسير الانسان فيها على استقامة واحدة الى ان يصل الى غرفة صغيرة منحوتة في الصخر مساحتها ٢×١٫٥م، تغطي ارضيتها كمية من التراب ولسنا ندري هل هذه نهاية النفق ام انه يستمر باتجاه البرج والذي يبعد عن القلعة حوالي ٧٥م شرقا، فتكون بمثابة نقطة تعزيز للمدافعين عن البرج، وبنفس الوقت يستطيعون الانسحاب الى القلعة عبر هذا النفق في حال سقوطه" ام ان هذا النفق يستمر حيث توجد ينابيع الماء شمال وجنوب القلعة، وبالتالي كان يجلب عبره الماء ويخزن في الأحواض والبئر القائمة بجانب الكنيسة، او انه يلتقي مع النفق الموجود في الجزء الجنوبي الغربي من القلعة، ويؤدي الى نبع الماء، خاصة وان في ذلك النفق بقايا نفقين آخرين يلتقيان معه ولا نعرف بدايتهما بسبب الردم الموجود بها وهذا ما أرجحه على ضوء ماسيرد من حديث عن هذا النفق، وربما يؤدي النفق الى مدخل سري خارج القلعة، اما إذا كان ينتهي عند المسافة التي اشرنا اليها فربما يكون ذلك عائد الى خطأ في تقدير لا تجاه الموصل الى ينابيع الماء، فاستبدل الموقع بموقع آخر هو موقع النفق القائم في الجنوب الغربي من القلعة، وليس كمكان لوضع خزنة السلطان فيه كما أشار الى ذلك سجلات[1]

(١) سجلات دائرة الآثار العامة : مجلد قلعة الشوبك.

دائرة الآثار العامة، والدكتور الغوانمه (1) الذي اضاف بأن عمق هذا النفق ١٧٨ درجة وينتهي بقاعة، في حين عدد الدرجات تسعين درجةكما اشرنا الى ذلك، وهناك حوالي عشرة درجات عند بدايته تتجه الى الجهة الغربيةمن الكنيسة، وينتهي بمساحة صغيرة كما أشرنا لا تستحق ان يُطلق عليها اسم قاعة.

بعد الحديث عن هذه الكنيسة نكون قد اكملنا جولتنا في التعرف على ماتحويه القلعة في جوانبها الداخلية من معالم، نعود بعدها للتعرف على ما يقوم في منتصفها من آثار عن الكنيسة الثانية.

الكنيسة رقم (٢) : — (انظر المخطط والصور ذات الارقام ١، ٢، ٣ ص ٣٩٧)

في الجزء الشمالي الغربي من القلعة، وعلى بعد حوالي ٢٥م غرب البرج رقم (١) توجد بقايا الكنيسة رقم (٢)، وتدل بقاياها على ان مساحتها ٨٫٣٥م شرق غرب × ٨٫٣٠م شمال جنوب، ومنطقة الهيكل فيها مدمرة لم تعد قائمة او واضحة المعالم اتجاهها شرق غرب، سُمك جدرانها حوالي ٨٥ سم، تتألف من صحن رئيسي واسع في الوسط يحف به جناحين اصغر حجما على جانبيه الشمالي والجنوبي، تتوزع فيها ستة عشر قاعدة، تتصل الخارجية فيها مع بعضها بجدران، في حين تتصل مع القواعد الداخلية بواسطة اقواس مدببة عالية، مدخلها الرئيسي من الغرب (انظر الصورة رقم ١ ص٣٩٧) عرضه ٢٫٥٠سم وارتفاعه ٢٧٥سم، يحف به من كلا جانبية بابان آخران اصغر حجما : الشمالي ٨٥ سم عرض × ٢٠٠ سم ارتفاع وفوق عتبته بقايا نحت لشارة الصليب يحف بها وردتان داخل شكل سداسي ويبدو ان المبنى الذي اضيف على الكنيسة من الجهة الغربية قد غطى على الصليب، إلا أن إزالة حجر واحد كانت كفيلة للتعرف على معالمه، اما الباب الجنوبي فهو اصغر حجما ايضا فعرضه ٨٥ سم وارتفاعه متران، كما يوجد فيها مدخل آخر من الجهة الشمالية على غرار هذا المدخل. يزينها من الداخل فوق عقود الأبواب اطار حجرى بارز مستطيل الشكل ثُبتت في داخله حجارة مستطيلة، منحوته نحتا ناعما لعلها كانت تحمل نقوشا فنية اندثرت معالمها على مستوى عقود الأبواب تم تصميم الشبابيك فجاءت مرتفعة وموزعة بين قواعد الكنيسة

---

(١) غوانمه ١٩٧٩ : ٢١٠.

الخارجية القائمة بحيث توجد نافذة بين كل قاعدتين لا يوجد بينهما مدخل ، متوسط مساحة الشباك الواحد ١٥٠ سم عرض × ١٨٠ سم ارتفاع ، ارتفاع الشباك عن ارضية الكنيسة ٣٠ر٣م ، وارضية الكنيسة والساحة الغربية امامها مبلطة بالحجارة الناعمة ، كما يوجد في هذه الساحة فوهة بئر مربعة ٦٠سم × ٦٠سم . ان بناء الكنيسة على هذا النحو متأثر بالاسلوب الشرقي اكثر من الأسلوب النورماندي ، وان كانت فيها ملامح من الفن القوطي الذي ساد اوروبا في القرون الوسطى ، اما طريقة الزخرفة فهي في الحقيقة تنم عن ذوق شرقي . [1] ومن بروزها يهيأ له للوهلة الأولى بأنها مسجد ، سيما وان عامة الناس في الشوبك يشيرون اليها كمسجد كانوا يستعملونه عند ما كانوا قاطنين داخل القلعة ، ولكن انحراف المنبر من جهة الكعبة وعدم تلاؤمه مع ترتيب صفوف المسلمين ووجود المعالم الزخرفية على شكل صليب ، وتخطيطها العام ، كل هذه تنفي فكرة القول بأنه مسجد .

لقد أُقيمت هذه الكنيسة فوق مباني أخرى ، اذ نجد في الجهة الشرقية منها قاعتان ، كنا قد مررنا تحت سقف القاعة الشرقية فيها في طريقنا الى البرج رقم(١) ، أما القاعة الاخرى فعرضها بقدر عرض الكنيسة ٨٠ر٣م ، وطولها حوالي ١١م ، وفي الجهة الشمالية من الكنيسة نشاهد عقود الأبواب لمباني اسفل الكنيسة غطاها الردم ، ونفس الشيء يُقال ايضا بالنسبة للجهتين الغربية والجنوبية ، كما توجد في ارضية الكنيسة فتحة دائرية قطرها ٤٢ سم ، هي في الأصل فتحة الاضاءة للقاعة التي تحتها ، وحجارة هذه المباني تختلف عن حجارة الكنيسة فوقها من حيث طريقة النحت وفن البناء ففي الوقت الذي تبدو فيه حجارة الكنيسة جيرية بيضاء منحوته بدقة واتقان ، فإن حجارة المباني التي تحتها جاءت هشة وغير متقنة البناء ، وسقوفها مطابقة لسقف الكنيسة رقم(١) التي تحدثنا عنها . مما يدل على أنها من فترة سابقة على بناء الكنيسة الثانية .

ومما تجدر الاشارة اليه عند الحديث عن هذه الكنيسة ذلك الحجر الذي اكتشفه الأب سفنياك [2] سنة ١٨٩٧م ، فوق عتبة احد أبوابها طوله ٢٨٠ سم ، وقد دُق بالمطرقة

---

(١) Brünnow and Domaszewski 1904: 116

(٢) Savignac 1897: 214-217

لأنه يحتوي على صليب، ومن الطرفين استطاع قـــراءة :ـ

UGO VICE .... QVI..... MCXVIII

والأحرف الاخيرة تعني سنة (١١١٨م)، وبذلك اعتبر هذا التاريخ هو تاريخ بنـــاء القلعة، إلا أن أبلدونغ Abbildung ذكر في سنة ١٩٠٤ بأن "حرف X في هذا النقش (أي رقم ١٠) غير واضح، ويستطيع الانسان ان يقرأ ١١٠٨م، ولكننا نعلم ان مونتريال (قلعة الشوبك) كان قد اسسها بلدوين في سنة ١١١٥م"(١). اما مايسترمان(٢) الذي زار القلعة فقد ذكر بأن هذا الحجر كان فوق بوابة الكنيسة، وان نصف الكتابـة الموجودة اندثر، ومع ذلك تمكن من قراءة الأحرف على النحو التالي :

UGO VICE ... QVI MCXVLLL... M... LES...

واضاف ان الاحرف الثلاثة الأخيرة مختصرة من كلمة ecclesia التـــي تعني كنيسة، الا أن الذين كتبوا عن قلعة الشوبك من الغرب لم يعتمدوا في تاريخهـا سنة ١١١٨م، بل اعتمدوا رواية وليم الصوري وشارتير وآكس التي اشرنا اليها فـــي المقدمة التاريخية للقلعة، واجمعوا على ان تاريخ بنائها كان في سنة (١١١٥م)(٣).

واذا كان الحظ لم يسعفنا في العثور على هذا النقش، وبغض النظر عن وجـوده او عدم وجوده في الأصل فإننا لا نتفق في الرأي مع الآباء سفنياك ومايسترمان فـــي التاريخ الذي أرخا فيه الكنيسة وعكساه على القلعة في الوقت الذي يشير فيه "ابلدنغ" انه لم يستطع قراءة الرقم (×) اي (العشرة)، ذلك انه لو استطاع الصليبيون بنـــاء كنائسهم في بلاد الشام على الطراز القوطي منذ سنة ١١١٨م لرأينا اكثر من مثال علـى ذلك في الوقت الذي يشير فيه فيدن وثومسون وسميل(٤) الى ان القلاع الصليبية التـــي ترجع الى بداية ومنتصف القرن الثاني عشر تتميز في أنها قلاع صماء فيها شيء من الضخامة مع بساطة في الشكل والتفاصيل، وإن التطور في بنائها وبناء الكنائس كان متوازيا . وفي

---

(١) Op. Cit. 116.

(٢) Meistermann 1909: 241.

(٣) Deschamps 1939: 42; Fedden and Thomson 1957:26; Medebielle 1961: 9; Boase 1967: 68; Setton 1977: 149.

(٤) Fedden and Thomson 1957: 40.

الوقت الذي كانت فيه قلاعهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر اكثر تعقيداً وصقلاً الا انهم لم يدركوا الرشاقة والسمو في الكاتدرائيات القوطية، اذ انهم حتى منتصف القرن الثاني عشر كانوا أكثر تأثراً بالطراز الرومانسي، ثم واصلوا تطوير ابنيتهم باتجاه الطراز القوطي باستعمال العقود المدببة، فكانت أول ابنيتهم من هذا الطراز في كنيسة طرطوس في سوريا التي تعود للقرن الثالث عشر.

ولو كان تاريخ هذه الكنيسة عائد الى سنة ١١١٨م لما رأينا الفرق الكبير بينها وبين الكنيسة رقم (١) التي تحدثنا عنها، وبينها وبين الأبنية الاخرى التي تقع اسفلها، والأرجح هو ان الكنيسة رقم (١) هي التي تعود الى سنة ١١١٥م وهو تاريخ اعادة بناء القلعة على يد الصليبيين، واذا كانت نتيجة التقدم المعماري الذي طرأ على الصليبيين قد ابدعت الكنيسة رقم (٢) في سنة ١١١٨م — على الطراز القوطي — فيفترض اتماماً لعملية تطور البناء نحو الأفضل ان تكون كنيسة قلعة الكرك ١١٤٢م على الطراز القوطي كحد ادنى للتطور، لكنها وهي في مركز المقاطعة الصليبية، والشوبك تتبع لها، جاءت على غرار الكنيسة رقم (١) في الشوبك، وانها عبارة عن بناية بسيطة مع صدر نصف دائري، يحتوي على طلاقة وان ديشامب[٢] قد برر فقر مباني قلعة الكرك الى صلابة الحجر المستعمل، وعدم وجود فنيين لدى الصليبيين لنحته وبحكم بعدها عن السواحل مما اظطرهم الى الاعتماد على الجند. (٣)

ومع ان الحملات الصليبية جاءت تلبية لنداء البابوات وكان على رأسها مجموعة من رجال الدين، الذين كانوا لابد لهم من الدعوة الى بناء الكنائس حيثما استقروا للحفاظ على استمرار الاندفاعية الدينية، الا اننا نعلم بنفس الوقت معاناتهم من قلة عدد الرجال، وان اكبر اهتماماتهم كانت تنحصر في توفير الأمن والحماية لأنفسهم، وانهم كانوا يعانون من حالة اقتصادية سيئة كانت من جملة الاسباب لحملاتهم تلك، من هنا فإننا نرى انعكاس هذه الظروف على كنائسهم الأولى سواء في الشوبك او الكرك، وعلى ضوء ذلك كله فإننا نرى بأن الكنيسة رقم (٢) في الشوبك ربما تعود الى الربع الأخير

---

(١) Smail 1956: 225; 1973: 131-132.

(٢) Deschamps 1939: 88.

(٣) Ibdi., 80-81.

من القرن الثاني عشر، وبالتحديد الى مابعد سنة ١١٧٦م (٥٧٢هـ) وهي الفترة التي تولى فيها على الشوبك ريجنالد فبلغت في عهده اقصى مجدها، وفي عهده استسلمت تحت وطأة حصار المسلمين لها .

النقوش :ـ

هذا ويوجد اليوم في صحن الكنيسة رقم (٢) مجموعة من الحجارة التي تم جمعها من انحاء متفرقة من القلعة، وتحمل نقوشا مختلفة، تمكنا من قراءتها على الشكل التالي :ـ

اولا : على حجر اطرافه مكسورة، مقاسة ٧٨ سم طولا ، وارتفاعه ٤٩ سم، يوجد نقش من ستة اسطر (انظر الصورة رقم ١ ص٣٩٨) .

(١) ... السلطاني الملكي الصالحي النجمي .

(٢) الشهيد الملك الكامل محمد ابن ابي بكر ابن ايوب خلد الله م(لكـ)ـه .

(٣) المعهود المباركة ... وعندما بنى الصور وفتح الأبراج .

(٤) وذلك في يومين ... ولاية المجلس الشامي الأمير الاجل الكبير عزالدين .

(٥) ابن عبد الله المعروف بالاسكندراني الملكي الصالحي البحر(ى) ...

(٦) ... وذلك في شهور سنة مائة واربعين وستما (ئه) .

والاختلاف بين قرآتنا هذه وتلك المحفوظة في سجلات دائرة الآثار العامة (١) والواردة عند الغوانمه (٢) على النحو التالي حسب الاسطر :ـ

(١) كلمة " النجمي " لم ترد في القرآتين المشار اليهما .

(٢) كذلك كلمة "ملكـه" .

(٣) غير مقروء بكامله .

(٤) الجديد في قراءتنا " في يومين .. ولاية المجلس الشامي "

(٥) ورد اول حرفين فقط من كلمة " البحري "

(٦) جاءت القراءة عندهم كالتالي " وذلك في شهور ستمائه واربعين وستما "

---

(١) سجلات دائرة الآثار العامة : مجلد الشوبك : ٤

(٢) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٠٥ .

ثانيا :ـ حجر مساحته ٢٤سم×٣٥ سم (انظر الصورة رقم ٢ ص٢٩٨) يبدو أنه كان يحمل نقشا من خمسة أسطر ،تمكنا من قراءة بعض كلماته :

(١) السلطان الملك الكامل ......
(٢) ...... العادل .....
(٣) خلد الله ملكه......

ثالثا :ـ على حجر مكسور في اطرافه الاربعة (انظر الصورة رقم٣ ص٢٩٨) نقش :

(١) ... الرحمن الرحيم
(٢) ... بامر مولانا ال ...
(٣) ... خلد الله ملكه..
(٤) (المـ)ـويد الاعـ ....

رابعا :ـ وما دمنا بصدد الحديث عن النقوش فهنالك نقش أشارت سجلات دائرة الآثار العامة[1] الى انه يعلو عتبة أحد الابواب ـ دون تحديد الجهة ـ في حين ذكر الغوانمه[2] أنه رآه مثبتا في احد الجدران في غير مكانه الأصلي ، وانه يتألف من ستة اسطر، ولكني لم أتمكن من العثور عليه ،ورأيت ان اورده كما جاء في سجلات دائرة الآثار ونصه :

(١) (بسم) الله الرحمن الرحيم عمر هذا
(٢) (المـ)ـكان المبارك في ايام مولانا السلطان
(٣) الملك.....
(٤) ابن أحمد خلد الله ملكه... وانفذ
(٥) احكامه وذلك...
(٦) جمال الدين قطز في شهور سنة احدى وخمسين وستمائه...

اما الغوانمه فقد اضاف في قراءته على السطر الثالث وبعد عبارة الملك اسم " ابن آيبك" وعلى السطر الرابع بعد كلمة ملكه اضاف " وأمه" وعلى السطر الخامس اضاف " باشارة المجلس الشامي ".

---

(١) سجلات دائرة الآثار العامة، مجلد الشوبك .
(٢) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٠٥ .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المؤرخين الأجانب الذين بحثوا عن نقوش القلعة لم يتناولو هذا النقش الحديث.

خامسا :ـ

نقش من ستة اسطر أورد نصه برونو ودوماس فسكي [١] ،كما اورده كومب ورفاقه [٢] ولم نتمكن من العثور عليه ، ونصه :ـ

(١) بسم اللهالرحمن الرحيم هذا ما عمر في ايام مولانا

(٢) السلطان الاعظم العالم العادل الملك الصالح

(٣) نجم الدين ايوب خلد الله ملكه تطوع لعمارته العبد

(٤) الفقير الى رحمة الله تعالى الامير شرف الدين

(٥) عيسى ابن خليل ابن مقاتل غفر الله له ولوالديه

(٦) وذلك في شهور سنة ست واربعين وستمايه .

سادسا :ـ

هناك نقش مثبت في منتصف جدار قائم غربالكنيسة رقم (٢) ، وعند هذا الجدار من زاوية المسجد الجنوبية وحتى البرج رقم (٩) (ليس كما أشار الغوانمه [٣] في انه مثبت في أحد الابراج (العلوية) ، وهو موزع بين ثلاثة مداميك وبواقع حجرين من كل مدماك ، طوله ١٣٦ سم وعرضه ١٤٤ سم ، يزينه اطار منحوت في الحجر (انظر الصورة رقم ١ ص٣٩٩) والنقش يتألف من ثلاثة اسطر نصها :ـ

(١) بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذه القلعة وتجديدها

(٢) مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين

(٣) وذلك في مباشرة الأمير الكبير علا الدين قبرص المنصوري سنة سبع وتسعين وستمائه . [٤]

---

(١) Brünnow and Domaszewski 1904: 119.

(٢) Combe et. al., 1941 : 183-184.

(٣) غوانمه ١٩٧٩ : ٢٠٧.

(٤) انظر النص ايضا في :ـ Brünnow and Domaszewski 1904: 118

وقد قدموا في السطر الثالث اسم "المنصوري" على اسم " قبرص" فقراوءها "المنصوري قبرص"

سابعا :ـ

يوجد حجر ملق على الارض امام البرج رقم (١) ويبدو من خلال النص انه شاهد قبر (انظر الصورة رقم ٢ص٣٩٩) ولا ندري فيما اذا كان قد عثر عليه اصلا داخل القلعة ام خارجها، مقاسة ٦٠سم×٢٦ سم، نقش عليه بخط بارز وبثلاثة اسطر :ـ

(١) بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقه الموت هذا القبر الى ....

(٢) الى رحمة الله تعالى ... فتح الدين ... الا ماشاء الله....

(٣) سبع ... غفر الله.

ثامنا :ـ

ومما يلفت النظر وجود حجر ملقى اليوم داخل الكنيسة رقم (٢) طوله ١٩٨ سم وارتفاعه ٤٦ سم وتم نحت لوحة فنية عليه ضمت خمس شجرات نخيل، بينها اربع دوائر نُحت فيها اربع وردات، منها اثنتان مروحيتان من الداخل، واثنتان على شكل قلب وأرضية الورود والأشجار نحتت باشكال هندسية متقاطعة (انظر الصورة رقم ١ ص ٤٠٠) وهذا الحجر كان موضوعا على عتبة مدخل القلعة من الاعلى قبل تهدمه. ولم يعاد وضعه الى البوابة الحديثة.

كما يوجد بين الحجارة الملقاة داخل الكنيسة رقم (٢) حجر آخر ايضا اطرافه مكسرة ويحمل نحتا لزخارف نباتية وزهرات كأسية الشكل.

النفق أو ما يعرف ببئر الشوبك :ـ

بالرغم من وجود العديد من الآبار في القلعة، إلا أن الحصار الذي كان يفرضه المسلمون عليها دفع بالصليبيين طلبا للحياة ان يتعايشوا مع المكان، فلجأوا الى حفر نفق من ظهر الجبل يؤدي الى نبع للماء ربما يكون فرعا من عين مغاص وموقع النفق القائم اليوم والمؤدي الى نبع الماء، كائن في الجهة الغربية من القلعة، امام الزاوية الشمالية الشرقية للبرج رقم (٩)، وبابه يفتح باتجاه الجنوب ومحصور بين جدارين (انظر الصورة رقم ١ص٣٩٤) والى الغرب من هذا الباب يوجد مزراب من الحجر يصب داخل النفق، ربما استخدم لتنظيف درج النفق بالماء، او لجعل الماء يتسرب الى النبع عبر النفق في أيام الشتاء.

عرض الدرج عند المدخل متر واحد ، وارتفاع الدرجة الواحدة ٢٦ سم ، ومرآتها ٣٠ سم ، يزداد عرض الدرج كلما انحدر في بطن الجبل ، ليصبح متوسط عرضه مترين ويتسع لثلاثة اشخاص يسيرون بجانب بعضهم ، ومتوسط ارتفاع النفق ٢٢٠ سم ، ونتيجة للتركيز في الاستعمال على منتصف الدرج ، فقد اصبح المنتصف لكل الدرج ناعما بل مُسحت بعض الادراج منه في حين ماتزال بعض معالمها واضحة في الأطراف ، ولا ينحدر هذا الدرج على استقامة واحدة بل يتخلله عدة انعطافات نحو اليمين واليسار .

ان الجهد الذي بُذل في حفر هذا النفق ، وفي ضوء الامكانات التي كانت متوفرة انما يدل على ابداع العقل البشري عندما يواجه صراع البقاء فحفر مسافة (٢٠٥) أمتار في بطن الجبل ، بارتفاع ٢٢٠ سم ، وعرض مترين ، وتوزيع (٣٤٥) درجة فيها للوصول الى نبع الماء ، يعتبر عنوان حياة وعملا بطوليا .

ولقد اختلف المؤرخون في عدد الدرجات التي اشتمل عليها النفق سواء منهم من زار القلعة ورأى النفق ام من لم يزرها ، فبعضهم ذكر انها ٣٧٢ درجة[1] والبعض الآخر رأى انها ٣٦٥ درجة[2] والبعض الآخر يقول انها ٣٧٥[3] درجة ، اما سبب الاختلاف في الرقم فعائد الى أن بعض المعالم لبعض الدرجات قد اختفت وان من يعدها نزولا ثم يعيد عدها صعودا يجد ان الرقم مختلف ، وبعضها غطاه الردم في وسطه او غطاه كاملا ، لكن المدقق في هذه الدرجات يجد اختلافا بين جزئيها الاعلى والأسفل .

ننزل من مدخل النفق فيكون الدرجة مريحا ، وفي السقف نشاهد عرقا من حجر الصوان يستمر باستمرار النفق حتى الوصول الى النبع ، وبعد نزول ١٤٥ درجة نشاهد

---

(١) Brünow and Domaszewski 1904: 116; Mesitermann 1909: 242.

(٢) غوانمه ١٩٧٩ : ٢١٠ ؛ مخلوف ١٩٨٣ : ٢٤١ ؛ وانظر ايضا :ـ Savigan 1932: 597; Boase: 1967: 68; Setton 1977: 149.

(٣) العابدي ١٩٧٣ : ٢٦٩ ؛ وانظر ايضا :ـ Moade 1966: 195

على يميننا بابا لنفق آخر، يمتد في الجبل لمسافة اكثر من عشرة امتار، وقد سد الجزء الاكبر من هذا الباب بالحجارة، كما نشاهد على يسارنا جدارًا من الحجارة التي سقطت في هذا النفق، فتم صفها من هذه الجهة، نواصل سيرنا حتى نصل الى عمق (١٤ م) ونكون قد مررنا على ١٧٠ درجة، وهنا نشاهد قنطرة كاملة، المسافة بين قاعدتيها ٥ر٢م، وعدد حجارتها ستة عشر حجرا يجمعها حجر الغلق، منحوته نحتا ناعما متوسط عرض الحجر الواحد ٤٠ سم وارتفاعه ٢٥ سم، وهي حجارة رمادية اللون ومن نوعية الحجر الذي بُنيت منه اسوار القلعة الشمالية، والاجزاء التي رممها حسام الدين لاجين، وبجانب هذه القنطرة على يمين النازل الى النفق نشاهد بابا آخر يمتد في بطن الجبل وقد اغلقت اجزاء كبيرة منه، ثم نهبط عشر درجات اخرى فنجد نصف قنطرة وقد اخفت خلفها ما يشير الى مدخل لنفق يلتقي مع هذا النفق، وربما كان عرقا ترابيا في الصخر، فوضعت نصف القنطرة لتقوية النفق.

وبعد نزول ٢١٢ درجة نلاحظ ان عرض النفق يصبح حوالي ١٧٠ سم، وتصبح الدرجات عالية — غير مريحة — بل ان بعضها لم يُنحت في الصخر بل بني من الحجارة ونتابع نزولنا لنجد انفسنا فجأة امام عين ماء مربعة عن يمننا مساحتها ٣٤٠سم×٣٣٠سم ليس فيها ماء اليوم وان كانت ارضيتها طينية، نتجه نحو اليسار خمس درجات فينعكس ضوء اللوكس الذي نحمله على الماء الصافي الذي يرتفع ٣٠ آفي مساحة مماثلة لمساحة العين السابقة، انه ماء عذب صالح للشرب هذا ولم نعثر على حوض المرمر وادوات الاستحمام التي ذكرها العابدي[1] في احدى هاتين الغرفتين.

ان من ينزل هذا الدرج ويصعده يدرك الفرق في التصميم بين بدايته ونهايته ولكن وجود بابين آخرين يفتحان باتجاه النفق في النصف الاعلى منه يشير عدة احتمالات، اذ ربما يكون مهندس التصميم قد اخطأ في تحديد الاتجاه، فتراجع عن الاستمرار في النحت الى حيث يوجد السقف القائم اليوم، وربما تؤدي تلك الابواب الى منافذ سرية خارج القلعة، ولكن الأرجح ان المهندس المسلم لاحظ عدة اخطاء في النفق الصليبي، سواء في الانحدار الشديد للدرجة المتمثل في الجزء السلفي القائم منه، وفي نسبة الارتفاع الكبيرة بين الدرجة والاخرى حيث ان نزولها دونما

---

(١) العابدي ١٩٧٣ : ٢٦٩.

حمل للماء يشكل خطورة على النازل او الصاعد فتضطره لنزولها بوضع الجالس أو مستعينا بغيره، او في ضيق عرض النفق، كل هذه الأمور دفعت المهندس المسلم للبحث عن حل، فاختار عمل نفق آخر، الا أنه اضطر لان يكون نفقه ملتقيا مع هذا النفق بحكم وحدة الهدف (وهو الوصول الى نبع الماء) فقام بنحت النصف الأعلى من هذا النفق، فجاء مريحا سواء في الصعود او النزول، فقد رأينا ان ال ١٧٠ درجة قد امتدت لمسافة ١١٤م في حين قصرت مسافة ١٧٥ درجة المتبقية الى ٩١ م مما يعني ان نزولها اصبح حاداً وهذا هو الواقع. وان المهندس المسلم الغى كذلك نصف النفق من الأعلى، وقد يكون هذا النصف الملغي هو ذلك، والجزء من النفق الموجود امام الكنيسة رقم (١) والذي اشرنا اليه فذلك النفق من حيث طريقة نحته وشدة انحداره وضيق عرضه مطابق تماما للجزء الأسفل من النفق القائم اليوم.

كما أن وجود مدخله امام الكنيسة يوفر قوة معنوية للشخص النازل والصاعد تحت تأثير الدافع الديني . اما المسلمين فإنهم عندما اختاروا موقعا جديداً للنزول الى النفق فقد وضعوه بجانب البرج رقم (٩) باعتباره حصن القلعة مقارنة مع الابراج الاخرى من حيث موقعه وصعوبة تسلقة والوصول الى اسواره مراعين بذلك الناحية الاستراتيجية.

وربما تكون القنطرة الموجودة في منتصف النفق من اجل تقوية السقف كما اشار الى ذلك الآب سغنياك [1] ، ولكنها ايضا ربما تكون دلالة للتمييز بين عمل اسلامي وآخر صليبي سيما وان طريقة نحت حجارتها ونوعية الحجارة المستعملة في بنائها من نفس نوعية الحجارة التي اخذت منها حجارة السور والأبراج الشمالية في القلعة، والجدران والأبنية المقامة حول موقع النقش السادس الذي اشرنا اليه، وكلها من الفترة الاسلامية. كذلك ربما تكون دلالة على انتصاف المسافة الى نبع الماء، الا اننا نرجح ان النفق مرّ بفترتين :ـ الأولى صليبية او ربما تكون اقدم من ذلك وتتمثل في الجزء الاسفل من النفق والثانية اسلامية تتمثل في الجزء الأعلى منه، وهذا ما يجعل الحاجة ملحة للكشف عن الابواب المغلقة المتصلة بهذا النفق والعمل على تنظيف النفق القائم امام الكنيسة رقم (١) .

---

(١) Savignac 1932: 597.

وقد وجد مثل هذا البئر في قلعة صلاح الدين في القاهرة، وقد استنبطه بهاء الدين قراقوش، وزير صلاح الدين، وقيل انه كان ينزل اليه من خلال ثلاثمائة درجة كما قيل انه كان يتصل بالنيل بواسطة سرداب تنفذ منه مياه النيل الى القلعة. (١)

الجامع : - (انظر المخطط (ص ٤٩٢) والصور رقم ٣٠ ص ٣٩٤)

يقع الجامع في الجزء الشمالي من القلعة، امام البرج رقم (٤)، ومع ان المراجع الأجنبية لم تشر لوجوده في القلعة، كما انه لم يحظى من المراجع العربية بما فيها سجلات دائرة الآثار العامة باكثر من العنوان دون تحديد للمكان، الا انه من ابرز معالم القلعة وضوحا ولفتا للنظر، وان كان مستوى ارضيته منخفض وعلى مستوى الطابق الثاني من البرج رقم (٤)، الا انه يمتاز بالعقود العالية، وبالشكل المستطيل، اذ تبلغ مساحته ١٦م طولا × ٧م عرضا، يعتمد على بهو للصلاة يتألف من ثلاثة اروقة، بينها دعائم منتظمة بحيث يفصل كل بهو عن الآخر دعامتين، مساحة الدعامة الواحدة ١٢٠سم× ١٢٠ سم رواق القبلة صغير اذا ما قورن مع الرواقين الآخرين اذ ان طوله ٤٠ر٢م وعرضه ٧م، في حين طول الرواق الذي يليه ٤٠ر٤م، والرواق الثالث ٨ر٦م عرض المحراب في جدار القبلة ١١٠ سم وعمقه ٦٠ سم، وقد بني في صدره جدار بزاوية قائمة وفي وقت متأخر، يحف بعلى بعد ١٣٠ سم من كل جهة حنيتان ماثلتان لحفظ نسخ القرآن والكتب الدينية فيها، كما يوجد مدخلين من الشمال والجنوب، الشمالي فاتح في حين الجنوبي ملىء بالردم.

أما الرواق الثاني فإنه مماثل لرواق القبلة مع اختلاف المساحة كما ذكرنا، ويتصل مع رواق القبلة والرواق الثالث من خلال الدعامات التي اشرنا اليها، وبين الدعامتين قوس عال واسع، يحف به من كل جانب قوس اصغر حجما، اما الرواق الثالث فيوجد به على الجانبين الشمالي والجنوبي ايوان صغير، عمقه حوالي متر تقريبا.

في الجهة الشمالية من الخارج يوجد ممر ضيق على طول المسجد يؤدي الى المسجد من خلال الابواب المفتوحة عليه وعددها ثلاثة ابواب، اما من الجنوب فإن الردم الناجم عن انهيار بعض المباني الملاصقة للمسجد قد غطى معالم المسجد

---

(١) زكي ١٩٦٠: ٦٠-٧٠.

الخارجية، وكذلك الحال من الجهتين الغربية والشرقية، اما عدد المداميك التي لا تزال قائمة من هذا المسجد فيبلغ ٢٨ مدماكا ترتفع حوالي ستة امتار، وحجارتها تختلف عن حجارة البرج المجاور للمسجد وسور القلعة والمباني المجاورة فهي حجارة كلسية بيضاء منحوته نحتا ناعما، قطعها صغيرة فمتوسط حجم الحجر الواحد ٣٠ سم×٢٥سم يزينها بعد المدماك السادس في القواعد اطار نتج عنه وجود فراغ بعرض٥سم مع المدماك السابع عُبي بالطين والشيد، ويلاحظ ان المداميك من الاعلى اخذت تتجوف نحو الداخل لحمل القبو الذي كان يغطي سقف المسجد .

ان هذا الطراز من المساجد متأثر بالمعاير السلجوقية، وهو يشبه في تصميمه المدارس الأيوبية (١) ، وبالتالي يمكننا القول انه عائد الى الفترة التي كانت فيها القلعة تحت حكم الايوبيين وان المماليك ابقوا عليه، لأنه كان يسد الحاجة التي وجد من اجلها ، وموقع المئذنة في المسجد غير واضح لان محيطه ملي بالردم ،كما ان ارضيته مغطاة بالاتربة، وتوجد اجزاء لبعض الحجارة التي سقطت من اجزائه تحمل اطارا بارزا وربما كان داخله نقوشا كتابية او زخرفية، ويبقى المسجد بحاجة الى اعمال التنظيف والترميم.

الى الجنوب من المسجد يوجد مبان مدمرة في معظم اجزائها ، ويصعب التعرف على الغاية التي وجدت من اجلها ، لعدم وضوح مخططاتها الأصلية، ومن بين هذه المباني يوجد جدار مميز مبني من الطوب الاحمر المشوي ، ربما كان جزءا من احد الأفران في القلعة ،كما يوجد داخل احدى الغرف المدمرة بقايا انبوب من الفخار في الجزء الاعلى للجدار الغربي ، ربما استخدم لتوصيل الماء فكانت تستعمل كحمام كما يوجد جنوب المسجد شارع يمتد حتى الزاوية الشرقية للبرج رقم(٩) ، وعرض هذا الشارع حوالي اربعة امتار تقوم على جانبيه بقايا العديد من الغرف متمثلة اما في الجدران او الأبواب أو اقواس الشبابيك او بقايا القناطر التي تحمل السقوف (انظر الصورة ص ٢٩٣) .

ومما يلفت النظر انه عند نهاية هذا الشراع يوجد قاعة مدخلها الرئيسي من الجهة الجنوبية، في حين من الجهة الشمالية نلاحظ فتحة قنطره واسعة يبدو انها بنيت بعد هدم في السور مساحة هذه القاعة ١٠×٥م تقريبا يعلوها سقف برميلي ، مرصع

(١) شافعي ١٩٧٠ : ٢٤٨ ؛ الرفاعي ١٩٧٣ : ٨٢ ؛ علام ١٩٧٤ : ١١٧ ، ١٣٦-١٣٧ ؛ الريحاوي ١٩٧٩ : ١١٨ .

بالحجارة كالصدفة (انظر الصورة رقم ١ ص ٧٥ ٣) وعلى زاوية هذه القاعه من الشرق يوجد بناء مربع الشكل عرضه حوالي مترين حجارته رمادية منحوته نحتا ناعما ، من القطع الكبير تصل الى ١٦٨ سم طولا وارتفاع ٦٧ سم ، للحجر الواحد . وارتفاعها القائم اليوم نحو ثمانية امتار ، بداخل هذا المبنى المربع توجد قناة مربعة ايضا ٤٢ سم× ٤٢ سم تنتهي اسفل البناء كمزراب حجرى ، يتجه للاسفل وليس للامام ، وتوجد بجانب هذا المبنى المربع قطعة واحدة دائرية من حجر الطاحون ملقاة على الارض، من هنا فقد اصطلح على تسميتة خطأ (بالمعصرة) (١) ذلك انه لا يعقل عصراية مادة من خلال وجود قناة مربعة ٤٢سم×٤٢ سم قائمة ضمن برج مربع مرتفع عن الارض، تساقطت منه اكوام الحجارة التي تدل دلالة قاطعة على ان ارتفاعه كان اكثر من الامتار الثمانية القائمة اليوم لمجرد وجود مزراب ، فالارجح في رأينا ان هذا البرج كان يستخدم من خلال القناة القائمة بداخله لصب المحروقات على رؤوس الاعداء اذا ما حاولوا الاقتراب من القلعة وان المزراب يصب باتجاه مدخل سرى من مداخل القلعة ، حيث ان الجدار الجنوبي للبرج المربع باستقامة غربا ليلتقي مع جدار السور المتصل بالبرج رقم (٩) ، وفي مرحلة متأخرة تمت توسعة القلعة فوجد ما اسميناه هنا بالشارع محصورين جدارين شرقي وغربي يضم بعض الابنية المهدمة ، ويلاحظ ان حجارة الابواب التي فتحت في الجدار الشرقي كمداخل لبعض الغرف اختلفت حجارتها من حيث الحجم والنحت عن باقي حجارة الجدار وانه شرق هذا الجدار يوجد درج ينحدر باتجاه البرج رقم (٧) (انظر المخطط) ، وأن حجارة هذا الجدار مطابقة في نحتها ونوعها لحجارة السور الشمالي مما يؤكد بأن هذا الجدار كان سورا للقلعة ، وحجارة الابراج (٤ ، ٥) كما ثبت فيها من الداخل النقش السادس الذى أشرنا اليه سور القلعة الغربي الى ان تمت التوسعة فأصبح جدارا داخليا فتحت فيه ابواب تؤدى لمباني قائمة خلفه .

يؤكد ما اشرنا اليه في ان هذا المكان " البرج المربع " كان لصب المحروقات وتوفير الحمايه لمدخل سرى قابع تحته وهذا مطابق مع ما هو قائم في الجزء الغربي من قلعة الكرك للسيطرة على المدخل ، واذا اخذنا بعين الاعتبار ان مدخل قلعة الكرك هذا قائم في حنيه مجوفة للداخل بواقع

---

(١) هكذا وردت في سجلات دائرة الآثار العامة ، مجلد الشوبك .

نصف متر، فإنه إذا ما كان مدخل الشوبك على نفس التصميم فذلك يعني ان المـزراب المتدلي من البرج يصب مباشرة في باب المدخل .

يعزز ما اشرنا اليه من وجود مدخل سري تحت البرج المربع المشار اليه، توفيـر الحماية له من قبل البرج رقم (٩) ، ووجود الطلاقات في الجدار الجنوبي لهذا البرج والتي تسيطر من حيث قوس الرمي على الجهة التي يقوم فيها هذا المدخل السري (اي جهة البرج المربع) . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان البرج رقم (٩) يعتبر أحصـن برج في القلعة من حيث موقعه الاستراتيجي ، وان مدخل النفق الى الماء قائم فـي زاويـته الشمالية الشرقية (بينه وبين البرج المربع) فإن ذلك يزيدنا قناعة بوجـود المدخل السري حيث أشرنا .

نغادر القاعة الموجودة في نهاية الشارع الذي اشرنا اليه باتجاه باب القلعـة فنعبر من قاعة اخرى مطابقة لها تماما من حيث التصميم ، ويتهددها خطر الانهيـار ، حيث بقي جزء من سقفها مع بوابةالمدخل (انظر الصورة رقم ص) ، وتبقى قلعة الشوبك بطاقة دعوة لكل المهتمين بالآثار للشكف عن معالمها وخباياهـا .

<u>المقلـع :ـ</u> (انظر الصورة رقم ٣ ص ٤٠٠)

لقد استعمل في بناء القلعة عدة انواع من الحجارة منها الحجارة الكلسية البيضاء ومنها الحجارة الكلسية الصفراء، وهذه بدورها نوعين منها الصلب ومنها الطري ، كمـا استعملت ايضا حجارة صوانية مائلة الى اللون الاسود ، إلا أن اكثر انواع الحجر استعمالاً هي الحجارة الرمادية الصلبة ، وهذه كما شاهدنا كانت مميزة في طريقة نحتها وحجمهـا ومنها بني معظم السور والابراج في القلعة كما بُنيت منها كثير من الابنية داخل القلعة خاصة تلك القائمة بقاياها في الجهة الغربية من القلعة ، اما عن المكان الذي اخـذت منه هذه الحجارة فإننا نعتقد بأن الحجارة الكلسية اقتطعت من المنطقة الواقعة شرق القلعة لتلائم نوعية الصخر ، اما الحجارة الرمادية فقد تمكنا من اكتشاف المقلع الـذي اقتطعت منه ، وهو قائم غرب القلعة على بعد كيلو متر واحد منها ، الى الشـرق من الطريق المؤدي الى القلعة ، حيث ما تزال في المكان مئات من الكتل الحجرية المقطوعة التـي كانت تنقل الى القلعة عبر الطريق القائم بين الهضبتين ـ غرب القلعة ـ أما دحرجـة او بواسطة العربات، حيث الكثير من القطع ما تزال ملقاة باتجاه القلعة عبر هذه الطريق

كما ان في هذا المقلع اكواما كبيرة من الدقاقة الناتجة عن نحت تلك الحجـارة .

وحيث ان المنشآت التي بُنيت منها تلك الحجارة تعود الى فترة حكـــم الملك المنصور حسام الدين لاجين والتي استمرت اقل من سنتين ونصف كما رأينا ، فلــم يتمكن خلالها من اتمام اعادة بناء القلعة ، ويبدو انه بموته انتهى استعمال هذا المقلع فتركت الحجارة التي كانت مستخرجه منه على ما هي عليه اليوم .

قلعـــة العقبـــــــــة

مقـدمـــه :

تقع مدينة العقبة على شاطئ الذراع الشمالي الشرقي للبحر الاحمر والــــذي نسب اليها فأصبح معروفا باسم "خليج العقبة" وتبعد عن عمان ٣٥٠ كم جنوبــــــا واما قلعتها فتبعد عن الشاطئ حوالي خمسين مترا . وقد عرف المكان عند العـــرب قديما باسم ايلة او ويلة يقابلها بالعبرية اسم ايليم وايلات، وبالآرامية ايلون او ايلونـــا وباليونانية ايلين وباللاتينية : ايلا وايلاث وايلانا . (١) ولا ندرى مدى صحة الرواية التي ذكرها المقريزى (٢) عندما قال بأنها سميت ايلة نسبة الى " ايلة ابنة مدين بن ابراهيم عليه السلام .

وصفها المقدسي (٣) بكثرة اشجار النخيل والاسماك ، وانها ميناء فلسطين اليها ومركز تجارة الحجاز، كما ذكر ابو الفداء (٤) بأنها مدينة صغيرة، كان بها زرع يسير، واستمرت تلعب دورا هاما في التجارة العالمية حتى القرن التاسع الميلادي حيث ضعفت حركة التجارة فيها ، فانتقلت المدينة من موقعها القديم الى الجنوب حوالي ٣ كم حيث ان الارض هنا زراعية تصلح لزراعة اشجار النخيل ، وأمر احمد بن طولون ٨٦٨-٨٨٣م (٢٥٤-٢٧٠هـ) بانشاء طريق على حافة جبل ام نصيله بدلا من طريق القوافـــــل القديم الذي كان ضيقا محصورا بين منحدر الجبل من ناحية وبين البحر من ناحيـــــة اخرى ، فكانت تتخطفه عليه الامواج وسمي هذا الممر " عقبة ايله" نسبة الى المدينة التي كانت تجاوره . (٥)

وعندما حاول الصليبيون بسط نفوذهم على البحر الاحمر وحصر الاتصال بين مصر وسوريا والاردن سنة ١١١٦م (٥١٠هـ) اقاموا حصنا في عقبة ايلة، وحصنا آخـــر

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١٣ بدون تاريخ : ٢٠٦ .
(٢) المقريزي ١٢٧٠هـ : ٣٤٤-٣٤٥ .
(٣) المقدسي ١٨٧٧ : ١٦٨ .
(٤) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٨٧ .
(٥) Musil Vol II 1907: 256,305; Woolley and Lawrence 1919: 12.

يقابلها في جزيرة فرعون، وهو ما دفع بصلاح الدين الايوبي سنة ١١٧١م (٥٦٧هـ) الى ارسال سفنه اليها وتحريرها منهم، وتدمير الحصون وجانب من المدينة، ثم قام المسلمون ببناء برج فيها اذ يشير ابو الفداء (١) الى ذلك بقوله "وهي في زماننا (القرن الثامن الهجري) برج وبه وال من مصر وليس بها مزروع". واستعادت المدينة مجدها كميناء تجاري ومحطة لقوافل الحجاج، ولتوفير مزيد من الأمن قام السلطان قانصوه الغوري بعملية توسيع البرج وتحويله الى قلعة وخلّد ذلك في العمل في نقش نحت على مدخل القلعة. كما قام السلطان العثماني مراد ابن سليم خان بتجديدها سنة ١٥٨٧م (٩٩٦هـ) وخلّد ذلك ايضا في عدة نقوش منحوته في مدخل القلعة.

بعد ذلك سميت المدينة باسم "العقبة" واسقطت من التسمية "ايله"، والعقبة في اللغة تعني الصخرة او المنحدر الكبير او الارتفاع الصعب كما انها تعني الجبل الطويل الذي يعرض للطريق فيأخذ فيه. (٢) وهو ما ينطبق على الوضع الجغرافي لجبل ام نصيله الذي يقف عقبة في الطريق الى الحجاز، ومن هنا جاءت تسمية المكان بالعقبة.

وخلال الحكم العثماني كانت العقبة مقرًا لمحافظ او شريف يخضع لوالي جده واعتمد سكانها على زراعة النخيل حيث تكثر آبار الماء العذبة حول القلعة، اذ يعثر عليها على عمق يتراوح ما بين ٨-١٠م، وفي سنة ١٩١٧ (١٣٣٥هـ) تمكنت قوات الثورة العربية بقيادة الامير فيصل الاول من الاستيلاء عليها واتخذت القلعة مقرًا للثورة الى ان اصبحت جزءًا من الاردن، وهي اليوم ميناؤه الوحيد على البحر، وفي عام ١٩٤٩م قامت اسرائيل باحتلال موقع ام رشراش الواقعة غرب العقبة واطلقت عليه اسم ايلات.

---

(١) ابو الفداء ١٨٥٠: ٨٧.

(٢) الحموي ج ٤ ١٩٥٧: ١٣٤.

القلعة من الخـــارج :ـ

مدخل القلعة :ـ (انظر المخطط ص ٤٠ والصور رقم ١ ص ٤٠١)

يقع مدخل القلعة في الواجهة الشمالية الشرقية، ويتمثل في قنطرة واسعة عرضها ٤٠ر٤م وارتفاعها ١٥ر٤م تتشكل بعد ارتفاع ١٧٠ سم عن سطح الارض، اذ تضـــم قواعد القنطرة خمسة مداميك من كل جهة، ثم يعلو كل جهة اثني عشر مدماكـــا ثم يجمع بينهما حجر الغلق، وقد نحت على حجر الغلق هذا زخرفة نباتية اشبه ما تكون بسعف النخيل . ويلاحظ انه قد تم في مرحلة متأخرة تصغير هذا المدخل عن طريـــق بناء قنطرة جديدة داخل القنطرة الاصلية، فاصبح عرض البوابة ٢١٠ سم وارتفاعهـــا ٢٩٥ سم، وسمكها ١٧٠ سم تغلق اليوم بباب حديدي، وخلفه باب آخر خشبي .

عدد المداميك المتبقية في واجهة المدخل ثمانية وعشرين مدماكا ، ارتفاعهـــا عن الارض (٩م) لم يبقى من المدماك العلوي سوى ثلاث حجارة فقط ، متوسط طـــول الحجر الواحد ٥٠ سم وارتفاعه ٣٠ سم . وتبرز فوق القنطرة الاصلية بثلاث حجـــارة تحمل اليوم شعار الثورة العربية، وربما كانت هذه الحجارة تحمل شرفه استخدمـــت للحراسة، نظرًا لما لها من مدخل خلفي واضح، يستطيع الانسان ان يدخل منه، بالاضافة الى وجود نافذة امامية في الجدار تسيطر على المدخل، وقد ثُبت الشعار المذكـــور عليها .

يحف بالمدخل عن اليمين وعن الشمال برجين دائريين، محيط كل منها ٨٠ر٥م تقريبا، وبالقاء نظرة فاحصة عليهما يمكن التعرف على ما بينهما من تباين، فالمسافـــة بين البرج الايمن والدخل ٤٠ سم في حين المسافة ما بين البرج الايسر والمدخـــل ٩٠ سم، وحجارة البرج الامين حجارة بحرية مائلة الى اللون الاسود، متوسط حجـــم الواحد منها ٥٠ سم طولا بارتفاع ٣٠ سم، تم نحتها على نظام المسمسم لكنها بقيـــت خشنة نتيجة العوامل البحرية اصلا، اما حجارة البرج الايسر فإنها كلسية بيضاء اللـــون تم نحتها على النظام السابق فجاءت ناعمة اكثر، ويرى السكان المحليون بأنها احضرت من منطقة شرم الشيخ القريبة من العقبة، كذلك فإن توزيع الطلاّقات في كلا البرجين مختلف فهي في البرج الايمن طلاّقتان على مستوى الطابق الاول ترتفع بعد المدماك السابع،

وارتفاع الطلاّقة الواحدة ٤٠ سم وعرضها ١٥ سم، والمسافة الفاصلة بينهما حوالي مترين اما في البرج الايسر فهي ثلاث طلاّقات بعد المدماك السادس، طول الواحدة منها نصف متر وعرضها ١٥ سم، والمسافات بينها بدءً من المدخل وعلى التوالي هي : متر، ١٧٠ سم، ١٨٠ سم، يمكن من خلال توزيعها الدفاع عن المدخل وعن محيط البرج وعلى مستوى الطابق الثاني يوجد طلاّقة واحدة في كل برج على غرار الطلاقات السابقة من حيث المساحة.

كما يظهر التباين بين كلا البرجين من خلال اتجاه وامتداد السور بعد كل منهما، فبعد البرج الايمن يوجد جدار طوله ٩٥سم يمتد الى الغرب، وبعد هذه المسافة ينعطف الى الجنوب لمسافة ٦٫٧٥م، ثم ينحرف بالاتجاه الجنوبي الغربي ولمسافة ١٢٠ سم وحتى هذه المسافة ترتفع المداميك في هذا الجزء الى ثمانية عشر مدماكا، معظمها حجر بحري، ويوجد بينها حجارة كلسية بيضاء، ويوجد في هذا الجزء ثلاثة طلاّقات متوسط عرض الواحدة ١٥ سم×٢٦ سم ارتفاع، وبعمق ١٣٥ سم هي سمك الجدار. تفتح باتجاه البحر، ارتفاع الاولى عن الارض ١١٠ سم، وبعد ٨٥ سم تليها الثانية وهاتان الطلاّقتان على مستوى الطابق الاول، اما الثالث فعلى مستوى الطابق الثاني، وفوق هذه الطلاّقات توجد بقايا مزراب حجري تتدلى الى الخارج، ربما استخدم لتصريف الماء عن سطح القلعة او لصب المحروقات على من يقترب من السور، بعد ذلك يستمر السور باتجاه الغرب لمسافة ١٢٫٧٥م، ومداميك هذا السور مرممة بكاملها، وتنتهي مع البرج رقم (١) في الزاوية الشمالية الغربية من القلعة والذي اختفت معالمه اليوم.

اما امتداد السور بعد البرج الايسر للمدخل، فهو يتجه نحو الشرق ولمسافة متر، ثم ينحرف باتجاه الجنوب ولمسافة ٦٫٨٠م، وفي هذا الجزء توجد طلاّقة واحدة على مستوى الطابق الاول وطولها ٤٠ سم وعرضها ٢٠ سم، يعلوها بقايا طلاّقة في مستوى الطابق الثاني بعدها ينحرف السور الى الشرق مرة اخرى ولمسافة ١٧٫٧٠م، فيلتقي مع البرج رقم (٤) في الزاوية الشمالية الشرقية ومداميك هذا الجزء من السور أحد عشر مدماكا منها خمسة مداميك اصلية، كما تم بناء خمسة مداميك اخرى فوقها

في اطار التعاون بين دائرة الآثار العامة الاردنية وبين الحكومة التركية للعمل على اعادة ترميم القلعة.

من خلال هذا التباين بين برجي المدخل نستطيع القول بأنه ربما تعرض البرج الايمن الى عملية دمار ادت الى انهياره، في ضوء تهدم البرج رقم (١) في الزاوية الشمالية الغربية من القلعة، وتهدم السور الغربي ايضاً، وانه قد أعيد بناء البرج الايمن للمدخل فجاء مختلفا عن نظيره البرج الايسر للمدخل وان عملية اعادة البناء لم تكتمل لتشمل البرج رقم (١) في الزاوية الشمالية الغربية، والسور الغربي المشرف على البحر، مما يوحي بأن الهجوم الذي أسفر عن تهدمها كان من جهة البحر.

ويمكننا القول بأن عملية اعادة البناء قد تمت في عهد السلطان العثماني مراد الثالث في سنة ١٥٨٧م (٩٩٦هـ) وذلك من خلال وجود نقشين نُحتا ضمن دائرتين بارزتين داخل حجرين مربعين، أحدهما على البرج الايمن بعد المدماك العاشر ويتألف من اربعة أسطر ونصه :- (صورة رقم ١ ص ٤٠١).

(١) مراد بن سليم خـــان

(٢) لمولانا السلطان الملك الاشرف

(٣) عز نصره جدد هذه

(٤) القلعـــة

وفوق هذا النقش بستة مداميك توجد طلّاقة في هذا البرج طولها ٦٥سم وعرضها ٢٥ سم.

ويقابل هذا النقش على البرج الايسر وعلى نفس الارتفاع حجر مماثل للحجر السابق ثبت في هذا البرج يحمل نفس عبارات النقش السابق.

ومثل هذين النقشين وجد على حجارة مماثلة في قلعة نخل الواقعة على يمين وادي العريش في سيناء، مما يشير الى ان مراد ابن سليم خان اهتم ايضا بقلاع سيناء باعتبارها حلقة وصل مع مصر[1]. كما ان تصميم المدخل بحيث يكون بين برجين

---

(١) زكي ١٩٦٠ : ١٣٣.

ظاهرة وجدناها في قلاع عجلون والكرك والشوبك وكذلك في قلاع دمشق وحلب والمضيف وحارم في سوريا . (1)

أسوار وأبراج القلعة من الخارج :-

سبق وان تحدثنا عن السور الشمالي وبرجي المدخل ،اما فيما يتعلق بالسور الغربي فقد اشرنا ايضا الى انه مدمر ،طوله من البرج رقم (٢) ،وحتى السور الشمالي حوالي ٤٥م ،ومن خلال الجزء المتبقي منه في الزاوية الجنوبية الغربية بجانب البرج رقم (٢) يتضح انه كان من الحجر الكلسي المنحوت نحتا ناعما على غرار اسوار القلعة في الجهتين الشمالية والجنوبية (انظر الصورة رقم ١ ص٤٠٨) كذلك فقد اشرنا الى ان البرج رقم (١) لم يعد قائما اليوم اذ اندثرت معالمه وغطى الردم أرضيته وبتقديرنا انه كان مبنيا على نفس طراز البرج رقم (٢) السداسي الشكل .

البرج رقم (٢) :- (انظر الصور ١ و ٢ ص ٤٠٢)

بقي من هذا البرج الى اليوم ثمانية عشر مدماكا من الحجر الكلسي الاصفر متوسط ارتفاع المدماك ٣٠ سم ،ومتوسط حجم الحجر الواحد ٤٥ سم × ٣٠ سم اعلى ارتفاع لهذا البرج ٥,٤٠م ،شكله من الخارج سداسي يتألف من ستة أضلاع مختلفة الاطوال فأطوالها من اليمين الى اليسار كالتالي :٢٦١سم ، ٢٩٢سم ٣٢١سم ، ٣٤٥سم ، ٣٢٣سم ، ١٥٠ سم ،أي ان محيطه ١٥,٨٨م ،يوجد فيه اربع طلاّقات ، موزعة بين اضلاعه الاربعة ، باستثناء الضلعين الاول والسادس، موقعها فوق المدماك العاشر ، متوسط مساحة الطلاّقة الواحدة ٨٠ سم طولا × ٢٠ سم عرضا وذلك فإنها من الخارج أقل مساحة منها في الداخل فكما اسلفنا فإن مساحتها من الداخل ١٨٠ سم طولا × ٥٠ سم عرضا ، وذلك عائد الى أنها من الداخل بُنيت من الحجارة والطين والقش، حيث يسهل التحكم بمساحتها في حين من الخارج مبنية من الحجر المنحوت، كما تشاهد فوق الطلاّقات جذوع الاشجار التي استعملت في حمل قبة البرج من الداخل ، وقد ثبتت بعد تكسر جزء من حجارة المدماك المثبتة فيه ، ومثل هذا البرج السداسي وجد في قلعة العريش حيث كانت ابراج زواياها

الاربعة سداسية الشكل ، [1] كما وجد أيضاً في قلعة حلب. [2]

السور الجنوبي :-

يصل هذا السور بين البرجين الثاني والثالث،طوله حوالي ٥٠م،بقي منه اربع وعشرون مدماكا . لا تختلف حجارتها عن حجارة الأسوار الاخرى . إلا انها بُنيت فوق حجارة تم بناؤها بالطين والقش. بقي فيه من الاعلى اربع طلاّقات يليها بعد متر ونصف تقريباً عشرين طلاقة موزعة على امتداد السور،سبق وان اشرنا الى مساحتها ،وتحت هذه الطلاّقات بحوالي متر يوجد ثمانية طلاّقات مستطيلة ٢٥سم× ١٠ سم،وهذا التفاوت في توزيع الطلاّقات عائد الى ان المصاطب في داخل الجدار لا تسير على استقامة واحدة ،وبناءً على ذلك توزعت في المصاطب ثلاثة مزاريب من الحجر متفاوته الارتفاع بين بعضها البعض،وربما استعملت هذه المزاريب لتسرب ماء المطر او الفضلات ،واذا ما استعملت بهدف صب المحروقات على رؤوس من يقترب من السور فانها لا تؤدي وظيفتها بشكل جيد نظرا لارتفاع المسافة اذ تزيد عن خمسة امتار ولقلة الكمية التي يمكن ان تنسكب من مزراب لا يزيد عرضه عن ١٥ سم،والارجح انها كانت لتسريب مياه الامطار حيث لا تدل بقايا المباني من هذه الواجهة على وجود سقف فوق المصاطب،واذا ما اخذنا بعين الاعتبار قلة منسوب كميات الامطار المتساقطة في العقبة،فإن ذلك يعني ان ثلاثة مزاريب حجرية بهذا الحجم تكفي لتسريب الماء في فصل الشتاء،الا ان عدم وجود سقف فوق المصاطب يشكل نقطة ضعف عند حامية القلعة سواء في موسم الصيف حيث الحرارة المرتفعة او في موسم الشتاء حيث الامطار وان كانت قليلة.

اما في مستوى الطابق الأول من القلعة في الواجهة الجنوبية فقد استعملت الاخشاب في سقفها حيث ما تزال اجزاء كبيرة منها مثبتة في السور من الخارج وعلى مستوى واحد ،كما يمكن مشاهدتها من الداخل. اما عملية تكسير حجارة المدماك لتثبيت الاخشاب في جدار السور، فإن ذلك يدفعنا للقول أنها ربما تكون قد ثُبتت في فترة لاحقة،كانت فيها الغرف الداخلية مدمرة أو ربما لم تكن قائمة في الاصل

---

(١) الساطع ١٩٧٥ : ٥٨-٥٩.

كيفما اتفق من اجل تثبيت الاخشاب، ولو أن مصمم السور هو الذي وضع الاخشاب لكان من الاسهل عليه وضع مدماك كامل فوقها، لا ان ينحت المدماك ثم يمنيه ثم يعاود تكسيره، وهو ما عُمل في البرج رقم (٢)، كما رأينا حيث تم تكسير جزء من حجارة المدماك لتثبيت الاخشاب التي حملت القبة من الداخل في حين اكتفى بكسر حجرين فقط من حجارة البرج رقم (٣) لتثبيت قطعة الشخب التي اشرنا اليها، في الوقت الذي لا نجد فيه اي نوع من الاخشاب استعمل في بناء البرج رقم (٤)، أما اذا كان نفس مهندس البناء هو الذي قام بعملية التكسير لتثبيت الاخشاب لمجرد بناء السقف فإن ذلك ربما يدل على مرحلة متأخرة معماريًا او أن مهندس البناء عمل بشكل ارتجالي دونما تخطيط مسبق وهو ما نستبعده.

البرج رقم (٣) :— (انظر الصور ١و٢ص ٤٠٣)

برج دائري الشكل، محيطه ١٨٫٣٥م، بقي من هذا البرج حتى أعلى نقطة فيه ثلاث وثلاثون مدماكا، تشتمل على نوعين من الحجر. ففي المداميك الحادية والعشرون الاولى تم استعمال حجارة رمادية اللون ربما اقتطعت من ساحل البحر، وهي منحوته نحتا ناعما يتعاقب في المدماك الواحد منها حجر كبير متوسط مساحته ٥٠ سم طولا × ٣٢ سم ارتفاعا، مع حجر اصغر طوله ١٣ سم وارتفاعه ٣٢ سم، وبعد المدماك السابع عشر تم عمل أربع طلاقات فيه، وقد جرت في مرحلة متأخرة عطية توسيع للطلاقتين الجنوبية والشرقية، وفي هذه العملية تم استعمال نوع آخر من الحجر الكلسي الابيض وبعضها مائل الى اللون الأصفر، منحوته نحتا ناعما.

أما الطلاقات فبعد عملية التوسيع أصبحت اشبه ما تكون بالنوافذ عرض الواحدة ٦٦ سم وارتفاعها متر، اما التي لم تجري لها عملية توسيع فطولها ٦٥ سم وعرضها ١٠ سم تقريبا، ولم يجري أي تغيير على نوعية حجارتها الرمادية اللون، وربما كانت عملية التوسيع للطلاّقات في مرحلة متأخرة، تطورت فيها نوعية السلاح المستعمل من السهام والبنادق الى استعمال المكاحل (المدافع)، او ان القلعة مرت في مرحلة امن وسلام استوجبت توسيع الطلاقات في هذا البرج لتصبح نوافذ للنور واشعة الشمس. وهو امر ضعيف الاحتمال.

بعد المدماك الواحد والعشرون تم بناء مداميك أخرى من الحجر الكلسي الابيض بقي منها اثني عشر مدماكا ليست كاملة في استدارتها مع بناء البرج اذ سقطت بعض الحجارة من الجهة الشمالية الشرقية ، وسمك جدار هذا البرج ١٢٨ سم نحتت فيه من الجهة الجنوبية الشرقية وبعد ارتفاع اثني عشر مدماكا عن مستوى الارض نحتت صورة وردة داخل اطار دائري ، وحول هذا الاطار الدائري تم نحت اطار آخر على شكل خطوط هندسية (انظر الصورة رقم ٢ ص٤٠٤) ومساحة هذه اللوحة ٧٥ سم × ٦٥سم.

السور الشرقي :ـ

يربط هذا السور بين البرجين الثالث والرابع وطوله تقريبا حوالي خمسين مترًا ونصف المتر، وقد تم اخذ قياسه من سطحه الاعلى وسمكه يتراوح ما بين ١٢٠ـ١٤٠سم وقد بُني من الحجارة والتي لم نتمكن من بيان عدد مداميكها نظرا لوجود اكشاك الزينكو الملاصقة للسور وعلى طول واجهته والتي يقيم فيها اليوم عمال مصريون يعملون في المدينة.

البرج رقم(٤) :ـ

محيط هذا البرج ٢٠,٥م وسمك جداره ما بين ١٠٠ـ١١٠سم، وحجارة هذا البرج مطابقة الى حد كبير لحجارة الجزء الاسفل من البرج رقم(٣) ، حيث نجد بشكل عام حجر كبير ٥٠ سم × ٣٢سم يتعاقب في المدماك الواحد مع حجر اصغر ١٣ سم× ٣٢ سم، وهي من نفس نوعية الحجر المشار اليها في البرج رقم(٣) بقي منها حتى اليوم اربعة عشر مدماكا ، ترتفع عن الارض ٤,٥م، وربما تكون هنالك بعض المداميك تحت الردم المحيط بهذا البرج.

في الواجهة الشرقية من هذا البرج ، وبعد المدماك الخامس عن سطح الارض تم نحت لوحة فنيّة طولها ١,٥م وعرضها متر، تعتبر العنصر الزخرفي الرئيسي الموجود في القلعة حيث تم نحت شكل وردة من ثمانية عشر ورقة داخل اطار دائري مزخرف (انظر ص٤٠٥) ويحف به من الخارج اطار هندسي آخر، وفوق هذه اللوحة تم نحت شجرة نخيل وعلى جانبيها صورة أسدين (انظر الصورة رقم ١ ص٤٠٤) وحيث ان صورة الاسد كانت

رنكا للظاهر بيبرس، وقد شاهدناها على واجهة البرجين (ب) و (هـ برج الظاهر بيبرس) في مدينة الكرك وكذلك فهي موجودة في قلعة حلب وفي قلعة الحصن مع نصوص تاريخية تعيدها الى عهد الظاهر بيبرس[1] وبالتالي فربما كان بناء هذا البرج في عهد الظاهر بيبرس ايضا ، ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة للبرج رقم (٣) حيث توجد فيه لوحة مشابهة الا أنها لا تحمل صورة الاسد ،كما ان حجارته مشابهة لحجارة هذا البرج من حيث الحجم والنوع وطريقة البناء ، وهذا يدفعنا للقول بأن البناء في الاصل كان عبارة عن برجين فقط، ربما كان البرج رقم (٤) هو اول برج بُني في القلعة ومن ثم بني البرج الاخر رقم (٣) ، يعزز هذا الرأي ما اورده ابو الفداء عندما قال عنها " وهي على ساحل بحر القلزم وعليها طريق حجاج مصر، وهي في زماننا برج وبه وال من مصر، وليس بها مزدرع، وكان لها قليعة في البحر فأبطلت، ونقل الوالي الى البرج في الساحل". [2] ولعله قصد بقليعتها التي في البحر " قلعة جزيرة فرعون" التي تبعد عن العقبة حوالي ١٢ ميل بحري باتجاه جزيرة سيناء.

مدخل القلعة / القلعة من الداخل :ـ (انظر المخطط) ص ٢٠،٤٠

تدخل من القنطرة القائمة في المدخل فنجد أنفسنا في ممر طويل يبلغ طوله حتى نهايته ١٦م وعرضه يتفاوت ما بين ٥ـ٦م، وبه ثلاث قناطر اخرى على التوالي ، ويشتمل على ثلاث ردهات متتالية . وتتألف كل ردهة من اربعة عقود مدببة متقابلة وقد ارتكز عليها اربع مثلثات كروية، تحمل فوقها قبة حجرية ،نُحتت حجارتها بحيث تكون مجوفة للداخل .

الردهة الاولى :ـ

مساحتها ٧×٦م، وعلى يمين ويسار الداخل اليها ترتفع فيها مصطبتان الى ٤٠ سم تستخدم للجلوس، وفوق كل مصطبة ترتفع حُنية تلتقي مع قوس العقد ،بنيت من حجارة كبيرة منحوته نحتا ناعما ، وفي وسط كل حُنية تم نحت شريط كتابي يرتفع عن

---

(١) الساطع ١٩٧٥ : ٦١، ٨٩.
(٢) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٨٧.

الارض ١٤٠ سم، وعرض هذا الشريط ٦٥ سم ومع الاطار تصبح ٨٠سم. وطوله كاملا من اليمين واليسار ١٣٫٧ م، وهو ليس على استقامة واحدة بل ينحنى تبعا لوجود زوايا في بناء الردهة الداخلي وعرض الحجارة التي نحت عليها ٨٠ سم، يبدأ هذا النقش من مدخل البوابة على اليمين وينتهي خارجها على اليسار، وعملية تصغير البوابة التي تحدثنا عنها اخفت بعض كلمات هذا النقش ونصه على يمين المدخل :ـ

"... لعة المباركة السعيدة مولانا السلطان المالك الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغورى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل ......"

ويبدو ان عملية تصغير المدخل قد تمت بعد عام ١٩٠٦م، حيث أن شقير[1] زار القلعة في تلك السنة، وتمكن من قراءة النقش فذكر الكلمات التي يغطيها البناء الذي بُني فيما بعد على انها أمر بانشاء هذه القلعة"، وبعد كلمة قاتل قرأ "الكفرة الملحدين" الا انه لم يقرأ كلمة (المالك" ، وعن شقير نقل زكي نفس القراءة للنقش[2] اما هارولد جلايدن[3] فقد اورد بعد كلمة " قاتل" عبارة " الكفرة والمشركين" وذلك قياسا على نقوش اخرى تعود لنفس الفترة التي حكم فيها قانصوه الغوري، وعثر عليها منقوشة على ضريحه في القاهرة. وعلى يسار المدخل نكمل قراءة النقش على النحو التالي :ـ (صورة رقم ٣ ص ٤٠٤)

"محيي العدل في العالمين الواقف بمشيئة الله في العقبة السلطان المالك الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري اعز الله انصاره بمحمد وآله وكان بناء هذه القلعة المباركة ذات الأمير خاير بك العلاي المعماري الاجل أمير الطبلخانات ... بتاريخ ... عش ....".

---

(١) شقير ١٩١٤–١٩١٥ : ٢١١.

(٢) زكي ١٩٦٠ : ١٣٦.

(٣) Glidden 1952: 117.

ان نعوم شقير[١] لم يقرأ من هذا النقش غير عبارة " محـي العدل فـي العالمين " كما ان جلايد ن [٢] لم يتمكن من قراءة عبارات : " الـواقف بمشيئـة الله في العقبـة ، والأجل امـير الطبلخانات " . وبعد كلمة " بتاريخ " عاد البنـاء المستحدث للتغطية على الكتابة ، كما ان كلمة " بتاريخ عش " جاءت خارج المدخل مـن جهة اليسار ، وهذه يمكن ان تُكمّل فتصبح عشر أو عشرين ، اذ أن فترة حكم قانصـوه الغوري يمتد من ١٥٠٠–١٥١٦م (٩٠٦–٩٢٢هـ) فالاحتمال يبقى قائما في كـلا السنتين .

كما يستدل من هذا النقش ان الامير خايربك العلاي المعروف بالمعمـاري قد تسلم في عهد قانصوه وظيفة " امير الطبلخانات " وهو احد المقدمين الذين تخلفوا عن الركب السلطاني عندما توجه الى حلب في شهر ربيع الاخر سنة ١٥١٦م (٩٢٢هـ) حيث كان مقيما في ثغر رشيد لانشغاله بعمارة الابراج والسور هناك . [٣] ووجـود الشدة على حرف النون في كلمة " بنّاء " تؤكد على أن الامير خاير بـك هو الـذي قام بعملية البناء في القلعة .

وفوق هذا النقش وعلى يمين الداخل الى القلعة نُشاهد حجرين ضمن مدماك واحد ، وقد تم نحت دائرة وبشكل بارز وعلى وجه كل حجر ، وداخل كل دائرة يوجـد نقش : (صورة رقم ٣ ص ٤٠١)

<u>الاول</u> ويتألف من أربعة اسطر ونصـه : —

(١) لمولانـا السلطـان

(٢) مراد بن سليـم

(٣) خان جـدد هـذه

(٤) القلعة سنة ٩٦٦

---

(١) شقير ١٩١٤–١٩١٥ : ٢١١ .

(٢) Op. Cit., 117.

(٣) ابن اياس ج ٥ ، ١٩٦١ : ٣٩ .

الثاني : ويتألف من خمسة أسطر مرتبة على النحو التالي :

(١) لموانـا السلطـان

(٢) مـراد بن سليـم

(٣) عـز نصـره

(٤) جدد هـذه القلعـة

(٥) سنـة ٩٩٦هـ (١)

وبين هذين الحجرين يوجد نقشين آخرين كل واحد منهما مكون من اربعـة اسطر، ولكن الخط هنا اقل جمالا ووضوحا من الخط السابق، وقد امكن قراءة الكلمات التالية من النقش الاول عن اليمين :ـ

(١) ... بسم الله الرحمـن الرحيـم

(٢) السلطـان ... عز نصـره فـي ....

(٣) ... اللـه .....

(٤) العزيز .... العاشره باشـراف المعمـار محمود محمد خـان

والكلمات التالية من النقش الثاني عن اليسـار :ـ

(١) ..... الا اللـه.

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ايـده .... في محـرم.....

وعلى يسار الداخل الى القلعة نشاهد حجرا دائريا (فوق نقش قانصوه) نُحت عليـه العبارة التالية :ـ

(١) لمولا نـا السلطـان

(٢) الملـك

(٣) مراد بن سليـم خـان

(٤) عز نصره ٩٩٦

---

(١) انظر النص ايضا عند زكي ١٩٦٠ : ١٣٦.

ان هذه النقوش تدل دلالة واضحة على ان السلطان مراد بن سليم قـــام بترميم هذه القلعة سنة ٩٩٦هـ/١٦٠١م، وعهد بهذه المهمة الى المعماري محمود محمد خان .

الردهة الثانية :ـ

وهذه الردهة بارزة الى الأمام حوالي متر عن الردهتين الاولى والثالثـــة (انظر المخطط) من كل جهة، شكلها مربع، مساحتها ٥×٥م تقريبا ، والقبة التي كانت فوقها انهارت فعُمل لها سقف مستو من الاسمنت عام ١٩٦٥م . يوجد في هذه الردهـــة بابين :ـ

احدهما عن يمين الداخل عرضه ٩٥ سم وارتفاعه ١٩٠سم. عتبته على شكل قوس يوءدي الى موزع مساحته ٣×٢٫٨٠م ، سقفه محمول على قبة تحملها مثلثات كرويـــــة .

وفي الجهة الغربية من هذا الموزع تم الكشف عن نفق قامت دائرة الاثار العامة بتنظيفه بعمق ثلاثة أمتار ثم توقف العمل فيه ، وربما يوءدي هذا النفق الى باب سرّي كان قائما . عند شاطئ البحر. في الجدار الشمالي لهذه الغرفة يوجد بابـ سمك جداره ١٠٠ سم، وعرضه ٩٠ سم وارتفاعه ١٨٠ سم، يوءدي الى موزع آخـــــر طوله ٤م وعرضه ٢٫٢م وارتفاعه ٢٫٥٠م، وفي هذا الموزع عن يسار الداخل درج ، بقـي منه اثني عشرة درجة توءدي الى سطح الطابق الثاني من القلعة، وعرض هذا الـدرج ٧٥ سم يتجه غربا ثم ينحرف شمالا . كما ان هذا الموزع يوءدي الى داخل البرج القائم على يمين مدخل القلعة ومساحته من الداخل ٣٫٥٠م×٢٫١٠م شكله من الداخـــل شبه دائري ، يحتوي على طلّاقه باتجاه البحر مساحتها من الداخل ٤٠×٢٠سم بعمق ١٫٥م في الجدار (هي سمك جدار البرج) ، قوس الرمي لهذه الطلّاقة باتجاه البحر وطلّاقة اخرى مشابهة باتجاه الشمال ، سقف هذا البرج على شكل قبه ، ولو صعدنا الدرج المشار اليه الى الاعلى لوجدنا بابا تعلو عتبته ثلاث قطع خشبية يوءدي الى الطابق الثاني من هذا البرج حيث تتوزع فيه ثلاث طلّاقات متوسط مساحة الواحـــدة ٤٠×١٥ سم عرضا ومساحة هذا الطابق من البرج ٤٫٨٠م×٢٫٦٥م ويبدوا ان زيادة المساحة جاءت لغرض التقليل من سمك الجدران .

اما الباب الثاني القائم على يسار الداخل من هذه الردهة فمساحته ٥٩سم× ١٩٠سم، يؤدي ايضا الى موزع يوجد في صدره من الداخل باب يؤدي الى غرفة صغيرة ٢٢٠سم × ١٧٠سم، في وسطها جدار يقسمها الى قسمين تتسع كل منهما لشخص، مما دفع بالعامة الى القول بانها استعملت كسجن، ولكننا نعتقد بان الجزء الداخلي ما هو إلا درج يهبط الى مدخل سري للقلعة قياسا على الدرج القائم في الطرف الاخر من مدخل القلعة، وفي هذا الموزع باب على يسار الداخل يؤدي الى غرفة، وفي هذه الغرفة درج يصعد الى الطابق الثاني من القلعة، بقي منه عشر درجات، وهي مماثلة للدرج القائم في الجهة الغربية من هذه الردهة، والتي يؤدي اليها الباب الاول عن يمين المدخل ومما يلفت النظر هنا عدم وجود مدخل للبرج الايسر القائم على مدخل القلعة، وربما يكون المدخل موجودا ثم أُغلق في مرحلة متأخرة.

الردهة الثالثة: —

ومساحة هذه الردهة ٤م طول × ١٫٥٣م عرضا. وسمك جدار القنطرة في هذه الردهة مترين من الاسفل، ثم يبدأ بالتناقص كلما ارتفعت، حيث انها ترتفع لمستوى المدماك الرابع عشر، ثم بُني فوقها من الجهة الجنوبية ثلاثة مداميك اخرى، أجمل ما في هذه الردهة القبة الدائرية التي ما تزال قائمة فوقها والمبنية من ستة مداميك حجرية دائرية الشكل يجمعها حجر الغلق — ولا ندري فيما اذا كان حجرًا او قطعة خشبية — دائرى الشكل، تتدلى منه حلقة معدنية ربما استخدمت لتعليق المصابيح فيها بهدف الاضاءة ليلا، والقبة محمولة على مثلثات كروية.

بعد ان تعبر الردهات الثلاثة المبلطة بالحجارة الناعمة، ندخل الى الساحة الداخلية المكشوفة للقلعة، وهي ساحة مستطيلة الشكل، مساحتها ٤٠٫٢٠م شمال جنوب، و ٣٣٫٥٠م شرق غرب، تتوسطها شجرة كينا ترتفع حوالي ١٥م عمرها حوالي مائة سنة حسب قول المعمرون من اهل المدينة، وتقوم في واجهات الساحة الاربعة بعض معالم القلعة التي سنلقي الضوء عليها.

الواجهة الشمالية من الداخل: — (انظر المخطط والصورة ١ ص٤٩)

نقف بمواجهة البوابة الرئيسية من داخل القلعة، فنجد انها الجزء الوحيد الواضح المعالم حتى اليوم، حيث بقي فيها ثمانية عشر مدماكا من الحجر المنحوت

نحتا ناعما ، عرضها اقل من عرض بوابة القلعة الخارجية ففي الوقت الذي يبلغ فيه عـرض البوابة الخارجية ٤٠ر٤م فإن عرض البوابة الداخلية ٥٠ر٣م، والسبب راجع الى أن جدار البوابة الداخلية اكثر سُمكا من جدار القلعة الخارجية.

على يسار هذه البوابة في الجهة الغربية يوجد بقايا غرفتين مهدمتين بقيت بعض الاجزاء من سقوفها محمولة على عقدات مساحة الغرفة الواحدة ٤٠ر٤ × ٥٠ر٣م مبنيـه من الحجارة والطين. والى الغرب من هذه الغرف بقايا درج يصعد الى الطابـق الثاني من القلعة ، عرضه ١٢٠ سم ، ويزداد العرض كلما ارتفع الدرج حتى يصل الى متر ونصف، والطابق الثاني من القلعة في هذه الجهة مدمر بالكامل ، كما ان البرج رقم (١) في مخططنا الحالي لم يعد قائما اليوم.

على يمين البوابة توجد معالم الطابق الاول من القلعة ، ففي الزاوية الشماليـة الشرقية توجد قنطرة واسعة ، المسافة بين ظلعيها ٦٠ر٤م ، ترتفع فوق ساحـة مستطيلة الشكل مساحتها ٧٠ر٥ × ٢٠ر٣م ، في صدر هذه الساحة بابين : باب على اليسار عرضه ٨٠ سم وارتفاعه ١٨٠ سم يشتمل على درج يصعد الى الطابق الثانـي من القلعة ، طول الدرجة الواحدة ٨٠ سم ، وعرضها ٢٥ سم وارتفاع مرآتها ٢٠ سـم بقي منها ١٣ درجة ، منها ستة تبدأ باتجاه الغرب ثم تنعطف نحو الشمال وهنـا يوجد سبع درجات، أما الباب الثاني فيؤدي الى البـرج رقم (٤) .

البرج رقم (٤) من الداخل :-

يفتح باب مدخله الى الجنوب ، على شكل قوس ، وعرض هذا الباب ١م وارتفاعـه ٢م ، تعلوه طلاّقة صغيرة ٣٠سم × ١٥سم ، ويؤدي هذا الباب الى ممر داخلي طولـه عن اليمين ٢م وعن اليسار ٣م ، مبني من الحجر المنحوت نحتا ناعما يبدأ بستة مداميك ثم يفضي هذا الممر الى داخل البرج رقم (٤) فيصبح مجموع المداميك عشرة ، قطر هذا البرج ٣٠ر٤م ، ومحيطه من الداخل ١٢م ، ويمكن مشاهدة اربعة عقود مغلقة بالحجارة والطين ، وموزعة في جوانب ، كما تبدو معالم طلاّقة فوق كل عقد منها ، وقد اغلقـت ثلاثة وأُبقي على واحدة فقط في الجهة الشمالية الغربية من البرج ، وتحمل هـذه العقود فوقها قبة مدببة الشكل ، مرصّعة بحجارة ناعمة من حجارة البحر. وارضية هـذا البرج مغطاة بالتراب.

الغـــرف : ـ

بعد هذا البرج باتجاه البوابة الرئيسية من الداخل توجد خمسة ابــــواب لخمسة غرف (انظر الصورة > ص٤٦) واجهة هذه الغرف من الحجر، وقد بقي منهـــــا تسعة مداميك، ترتفع ثلاثة أمتار، يعلو ابواب الغرف أ، ب، جـ، طلاّقات طولية ٣٠سم× ١٥ سم، ولعل الهدف منها تهوية الغرف والمسافة بين ابواب الغرف من ١ـ٥ ليست واحدة بل موزعة على النحو التالي : ٢٫٨٠م، ٣٫٢٠م، ٣م، ٢٫٥م، و ٢٫٧٥م.

تشترك هذه الابواب جميعا بوجود درجة في مدخلها ارتفاعها ٢٠ سم، وترتكز القبة العليا لكل باب من الداخل على اربعة جذوع عرضية من شجر النخيل، اما ارتفاع سقوف الغرف فهو ٤م.

عرض باب الغرفة (أ) ١٠٠سم، وارتفاعه ١٨٠ سم، وصاحة هذه الغرفـــــة ٢٫٦٠م× ٣٫٢٢م، سقفها اسطواني الشكل مرصّع بالحجارة والطين، ونفس الشـــي يمكن ان يقال عن الغرفة (ب). أما باب الغرفة (جـ) فعرضه ٩٠ سم وارتفاعـــــه ١٩٠ سم، وتصميمها من الداخل كالغرفتين السابقتين. اما الغرفة (د) فعــرض مدخلها ١٠٠ سم وارتفاعه ١٨٠ سم. ويوجد بها من الداخل سُلّم من الدرج يؤدي الى الطابق الثاني من القلعة، بقي منه اربعة عشر درجة، طول الواحدة ٨٠ سم وعرض دعستها ٢٥ سم، وارتفاعها ٢٥ سم. واما الغرفة (هـ) والاخيرة فعرض بابها متــر وارتفاعه متر ونصف، ومساحتها ٣×٤م، وقد سقفت بخشب النخيل والحجارة المثبتـــه بالطين. وتعلو واجهة ابواب هذه الغرف بعض المداميك المرممة من الطابق الثاني ولا يظهر خلفها أية معالم واضحة للطابق الثاني باستثناء وجود بقايا خمس طلاّقــات مرممة في السور الخارجي .

الواجهة الشرقية /من الداخل : ـ (انظر الصورة ص٤٧ والمخطط) ص ٤٠

في منتصف هذه الواجهة يوجد باب عرضه متر ونصف يتخلله سلم من الـــدرج يصعد الى الطابق الثاني من القلعة، بقي منه حتى اليوم ست درجات من الحجــر ارتفاع الواحدة عن الأخرى ٢٠ سم، وطولها مماثل لعرض المدخل، وعرضها ٢٥ سم.

وعن يمين هذا الباب يمتد جدار مرمم حتى الواجهة الجنوبية من القلعة ، ويوجد في هذا الجدار ثلاثة ابواب : —

الباب الاول على اليمين : —

عرضه متر وارتفاعه ٢١٠سم ، يؤدي الى الغرفة (ى) طولها ٥ ر٢م وعرضها ١ر٥م ، وسُمك جدارنها نحو متر مبنية من الطين والحجارة ، وعلى يمين هذه الغرف يوجد درج عرضه ١٢٠ سم بقي منه ١٢ درجة ، يصعد باتجاه الجنوب نحو الطابق الثاني من القلعة والبرج رقم (٣) ، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الغرفة يوجد باب يؤدي الى داخل البرج رقم (٣) من خلال ممر يعلوه سقف برميلي مبني من حجارة مشذبة ، وهذا الممر لا يسير على استقامة واحدة بل ينعطف من الجنوب للشرق داخل البرج .

البرج رقم (٣) من الداخل : —

قطر هذا البرج اربعة أمتار ، شكله دائري ، ثم بناؤه من الحجر لا رتفاع اربعةأمتار تقريبا ، ثم ثبتت فيه قطعة خشبية كانت تصل بين جزئيه الشمالي والجنوبي — وهي اليوم مكسورة من الوسط ، وفوق الحجارة تم اكمال المبنى بالطوب المشوي ، حيث عملت القبة الدائرية منه ، وبناء القبة باللبن المشوي دفع بالعامّة الى القول انها ربما كانت فرناً كما ان وجود الخشبة تحتها دفع قسما آخر من عامة الناس للقول بأنها ربما كانت مشنقة والحقيقة ان استعمال الطوب المشوي كان طريقة سهلة لصنع القبة ، ويبدو ان الطوب قد دخل في بناء الجدران اذ نجد في بعضها قطعا منه كما نجد حول القلعة قطع اخرى مماثلة .

الباب الثاني : —

عرضه متر وارتفاعه ٢٢٠سم ، واجهته مبنية من الحجارة يؤدي الى الغرفة (ك) مساحتها ٣٫٦٥×٣٫٠٠م ، ولها شباك في جدارها الغربي عرضه متر وارتفاعه ١٫٨٠م وفي جدارها الشمالي باب آخر داخلي يؤدي الى غرفة مماثلة لها من حيث المساحة ووجود شبّاك في الواجهة الغربية وهي الغرفة (ل) وعرض الباب الداخلي المؤدي اليها ٨٦سم ، وارتفاعه ١٨٥سم ، وسُمك الجدار القائم فيه ٨٠ سم ، وسقف الغرفتين من الاسمنت

المسلح ، وتستعملان اليوم لخدمات دائرة الآثار العامــة .

الباب الثالــث :ــ

وهو مطابق في مساحته للبابين السابقين ، وواجهته الخارجية مرممة مبنيـــة من الاسمنت، وقد تم تكميل هذه الواجهة الاسمنتية لتكون مماثلة للواجهة الغربيـــة للغرفتين (ك)و (ل) ،كما ان هذه الغرفة مماثلة للغرفة (ك) في مساحتها ، ولهـــا شبّاك مماثل في جدارها الغربي (م) .

وعند يسار الدرج القائم في منتصف الواجهة الشرقية من الداخل توجد بقايـا لأربعة غرف يستدل عليها من خلال الجدار الشرقي الذي ما يزال قائما ويشكل جزءاً من السور الشرقي للقلعة ،كذلك من خلال بقايا الجدران التي كانت تفصل بين تلك الغرف. مساحة الغرف الاربعة عن يسار الدرج متساوية تقريبا اذ تبلغ مساحة كل غرفة ٢٠ر٤م× ٥٠ر٥م ، يليها في الجهة الشمالية بقايا مماثلة لغرفة خامسة أصغر حجما اذ تبلغ ٢٠ر٢م× ٥٠ر٥م ، وسُمك الجدار الفاصل بين كل غرفة واخرى حوالي ٩٠سم ، وصدر كـل غرفة من الداخل على شكل عقد مغلق في جدار السور من الجهة الشرقية .

الواجهة الجنوبية من الداخل :ــ

الجزء الجنوبي الغربي من هذه الواجهة بالقرب من البرج رقم(٢) مدمـــر غير واضح المعالم ، تبدو فيه آثار غرفتين صغيرتين ، ودورة مياه حديثة البناء يليهمـــا بئر ماء ، شكلة دائرى قطره ٤٠ر٢م ، وعمقه حوالي عشرة امتار ، مطوي من الداخل بالحجارة المنحوتة نحتا ناعما . ما يزال ماءه العذب يستغل حتى اليوم بعد ان تم تركيب ماتور ماء عليه ،اذ يجري سحب الماء منه وتخزينه في خزان ملاصق له عُمل حديثا ، وجنوب هـــذا البئر توجد بقايا فرن لعمل الخبز ، وهو مبني من الطوب المشوي ، فوهته فقط واضحة قطرها حوالي متر في حين ارضيته مليئة بالردم وبعد الفرن باتجاه الشرق نصعد من خـــلال سبع درجات مبنية حديثا الى غرفتين متجاورتين الاولى على اليمين ومساحتها ٣٠ر٥م× ١٠ر٤م ، تستعمل اليوم كغرفة نوم للقائم على شؤون المسجد وهي الغرفة(ح) جدارها الشمالي من الاسمنت، وعرض باب مدخلها متر وارتفاعه ١٩٠سم ولها شبّاك الى الغرب من الباب وهو مربع الشكل طول ظلعه ١٠٠سم ، والى الشرق منها المسجد .

المسجد :ـ

بابه وشبّاكيه مماثلة لباب وشبّاك الغرفة (ح) الواقعة الى الغرب منه ، كما ان ارضيتهما مرتفعة عن مستوى الارض حوالي متر ونصف على عكس باقي غرف هذه الواجهة وربما كان السبب في ذلك لمنع تسرب الماء اليهما في أيام الشتاء ، ومساحة هذا المسجد ٧م × ٣٠ر٥م ، وسقفه من الاسمنت المسلح ، كما أن جدرانه مقصورة بالاسمنت ، أما المحراب فهو أصلا من ضمن جدار القبلة ، عمقه ٥٦سم ، وارتفاعه ٢٧٠سم .

وبعد المسجد الى الشرق يوجد واجهة من الجدار الاصلي حيث بقي منها اثني عشر مدماكا من الحجر الكلسي الاصفر المنحوت نحتا ناعما متوسط مساحة الحجر الواحد ٣٥ × ٥٢سم يعلو هذه المداميك بقايا الدبش والطين التي كانت توضع خلف الحجيز للمساهمة في تثبته ، وفي هذه الواجهة بابين متماثلين من حيث الشكل والمساحة ، عرض الواحد متر وارتفاعه ٢٠ر٢م ، وفي مدخل كل منهما درجة بارتفاع ٢٠ سم عن الارض ، وعلى يسار كل باب يوجد شبّاكين مساحة الواحد متر × ٨٠ ١سم . وكل باب يؤدي الى غرفة ، ومساحة كل غرفة ٥م × ٥م تقريبا ، وفي الجدار الشرقي من كل غرفة ، وعند ملتقى الجدار مع الواجهة الجنوبية يوجد باب داخلي يؤدي الى غرفة اخرى مماثلة تشبه غرف الواجهة الشرقية ، إلا أن سقوف هذه الغرف سقطت ولم تُرمم .

يعلو غرف هذه الواجهة مصطبتان ، عرض الواحدة يتراوح مابين ١-٢م ، يُصعد اليهما بواسطة الدرج القائم على مدخل البرج رقم (٣) ، ولا بد ان يكون هنالك درج مماثل لمعند مدخل البرج رقم (٢) وإن اندثرت معالمه اليوم ، وارتفاع واجهة الجدار الجنوبي المبني فوق المصطبة حوالي ثلاثة أمتار . بُني من الحجارة والطين والقش ، وعُمل فيه طلاّقات اذ بقي في جدار المصطبة العليا اربع طلاّقات اما في جدار المصطبة السفلى فبقي عشرين طلاّقة متوسط مساحة الطلاّقة الواحدة ٨٠ سم طولا × ٢٠ سم عرضا ، وليس في بنائها أي شكل من اشكال الفن والزخرفة ، كما انه لا يوجد شبه بينها وبين الطلاّقات القائمة في البرج رقم (٣) وكذلك فإنها تختلف عن الطلاّقات القائمة في قلاع الشوبك والكرك وعجلون ، ففي الوقت الذي كانت فيه الطلاّقات هنا في القلاع الاخرى والبرج رقم (٣) ضيقة من الخارج متسعة من الداخل ومبنية من الحجر المنحوت ، فإن هذه

الطلاقات متساوية الاتساع من الداخل والخارج ، منها ما يصلح للرماية بحيث يكون الرامي بوضع الواقف بسبب ارتفاعها عن مستوى المصطبة ، وهذا ينطبق على الطلاّقات الموجودة فوق المصطبة العليا . اما الطلاّقات الموجودة فوق مستوى المصطبة السفلى فإنهـــا تصلح للرماية من وضع المستلقي على بطنه او من كان بوضع القرفصاء ، ونعتقد يرنا أن هذه الطلاّقات وهذه المصاطب صُممت في فترة كان السلاح المستعمل فيها " البنادق ".

صُفت الطلاّقات بصف مستقيم ، واصبحت السيطرة على الارض من خلال وضع الرمي ، فالطلاّقات العليا تعطي الرامي مجال رمي أبعد ، وتعطيه خط دفاع اوسع ، ومن ينفذ من هذا الخط يقع تحت نيران الرابـض في الطلاّقات السفلى ، ومن يقدر له النفاذ الى أسوار القلعـــة يكون تحت نيران الرابضين في الابراج (٢) ، (٣) حيث أن في كل برج منهما طلاّقـة تُشرف على ارضية السور في الجهة الجنوبية ، غير ان هذه الطلاّقات لا توفر الراحـــة النفسية المطلوبة لحامية القلعة بحكم تصميمها ، وقلة مساحتها من الداخل ، وقلة مساحـة الابراج الثالث والرابع من الداخل ، وبالتالي فإنها ليست معرض مقارنة مع طلاّقات الكرك او الشوبك او عجلون والتي تتمتع بحصانة اكبر ، وسعة مراقبة واشراق وسيطرة اكثر مـن طلاّقات قلعة العقبة وذلك بحكم موقعها على قمم مرتفعة في حين جاء موقع قلعة العقبة في منطقة ساحلية منبسطـة .

<u>الواجهة الغربية من الداخل :ـ</u>

مع ان هذه الواجهة اكثر اجزاء القلعة دمارًا الا اننا نلاحظ من خلال ما تبقـى فيها من جدران بأنها كانت تتألف من سورين متعاقبين داخلي وخارجي ، وان توزيع الغرف والدرج في الواجهة الامامية كان مطابقا لنفس التوزيع في الواجهة الشرقية ، وفـي صدر هذه الغرف كان هنالك ابواب وبوابات تؤدي الى الغرف القائمة خلفها لم يبق منها اليوم غير قناطرها المغلقة . وبعض الاجزاء المدمـرة من جدرانها الغربية والتي تعتبر جزءًا من السور الغربي ، ومن خلال الاجزاء المتبقيـة من جدران هذه الواجهة يتضح أنها بُنيت من الحجارة والطين والقش وان بعـــض القناطر كانت مبنية من حجارة منحوته نحتا ناعما وكذلك الحال بالنسبة لما تبقـى من حجارة السور الخارجي لهذه الواجهة . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان البرج رقم

(١) في القلعة لم يعد قائما اليوم، كما اننا لم نتمكن من التعرف على معالمه الاصلية نتيجة لتراكم الاتربة في موضعه الاصلي، وبتقديرنا انه كان على غرار البرج السداسي رقم (٢).

البرج السداسي رقم (٢) من الداخل :-

مدخل هذا البرج من الجهة الشمالية، بمحاذاة السور الغربي للقلعة من الداخل، عرضه ١٢٠ سم وارتفاعه مترين، واجهته الامامية مبنية من الطوب الاحمر المشوى، يؤدي الى ممر طوله مترين تقريبا مبني من الحجارة المنحوته نحتا ناعما ويفضي الى داخل البرج، تصميم البرج من الداخل دائري قطره ٤م، في حين من الخارج سداسي الشكل كما اسلفنا، وهو من الداخل مبني من الحجارة والطين والقش حتى ارتفاع ٢ر٦م ويتوزع فيه اربع طلاّقات تُغطي في مجال السيطرة والاشراف الجهات الشرقية والغربية، والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية، متوسط مساحة الطلاقة الواحدة من الداخل ١١٠سم ارتفاعا × ٥٠سم عرضا.

بعد ارتفاع المبنى من الداخل لمسافة ٢ر٦م تم وضع اطار خشبي من شجر النخيل على دائر البرج، وفوق هذا الاطار الذي يرتفع حوالي ٤٠سم تم بناء القبة من سبعة مداميك حجرية وبشكل دائري مجوف يتداخل، ثم وضع حجر الغلق، والحجارة منحوته نحتا ناعما، ويبدو أن مهندس البناء قد استعان بشجر النخيل الذي يظهر بارزاً عن جسم البرج من اجل تصميم القبة. فكان قاعدة ارتكزت عليها القبة. واستمرار بناء القبة على وضعه الحالي دون تصدعات ربما يدل على معرفة مصمم البناء بمتانة شجرة النخيل، كذلك فإنها تشير الى استفادته من عناصر البيئة المحلية في العمارة، حيث ما تزال اشجار النخيل تشكل واحه حول القلعة، كما تنتشر حولها آبار المياه العذبة، مما يشجع على اتخاذها كمنتجع سياحي.

قلعـــة السلـــــــط

مقدمـــــة :

تقع السلط شمال غرب عمّان ، وتبعد عنها ٣٠ كم ، وعلى احدى قمم جبال البلقاء التي تشرف على وادي الاردن واريحا غربا ـ أقيمت القلعة ، وعرفت قمة هذا الجبـــــل باسم " رأس الأمير " (١) ويرتفع عن سطح البحر نحو ٨٤٠م ، يحف به واديان :ـ وادي الحلبية من الجهة الشمالية الشرقية ، ووادي الاكــراد من الجهة الجنوبية الغربيـــة .(٢) ويلتقي كلا الواديين معًا في الجهة الجنوبية الشرقية من هذا الجبـل ، مشكلة مع قمتـــه انحدارات سحيقة يصعب تسلقها لولا استعمال الآلات الحديثة في شق الطرق . واما من الجهة الغربية فقد تم عُزل قمة هذا الجبل عن سلسلة جبال البلقاء بواسطـــــة خندق تم قطعه في الصخر ، وبذلك فإن اختيار موقع القلعة لم يخرج عن الاطار العـام لمواقع قلاع عجلون والكرك والشوبك وقلاع حلب وصلاح الدين في سوريه ، والتي ما يزال حولها بعض الارصفة في الاجزاء التي يمكن تسلقها مما يدفعنا الى القول بأنه ربمـــا كان هناك رصيفا في الاجزاء التي يمكن من خلالها الوصول الى موقع القلعة في السلط وان الرصيف أزيل نتيجة لبناء المنازل الحديثة حول الموقع .

حملت القلعة قديما اسم المدينة " الصلت " بألف ولام لا زمتين في اوله ، وفتـــــح الصاد المهملة المشددة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة ، كما أضيف الاسم الى الجبـــل " جبل الصلت " (٣) وفي الوقت الذي اشارت فيه بعض المراجع (٤) الى أن التسمية العربية " الصلت او السلط " محرّفة عن الاسم اللاتيني " سالتوس " Saltus والتي تعنـــــي الغابة نظرا لوجود الاشجار الكثيفة التي تُحيط بالموقع ، فإن هنري فيلد (٥) قد ذكر نقـلا

---

(١) ابن شداد ١٩٦٢ : ٨٤ .

(٢) سمي وادي الاكراد لان الفرقة الكردية في جيش مصر بقيادة ابراهيم باشا اتخذته سنة ١٨٤٠ معسكرا لها . اما وادي الحلبية فقد سُمي كذلك لأن الركب الحلبي كان ينزل به (انظر بك ١٩٤٣ : ١٨٠) .

(٣) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ١٠٦،٨٦ .

(٤) العابدي ١٩٧٤ : ٨١ ؛ غوانمه ١٩٧٩ : ٩٠ ؛ مخلوف ١٩٨٣ : ٨٥ ؛ خليفات ١٩٨٤ : ٢٣٤–٢٣٥ ؛ وانظر ايضا :ـ
Duncan 1928: 35; Hoade 1966: 89.

(٥) Field 1960:73

عن د وسو Dussaud ان هذه التسمية عربية قديمة وجدت في النقوش الصفوية ، وانها مشتقة من تسلّط والسلطة "Salton" . ولعل هذه التسمية للمكان قد جاءت بحكم سيطرته على المنطقة المحيطة به والتي عرفت باسم" البلقاء" ، ولا ندري مدى صحة الرواية التي ذكرها القلقشندي (١) نقلا عن الروض المعطار ، في انها " سميت بالبلقاء بسن سورية من بني عمّان بن لوط ، وهو الذي بناها" . ويذكر الدباغ(٢) بأن كلمة" السلط" مشتقة على الارجح من كلمة" سلطا" السريانية والتي تعني الصخر والحجر القاسي" .

وبتقديرنا انها الى الاشتقاق العربي الذي اشرنا اليه أقرب واشمل تعريفا ودلالة ، فالمنطقة ذات طبيعة جبلية ، وتتمتع بارض خصبة توفر لها المحاصيل اللازمة ، وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية فقد ذكر ابو الغداء (٣) بأنها " ذات بساتين كثيرة وينبع من تحت قلعتها عين كبيرة" واشار الى ذلك ايضا القلقشندي (٤) ، وبالتالي فإنها توفر المنعة والسيطرة لمن يعتصم فيها .

ومن هنا كانت محاولة اهلها في العصيان على الدولة الايوبية في عهد المعظم عيسى ١١٩٥م (٥٩٢هـ) فتعرضوا الى جوار له عبرت المنطقة ، واخذوا منهن جماعة عندئذ قام ببناء حصنه " برأس الأمير" بعد ان قام بتقطيع الاشجار التي كانت تملأ الموقع ، وببنائه دخلوا في الطاعة. (٥)

وتُجمع المصادر العربية التي اوردت هذه الرواية على ان قلعة السلط محدثة البناء ، بُنيت على هذا النحو الذي اشرنا اليه ، ولما كانت هذه المصادر هي ذاتها التي اجمعت على ان قلعة عجلون محدثة البناء وهو ما رأيناه متفقا مع البناء القائم هناك من خلال العناصر المعمارية والنقوش التاريخية التي أشرنا اليها ، ولما كان هنالك تماثل بين القلعتين من حيث اسباب البناء اذ ان كلتاهما أقيمت نتيجة لحالة من التمرد والعصيان ، ومن حيث الموقع ومدى الاشراف ايضا فهما متشابهان وكلاهما يطل على غور الاردن ، ويشكلان بينهما اسنادا متبادلا في المراقبة والسيطرة . أما من حيث التصميم فبالرغم من اندثار معظم معالم قلعة السلط الا أن وجود الخندق الذي

---

(١) القلقشندي ج٤ ١٩١٤ : ١٠٦ .
(٢) الدباغ ج٢ ١٩٧٠ : ٥٩٩ .
(٣) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٢٤٤—٢٤٥ .
(٤) القلقشندي ج٤ ١٩١٤ : ١٠٦ .
(٥) المرجع السابق : ١٠٦،٨٦ ؛ ابو الفداء ١٨٥٠ : ٢٨٨ ؛ ابن شداد ١٩٦٢ : ٨٣ .

قطع بنفس الطريقة التي هو عليها في عجلون ووجود الحجر المنحوت بنظام الطبزة المزمول ومن النوع الكبير الحجم في الاجزاء السفلى منها ، ووجود الحجر المسمسم والمثلم ايضا ، والذي نشاهده في واجهات بعض المنازل المحيطة بقلعة السلط وفي بعض القبور المجاورة لها ، والتي اخذت حجارتها من سور وابراج القلعة. كل ذلك يدفعنا الى القول بأن قلعة السلط ربما كانت في مخططها ايضًا على نمط مخطط قلعة عجلون فضلا عن انها قلعة " محدثة البناء" حقا .

وكما ان " جونز" راحت تتلمس في قلعة عجلون وجود أي اثر من شأنه اعادة القلعة الى الرومان او الصليبيين ولم تفلح ، فإن " دنكان Duncan " (١) الذي زار السلط سنة ١٩٢٨ وكتب عن قلعتها ، أشار الى مشاهدته بقايا برجين وربما ثلاثة من ابراجها وانه في الزاوية الجنوبية الشرقية لواحد منها شاهد خمسة مداميك حجرية ، صنّف واحد منها على انه من عهد هيرودس Herodian ، والمداميك الاربعة الاخرى نسبها الى الصليبيين ، واضاف انه في اقصى الجهة الشرقية من القلعة توجد بقايا جدار يرتفع عشرين قدما معظم حجارته من عهد هيرودس وبعضها الاخر صليبي وقليل منها حديث البناء من العهد التركي ، كما تحدث بهذه الطريقة عن الخندق وعن النفق الذي كان يربط القلعة بنبع الماء ، واستبعد وجود (أي اثر للكنعانيين في بناء القلعة او حفر الخندق والنفق وكل ذلك دون ان يعطي دليلا أثريًا او تاريخيا واحدا يدعم به صحة ادعائه غير تعصبه وبعده عن الروح العلمية ، كما تجاهل أي ذكر للأيوبيين او المماليك .

اننا لم نجد اي مصدر يشير الى بناء الصليبيين لقلعة في السلط ، او حتى سيطرتهم عليها ، في حين اشارت المصادر التاريخية ـ كما اسلفنا في حديثنا عن الشوبك ـ بأن طريق الغور عبر السلط ، كانت البديل الذي سلكه صلاح الدين لعدة مرات اثناء تردده مابين الشام ومصر ، كما كانت طريقه في شن غاراته على فلسطين وتحريره عدد من اسرى المسلمين في نابلس وجنين . (٢) وبذلك فإننا نستبعد ما أشار اليه " دنكان"

---

(١) Duncan 1928: 28-36, 98-100

(٢) ابن شداد ١٩٠٣ : ٢٣١-٢٣٢ ؛ ابن واصل ج ١ ١٩٥٣ : ١٤١ ؛ ابو شامه ج ٢ ١٩٦٢ : ٤٢٣-٤٢٤ ؛ ابن الاثير ج ١١ ١٩٦٦ : ٥٠٧ ؛ المقريزي ج ٣ ١٩٧٣ : ٢٧٩ . وانظر ايضا :ـ
Tyre 1943: 1124-1125; Gonder 1897: 143

وبنفس الوقت نستبعد ما أشار اليه العابدي[1] من قيام بلدوين سنة ١١٠٧م(٤٩٩هـ) بهدم قلعة شرق بحيرة لوط (البحر الميت) دون ذكر للمرجع الذي أخذ عنه هذه الرواية اعتبرها العابدي قلعة السلط في الوقت الذي تكثر فيه الخرائب الاثرية في المنطقة الواقعة شرق البحر الميت، واذا ما صحت الرواية التي اشار اليها العابدي من قيام بلدوين بهدم قلعة شرق البحر الميت فالأرجح ان تكون هذه القلعة في منطقة ماعين باعتبارها الطريق الذي سلكته جميع النجدات الصليبية التي كانت تتوجه من بيت المقدس لنجدة الكرك اثناء عمليات حصارها على يد صلاح الدين كما اسلفنا ذلك في المقدمة التاريخية.

اما ادعاء "دنكان" بأن قلعة السلط من عهد هيرودس فإنه لا يستند ايضا الى أي دليل اثري، او تاريخي، فالمكان الذي اقيمت عليه القلعة في عهد المعظم عيسى كان غابة كثيفة من الاشجار كما اشار الى ذلك ابن شداد[2] ولو كان عليه بقايا قلعة لكان من باب أولى اعادة ترميمها مع تعاقب الأمم التي توالت على البلاد والتي كانت تعيش حالات من الصراع السياسي والعسكري مما يستوجب معها اعادة البناء اذا ما كان قائما في مواقع استراتيجية وهو ما رأيناه بالنسبة للكرك والشوبك.

ولعل تعاقب الامم، والصراع الذي كان قائما بين ربة عمون واليهود هو الذي جعل خليفات[3] يعيد القلعة الى ايام العمونين، مستندا الى وجود "ممر سري تحت الارض يربط القلعة بعين الماء، معتبرًا ذلك ميزة للقلاع العمونية وأنه وجد أيضا في قلعة عمّان" علمًا بأن التوراة لا تشير الى أي دور للسلط في ذلك الصراع. كما ان مثل هذه الممرات الموصلة الى الماء وجد في قلعة الشوبك التي لم تصل اليها حدود الدولة العمونية، كما ان خليفات تأثر على مايبدو برواية العابدي التي اشرنا اليها، وراح ينفي ايضا رواية ابن شداد معتبرها "سببا غير مقنع لقيام المعظم عيسى لبناء القلعة باعتباره كان رجل حكمه وعلم، فلا يعقل ان يقوم بالثأر لبضعة جواري". إن الاشارة الى ان القلعة "محدثة البناء" ذكرها ابن شداد وابو الفداء والقلقشندي كما اسلفنا، ولا ندري اي سبب اكثر اقناعا لاقامة القلاع وتحريك الجيوش من حركات التمرد والعصيان

(١) العابدي ١٩٧٣: ٢٣٢؛ ١٩٧٤: ٨١.
(٢) ابن شداد ١٩٦٢: ٨٤.
(٣) خليفات ١٩٨٤: ٢٣٩.

والا لما اقيمت قلعة عجلون اثر محاولة تمرد بنو عوف، وقلعة صلاح الدين في سيناء عندما حاول البدو الخروج على السلطان ومسالأة الصليبيين، واما الاعتداء على اعراض المسلمين فقد كان في يوم من الايام سببا "لفتح عمورية" في عهد الخليفة العباسي المعتصم.

وتاريخ السلط لا يتجزأ عن تاريخ شرقي الأردن، ويعتبر العهدان الأيوبي والمملوكي من أزهى العهود التي عاشتها، حيث كانت تشكل "العمل السابع من الصفقة القبلية التابعة الى دمشق" (١)، وتم خلال عهد المعظم عيسى بناء القلعة، وعايشت بذلك مرحلة الصراع على السلطة بعد وفاة المعظم عيسى، فكانت تتبع تارة الى الكرك واخرى الى مصر ومرة ثالثة الى دمشق، الى ان تعرضت كسائر بلاد الشام للغزو المغولي فاستسلمت لهم (٢)، لكنهم ما لبثوا ان ارتدوا عن البلاد بعد انكسارهم في معركة عين جالوت، ودخلت السلط تحت حكم المماليك الذين اولو شرق الاردن اهتمامهم، فقد حظيت برعاية الظاهر بيبرس اذ قام بتجديد منشآتها وجعلها مستودعا للسلاح والمؤن، وفي عهد الملك المنصور قلاوون اصبحت السلط سنة ١٢٧٩م (٦٧٨هـ) نيابة مستقلة عن دمشق، واطلق عليها "نيابة السلطنة الشريفة بالصلت والبقاء". (٣)

وفي العهد العثماني كانت حامية قلعة السلط سنة ١٥٦٣م (٩٧١هـ) تتكون من ثلاثة واربعين جنديا، كما خضعت القلعة لنفوذ فخر الدين المعني فأرسل اليها سنة ١٦٢٣م (١٠٣٣هـ) بعضا من جنوده لكنهم تركوها بسبب نفاذ المؤونه. (٤) وفي سنة ١٧٦٠م (١١٧٤هـ) استولى عليها حاكم عكا "ظاهر العمر". واشار بيركهارت (٥) الذي زار القلعة سنة ١٨١٢م بان ظاهر العمر قد قام باعادة بناء معظم اجزاء القلعة، غير ان القلعة تعرضت لعمليات الهدم والدمار في منتصف القرن التاسع عشر على يد ابراهيم باشا، اثناء محاولته القضاء على ثورة زعيم نابلس "قاسم الاحمد" والذي كان قد التجأ الى قلعة السلط، فأصبحت القلعة اطلالا وسنحاول في هذه الدراسة التعرف على ما تبقى منها. (٦)

---

(١) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ١٠٦.
(٢) ابن شداد ١٩٦٢ : ٨٤.
(٣) المقريزي ج ١ ١٩٣٤ : ٤٤٦، ٦٦٥ ؛ ابن الفرات ج ٧ ١٩٣٩ : ١٥٤.
(٤) الحمود ١٩٨١ : ٥٤، ٧٤.
(٥) بيركهارت ١٩٦٩ : ٧٨.
(٦) بيل ٤ ١٩٣٤ : ١٦٩ ؛ العابدي ١٩٧٣ : ٢٣٤.

الخنـدق :ـ

يعتبر الخندق من ابرز المعالم المتبقية من القلعة، وهو اوضح ما يكون في الجهتين الشمالية والغربية منها ، ويعتقد يرنا انه كان يحيط بالقلعة من الجهة الجنوبية الغربيـة ايضا ، نتيجة لوجود قطع في قمة الجبل الذي كانت قد اقيمت عليه القلعة يصل الى ارتفاع عشرة امتار، وقد تم فتح طريق معبد يؤدي الى قمة الجبل بمحاذاة هذا القطع، ويتراوح عرضه من الجهة الغربية ما بين ٢٠ـ٤٠م ،اما ارتفاعه فيصل في بعض النقاط الى ١٥م وارضيته تستغل اليوم في الزراعة، ويمكننا القول قياسا على قلعة عجلون بأنه كان هنـاك جسر على هذا الخندق عند الزاوية الجنوبية الغربية من حيث وجود نتوءان صخريان متقابلان على حافتي الخندق ،كما أنه يصبح اقل عرضا في هذه النقطة، ويكون ايضا تحت سيطرة البرج الغربي من هذه القلعة والذي لم يبق منه اليوم غير مداك واحد مؤلـف من خمس حجارة .

وفي الزاوية الشمالية الغربية من هذا الخندق توجد مغارتان : واحدة تفتـح باتجاه الشرق ـ جهة القلعة ـ وهي تقوم تحت المقبرة الموجودة على القمة المقابلة للقلعة من الغرب(١) والمغارة الثانية تفتح باتجاه الشمال الغربي ، وتؤدي الى اسفل القلعة.(٢)

---

(١) ذكر لني السيد : ياسين محمد حسين المواطه نقلا عن المرحوم والده الذي عاصر الحرب العالمية الثانية بأن هذه المغارة كانت مقبرة للجنود الاتراك والالمان وانها تعرف باسم "مغارة جهيم" واستشهد على ذلك ببيت من المشر من قصيـدة لاحد شعراء السلط يدعى : علي حسين سليمان قطيشات الملقب " شلهوب" ويُكنى " ابو الذيب" حيث قال :

مغارة " جهيم" ريحتها مصنجـه حاشت جيوشها تراكها بألمـان

ولا ندرى فيما اذا كانت هذه التسمية للمغارة قديمة عرفت بها " المغارة" منـذ تأسيس القلعة او أنها تسمية من العهد العثماني .

(٢) واضاف السيد المواطة بأن هذه المغارة ايضا كانت تؤدي الى نفق يمر من اسفل القلعة، ويصل الى وسط المدينة من الجهة الجنوبية الشرقية قرب عين الماء .

وقد اشار (دنكان) لوجود هذا النفق وذكر انه يؤدي الى درج يمتد ٣٠٠درجة× ٣٠٠ ياردة، ويصل الى قلب المدينة، وان مدخله من الجهة الجنوبية الشرقيـة للقلعة، وانه كان مفتوحا حتى فترة قريبة عندما بنيت عليه شرفة منزل لاحد المواطنين" وقد شاهد بيركهاردت هذا النفق عندما زار القلعة سنة ١٨١٢م. للمزيد عن هذا الموضوع انظر : العابدي ١٩٧٤ : ٨٧-٨٨ ؛ وانظر ايضا :ـ Duncan 1928: 34.

ووجود هذا النفق في قلعة السلط الايوبية يعزز ما اشرنا اليه في معرض حديثنا عن الشوبك من قيام المسلمين بحفر نفق الى بئرها ، او ادخالهم بعض التعديلات على النفق الصليبـي .

الاسوار :ـ

كانت اسوار قلعة السلط ترتكز فوق القاعدة الصخرية الطبيعية لحافة الخندق الداخلية ، ولم يبق منها اليوم غير جزء صغير في الجهة الجنوبية مؤلف من مداميك يشتمل كل مدماك على خمس حجارة ، تمتد لمسافة ٥ر٥م ، وهي من نوع الطبزة المزمول ولا تختلف في طريقة نحتها عن حجارة قلعة عجلون . (١)

الابـراج :ـ

لم يعد اي من ابراج القلعة التي كانت تتوزع على السور موجودا اليوم ، بل تهدمت جميعها ، وأُخذت حجارتها وحجارة الأسوار لاستعمالها في واجهات المنازل التي اقيمت حديثا حول القلعة ـ كما اشرنا آنفا ـ وبعضها استعمل في بناء القبور القائمة على الجانب الغربي من خندق القلعة ، اذ يصل طول بعضها الى المتر ، وبعضها الآخر بطول نصف متر ، وهي من الحجارة الكلسية الصفراء ، وهي من النوع المسمسم ، وبعضها اعيد نحته فجاء حجمه اصغر وبعضها الآخر استعمل كما كان قد نحت في السابق ، وهي لا تختلف في طريقة نحتها عن تلك الحجارة التي بنيت منها مدرسة ومسجد قلعة الكرك ، ومسجد قلعة الشوبك .

ويوجد اليوم في الجهة الغربية من القلعة بقايا مدماك واحد به خمس حجارة من الحجم الكبير ، متوسط طول الحجر الواحد ١٠٠ سم وارتفاعه ٨٠ سم وسمكه ٩٠ سم ، وهي من نوع الطبزة المزمول ، ولا تختلف في نحتها وضخامتها عن تلك القائمة في الاجزاء السفلى من الابراج الاول والثاني والسادس من قلعة عجلون ومن خلال طبيعة الارض التي اقيم فوقها هذا البرج يمكننا القول بأنه كان مستطيل الشكل ويسيطر على الخندق

---

(١) وهذه الحجارة آيلة للسقوط نتيجة لبناء سور حديث خلفها يحيط اليوم بمسجد " حمد و الأنيس" الذي بُني فوق النصف الشرقي من قمة الجبل الذي كانت قد بنيت فوقه القلعة ، في حين تم تعبيد النصف الغربي من قمة الجبل . وقد شارف العمل في بناء المسجد على النهاية ، ويعتبر من اجمل مساجد المدينة او كم كنا نتمنى لو أن دائرة الآثار قد قامت باجراء حفرية أثرية في هذا الموقع على امل التعرف على مخطط القلعة او اية مكتشفات اثرية .

من الجهة الغربية، ويعرف هذا البرج باسم "برج خيار"(1)، في حين لا نعرف اية تسميات لاجزاء اخرى من القلعة، ولعل ذلك عائد لاندثار تلك المعالم، وقد تمكنا من مشاهدة كسر فخارية صغيرة في خندق القلعة ذات طابع اسلامي (أيوبي مملوكي).

---

(1) معظم اهالي السلط يعرفونه بهذا الاسم، وقد اعلمني السيد ياسين محمد العواملة نقلا عن المرحوم والده بأن "خيار" هذا رجل يعود في نسبه الى بني حمدان — من اعقاب الدولة الحمدانية — وكان قديما قد التجأ مع اخ له الى قلعة السلط بسبب دم ارتكبوه، واستشهد على ذلك بأبيات شعرية من القصيدة المرثاه التي قالها المرحوم علي حسين سليمان قطيشات رثى فيها بعضا من اصدقائه وجاء فيها :

ابن حمدان حطت ضمونهم بقلعة السلط ... والثاني لقرية صانور دور المجلي
اخس يا برج "خيار" مردى فمايلك ... ومن ابتنى ساسك وانت غدار
بناك "ابن معن" وعلا سوارك ... وخلاهن شامخات شهار

ولعل ابن معن هو فخر الدين المعني اذ قام كما اسلفنا سنة ١٥٦٣م بارسال حامية الى قلعة السلط، فربما قامت تلك الحامية بتجديد بناء اسوار هذا البرج .

" قلعـة الأزرق "

تبعد قلعة الازرق عن عمان مسافة ١١٥كم شرقا ، وتقع على رأس وادي السرحـان الذي يمتد جنوبا حتى الجزيرة العربية ، ويحيط بها واحة غنيّة بالماء واشجار النخيل تقبع على حافة الصحراء الشرقية مسيطرة على الطريق الصحراوي الممتد من الحجـاز الى العراق والشام.

ان وجود ينابيع الماء الحاره والبارد ة كان من العوامل المشجعة لاقامة القلعـة فالى الغرب منها تقع ينابيع الماء الحاره ، واما الينابيع البارد ة فواحد منها يقع جنوب القلعة ، في المكان الذي يُعرف اليوم بأزرق الشيشان ، والثاني بجانب القلعة في ازرق الدروز ، ومن هذه المياه تُسقى محافظة اربد ، كما تكثر في الازرق برك الملح التي يجرى تجفيفها لاستخراج هذه المادة.

واذا كانت بعض المراجع[1] تشير الى ان هذه القلعة رومانية مستندة الـى العثور على بعض النقوش اليونانية واللاتينية التي تذكر اسماء كل من الاباطرة : جوفيانوس (٣٦٣-٣٦٤م) وماكسيميان ود يوكليسيانوس وقسطنطين (٣٠٨-٣٣٧م) ، كما نُحـت على احدها اسم الازرق ، فإن مراجع اخرى[2] تشير الى أنها قلعة نبطية. ومن خـلال تجوالنا حول القلعة تمكنا من مشاهدة العديد من كسر الفخار النبطي المتميز بشفافيته ونقاء مادته وحسن شويه ودقة صنعته ولونه البرتقالي او الاسود مما يمكن معه القول بأن بناء القلعة تم أصلا على يد الانباط ، وانها كانت احدى محطات القوافل المتجهـة من مدائن صالح الى البتراء ثم الى أم الجمال ومنها الى بصرى الشام ثم الى تدمر. وانه قد ادخلت عليها اضافات وترميمات في العهد الروماني لحماية تخومهم الشرقيـة من القبائل العربية.

ولما كانت القصور الأموية منتشره حولها (قصر الحلابات وعمره والحرانه) فلابـد ان تكون بتربتها الزراعية ومائها العذب وموقعها في الطريق الى الحجاز قد حظيت بعناية ورعاية الأمويين فحولوها الى غابة استوحى منها الفنان تلك اللوحة التي نحتهـا على واجهات قصر الحرانة والمتمثلة بالاشجار النخيلية والمراوح وانصاف المراوح التي

(١) سجلات دائرة الاثار العامة : تقرير عن قلعة الازرق ؛ العابدي ١٩٧٣ : ٢١٥ ؛ هاردنج ١٩٨٢ : ١٩٤-١٩٥.

(٢) Hoade 1966: 304

انتزعها الالمان وحملوها معهم الى برلين الشرقية اثناء الحرب العالمية الثانية .

لقد حظيت القلعة خلال العهدين الايوبي والمملوكي باهتمام ورعاية الـولاة المسلمين اذ قام عزالدين ايبك سنة ١٢٣٦م (٦٣٤هـ) ببناء مدخلها في الجهـة الجنوبية الغربية وثبّت ذلك من خلال نقش قائم فوق عتبة المدخل . كما قاموا ايضـا ببناء مسجد في ساحتها الداخلية . اما خلال العهد العثماني فيبدو ان القلعـة قد اهملت نتيجة لبعدها عن الخط الحديدي الحجازي باتجاه الشرق ، ولهذا السبب استطاع الشريف علي بن الحسين الحارثي من اتخاذها قاعدة له ضد الاتراك مستخدما ذلك الجزء الذي بناه عزالدين ايبك .

وقلعة الأزرق بناء مربع الشكل طول ظلعه حوالي ٨٥م ، يقوم في كل زاوية منـه برج ، كما تتوزع بين اسوارها عدد آخر من الابراج المربعة والمستطيلة ، وتضم اسوارهـا من الداخل عددا من الغرف والمستودعات والاصطبلات ، وكلها بنيت من الحجـر البازلتي الاسود الصلب ، وليس لهذه المعالم تاريخ محدد كما اسلفنا ، وان ما يعنينـا منها برج المدخل والمسجد باعتبارهما من العهدين الأيوبي والمملوكـي .

مبنى المدخـل :ـ

يقع المدخل في الجهة الجنوبية الغربية من القلعة ، وهو على هيئة برج مستطيل الشكل طول ضلعه من الخارج ١٢×٣ر٣م وتفتح البوابة باتجاه الشرق ضمن جدار طوله ٣ر٥م وعرض هذه البوابة في الاصل ٢١٣سم وارتفاعها حوالي ثلاثة امتار تتألف من ثمانية عشر حجرا يجمعها حجر الغلـق ، وهذه الحجارة من النوع المسمسم ، وقد تمت عمليـة تصغير هذه البوابة ببناء بعض الحجارة داخل قنطرتها فأصبح عرضها ١٦٠ سم وارتفاعها ١٧٢سم (انظر الصورة رقم ص) تغلق هذه البوابة اليوم بواسطة دفتين من الحجـر البازلتي المنحوته بشكل ناعم ـ على شكل لوح حجري ، تدوران على مصراعين حجريين عرض الواحدة ٧٨ سم وارتفاعها من ارتفاع المدخل بعـد تصغيره ، والدفة القائمة على اليمين بدا لي انها اصلية في حين القائمة على اليسار حديثة ، عملت على نسق القديمة .

ويرتفع في واجهة المدخل سبع وعشرون مدماكا ، منها عشرون اصلية ، والاخرى رممت حديثا ، بعضها كبير الحجم يصل طوله الى ١٠٠ سم والاخر صغير الحجم يصل طولـه

الى ٣٠ سم ،كما ان الارتفاع بين المدماك والآخر ليس متساويا ،وقد نحتت الحجارة لتصبح من النوع المسمسم ،وقد يكون الاختلاف في الحجم راجع الى عملية اعادة نحت هـــــذه الحجارة ،اذ ان معظم الحجارة الاخرى في القلعة نحتت على نظام الطبزة العادي وليس المزمـــــول .

يعلـــو قنطرة المدخل بعد المدماك الثاني عشر لوحة حجرية نُحت عليهـــــا نقش من اربعة اسطر ،نصـه :ـ

(١) بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم امـر بعمـــارة

(٢) هذا القصر المبـارك الفقيـر الى اللـــــه

(٣) عز الدين ايبـك استاذ دار الملك المعظـــم

(٤) بولاية علـي بن الحاجـب. . . . في سنـة اربع وثلاثيـن وستمائه .

وفي القراءة الواردة لهذا النقش في سجلات دائرة الآثار (١) : وردت بعد السطر الاول عبارة " عز وجـل" بدلا من "عز الدين" ،وورد في السطر الرابع كلمـة " فـــي عام" بدلا من " في سنة" وفي قراءة كومب ورفاقه(٢) لهذا النقش ورد بعد اسم " علي بــــن الحاجب" اسم آخر هو " علي بن قرحلـه" وهو الذي لم نستطيع قرآءته ،ومما تجـــــدر الاشارة اليه ان نوعية خط هذا النقش لا تختلف كثيرا عن النقش الموجود في الواجهـــة الشرقية من البرج السادس في قلعة عجلون والذي يعود ايضا الى زمن " عزالدين ايبك"، فهو يرجع الى سنة ١٢١٤م (٦١١هـ) ،في حيـن نقش الازرق يعود لسنة ١٢٣٦م (٦٣٤هـ) .

ان كلمة "القصر" الواردة في هذا النقش لا تنفي عن المبنى صفة "القلعة" اذ يعلو النقش طلاقة طولها متر وعرضها ١٢ سم يعلوها " سقّاطة" لها في ارضيتها فتحتان لصب المحروقات على الاعداء اذا ما اقتربوا من المدخل ،والوصول اليوم الى اعلى هذه السقاطة يشكـل خطرًا على الصاعد ،وعلى جانبيها طلاقتان مرممتان ،كذلك أُقيم جدار استنادي مائل ـــ شكل رصيف ـ مؤلف من خمسة عشر مدماكا لدعم الواجهة الجنوبية لهـــذا المدخل . وهذه صفة رأينا مثلها في قلاع عجلون والكرك والشوبك .

(١) سجل القلاع في دائرة الآثار العامة : ٢٠ .

(٢) Combe et.al; 1941. 74.

تؤدي بوابة المدخل الى غرفة مستطيلة الشكل مساحتها ٢ر٨م×٥ر٦م، ذات ارضية مرصوفة بالحجارة، وقد وضعت فيها اللوحات الحجرية التي تحمل نقوشا باللغة اللاتينية واليونانية وردت فيها اسماء الاباطرة اللذين اشرنا اليهم كما وردت كلمة "الأزرق" ايضا ،كما وضعت في هذه الغرفة بعض الحجارة التي تحمل رسومات هندسية وحيوانية عليها . صورة لأرنب،قد عثر على هذه الحجارة خلال عمليات المسح والتنقيب التي جرت في منطقة الازرق . وسقف هذه الغرفة مبني من الحجارة المستطيلة الرقراقة التي ارتكزت في المنتصف على عقد حجري مدبب يتألف من ٢٦ حجرًا يجمعها حجر الغلق .

وفي الواجهة الشمالية لهذه الغرفة توجد بوابة تؤدي الى داخل القلعة ،عرضها ١٥ر٢ م وارتفاعها ٣م، وتتألف من ١٨ حجرا يجمعها حجر الغلق وهي من النوع المسمسم، وعن يمينها وشمالها من داخل القلعة يوجد درج مرمم، غير متناسق من حيث الطول والعرض والارتفاع لكل درجة، وكل مصعد درج منها يؤدي الى الطابق الثاني من مبنى المدخل .

<u>الطابق الثاني من مبنى المدخل :ـ</u>

بقي من هذا الطابق غرفة واحدة قائمة فوق الغرفة التي تؤدي اليها بوابة المدخل الرئيسية، ومساحة هذه الغرفة ٤٫٧٨×٧م يتوزع في جدرانها ثلاث حنايا ، وفي كل حُنيه طلّاقة : واحدة باتجاه الشرق والثالثه باتجاه الغرب والثالثة باتجاه الجنوب، وطول الطلّاقة الواحدة متر وعرضها ١٢ سم، ونظام بنائها لا يختلف عن تلك الطلاقات القائمة في البرج الثاني والثالث من قلعة عجلون ،كما انها لا تختلف عن طلاقات البرج السادس من قلعة عجلون إلا من حيث عدم وجود ارضية مرتفعة في طلاقات الازرق .

ويوجد في الجدار الشرقي لهذه الغرفة باب ١٨٥×٨٥ سم يؤدي الى غرفة مدمره ويلتقي مع الدرج الصاعد من ساحة القلعة، كما يوجد باب آخر لهذه الغرفة في الجدار الغربي ايضًا ١٧٧×٨٨ سم ، فيلتقي مع الدرج الآخر الصاعد من داخل القلعة وسقف هذه الغرفة لا يختلف عن سقف الغرفة القائمة تحتها .

المسجد :ـ (انظر الصورة والمخطط) رقم ٢ ص ٤١٠، ٤٢٢

يقع المسجد في منتصف الساحة الداخلية للقلعة، وهو مستطيل الشكل، طول جداريه الشمالي والجنوبي ١٢٫٦م، أما جداريه الشرقي والغربي فهو ٩٫٨م، ويتألف المبنى من ثلاثة عشر مدماكا عند الزاوية الجنوبية الشرقية، ومدخل المسجد في الجدار الشرقي، وعرضه ٩٧سم، وارتفاعه ١٧٧سم، وهو بهذا الارتفاع يذكرنا بمجسد قلعة الكرك وابواب المدرسة ايضاً . ومساحة هذا المسجد ٩٫٣٥ × ٧٫٣م وهو مبني من الحجارة البركانية السوداء مثل باقي حجارة القلعة، وفي منتصفه عمودان مستديران، طول الواحد حوالي ١٠٠ سم منها ٨٠ سم جاءت تحت مستوى ارضية المسجد، وقد ارتكز على هذه الاعمدة عقدان مدببان، مجموع حجارة كل منها ٢٢ حجرًا وهي من النوع المسمم وقد ارتكز السقف على هذه العقود، إذ عُمل من حجارة مستطيلة على غرار سقف المدخل ترفرف الواحدة على الاخرى ثم تبرز عليها كلما قربت المسافة من وسط السقف ـ حيث ترتكز على العقود ـ وبعض من هذه العوارض الحجرية مرمم .

واستعمال العوارض الحجرية في سقوف مستوية شاهدناها على نطاق ضيق في الجزء السفلي الغربي من قلعة الكرك وبشكل خاص في سقف السلالم الدرجية حيث يكون العرض قليلا، وقد صفّت الحجارة هناك الى جانب بعضها، فظهرت على شكل بلاطات دونما رفرفة، ويعتبر ذلك تطوراً نحو الافضل من حيث طريقة النحت والبناء .

يقوم المحراب في منتصف الجدار الجنوبي وارتفاعه ٢٫٦٢م وعرضه ١٫٤٢م وقد اجريت له عملية ترميم ايضاً، وعلى جانبي المحراب يوجد نافذتين : مساحة الواحدة من الخارج ٧٠×٥٨ سم، اما من الداخل فمساحتها ١٢٥سم×٨٧سم، وربما كانت هاتين النافذتين بهذه المقاسات قد عُملتا لاغراض دفاعية بالاضافة الى تهوية وانارة المسجد . وسُمك الجدار ١٤٥ سم، ولا يوجد نوافذ اخرى في المسجد .

" قلعة الطفيلـــــة"

تبعد الطفيلة عن عمان ١٩٧كم جنوبا ، وعن الكرك ٦٧ كم باتجاه الجنوب ايضـــا . وفي الجهة الجنوبية الغربية من المدينة ترتفع القلعة فوق حافة وادي الطفيلة الجنوبية وتسيطر بموقعها هذا على الطريق المؤدي عبر وادي الطفيلة الى غور الاردن الجنوبي ووادي عربة ،كما انها تسيطر على الطريق المؤدي من الكرك الى البتراء والعقبة ، وتكثـر في واديها اشجار الزيتون وينابيع الماء . ورد ذكرها عند ياقوت الحموي (١) عندما قـال بأن (" طفيل" قلعة في وادي موسى قرب بيت المقدس). وفي العصر البيزنطي دُعيـــت باسم " اوغسطوبوليس" Augustopolis وكانت مركزا لأسقفية . (٢)

ومبنى قلعة الطفيلة على هيئة برج مستطيل الشكل ، (انظر المخطط ص) مساحتها ٢ر١٩×٨ر١٢م ، بقي من جداريها الشرقي والغربي تسعة عشر مدماكـــــا في حين بقي من الجدارين الشمالي والجنوبي خمس وعشرون مدماكا وكلها من الحجـر الكلسي الاصفر، والفرق في عدد المداميك ناتج عن انخفاض مستوى الارض في الجهتيـن الشمالية والجنوبية ، اذ ان المداميك من الاعلى تبدو على مستوى واحد تقريبا ، ويلاحـظ وجود نوعين مختلفين من الحجارة في المبنى ، فالمداميك العشرة السفلى تختلف عـــن تلك التي تعلوها ، فبعض حجارة المداميك السفلى من نوع الطبزة المزمول ، وطبزتـــــه جاءت على شكل مربع او مستطيل بارز ، متوسط حجم الحجر الواحد ٧٥سم×٤٥ســــم وبعضها الاخر نحت بشكل طبزة ولكن بدون وجود اطار حول طبزته ، وجاء حجمــــه اقل ، في حين المداميك العليا من النوع المسمسم الصغير حجم الحجر الواحد يصــل الى نصف حجم حجارة الطبزة في المداميك السفلـى .

المدخل :- (انظر الصورة رقم ٣ ص٤١)

مدخل القلعة في الجهة الشرقية ، عرضه ٩ر٢م وارتفاعه ٥ر٣م وسُمك جداره متــر واحد ، وترتفع عتبة المدخل عن مستوى الارض بواقع ثلاثة مداميك ، وقد تم عمل مصطبـة اسمنتيه حديثة امام هذا المدخل ،كما تم عمل اربع درجات اخرى حديثة تهبط الى داخل القلعة ، على يسار هذا المدخل من الخارج توجد طلاّقة صغيرة ٢٠×٤٠سم ، كمـــا

---

(١) الحموي ج٣ ١٩٠٧: ٥٤١.

(٢) مخلوف ١٩٨٣ : ٢٣٢.

يعلوه اربعة عشر طلاّقة اخرى مماثلة يتوسطها نافذة اوسع ٨٥سم×٥٥سم .
وفي الجدارين الشمالي والجنوبي لا يوجد طلاّقات في حين يوجد في الجدار الغربي
خمسة نوافذ ، متوسط مساحة النافذة الواحدة ٨٥×٥٥سم .

اما القلعة من الداخل فارضيتها مغطاة بالردم ، ويوجد بقايا عقد في جدارها
الجنوبي ، كما يلاحظ وجود افريز او تجويف يلفها من الاعلى بعد ارتفاع حوالي ٤متر
لعله كان يحمل سقف الطابق الاول من القلعة او كانت ترتكز عليه مصطبة لوقوف حامية
القلعة عليها وبالتالي يستطيعون استخدام الطلاقات والتي لا توفر الحماية الكاملة
للقلعة بسبب صغر حجمها ولكونها على استقامة واحدة وجاءت في الجزء الاعلى من
القلعة فقط .

ان القلعة على هذا الشكل اقرب ما تكون الى مستودع للتخزين ، او بمثابة مكان
لاستراحة القوافل ، حيث لا تتوفر فيها المواصفات العامة للقلاع التي اشرنا اليها
من حيث وجود الخندق او المدخل المنكسر او الابراج او الشرفات او القاعات او الغرف
او غيرها من المواصفات التي ذكرناها في معرض حديثنا عن قلاع عجلون والكرك
والشوبك .

والقلعة لا تحمل أية نقوش تاريخية ، كما ان المصادر العربية والغربية التي قدر
لنا الاطلاع عليها لم تتناول هذه القلعة بالحديث ، باستثناء اشارة ياقوت الحموي التي
ذكرناها ، ولسنا ندري فيما اذا كانت شهرة قلاع الكرك والشوبك في العهدين
الايوبي والمملوكي قد غطت على قلعة الطفيلة ، او ان القلعة بنيت في العهد العثماني !؟

ان حجارة المداميك العليا من القلعة مطابقة في حجمها وطريقة نحتها ونوعها
لحجارة قلاع الحسا والقطرانة العثمانيتين ، كما ان طراز البناء متماثل ايضًا ، والاختلاف
الوحيد بين هذه القلاع هو المداميك العشرة السفلى من قلعة الطفيلة ، والتي ربما
انتزعت من احد المواقع الاثرية القديمة او أنها بنيت في العهدين الايوبي والمملوكي
ثم اضيف اليها الجزء الاعلى من المبنى في العهد العثماني . ذلك ان الحجارة السفلى
خاصة تلك القائمة على جانبي المدخل مشابهة لحجارة قلعة عجلون والشوبك فهي

كما اشرنا من نوع الطبزة المزمول ، وهناك بعض المراجـع[1] التي ذكرت بأن قلعة الطفيلة صليبية لكنها لم تستند الى أي دليل ويبقى الدليل على اي من هذه الاحتمـــــالات مرهون باجراء عمليات التنظيف للقلعة على امل العثور على دليل أثري قاطـع.

(١) المرجع السابق : ٢٣٢ ؛ وانظر ايضا :ـ
Benrenisti 1970: 294; Prawer 1972: 282.

"قلعة الوعيـــــرة" (انظر المخطط) ص ٤٢١

تبعد البتراء عن عمان جنوبا ٢٨٥كم، والى الشمال الشرقي منها وعلى بعـــد ٣ كم، توجد بقايا قلعة تعرف باسم "الوعيرة" ، وذكر ياقوت الحموي (١) بأنها حصن فـي جبال الشراه قرب وادي موسى ، والوعيرة تصغير " الوعره" وهي المنطقة صعبة الارتيـاد والموقع الذي اقيمت عليه القلعة يرتفع عن سطح البحر حوالي ١٠٥٠م وكان اختياره موفقا لاقامة القلعة عليه ، حيث أنه معزول بخندق طبيعي يتراوح عمقه ما بين ٣٠-٥٠م، وفوق هذا الخندق من الجهة الشرقية وضع جسر خشبي حديث يوءدي الى الموقـع.

وفي سنة ١٩٠٣م قام الأب " سفنيـاك" (٢) بالكشف عن هذه القلعة، وذكـــر ان بيركهارت عندما زار البتراء سنة ١٨١٢م ومر في وادي موسى اعجب بالكنيســـة القائمة في هذه القلعة، وقد قام سفنياك بوضع مخطط للقلعة والكنيسة .

اما عن تاريخ انشاء هذه القلعة فيذكر "مايسترمان" (٣) انها بُنيت من قبـــل الصليبيين بعد تأسيسهم لقلعة الشوبك ١١١٥م(٥٠٩هـ) ، ويبدو ان المسلمـــين قد احتلوا هذه القلعة سنة ١١٤٤م(٥٣٩هـ) او قلعة اخرى غيرها في وادي موســى ذكرهــا وليم الصوري (٤) تحت اسم "deli Vaux Mois" وان كانت المراجع الغربية (٥) قد اشارت الى أنها قلعة الوعيرة، وان المسلمين قاموا باحتلالـهـا ولم يتمكن الصليبيون من استعادتها ، فلجأوا الى قطع وحرق أشجار الزيتون والاشجـار المثمرة الاخرى والتي كانت تشكل المورد الوحيد لسكان البلد ، وعندما رأى المسلمـون الحرائق وافقوا على تسليم القلعة بشرط ان لا يلحق بهم اي اذى ، فقام بلدوين الثالث بتعيين حامية فيها وخصص لهم ارزاقاً .

---

(١) الحموي ج٤ ١٩٠٧: ٩٣٤.

(٢) Savignac 1903: 114-116.

(٣) Meistermann 1909: 209

(٤) Tyre 1943: 712-713.

(٥) Brünnow and Domaszewski 1904:416; Meistermann 1909:209; Deschamps 1939: 47.

ان اشارة وليم الصوري هذه لا تتحدث عن تاريخ انشاء القلعة او المنشـــى ٠ وهنا نستذكر ما كنا قد اشرنا اليه في معرض حديثنا عن قلعة الشوبك حول ما اورده ابن القلانسي [١] وجروسية [٢] من قيام الاصفهبد التركماني سنة ١١٠٨م(٥٠٢هـ) بشـن غزوة الى وادي موسى ، وقيامه ببناء قلعة هناك ، مما دفع بلدوين لقيادة حملة اليها وقيامه بهدمها ، ولا ندري فيما اذا كانت تلك القلعة هي قلعة الشوبك او قلعة الوعيرة او الحبيس التي سنأتي على ذكرها او أنها قلعة "سلـع" التي ذكرها الحموي [٣] علـى انها في وادي موسى ، والتي لم تعد قائمة اليوم. ويمكننا القول بأن قلعة الوعيــرة استمرت قائمة حتى سقوط قلعة الشوبك في يد المسلمين ، عندئذ استسلمت لجيـوش صلاح الدين سنة ١١٨٨م(٥٨٤هـ) [٤].

اما عن بقايا هذه القلعة اليوم ، فكما اسلفنا فإن الخندق الذي تقوم خلفه خندق طبيعي ، كان يحمل جسراً متحركا من الجهة الشرقية ، وقد وضع مكانه اليوم جسر خشبـي نعبر منه لنجد انفسنا بين صخرتين ، وقد نحت داخل كل منهما تجويف يتسع لشخـص والطريق الى داخل القلعة يمر بين الصخرتين مما يدفعنا الى القول بانهما كانتـا بمثابة نقاط حراسة للسيطرة على المدخل ، ولعل هاتين الصخرتين كانتا في الاصـل بمثابة قبور نبطية ، ثم اعيد استغلالها لاغراض الحماية ورفع الجسر.

بعد ذلك نصعد عبر اربع عشرة درجة مرممة ، حيث نشاهد بقايا سور القلعـة وبقايا برج في الجهة الشمالية الشرقية ، مدخله من الجهة الجنوبية ، وعرض هذا المدخل ١٠٠ سم وارتفاعه ٢٠٠ سم ، واما مساحة البرج الداخلية فهي ٤×٥م يعلوه قبو برميلـي الشكل وفي جداره الشرقي طلاقه طولها ١٢٠ سم وعرضها ١٥ سم.

---

(١) ابن القلانسي ١٩٠٨ : ١٥٨ ، ١٦٤.
(٢) Grousset 1935: 250,679
(٣) الحموي ج ٣ ١٩٠٧ : ١١٧.
(٤) Musil 1907-1908:59-72; Meistermann 1909: 209

وفي الزاوية الشمالية الغربية للقلعة يوجد بقايا كنيسة، اوضح ما فيها صدرها وهي مبنية على نظام القاعة الواحدة Chapel، مساحتها ٨ر١٣ × ٤ر٦م، ويتصل بها غرفة من الجهة الشرقية مساحتها ٤ر٣ × ٤ر٦م، وصدر هذه الكنيسة ونظام بنائها يذكرنا بالكنيسة رقم (١) في قلعة الشوبك حيث أنها من طراز واحد وبنيتا بنفس النظام، وهذا ما يدفعنا الى القول بانها ربما بنيتا بنفس الفترة، وهذا ما يعزز الفكرة التي اشار اليها مايسترمان في ان بناء الصليبيين لقلعة الوعيرة كان بعد بنائهم لقلعة الشوبك، وقد اشرنا في هامش الصفحة (١٤١) الى انتقال اسقف البترا الى الربة ـ شمال شرق الكرك عندما اقام الصليبيون اسقفيه في الكرك، وبانتقاله اصبحت الكرك تعرف باسم "بترا ديسرتي" اى "جوهرة الصحراء" وذلك لتعيين حدود سلطة ذلك الاسقف والتي كان من ضمنها البتراء ودير سانت كاترينا في سيناء. (١)

اما عن الحجارة التي بُنيت منها الاسوار والابراج والكنيسة، فهي حجارة صغيرة ٤٠ × ٣٠ سم، ليست منحوته بشكل دقيق، كما أنه ليس بينها كثير من التجانس من حيث طريقة نحتها، باستثناء تلك التي بنيت منها طلاقة البرج الشمالي الشرقي فهي من النوع المسمسم المنحوت بشكل مقبول.

ومما تجدر الاشارة اليه انه تشاهد في الموقع كثير من كسر الفخار النبطي وبعض من القبور النبطية التي نحتت داخل الصخر.

---

(١) Meistermann 1909: 209.

"قلعة الحبيـــس"

اشار بعض رحالة القرن التاسع عشر من الاوروبيين مثل لبورد Labord ومـوزل Musil ودلمان Dalman وموري Marray الى وجـــود قلعة فوق قمة جبل يقع جنوب غرب قصر البنت في البتراء اطلقوا عليها اسم" قلعة الحبيس" وذكروا بانها قلعة صليبية دونما اي دليل ، في حين ذكر بعضهم الآخر مثل فسكو نتـي الايطالي Visconti بانها عربية ولم يستبعد ايضا بناءها على يد الصليبييـــن في حين ذكر هورسفيلد Horsfield بأن طريقة نحت حجارتها نبطيـــة ، هذا في الوقتالذي لم تشر فيه المصادر الاجنبية او العربية التي قُدرلنا الاطلاع عليها الى اي دور تاريخي لهذه القلعة او مكان وجودها ، باستثناء ما اشار اليه مايسترمان (١) نقلا عن البرت اكس الذي ذكر بأن هذه القلعة على جبل هارون في البتراء ، واشـــار ايضا الى ان نوفايري Le Novairi اسماها "Asouit" وان الظاهـر بيبرس اقتنع بأنها قلعة حصينة ، وقد سبق وان اشرنا في معرض حد يثنـــا عن قلعـــة الوعيرة ان التسمية للقلعة كانت على انها قلعة وادي موسى في المنطقة التي تكثـــر فيها الاشجار المثمـرة .

ان ما نقله مايسترمان عن نوفايرى في ان الظاهر بيبرس " اقترب من هذه القلعة الحصينة ذات الفن العجيب" ليس الا محاولة للايحاء بقوتها واستمرار وجودها صليبية ــ هذا اذا كانت صليبية ــ حتى فترة حكم الظاهر بيبرس، ونحن نعلم في ضوء الحقائـــق التاريخية أنه بعد سقوط الكرك والشوبك بيد صلاح الدين انتهى التواجد الصليبـــي في الاردن .

وهكذا نلمس مدى التناقض في تاريخ الموقع أثناء غياب الدليل الاثري او التاريخي وكيف ان الامر يصبح وفقا لأهوا الكتاب وميولهم ، وهؤلاء الرحالة الذين اشرنا اليهـــم ممن ذكروا بأن القلعة صليبية استشهد بأقوالهم " فيليب هاموند "(٢) عند ما قام سنة ١٩٥٩ بعملية مسح لقمّة جبل الحبيس ــ حيث يعرف بهذا الاسم ــ وراح ينفي اي قول بأنهـــا نبطية او عربية ، وعقد العزم على انها قلعة صليبية ونشر تقريره حولها سنة ١٩٧٠ وجاء في ٤٤ صفحة ضمنها تمهيد ومقدمة ومقدمه تاريخية ، ثم تحدث عن العمارة العسكريـــة

(١) Meistermann 1909: 229.

(٢) Hammond 1970: 17-32.

الصليبية وقسمها الى ثلاثة مدارس هي تلك التي اشرنا اليها في الصفحات ١٠ و١١ في معرض تناولنا للدراسات المحلية حول القلاع ومدى تأثرها بما كتبه الغرب. بعد ذلك تحدث هاموند عن قلعة الحبيس فجاء حديثه في تسع صفحات، مشيراً الى حصانة الجبل ومدى سيطرته حتى ان الرحالة الايطالي فسكونتي اطلق عليه اسم الاكروبولس وكيف ان حصانة الموقع كانت محط الانظار منذ الاحتلال الروماني وحتى مجيء الصليبيين ثم راح يصف حصن القلعة في اعلى نقطة من الجبل بوصف متناقض اذ قال عن احد الجدران بأنه " جدار مبني او ساقط بشكل طبيعي او نحت في الصخر". ثم وصف الاسوار وذكر مدى ارتفاعها ويتراوح مابين ٥ر٣-٦م في الجهة الجنوبية الغربية من القلعة، ثم قدم وصفا بنفس الطريقة لجدار في الجهة الشمالية من القلعة مع وجود طلاقات لم يحدد عددها وانما اشار الى ان عرض الواحدة ١٣ سم وارتفاعها على مستوى ثلاثة مداميك، واشار الى وجود بئر في قمة الجبل يُصعد اليها بواسطة درج.

بعد هذا الوصف المختصر للقلعة حاول هاموند تقديم الدليل على ان المبنى صليبي فاستشهد بقاعدة استنبطها كليرمونت جانو Clermont-Ganneau رأى فيها بأن شكل البناء أو طريقة انشائه لا يعتبر مقياسا للحكم على المبنى بأنه صليبي، وانما يمكن الحكم عليه من خلال أمرين اساسيين هما :- علامات البنائين والنحت المنحرف، وان هاموند وجد هاتين الصفتين في الجانب الشرقي من القلعة وفي حجارة المدخل التي نُحتت بزاوية ٤٥، كما وجد أقواسا من النوع القوطي.

هذا ما اشار اليه هاموند في تقريره عن قلعة الحبيس واما الواقع فيتلخص في انه يوجد في الجهة الجنوبية الشرقية من الجبل سلم درجي يصعد الى قمة الجبل يشتمل على ٢٧٠ درجة يتخللها بعض البسطات، وتتفاوت هذه الدرجات والبسطات في مساحتها لمسايرتها الوضع الطبيعي للجبل، وقبل الوصول الى قمة الجبل نواجه خندقا طبيعيا قَطَعَ السُّلم الدرجي وقد قامت دائرة الاثار بوضع جسر خشبي فوق هذا الخندق ليكون همزة وصل للسلم الدرجي.

وبعد الوصول الى قمة الجبل نشاهد بقايا بعض الجدران التي تغلق الفجوات القائمة بين الصخور، كما نشاهد بقايا برج في قمة الجبل، ومع وجود العديد من الصخور

المنحوته على شكل احواض او قبور، ومما يلفت النظر ان المكان مليء بكسر الفخار النبطي .

هذا هو واقع قمة الجبل ، ولما كان بمثابة الاكروبولس لمدينة البتراء ويتوسط المدينة، ويسيطر على الطريق المؤدي الى وادي عربة عبر البتراء، وبالتالي فمن باب أولى ان يتنبه الانباط الى حصانة موقعه واستراتيجيتها قبل الرومان باعتباره يتوسط عاصمتهم البتراء ، واما تلك المقاسات التي اشار اليها هاموند فإننا لم نجد أي بقايا من أي جدار تصل الى ارتفاع ٣م، بل كما اسلفنا ما هي الا عمليات اغلاق لثغرات قائمة بين الصخور بحيث اصبح من الصعب النزول او الصعود الى قمة الجبل الا من خلال السلم الدرجي ولو لم تقم دائرة الاثار بوضع الجسر الخشبي فوق الخندق الطبيعي الذي يقطع السلم لما كان بالامكان الوصول الى الموقع، ونلمس ايضاً مدى استفادة الانسان من الصخور الطبيعية الموجودة والتي يزيد ارتفاع بعضها عن ٤م.

واما تلك الملاحظات الدالة على البنائين الصليبيين ، وطريقة النحت المنحرف التي نقلها هاموند عن كليرمونت جانو، فإننا لم نجدها من قبل لا في الكرك ولا في الشوبك وان الحجارة الموجودة في الحبيس من النوع المسمسم التي لا تختلف عن حجارة أي موقع من البتراء ، ورأينا كيف ان هاموند اعتبر وجهة نظر هورسفيلد في ان هذه الحجارة نبطية اعتبرها خاطئة. واضاف ان القلعة في الحبيس صليبية وليست رومانية او بيزنطية او عربية، وان طراز بنائها مشابهة لبناء القرن الثاني عشر، كما اشار الى وجود الفخار الصليبي في الموقع مع شيء من الفخار العربي ، كل ذلك ولم يعطنا مثلا واحدا لبناء مشابه لهذه القلعة من ابنية القرن الثاني عشر، ثم لا ندري ما هو مدلول الفخار العربي الذي اشار اليه، وما هي الفترة الزمنية التي يمثلها هذا الفخار.

وبتقديرنا ان ما اشار اليه هاموند حول قلعة الحبيس يندرج في نطاق تلك النظريات التي اوردها الغربيون من خلال تأثرهم بخلفيات معينه، اذ ان من يتجول في البتراء ويصعد قمم جبالها ومن ثم يصعد الى الحبيس، فإنه لا يجد أي فرق من حيث طريقة نحت السلالم الدرجية او نحت الصخور لتصميم القبور او احواض الماء ، او طريقة البناء او نوعية القطع الفخارية. من هنا يمكننا القول بأن ما هو موجود من بقايا ابنية في قمة جبل الحبيس ما هي الا ابنية نبطية، ولعل المكان كان بمثابة برج مراقبة يسيطر

على المدينة من الداخل ويشرف على التلال المحيطة بها ، ومن يدري فلعله من خلال التسمية " جبل الحبيس" كان يستعمل بمثابة سجن اذ أنه اذا ما وصل احد الى قمته ورُفع الجسر الذي يربط السلم الدرجي يصبح حبيسا على ظهر الجبل ، وان كنا نرجح انه كان بمثابة برج مراقبة نبطي نظراً لاستراتيجية موقعه .

"قلعة جزيرة فرعــون"

تبعد هذه الجزيرة عن مدينة العقبة حوالي ١٢ ميل بحري ، ولم تمكننا الظروف من زيارتها ، وبالتالي فإننا سنحاول التعرف عليها من خلال بعض المراجع التي اشارت اليها ، وكنا قد اشرنا في معرض حديثنا عن قلعة العقبة ما اورده ابو الفداء (١) من انه "كان لها قليعة في البحر فأُبطلت ونُقل الوالي الى البرج في الساحل" ويتقديرنا ان تلك القليعة ما هي الا قلعة جزيرة فرعون او كما اسماها الصليبيون "Graye" ومساحة الجزيرة التي اقيمت فوقها القلعة حوالي الف متر ، وتتألف من هضبتين صغيرتين ، ارتفاع كل واحدة خمسين قدما ، ومن الصعب اعطاء اي تاريخ محدد لبقايا هذه القلعة التي تتمثل في الاسوار والجدران و الابراج ، حيث يوجد برج مربع الشكل وله مدخل يرتفع ثمانية اقدام عن مستوى الماء ويفتح باتجاه جزيرة سيناء .

وحتى سنة ١٩١٤ كانت تحتوي القلعة على اثني عشر غرفة في المركز ، مع وجود غرف اخرى الى الشمال من هذه الغرف . والى جانب هذه الغرف كان هنالك مسجد صغير وبه محراب من الرخام وقد مليء بالكتابات التي انتزعت سنة ١٨٩٦م من قبل ضباط ورجال الملكة دايانا (٢) . وكان يوجد بها برج أو اثنان ايضًا ، مع بركة صغيرة طولها خمسون ياردة ذات ماء مالح إلا انها ملئت بالردم ، كما تشاهد بعض الاعمدة من الحجر الابيض المسمسم ، لعلها أُحضرت من احدى الخرائب الاثرية في العقبة ، وحجارة القلعة من الحجر الجرانيتي الاحمر ، والابواب والشبابيك بُنيت من الحجر الناعم الاصفر ، وسمك الجدار الواحد حوالي ياردة ، ومع أنه من الصعب اعادتها لفترة محددة الا انه يمكن القول انها من القرن الثاني عشر او الثالث عشر لوجود اعمال عربية فيها تعود لهذه الفترة . (٣)

ويرجح زكي في أن قلعة جزيرة فرعون قد بُنيت بأمر من صلاح الدين الايوبي ، لمقاومة الصليبيين ، وأنها تشبه في بنائها قلعة صلاح الدين (قلعة الجندي) بجوار عين سدر في سيناء (٤) وسبق ان اشرنا الى فشل ريجنالد في السيطرة عليها عندما حاول غزو بلاد الحجاز سنة ١١٨١م (٥٧٧هـ) ويبدو أن القلعة قد هُجرت بعد ذلك وتم الاكتفاء بقلعة العقبة .

---

(١) ابو الفداء ١٨٥٠ : ٨٧ .

(٢) زكي ١٩٦٠ : ١٢٣ ؛ وانظر ايضا : Woolley and Lawrence 1914: 130.

(٣) Ibid., : 130-132.

(٤) زكي ١٩٦٠ : ١٢٣ .

الفصـــل الثـالـث

الفصل الثالث

العناصر المعمارية والزخرفية

اتصفت الظروف التاريخية التي رافقت بناء القلاع التي اشرنا اليها بالطابع الحربي ، اذ اشتدت بها المحن عندما تعرضت بلاد الشام ومصر لأعتى هجومين تمثلا بالصليبيين والمغول ، وقد أملت تلك الظروف على اطراف النزاع تصميم نمط معين من العمارة تمثل بالقلاع والاسوار لتمكينها من مجابهة تلك الاحداث ، وحيث ان المكان الذي يُختار لاقامة المبنى عليه يصبح جزءا رئيسيا من المبنى ذاته فقد لمسنا مدى الدقة في اختيار المواقع التي بُنيت عليها القلاع ، سواء كانت فوق قمة جبل لضمان السيطرة والاشراف وتوفير مزيد من متطلبات الأمن والحماية كما هو الحال في مواقع قلاع عجلون والسلط والكرك والطفيلة والشوبك والوعيرة ، او على شاطئ بحر كقلاع العقبة وجزيرة فرعون التي تشرف على الطرق البحرية والبرية التي تربط مصر بالشام والحجاز . او على حافة الصحراء للسيطرة على طرق القوافل التجارية كقلعة الازرق التي كانت تتحكم بالطرق ما بين العراق والشام والحجاز .

والى جانب الدقة في اختيار المكان الذي اقيمت عليه القلاع فقد روعي في عمليات بناء الاسوار والابراج مسايرتها للخطوط الكنتورية ، نظرا لما يوفره ذلك من حصانة على القلعة ، ويحول دون وصول المهاجم اليها بسهولة ، وفي المناطق التي كان يُحتمل النفاذ منها الى القلعة كانت تجري عمليات بناء الارصفة لتوفير انحدارات سحيقة يصعب تسلقها ، او حفر خندق يعزل القلعة ويحول دون الوصول اليها ، او بناء جدران استنادية مائلة تدعم الجدران الاساسية ، وهو ما وجدناه في قلاع عجلون والكرك والشوبك والوعيرة .

واستغل المعمار الخامات المتوفرة في البيئة ، فاستفاد من الحجر كمادة رئيسية في بناء القلاع بحكم توفرها محليا ، كما استفاد ايضا من جذوع اشجار النخيل في رفع عتبات بعض الابواب وأسقف بعض الغرف في قلعة العقبة واستفاد منه ايضا في عمل اطار ارتكزت عليه القبة وهو ما رأيناه في البرجين الثاني والثالث في العقبة ، ومعلوم أن شجرة النخيل ما تزال موجودة بكثرة حول القلعة .

وحيث ان الحجر هو المادة الرئيسية التي بنيت منها القلاع فإن طريقة نحتــه وفن بنائه تعتبر من ابرز العناصر المعمارية التي يمكن ان نلمسها في بناء القلاع. فقــد تم نحت الحجارة بثلاثة انماط هي : الطبزة المزمول وهو اكثرها شيوعا واستعمــــالاً والحجر الناعم المسمسم، واخيرا الحجر المثلم وهو أقلها استعمالاً، وهذا اصلا عبــــارة عن حجر تم نحته بشكل ناعم مسمسم، ثم تمت عملية حفر تثليمات (خطوط) طوليـــة وعرضية على وجهه، وبتقديرنا ان هذا النوع هو اقلها مقاومة لعوامل الطبيعة، ومن هنـا جاء بناؤه ضمن الاجزاء الداخلية من القلاع كما هو الحال في قلعة عجلون، في حيـن ان حجر الطبزة المزمول هو الاكثر مقاومة لعوامل الطبيعة فرأينا ان معظم اجــــزاء القلاع الخارجية قد بنيت منه، في الوقت الذي كان فيه بناء الحجر المسمسم غالبا فــي الاجزاء التي يخشى من تسلقها، وفي واجهات الابواب الداخلية، ضمن الاجـــزاء الداخلية للقاعات والغرف والابراج، بما يضفي عليها ناحية جمالية، كما يسهل تنظيفها ويزيد من الفراغ داخل هذه القاعات والغرف.

وبالاضافة الى نحت الحجارة وفقا للانماط التي ذكرناها، فانه كان يتم نحـــت الحجر الواحد بزاوية قائمة في اطرافه الاربعة اذا ما أريد بناؤه ضمن جدار مستقيـم، وفي احيان اخرى كان يتم نحت الحجر وفقا لدرجة انحراف معينة اذا ما اريد منــــه بناء برج دائري او نصف دائري او قُبة، بحيث تكون جميع الحجارة في المدماك الواحـد متناسقة مع بعضها سواء من حيث دقة اتصالها مع بعضها او بروزها للخارج او تجويفها للداخــل.

ومن العناصر المعمارية التي يمكن ان نلمسها في فن نحت الحجارة، تصميــم بعضها ليكون حجر زاوية او عتبة باب او نافذة، اما بشكل مستو، او على شكل قوس او حُنية او لعمل كرات دائرية كقذائف للمنجنيقات، كذلك تصميمها لتشكل طلاّقة بحيث تكـــون من الخارج مستدقة ومن الداخل عريضة، توفر الحماية ليد الرامي، ونحت الحجـــارة لتصميم سلم درجي منها، كذلك فإن نحت خندق حول القلعة، ونحت مجموعة من الآبار داخلها على شكل حبة الكمثرى يعتبر جزءاً من فن النحت، ودلالة على الجهد الكبيـر الذي كان يبذل في ضوء الامكانات التي كانت متوفرة لديهم، والتي لا تعدو المطرقــــة والازميل والشوكة والنخل والزاوية القائمة.

ومن نماذج فن النحت الاخرى تلك البلاطات التي تغطي ارضيات بعض الغرف والقاعات وخاصة في الجزء السفلي الغربي من قلعة الكرك ، وارضيات البرج السادس من قلعة عجلون . كذلك نُحتت الحجارة على شكل الواح استعملت كسقف لبعض الغرف كما هو الحال في مدخل قلعة الازرق وفي مسجدها .

كما نحتت حجارة القوس او الحَنية التي تعلو الطلاقات من الداخل بما يشبه الكتب المرصوصة داخل الرّف ، او على شكل نصف شمسية ، وبعضها نحت على شكل مقرنصات او تجويفات ، نتج عنها مجموعة من المثلثات الكروية التي ارتكزت عليها القباب من الحجمين الصغير والكبير كما هو الحال في قلعة الكرك .

هذا فيما يتعلق بنحت الحجارة واما بالنسبة لتصميم المبنى فقد روعي فيه ان تكون الابواب الرئيسية محصورة بين البرجين لتوفير الحماية لها ، وكذلك بناء سقّاطة فوقها لصب المحروقات على العدو اذا ما اقترب باعتبار ان الابواب هي محط انظار المهاجم ، وتتميز السقّاطة بأنها توفر حماية كبيرة لمن يعمل داخلها . واما الابواب السرّية فقد اختيرت مواقعها بعناية كبيرة بحيث تكون مخفية من خلال بناء جدار امامها يحول دون كشفها للمهاجم ، وكذلك كانت مساحتها صغيرة بحيث يسهل اغلاقها او السيطرة عليها اذا ما دعت الضرورة .

ومن العناصر المعمارية الاخرى عمل جسر متحرك في بعض القلاع خاصة تلك المحاطة كلها او جهة منها بخندق ، بحيث يسهل انزال هذا الجسر او رفعه تبعا للظروف الأمنية وبالتالي يصبح الخندق منطقة تقتيل بالنسبة للمهاجم في حال رفع الجسر ، واذا ما استطاع الوصول الى مدخل القلعة فإنه يواجه عنصرًا معماريا آخر يتمثل في المدخل المنكسر الذي ينعطف يمينا ويسارًا ، وهذا من شأنه تضليل المهاجم وارباكه ووضعه في حيرة بحيث لا يعرف مصير الاتجاه الذي سيسلكه ، وبالتالي وقوعه تحت نيران المدافعين عن القلعة .

وفي بعض القلاع وجدت الابواب التي تنزلق عموديا فتغلق المدخل في وجه الاعداء وبنفس الوقت تصب منها المحروقات على رؤوسهم ، وهو ما وجدناه في الموزع (ح) من قلعة عجلون .

يضاف الى ذلك دقة التنسيق في التوزيع بين اجزاء القلعة الخارجية، بما يحقق الانسجام من زاوية معمارية، والاسناد والتغطية من زاوية استراتيجية، فقد اشتملت القلاع على الابراج المربعة والمستطيلة والسداسية والدائرية، وتم توزيعها في القلعة الواحدة بما يتلائم وطبيعة الارض، ويوفر السيطرة على محيط القلعة، كما وجدت في طوابقها العليا وعلى اسوارها المصاطب المريضة التي توفر حرية التنقل على الاسوار كما تم توزيع السلالم الحجرية بين طوابقها لنفس الغاية، بالاضافة الى وجود قنوات للاتصال السريع كما هو الحال بين طوابق الجزء السفلي الغربي من قلعة الكرك.

واما التقسيمات الداخلية فقد روعي فيها الاتساع والتهوية والاضاءة وتوفير الاتصال بين اجزاء القلعة، وذلك من خلال التنسيق في توزيع الطلاقات، ووجود الفتحات في السقف او تصميم الارضيات المرتفعة للطلاقات، او بناء القباب الحجرية فوق بعض الغرف والقاعات، وتصميم الموزعات التي تصل بين اجزاء القلعة. واحتوت معظم القلاع على الآبار وقنوات الماء المصنوعة من الفخار وعلى المعاصر والافران وكل ما من شأنه توفير أسباب الحياة لحامياتها، بالاضافة الى احتوائها على المساجد والمدارس والكنائس لتوفير الغذاء الروحي للانسان، كما احتوت على القاعات التي كانت تؤدي العديد من الوظائف، كما روعي في بناء الجدران والاسقف ملاءمتها لظروف المناخ، فجاءت الجدران سميكه، والاسقف على شكل عقود وأقبية.

وتعتبر الطلاقات من ابرز المعالم المعمارية في القلاع بحكم الوظيفة التي كانت تؤديها، فكانت مستطيلة الشكل، قليلة العرض من الخارج، تسمح بتهوية وانارة المكان وتقلل من تسرّب مياه الامطار، أما من الداخل فهي عريضة واسعة، ومجوفة لحماية يد الرامي اذا ما كانت تشرف على زوايا الابراج. وقد شاهدنا عدة انواع من هذه الطلاقات منها ما هو على شكل القلب، ومنها ما هو على شكل حُنيه، ومما تجدر الاشارة اليه أننا وجدنا الطلاّقات القائمة في بعض الطوابق الاولى من القلاع كما في عجلون والشوبك والكرك أطول من تلك التي تعلوها تبعا لطبيعة الارض التي تطل عليها ولتحقيق السيطرة على زوايا الاسوار من الخارج، كما كان لهذه الطلاقات ارضيات مرتفعة عن مستوى الغرف او القاعات التي توجد فيها، وروعي في توزيعها في الجدران تغطية الارض التي تواجه ابنية القلعة من مختلف الجهات، وبما يوفر اسنادا متبادلا بينها

فلم تكن متعامده في طوابق القلعة .

وتعتبر العقود المدببة هي الاكثر انتشارا في بناء القلاع ، وقد صممت في القاعات على شكل قناطر حملت السقف ، وفي القاعات الصليبية بنيت حجارة العقد على شكل صلبان (حجر طولي يليه حجر عرضي وهكذا ، في حين في القاعات الاسلامية بنيت الحجارة على شكل عرضي ، واستمرار هذه العقود على متانتها الى اليوم يدعونا للقول بأنها ربما كانت من امتن العقود من الناحية المعمارية .

وقد لمسنا في بعض المواقع من القلاع اختلاف حجم الحجارة في المداميك السفلى عنها في العليا ، فكانت حجارة المداميك السفلى اكبر حجما من العليا ، ورأينا كيف أنه كلما ارتفع البناء صغُر حجم الحجارة وبنفس الوقت نقص سمك الجدار ، وذلك لتخفيف ضغط البناء على المداميك السفلى ، وبنفس الوقت تحقيق زيادة في ارتفاع الجدران دون تهديدها بخطر الانهيار .

ورأينا ايضا وجود الجدران الاستنادية التي تدعم بعض الاجزاء من الجدران او الاسوار في بعض القلاع وهو ما رأيناه في البرج الثاني من قلعة عجلون وفي مدخل قلعة الازرق ، وفي برج الظاهر بيبرس في الكرك ، وفي البرج التاسع في الشوبك . كذلك لاحظنا انه بالاضافة لمسايرة الاسوار للخطوط الكنتورية للموقع ، فإنها كانت تنعطف للداخل او الخارج على شكل زاوية قائمة ، بحيث تصبح هذه الزاوية بمثابة عمود او قاعدة ضمن السور ، وفي بعض الحالات كانت الابراج تتخلل الاسوار لتؤدي وظيفتها كابراج وبنفس الوقت لاضفاء المتانة على البناء ، وفي حالات اخرى كانت تصمم الابراج في زوايا المبنى الأربعة كما هو الحال في قلاع عجلون والعقبة .

من العناصر المعمارية الاخرى ان المعمار قام بوضع موزع واحد بين الغرف في البرج الواحد ، بحيث يتقدم الموزع على الغرف . وهو ما شاهدناه في ابراج قلعة الشوبك ، واما بالنسبة الى قاعات قلعة الكرك القائمة في الجزء السفلي فقد تميزت بوجود غرفة صغيرة ذات استراتيجية خاصة يعلوها قبة صغيرة وفي صدرها طلاقة تحقق السيطرة والاشراف على بقعة واسعة من الارض ، ويقابل الطلاقة قناة تربط بين طوابق القلعة .

اما بالنسبة لسقف المباني في القلاع فقد انتشر استعمال العقود البرميليه الشكل، والتي تسهل انسياب مياه الامطار، كما تخلل تلك العقود فتحات دائرية او مربعة او مستطيلة للانارة والتهوية، كما يمكن من خلالها تمرير المعلومات بين طوابق المبنى .

وهكذا يتبين الينا أن العناصر المعمارية التي تسترعي الانتباه في قلاعنا موضوع البحث انما تتلخص في حفر الخندق حول القلعة او في جهة منها، وبناء جسر متحرك فوق هذا الخندق، وحصر مدخل القلعة بين برجين، وتصميم المدخل بحيث يكون من النوع المنكسر، وبناء السقّاطات فوق المداخل، وتوزيع الطلّاقات بين جدران الاسوار والابراج لضمان السيطرة على محيط القلعة، واستعمال العقود المدببة في تصميم السقف، وقد سادت هذه العناصر في معظم اجزاء القلاع نظرًا لفعاليتها في الابنية الحربية، في حين كانت المثلثات الكروية والقباب قليلة الاستعمال باعتبارها غير ضرورية في مثل هذه العمائر، ولانها تحتاج في تصميمها لوقت اطول وجهد اكبر وبالتالي فإن استعمالها كان في المراحل التي شهد فيها العهد المملوكي حالات من الرخاء المادي .

اما بالنسبة للعناصر الزخرفية في القلاع فإنها تبدو قليلة على اعتبار انها ابنية اقيمت في ظروف غلب عليها الطابع الحربي، ومع ذلك فإنها احتوت على نماذج فنيّة ذات مسحة جمالية تمثلت في بعض الزخارف النباتية والرسوم الهندسية وصور الطيور والحيوانات، فمن الزخارف النباتية والرسوم الهندسية ما وجدناه في قلعة الشوبك على احد الحجارة وطوله ٩٨ اسم وارتفاعه ٤٦ سم، واحتوى على خمس شجرات من النخيل، تتعاقب مع أربع دوائر، بحيث نجد شجرة ثم دائرة وهكذا، وداخل كل دائرة تم نحت وردة، منها اثنتان مروحيتان واثنتان على شكل القلب، واما أرضية هذه الزخارف فقد نحتت باشكال هندسية على شكل مربعات، والدقة والفن الذي نلمسه في هذه اللوحة لا يختلف عنه في نحت النصوص التاريخية التي حملتها واجهات القلعة والتي اشرنا اليها . والى جانب هذه اللوحة يوجد حجر آخر عليه بقايا نقوش لاشكال نباتية يتخللها بعض الحليات الكأسية .

ومن العناصر الزخرفية النباتية ايضاً تلك اللوحة الموجودة على واجهة البرج الثالث في قلعة العقبة، وضمّت وردة على شكل قرص الشمس نحتت داخل اطار هندسي على حجر مساحته ٦٥×٧٥ سم، وقد تكررت هذه اللوحة ايضاً على الواجهة الشرقية من البرج الرابع في نفس القلعة، وإن كانت هنا اكبر حجما اذ بلغت ١٥٠×١٠٠ سم، فجاءت الوردة والاطار الهندسي اكبر حجما، وفوق هذه اللوحة تم نحت شجرة نخيل محاطة بأسدين، ويبدو أن صورة الاسدين المتقابلين وبينهما شجرة كانت سائدة الاستعمال في العهد المملوكي اذ نراها موجودة على "باب الاسدين" الذي يلي بابالحيات في قلعة حلب. (١)

ومن العناصر النباتية الاخرى ما نحت على هاون حجري عثر عليه في قلعة الكرك، وموجود في متحف القلعة، وقد نُحت من الداخل على شكل دائري، كما ان قاعدته دائرية الشكل أيضا، في حين من الخارج جاء نحته على شكل مربع، وحملت كل واجهة منه صورة على النحو التالي :- صورة وردتين بوضع متعاكس، وصورة حمامة وصورة صليب وصورة فارس. ولم نجد دليلا يؤكد فيما إذا كان هذا الهاون صليبي ام انه بيزنطي وان كنا نرجح انه اثر بيزنطي، قياسا على تلك الآثار البيزنطية من قواعد واعمدة ونقوش وصلبان كانت منحوتة على بعض الحجارة التي استغلها الصليبيون عند اعادة بناء القلعة، فقد رأينا احد هذه الصلبان منحوتا على حجر وضع فوق عتبة مدخل السور الشمالي للقلعة، حيث نُحت الصليب داخل دائرة وزيّن باربع وردات بين اظلاعه الاربعة، ويعود كما اسلفنا صفحة (١٦٨) الى بداية القرن الثاني ونهاية القرن الرابع الميلادي. كما رأينا وجود نحت صليب تحف به بعض الازهار النباتيةعلى حجر ضمن الجدار الشمالي داخل كنيسة قلعة الكرك، ونحت صليبآخر على عتبة المدخل الغربي في الكنيسة رقم (٢) في الشوبك.

اما صور الطيور والحيوانات فقد جاءت على شكل "رنوك" جمع رنك وهي كلمة فارسية تعني اللون، وفي العربية تعني "الشعار" وجمعها "أشعره" إذ كان السلاطين والامراء في البلاطين الايوبي والمملوكي يتميزون بشعارات خاصة كالهنّاب والدواه، والكأسوالأسد، والنمر والزهور والصقر والنسر، والبوق والمائدة والبقجة. (٢) وكانت تتخذ

---

(١) الساطع ١٩٧٥ : ٦١.
(٢) القلقشندي ج ٤ ١٩١٤ : ٦١ ؛ ماجد ١٩٦٧ : ٤٢.

للدلالة على الوظيفة فتُنقش او تُطبع على حاجات صاحبها ، فالأسد مثلا شعار الظاهر بيبرس، والمائدة شعار " ايبك". والسيف والدرع شعار صلاح الدين .

وقد وجد السيف والدرع في قلعة عجلون ضمن واجهة الجدار الجنوبي للغرفة (م) وعلى حجر طوله ٩٥ سم وارتفاعه ٥٥سم. وقد زين مقبض السيف ببعض التثليمات الخفيفة ، وبعد المقبض يخرج منه شعبتان : العليا ترتفع قليلا ثم يتدلى منها دائرة على شكل وردة او نجمة سداسية الاضلاع ، بل انها تشبه الدرع الدائري ، اما الشعبة السفلى فيتفرع عنها شعبتان أصغر حجما ، ومثل هذا الشعار للسلطان صلاح الدين وجد منحوتا على مدخل قلعته في سيناء كما ان النجمة السداسية كانت شارته المحببة التي ظهرت على عملته . (١)

كما ظهرت النجمة السداسية داخل شكل سداسي في زخرفة النقش الكتابي القائم على الواجهة الشرقية للبرج الاول في قلعة الشوبك عند نهاية عبارة " ان الدين عند الله" و قد تشكلت هذه النجمة نتيجة نحت مثلثين متعاكسين ، والوحدات النجمية من العناصر الزخرفية التي اشتهر بها العصر المملوكي . (٢)

كذلك يوجد على يمين مدخل الموزع (ى) في قلعة عجلون نحت لطائرين لعلهما نسران او صقران ، وهما في وضع قتالي ، حيث بدا ريش الذيل لكل منهما نافرًا ، كما ظهرت مخالبهما من الارجل المنتصبة ، والمنقار يقابل المنقار وكأنهما صُوّرا في لحظة تقفز عن سطح الأرض. وعلى يسار مدخل الموزع وجد نحت لطائر منفرد مماثل وفي وضع مطابق لوضع الطائرين السابقين ، ولعل سببًا ما قد حال دون نحت صورة الطائر الثاني الذي يُفترض انه يقابله في هذه الجهة تحقيقا لمبدأ التماثل في مثل هذه اللوحات الفنية. والارجح ان هذه الطيور تمثل النسر ذلك ان صلاح الدين كان قد اتخذه ايضًا شارة له في تلك الفترة . (٣)

ومن العناصر الزخرفية التي تعتبر غاية في الدقة والاتقان تلك المنحوتات للاسود التي كانت تحف بالنقش الكتابي الموجود على البرج (هـ) ــ برج الظاهر

---

(١) زكي ١٩٦٠ : ١١٨ ؛ ١٩٧٠ : ١١٠.
(٢) علام ١٩٧٤ : ١٩٢.
(٣) حتي ورفاقه ١٩٧٤ : ٥٧٦.

بيبرس ـ من ابراج مدينة الكرك والتي انتزعت ووضعت في واجهة المستشفى الايطالي في مدينة الكرك، وكذلك تلك المنحوتات للاسدين المتقابلين بين اجزاء النقش الكتابي القائم في البرج (ب) من ابراج المدينة ايضاً، يضاف الى ذلك بقايا تلك الاسود على الواجهة الجنوبية من القلعة (الحصن) وجميع هذه الاسود نحت من الناحية الجانبية وبشكل بارز. وبدت في وضع متحرك من خلال تقديم احدى الايدي واتباعها باحدى الارجل، وفي الوقت الذي نُحت فيه جسم الاسد بوضع جانبي فإن رأسه نحت بشكل مواجه ظهرت فيه العينين والاذنين وفتحتي الانف، وفي نحت الاسدين على البرج (هـ) والموجودة كما اسلفنا على واجهة المستشفى الايطالي يبدوان في وضع قتالي حيث امتدت كلتا اليدين الى الامام والارجل الى الخلف مع بروز مخالب الايدي، في الوقت الذي ارتفع الذيل فوق الظهر، وهنا بقي نحت الرأس بشكل مواجه ايضاً.

ومن خلال هذه المنحوتات يتضح مدى الدقة والاتقان في فن النحت فجاء معبرًا عن الحالة التي يكون فيها الاسد، مما يوحي بأن الفنان قد استوعب المنظر والحركة، على اعتبار أنه يرسم شعار السلطان [1]، بل ولعله عايش مثل هذه المناظر مع الاسود التي كانت تعيش بكثرة في بلاد الشام وهو ما نلمسه في مذكرات اسامة ابن منقذ [2] عند حديثه عن صراعه مع الاسود وقتله لعدد لا يحصى منها، وتظهر براعة الفنان المسلم في مقدرته على نحت صورة الاسد وهو في حالتي الضحك والبكاء وهذا ما نراه على واجهة الباب الرابع الواقع امام ضريح الخضر في قلعة حلب ويعود الى القرن الثالث عشر الميلادي [3]. واذا ما امعنا النظر في صورة الاسد الموجودة على ابراج الكرك التي اشرنا اليها وبين صورته على قطع العملة التي عُثر عليها داخل القلعة وفي البرج (هـ) ـ برج الظاهر بيبرس ـ لرأينا مدى التطابق بين كلتا الصورتين مع فارق في الحجم فقط، وهذا يحمل على الاعتقاد بأنه قد تم اتباع نمط موحد في رسم شعار السلطان سواء على قطع العملة او على العمائر، وهذا بدوره يدلل على وحدة الفن في مجالي العمارة وصك العملة في مختلف ارجاء الدولة في عهد السلطان الظاهر بيبرس.

---

(١) Creswell 1940: 150-154.

(٢) ابن منقذ ١٩٣٠ : ١٩٢-١٩٩.

(٣) الساطع ١٩٧٥ : ٦٢.

واذا ما قارنا بين صور هذه الاسود في قلعة الكرك وتلك المنحوته على الواجهة الشرقية من البرج الرابع في قلعة العقبة لوجدنا فرقا كبيرا بينهما ، فبالقدر الذي ظهرت فيه صور أسد الكرك معبرة ناطقة فإن صورة اسود العقبة جاءت لتعبر عن ضحالة في الفن ، فهي من الحجم الصغير ليست واضحة المعالم ، وقد وضع في رقبتها ما يشبه السلسلة .

ووجود الاسود في قلعة حلب والكرك مع النصوص التاريخية التي تعود الى عهد الظاهر بيبرس يدعونا للقول بأن البرجين الثالث والرابع من ابراج قلعة العقبة تعود الى عهد الظاهر بيبرس، ولعلها تعود الى بداية عهده حيث لم يتطور فن نحت شعار السلطان "الأسد" ليصل الى المستوى الذي وصل اليه فيما بعد عندما قام بيبرس ببناء الابراج في القلاع التي اشرنا اليها .

ومن صور الحيوانات الاخرى التي تم نحتها ما عُثر عليه حول قلعة الازرق من حجارة بركانية تحمل صور الارانب، وقد وضعت هذه الحجارة في مدخل القلعة ، وفي هذه المنحوتات نلمس مدى دقة النحات في تصوير الأرنب سواء كان واقفا او راكضا .

ومن العناصر الزخرفية الاخرى ما عُثر عليه في الزاوية الشمالية الشرقية للسور الشمالي من الداخل . في قلعة الكرك من نحت يمثل صورة احد الفرسان وقد بدا منتفخ الصدر كما لو كان يرتدي درعا ، في الوقت الذي ظهر فيه الرأس صغيرا لا يتناسب مع حجم الصدر ،أما باقي اعضاء الجسم فلم يجري نحتها . ولا ينم هذا العمل عن اتقان في فن النحت ولعلها كانت محاولة او تجربة غير ناجحة في هذا المضمار قام بها الفنان الصليبي على اعتبار ان السور الشمالي في القلعة من عمل الصليبيين كما اسلفنا .

ومع ان الخط النسخي أستخدم لتوضيح نصوص تاريخيه لها صلة بالاوضاع التي كانت قائمة إلا أنه اضفى على القلاع معالم زخرفية جميلة ، فجاءت الاحرف بارزة مريحة للنظر وتبعث البهجة في النفس، وتنم عن ذوق رفيع ودقة متناهية ، وإن كانت في ذلك تختلف من نقش الى آخر في تلك النقوش التي أوردناها في سياق البحث، الا اننا نلمس بلوغ هذا الخط غاية نموه وجماله في نقوش قلعة الشوبك حيث الدقة في انحناء وانبطاح الاحرف، وفي القصر والطول ، والرقة والغلظة واطلاق اليد في التخطيط ، والتلاعب في تشكيل ووصل الحروف وميلها الى الاستدارة ، فبدت الكتابة وكأنها لحن مميز للمهديين

الايوبي والمملوكي ، وبلغت الكمال في عهد " حسام الدين لاجين".

وما كان جمال الخط ليكتمل لولا دقة فن النحات فبالقدر الذي كان فيه الخطاط متحكما في قلمه ظهر النحات متمكنا من مطرقته وازميله ، وهذا الأمر ليس غريبا على الفنان المسلم الذي استلهم هذه الموهبة من عظمة الاسلام ، اذ جاء في القرآن الكريم سورة تحمل اسم "القلم" وتبدأ بقوله سبحانه وتعالى " ن والقلم وما يسطرون "[1] وان اول ما نزلت على الرسول صلى الله عليه قوله سبحانه وتعالى " اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم . . . "[2] وقد احتل الخطاطون مكانة رفيعة خلال عهود الحضارة الاسلامية ، ونالوا حظوة لدى الحكام والسلاطين ، وحفظ لنا التاريخ اسماء العديد منهم ، كما تعددت انواع الخطوط .[3]

وهكذا نرى ان العناصر الزخرفية تتلخص في الزخارف النباتية والرسوم الهندسية ، ومع ان الرنوك كانت من شعارات السلاطين ، الا انها لعبت دورًا في زخرفة واجهات بعض المباني ، بينما ساد رسم الصليب في الاجزاء الصليبية ، كما لعب الخط النسخي دورا كبير في زخرفة الواجهات ، غير ان هذه العناصر تبدو قليلة اذا ما قورنت بحجم القلاع وسبب قلتها ان هذه القلاع كانت لغايات عسكرية وبنيت في ظروف غلب عليها النزاع المسلح .

---

(١) القلم : ١

(٢) العلق : ١-٤ .

(٣) لمعرفة انواع الخطوط واسماء بعض الخطاطين انظر :-
ماجد ١٩٧٣ : ٢٥٨-٢٦٠ ؛ الرفاعي ١٩٧٧ : ١٢٧-١٣٤ .

الفصل الرابع

المقايسات المعمارية.

كان لاشتراك الأردن مع سوريا وفلسطين ومصر وبلاد ما بين النهرين في تاريخ واحد تقريبا منذ حوالي الفي سنة قبل الميلاد أثره في توحيد التراث الفني، وازدادت عرى هذا التاريخ وحدة وتلاحما مع ظهور الاسلام وانتشاره، وقد وقع البناء الاسلامي في هذه الأقطار، منذ العهد الأموي تحت تأثيرات محلية متشابهة تتصل بالفن الهليني الشرقي والبيزنطي، واستمر التاريخ متصلا كما أسلفنا في مقدمة هذا البحث خلال العهود :- العباسي، والطولوني، والسلجوقي، والفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني، واذا كان لكل عهد منها خصائصه المعمارية وفنونه التي نمت وتطورت معه فانها بنفس الوقت تركت بصمات في هذا البلد بحكم موقعه الجغرافي تدل على ترابط ذلك التراث الفني وتسلسله وتمثيله لكل عصر من تلك العصور.

وتعتبر القلاع في الأردن من أكثر النماذج المعمارية التي تؤكد وحدة التاريخ والمصير المشترك الذي عايشته تلك الأقطار خلال العهدين الأيوبي والمملوكي . كما انها تؤكد وحدة التراث الفني المعمارى من خلال تماثلها في الاطار العام مع قلاع هذه الأقطار. ويمكننا أن نتبيّن هذا التماثل من خلال العناصر التالية:-

عندما تحدثنا عن قلاعنا كنا قد صنّفناها إلى ثلاثة أنواع : جبلية وساحلية وصحراوية، ومثل هذا التصنيف يمكن أن ينسحب على قلاع بلاد الشام ومصر أيضا، فاذا كانت قلاع عجلون والسلط والكرك والشوبك قد أقيمت في مناطق جبلية فان معظم قلاع سوريا ولبنان أيضا بنيت في مناطق جبلية، نذكر منها على سبيل المثال : قلاع حلب وحمص وشيزر والمضيق ومعرة النعمان وقلعة حارم وحصن الأكراد والنمرود وبعلبك والمرقب والشقيف وغيرها من القلاع، وفي فلسطين نذكر منها قلاع القدس والخليل وصفد والحجاج، وفي مصر نذكر قلعة الجبل (صلاح الدين) في القاهرة. ومع بناء هذه القلاع في مناطق جبلية فانه كان يتم التركيز في اختيار الموقع بما يكفل تحقيق الأهداف التي يفترض أن تؤديها القلعة من سيطرة واشراف وحماية لطرق المواصلات أو المدن أو المرافق الاقتصادية، وروعي في تخطيط القلعة وبنائها الانسجام مع شكل

الأرض وطبيعتها بما يضمن توفير الدفاع الأمثل عنها .

واذا كانت قلعة العقبة وجزيرة فرعون ساحلية وتسيطر على التجارة البحرية في خليج العقبة، وعلى الطريق الذى يربط مصر بالشام والحجاز، فان هناك عشرات القلاع التي تمتد على طول الساحل اللبناني السورى الفلسطيني والمصرى بدءاً من اللاذقية وطرطوس وبيروت وصور وصيدا وعكا وقيسارية وحيفا ويافا وغزة والاسكندرية .

كذلك فان هنالك القلاع التي أنشئت في الصحراء لحماية المواصلات وللاشراف على البوادي على غرار قلعة الأزرق، ففي سوريا هنالك قلعة بصرى وتدمر، وفي صحراء سيناء توجد قلعة صلاح الدين في موقع رأس الجندى، وقلعة الطور وقلعة نخل العريش.

والى جانب العناية باختيار المكان لاقامة القلاع عليه فانه كان يؤخذ بعين الاعتبار قربه من مصادر المياه، فقد أقيمت قلاع الأردن على مقربة من الينابيع فقلعة عجلون لا تبعد كثيرا عن نبع الماء في المدينة، وكذلك قلعة الكرك أقيمت على مقربة من عين ساره، في حين تحيط الينابيع بقلعة الشوبك كما تم حفر خندق يؤدي الى أحد تلك الينابيع، والأمر نفسه يمكن أن يقال عن قلاع حلب وحماه ودمشق، وشيزر والشقيف، وكذلك عن قلعة القدس وقلعة صلاح الدين في سيناء - قرب عين صدر، وقلعة الجبل (صلاح الدين في القاهرة) حيث حفر خندق يؤدي الى نبع الماء، وكذلك قلعة كوكب الهوى اذ يقع نبع الماء الى الجنوب منها ويتم ادخال الماء الى القلعة بواسطة قنوات الماء . (١)

وفي اختيار المكان أيضا كانت تستغل التضاريس الطبيعية بحيث تحيط الأودية السحيقة بالموقع الذى ستبنى عليه القلعة من معظم جهاته، وهذا ما لمسناه في قلاع عجلون والسلط والكرك، والشوبك، وما نجده أيضا في قلاع حلب وشيزر وبانياس والشقيف وحابس جلذك، وقلعة صلاح الدين في سيناء بمحاذاة وادي صدر . (٢)

---

(١) Benvenisti 1970: 299

(٢) زكي ١٩٦٠: ١١٧ .

بالاضافة الى التماثل في اختيار المكان بين قلاع الأردن وقلاع بلاد الشـــام ومصر، فان هناك تماثلا أيضا من حيث المخطط العام لهذه القلاع، فقد رأينا الخندق يحيط بقلعة عجلون، كما أنه يفصل قلعة الكرك عن المدينة في الجهة الشمالية، وكـان الهدف منه إضفاء مزيد من الحصانة والقوة الدفاعية للقلعة، وكذلك جمع كميات كبيـرة من مياه الأمطار، ومثل هذه الخنادق يمكن أن نراه في قلاع حلب وحمص ودمشق وبصرى (١) وشيزر، وقلعة رحبة مالك بن الطوق ـ جنوب دير الزور، وقلعة معرة النعمان (٢)، وكذلك قلعة القدس، وقلاع صلاح الدين في القاهرة وفي سيناء. وكما أسلفنا في مقدمة الفصل الثاني من هذا البحث فان ظاهرة إحاطة القلاع بالخندق وجدت في فلسطين منذ الألف الثانـي قبل الميلاد، وكذلك وجدت عند السلاجقة عندما بنوا قلاع حلب ودمشق (٣). وفي كـل القلاع التي وجدت حولها الخنادق وجدت أيضا الجسور المتحركة التي تربط بين القلعـة من الداخل ومحيطها من الخارج وتفننوا في تصميم هذا الجسر، فكان من النوع المتحرك بحيث يسهل تنزيله أو رفعه حسب الحاجة، وبالتالي فانه كان من السهل عزل القلعـة عن المحيط الخارجي من خلال الخندق ورفع الجسر.

وكان يتم عمل رصيف في بعض الأجزاء الداخلية من الخندق والمحاذية للقلعة، وذلك لمنع تسرب مياه الخندق الى أساسات القلعة أو جدرانها، ومنعـا للوصول اليها أيضـا. كما كانت مثل هذه الأرصفة توضع حول المناطق التي يتوقع من خلالها الوصول إلى أسـوار وأبراج القلعة، فتساهم في كشف المهاجمين، وهو ما رأيناه في قلاع عجلون والكرك والشوبك وما هو موجود أيضا في قلاع المضيق وحارم وحلب.

كذلك كانت بعض القلاع مزدوجة الأسوار، فقد أشارت المصادر التاريخية لوجـود ثلاثة أسوار حول قلعة الشوبك، كما وجدنا سورين في قلعة الكرك: سور القلعة وسـور المدينة، وهو ما نجده أيضا في قلعة حصن الأكراد في سوريا (٤) وفي قلعة حلب أيضا وفي قلعة صلاح الدين في القاهرة. (٥)

---

(١) كولار ورفاقه ١٩٥٣: ٢٠؛ ابل ١٩٥٦: ١٤٣، ١٤٥.
(٢) الساطـع ١٩٧٥: ٤٩، ٧٨.
(٣) كولار ورفاقه ١٩٥٣: ٢٠؛ الريحاوي ١٩٦٩: ١٨٠.
(٤) كولار ورفاقه ١٩٥٣: ٣٠.
(٥) زكـي ١٩٦٠: ١٠٢، ١١.

ولما كانت الأبواب في القلاع محط أنظار المهاجمين فقد تم تدعيمها بالأبـــــراج فرأينا ان مدخل قلعة عجلون محمي من خلال ثلاثة أبراج ، وباب قلعة الكرك الشمالـــي محمي من خلال برجين ، أما بابها الغربي فيحميه برج واحد ، وكذلك قلعة الشوبـــــك إذ يحميها البرج الأول ، اما قلعة العقبة فقد جعل بابها محصورا بين برجين ، ومثـــل هذه الأبراج التي تقوم بحماية الأبواب لا تخلو منها قلعة واحدة من قلاع سوريـــــــا ولبنان وفلسطين ومصر التي أشرنا إلى بعض منها .

وزيادة في توفير الحماية للأبواب فقد تم تصميم " سقاطات" أو " مشربيـــــات" تعلو الأبواب ، وتبرز عن جدران الأسوار من خلال ارتكازها على ركب حجرية (كوابـــل) ثم تثبيت جزء منها ضمن الجدران ، في حين برز جزء آخر للخارج ، بنيت السقاطة عليـــه وجعلت أرضياتها مفرغة بما يوفر السيطرة للمدافع ضد المهاجم ، ومثل هذه السقاطـات وجدنا بعض بقاياها فوق مدخل قلعة عجلون وقلعة العقبة ، ووجدناها كاملة فوق مدخـــل قلعة الأزرق ، وفوق مدخل البرج (حـ) من أبراج مدينة الكرك ، وما تزال نماذج كثيـــرة منها قائمة في قلاع دمشق [1] وحلب وحصن الأكراد والشقيف ، والقدس وقلعة صـــــلاح الدين في القاهرة ، وكذلك في قلعة كوكب الهوى . [2]

وللحيلولة دون وصول المهاجم بسرعة أو بسهولة الى الفناء الداخلي للقلعـــة اذا ما تمكن من اجتياز بوابة القلعة فقد تم تصميم المدخل بحيث يكون من النـــــوع المنكسر ، ففي قلعة عجلون ينعطف المدخل خمس مرات حتى يصل الى سطح القلعة ، ولعل مهندس البناء في عجلون كان قد عمل قبلها في قلعة حلب أو أنه زار قلعة حلب أو حارب فوق أسوارها فنقل تصميم المدخل المنكسر من هناك الى عجلون اذ أن مدخل قلعـــة حلب ينعطف خمس مرات أيضا . [3] كذلك رأينا المدخل المنكسر فوق الباب الغربي لقلعة الكرك وفي الشوبك وان مكان باب قلعة الشوبك الغربي قد أغلقه الطمم وانه بحاجة للكشف عنه ، الا أن المدخل المنكسر يتضح في مدخلها الشرقي ، والمدخل المنكسر كما أسلفنا وجد في قصر الأخيضر ، كما أنه وجد قبل ذلك في قصر أوغاريت ويعود لمنتصف الألـف الثاني قبل الميلاد ولعله يكون أقدم مثل للأبواب المنكسرة في بلاد الشام . [4]

---

(١) الريحاوي ١٩٦٩ : ١٨١-١٨٢ .
(٢) Benvenisti 1970: 281
(٣) الحمصي ١٩٨٢ : ١٣٩ .
(٤) الريحاوي ١٩٧٩ : ١٦ .

أما فيما يتعلق بشكل الأبراج فقد رأينا احتواء القلاع في الأردن على معظم أنواعها سواء كان مربعا أو مستطيلا أو سداسي الشكل أو مستديرا، وروعي في اختيارها مدى ملاءمة الأرض، وبما يوفر السيطرة على محيط القلعة، قد أشرنا إلى أفضلية البرج الدائري من حيث السيطرة والاشراف، وصعوبة نقبه وسهولة حركة حاميته، وزيادة استيعابه للجند، ومن الصعب نسبة أي من هذه الأبراج إلى أمة بعينها فقد وجدت في حصون آشور القديمة ٥٠٠٠ ق.م، وفي الآثار الفرعونية من عهد الأسرة الثامنة عشرة ١٦٠٠ — ١٤٠٠ ق.م في قلعة سمنة الغرب. كما وجدت الأبراج المستديرة في الآثار الحيثية في زنجرلي شمال سوريا في العهد الارامي كما استعمله الرومان أيضا، ولدينا أمثلة منها في عمان شراع سقف السيل — قرب المدرج الروماني، وبرج الملفوف، وفي اللجون قرب الكرك، كما استعمل الأمويون والعباسيون مثل هذه الأبراج في بناء قصورهم، وكذلك السلاجقة عند ما بنوا قلاع حلب ودمشق، وبناها الأيوبيون في قلاعهم، ووصلت في العهد المملوكي الى قمة الدقة والاتقان، ولا يوجد اليوم قلعة من العهد الأيوبي والمملوكي لاتحتوي على عدة نماذج من هذه الأبراج .

ومن العناصر المعمارية المشتركة بين قلاع الأردن وغيرها من قلاع بلاد الشام ومصر " المثلثات الكروية" التي كانت تحمل الأقبية والقباب، وكان يعتقد بأن كنيسة أياصوفيا ٥٣٧م تمثل أقدم مثل لهذا العنصر المعماري، إلاّ أنه ثبت بأن أقدم الأمثلة له في الأردن حيث عثر عليه في الحمامات الشرقية في جرش، وفي إحدى غرف الحمامات في البتراء ويعود الى القرن الأول الميلادي، كما وجد في قصر النويجيس بعّمان ويعود لنهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث الميلادي، وفي قصير عمره ٧١٥م (٩٧هـ)، ثم شاع استعماله تبعا لانتشار الحضارة إلى أن أصبح ميزة من مميزات العمارة الأيوبية والمملوكية حيث تكاد لا تخلو منه قلعة من قلاعهم أو مدرسة أو جامع من جوامعهم .

---

(١) زكي ١٩٧٠ : ٤٧ .

يضاف الى هذه العناصر تلك "العقود المدببة" التي كانت في الغالب ذات نظام رباعي متقابلة وتتقاطع في نقطة واحدة لتشكل بذلك قبواً أو جزءاً من قبو ويرى كرزويل(١) بأن استخدام القصور المدببة كان قبل الاسلام في قصر ابن وردات قرب حمص ٥٦٤م، وان الأمويين استخدموها في عمارتهم لقصور عمره والمشتى والطوبه والصرح وفي المسجد الأموي والمسجد الأقصى، وقد رأينا هذه العقود في قلاع عجلون والكرك والشوبك والعقبة كما أنها موجودة أيضا في قلاع بلاد الشام ومصر، وتعتبر من ضمن مميزات العمارة الأيوبية والمملوكية، كما استعمله الفاطميون في الجامع الأزهر وقبة بدر الجمالي ومحراب اخوات يوسف. (٢)

كما رأينا وجود "القباب" المحمولة على مثلثات كروية كما في الجزء الغربي من قلعة الكرك، ومدخل قلعة العقبة، وأخرى حملت على حنايا تخرج من العقود الأربعة المتقابلة كما في البرجين الثالث والرابع من قلعة العقبة، ونوع ثالث ارتكز على اطار أو قاعدة مستديرة من خشب شجر النخيل كما في قبة البرج الثاني من قلاع العقبة والقباب المحمولة على مثلثات كروية وجدت في قصر النويجيس وعمره في الأردن، كما أنها وجدت في العصر الفاطمي في أبواب القاهرة، كما وجدت في العصر الأيوبي في برج الظفر ١١٧٦م (٥٧٢هـ) واستخدمت في العصر المملوكي لمدفن قلاوون، كما وجدت مثل هذه القباب في قلعة حلب بقاعة العرش(٣)، أما في القلاع الأخرى، فان المراجع التي قدر لنا الاطلاع عليها لم تدخل في التفاصيل المعمارية للاشارة لوجود مثل هذه القباب.

والى جانب القباب وجدنا عنصرا معماريا آخر هو "المقرنصات" التي تم نحتها في حجارة القاعدة أو الاطار الذي ارتكزت عليه القباب الصغيرة التي أشرنا اليها في الغرف ذات الموقع الاستراتيجي في السور الغربي من قلعة الكرك، وكذلك تلك المقرنصات التي حملت القبة الكبيرة في القاعة المقباة (جـ) والتي وصفناها على شكل تجويفات في الحجر، نتج عنها تشكيل مثلثات كروية ارتكزت عليها مداميك القبة الدائرية. ومثل هذه المقرنصات رأيناها في الأقواس التي تعلو طلاقات البرج (و) من أبراج مدينة الكرك

---

(١) Creswell 1932: 279-280.

(٢) زكي ١٩٧٠: ٥٤؛ ١٩٧١: ١٠٨-١٠٩.

(٣) الساطع ١٩٧٥: ٦٣.

وفي البرج الجنوبي للقلعة والذي أسميناه " بالحصن"، ومثل هذه المقرنصات وجد في المدخل الشرقي ضمن قلعة دمشق. (١)

أما بالنسبة لقنوات الاتصال بين طوابق الجزء السفلي الغربي من قلعة الكرك والقائمة ضمن غرف ذات استراتيجية خاصة سواء بالنسبة لموقعها الداخلي من القاعة أو بالنسبة لمدى سيطرتها الخارجية بالنسبة لمحيط القلعة، ومثل هذه القنوات وجدت أيضا ضمن غرف في قاعة العرش بقلعة حلب. (٢)

وهكذا نلمس مدى التماثل في الاطار العام بين قلاع الأردن وقلاع البلدان العربية المجاورة في فلسطين وسوريا ومصر، وبتقديرنا ان مثل هذا التماثل ربما كان موجوداً في بعض التفاصيل الدقيقة أيضا والتي لم تشر إليها المراجع الأثرية التي تحدثت عن قلاع تلك البلدان مثل وجود الحجارة الكبيرة في المداميك السفلى من الأسوار والأبراج تعلوها حجارة أصغر حجما، وكذلك بالنسبة لتصميم الطلاقات بحيث تكون في الطوابق السفلى أكثر استطالة من الطوابق العليا، مع وجود أقواس فوقها لحماية رأس الرامي ووجود تجويف من الداخل لحماية يده وتحقيق زيادة في الاتساع، كذلك وجود أرضية مرتفعة للطلاقة عن أرضيات الغرف أو القاعات الموجودة فيها بحيث تكتمل مهمتها الدفاعية في السيطرة على الأرض التي تطل عليها. وربما كان في القلاع الأخرى طلاقات من كلا النوعين :ـ المصمم على شكل قلب يعلوه فراغ علق شكل مربع أو مستطيل، والمصمم على شكل قوس أو حنية. وكذلك استعمال العقود البرميلية في بناء اسقف الغرف والقاعات ووجود موزع يتقدم الغرف في بعض الأبراج، ووجود الانفاق الموصلة الى مصادر المياه. وغير ذلك من الأمور الأخرى.

ويمكننا القول بأن قلاع الأردن تنفرد عن بعض القلاع الأخرى في البلدان العربية من حيث نوعية حجارتها، فهي من النوع الكلسي الصلب ذو اللونين الأبيض والأصفر واذا كانت نوعية هذه الحجارة متشابهة مع نوعية حجارة قلعة القدس وحلب من حيث صلابتها، فانها تختلف عن حجارة قلعة دمشق المقطوعة من جبل قاسيون فهي وان كانت كلسية إلاّ أنها تتفتت تحت الضغط، فكان من الطبيعي أن يلجأ سكانها غالبا الى الخشب والمواد الأخرى السهلة الاستعمال في بناء أبنيتهم. (٣)

---

(١) البني ١٩٥٤ – ١٩٥٥ : ٣٤.
(٢) الساطع ١٩٧٥ : ٦٣.
(٣) العطار ١٩٥٣ : ٨٠.

كما استعمل الحجر البركاني الأسود في قلعة الأزرق من قلاع الأردن فجاءت حجارتها مختلفة عن باقي حجارة قلاع الأردن الأخرى، وعن قلاع سورية وفلسطين ومصر.

وبعض قلاع الأردن كقلعة الكرك كانت تتماثل الى حد كبير مع قلعة الشقيف من حيث طبيعة المنطقة الجغرافية التي أقيمت عليها كل منهما، فكل قلعة تتألف من جزئين مرتفع ومنخفض، وكلاهما فُصِلَتْ عن امتداد الجبل الذي تقوم عليه من خلال حفر خندقين: واحد من الشمال وآخر من الجنوب، وهذه المواصفات دفعت سميل (١) للقول بأن الصليبيين تعلموا اختيار الموقع على هذا النحو بحكم اقامتهم في الشرق، ويبدو ان سميل اعتبر الجزء المنخفض الغربي من قلعة الكرك جزءاً صليبيا في حين وجدناه عملا اسلاميا، وأما أن تبنى القلعة على قسمين من الأرض مرتفع ومنخفض فهذا موجود أيضا بالنسبة لقلعة صلاح الدين في سوريا (صهيون). (٢)

واذا كان من الصعب الجزم في نسبة أي عنصر من العناصر المعمارية التي ذكرناها الى أمة بعينها لكون العمارة جزء من التراث، يورثها الآباء للأبناء والأبناء للأحفاد جيلا بعد جيل، الا أنه يمكننا من خلال تعرفنا على القلاع موضوع ـ هذا البحث ـ الخروج بمواصفات عامة تميزت بها العمارة الصليبية، وعمارة العهدين الأيوبي والمملوكي.

مميزات العمارة الصليبية :ـ

استفاد الصليبيون في رحلتهم الطويلة من الغرب الى الشرق دروسا كثيرة من البنائين البيزنطيين والعرب المسلمين، فقد شدّت أنظارهم المواقع الأثرية للقلاع القديمة فاستفادوا من خاماتها، وأعادوا بناءها وأحسنوا استغلالها، ويعتبر السور الشمالي من قلعة الكرك أوضح نموذج لعمارتهم في الأردن، وقد تميز بسماكة الجدران التي زادت في بعض النقاط على ثلاثة أمتار، كما تميز باطالة علوّه اذ بلغ حوالي خمسين مترا، وذلك لمقاومة الهجمات، غير أن نحت حجارته تم بشكل بدائي، واكتفى بتربيعه بالقدر الذي يسمح بوضع الحجر فوق الآخر. (٣)

---

(١) Smail 1956: 221.

(٢) سعاده ١٩٦٧: ٦٢.

(٣) Deschamps 1939: 80-81.

وأما الأجزاء الداخلية فقد رأينا عدم تجانس حجارتها،فقد رأينا بعض أجزاء الأعمدة وقد وضعت ضمن بناء الجدران ، مما يستدل بأنها أخذت من مواقع أثرية قديمة ، كما أن بعض الحجارة المنحوته بشكل ممتاز وضعت أيضا في الجدران لملء الفراغ فقط . وبالنسبة للطلاقات فكانت أطوالها تتراوح ما بين ١٤٠-٢٠٠سم في حين عرضها يتراوح ما بين ٢٠-٣٠ سم، ومع ذلك كانت اضاءة القاعات غير كافية بسبب عدم اتساع الطلاقة من الداخل والذي كان حوالي متر تقريبا ، وبسبب سمك الجدران ومواجهة الطلاقات باتجاه الشمال ، كما أن المعصرة والأفران بدت معتمة غير مريحة .

وبالنسبة للكنائس فكانت من النوع المؤلف من قاعة واحدة مستطيلة الشكل Chapel وهو ما رأيناه في الكرك والشوبك والوعيرة ، ذات سقف برميلي يدعمه قنطرة بنيت حجارتها على شكل صليان ، مع عدم وجود تناسق بين حجارة الأسقف سواء في القاعات أو الكنائس أو الغرف فبعضها بارز بشكل نافر وبعضها الآخر غائر .

وتعتبر الكنيسة رقم (٢) في قلعة الشوبك والتي بنيت على الطراز القوطي من أجمل ما بناه الصليبيون في القلاع، فقد بنيت على الطراز البازليكي، وجاءت شبابيكها مرتفعة وحجارتها منحوته نحتا ناعما ، مما يدل على مدى تأثرهم بالعمارة الشرقية والتي اقتبسوا منها معظم العناصر المعمارية كالمدخل المنكسر والمشربيات أو السقاطات (١) ومن المستشرقين من أسماها " الشواكل" وذكر أنها عنصر معماري شرقي بدليل أن التسمية الأوروبية" مشيكولمس" Machicolate عربية الأصل . (٢)

مميزات العمارة الأيوبية :-

لقد اضطلع الأيوبيون بدور كبير في التاريخ الاسلامي ، فكانوا رجال حرب تميزوا بشدة البأس، ومع ذلك شهدت البلاد في عهدهم حركة عمرانية استهدفت تجديد أسوار المدن وبناء القلاع، وتعتبر معظم أجزاء قلعة عجلون من انتاجهم ، وكذلك المدرسة والمسجد والسجن في قلعة الكرك .

---

(١) زكي ١٩٦٩ : ٧٤-٧٥ ؛ ماجد ١٩٧٨ : ٢٥٩ ؛ جميعان ١٩٨٣ : ٢٤٠ .
(٢) يعقوب ١٩٤٦ : ٧٠ .

وتميز العهد الأيوبي باستعمال الحجر كمادة رئيسية في البناء، وقد تم نحته على نظامي الطبزة المزمول والمسمسم الناعم، ومعظمها كان من القطع الكبيرة، وظهرت عمارتهم قوية متينة ومتقنة التخطيط والبناء وان كان قد غلب عليها طابع البساطة والتقشف وقلة العناية بالزخرفة نتيجة لحالة الحرب التي كانوا يعيشونها .

وقد تميزت الطلاقات الأيوبية بأنها من النوع الدقيق جاءت على شكل الازميل متوسط طولها من الخارج حوالي متر، وعرضها حوالي ٨ سم، تعلوها حنية صغيرة كما أن الأبواب جاءت قليلة الارتفاع والعرض اذ تراوح ارتفاعها ما بين ١٦٠–١٨٥ سم وعرضها ما بين ٨٠–٩٠ سم .

وظهر في العهد الأيوبي نوع مميز من المدارس والمساجد التي تميزت بمخططها المستطيل وصحنها المربع، وفي كل ضلع منه ايوان مغطى بقبو ذي عقد مدبب وهو ما رأيناه في مسجد ومدرسة الكرك وفي مسجد قلعة الشوبك .

أما الأقبية التي كانت تعلوا الغرف والقاعات فكانت مشكّلة من العقود المتقاطعة أو العقود الطولية لها مقطع الأقواس المدببة . وحملت بعض واجهات المباني نصوصاً تاريخية .

كما تميزت العمارة الأيوبية للقلاع باستعمال المدخل المنكسر، وتصميم البوابة بين برجين، واستعمال عنصر السقّاطة لحماية المدخل .

مميزات العمارة المملوكية :—

انتهج المماليك خصائص العمارة الأيوبية بالنسبة للقلاع، وقد يسّر لهم ثراؤهم في ظل بعض السلاطين الأقوياء منهم أن نعمت البلاد في أيامهم بالقوة والأمن والاستقرار، فانطلقت أيديهم بالعمارة والبناء فخلّدوا هذه القلاع المتمثلة بالشوبك والعقبة، ومعظم أجزاء قلعة الكرك، وبعض أجزاء من قلعة عجلون، وكذلك أبراج مدينة الكرك، وتتصف هذه الأبنية بانتشار استعمال العقود المدببة، والتي جاءت الى حد ما أوسع من تلك التي كانت سائدة في العهد الأيوبي، وهذا الاتساع جاء نتيجة للزيادة في مساحة الغرف والقاعات المملوكية .

كما أن الطلاقات أصبحت أكثر اتقانا ووصل متوسط طول الواحدة من الخارج ٥ر١م وعرضها ١٢ سم، في حين يعلوها من الداخل قوس ارتفاعه نصف متر من النوع المفصص الذي يشبه الكتب المرصوصة في رف، ونحتت حجارتها من الداخل بما يوفر الحماية ليد الرامي وأصبحت الطلاقة من الداخل بمثابة نافذة لغرفة مستقلة عن القاعة التي توجد ضمنها، ولها أرضيتها المرتفعة عن أرضية القاعة.

وأما القباب فقد بنيت من الحجارة متخذة شكل الخوذة العسكرية، حملت على قاعدة مستديرة مكونة من المقرنصات المصحوبة بالمثلثات الكروية.

وبالنسبة لسقف القاعات والغرف فكانت من الأقبية المعقودة بالحجارة الغشيمة المثبتة بالكلس والتي صفت الى جانب بعضها بكل تناسق، ويساعد في حمل هذه الأقبية عقود بنيت حجارتها بشكل طولي، كما ارتفع على جانبي كل غرفة وقاعة عدد من المداميك التي ارتكز القبو عليها. وفي بعض الغرف كانت العقود المدببة تخرج من زوايا الغرف وتتقاطع مع بعضها حاملة القبو على غرار الغرف الأيوبية. كما وجدت بعض السقوف المستوية التي بنيت من الواح حجرية نحتت بشكل ناعم وهذه نراها بشكل خاص فوق السلالم الدرجية التي تربط بين طوابق القلعة، كما أنها ظهرت في سقف مدخل قلعة الأزرق وفي مسجدها.

وفي الأجزاء المملوكية من قلاعنا موضوع البحث وجدنا الأبواب المفتوحة المالية فكان متوسط ارتفاع أبواب الغرف ٢م وعرضها متر واحد، أما أبواب القاعات فكانت أوسع من ذلك وأكثر ارتفاعا.

وفيما يتعلق بالعناصر الزخرفية فقد اعتمدت على نحت الحجر واشتملت على العناصر الزخرفية النباتية والهندسية وعلى نحت الرنوك، بالاضافة إلى وجود الأشرطة الكتابية.

وهذه المميزات المعمارية للقلاع في كل عهد من هذه العهود لا تخرج في الاطار العام عن ذات المميزات لقلاع سوريا وفلسطين ومصر التي تعود لنفس العهود، واذا كان رجال الآثار الغربيون يشيرون عند حديثهم عن قلاعنا إلى وجود ثلاثة مدارس معمارية هي: مدرسة فرنسية وأخرى بيزنطية وثالثة فرنسية شرقية، فانهم كانوا ينسبون ما بناه الأيوبيون والمماليك إلى الصليبيين ويتناسون ما تحمله الأبراج والأسوار من نقوش

عربية تدلل على هويتها ، وبالتالي فانه من باب أولى القول بأنه كان هنالك مدرستان معماريتان اسلاميتان : مدرسة أيوبية ومدرسة مملوكية ، وانه كان لكل مدرسة فروعها تبعا للبلدان التي كانت ضمن حدود كل مملكة . فكانت هنالك مدرسة في سوريا وأخرى في فلسطين وثالثة في مصر، ورابعة في الأردن ، وأنها كانت تطبق منهاجا واحدا مشتركا ، وان كانت مدرسة الأردن بحكم موقعها الجغرافي قد تميزت كما رأينا باهتمام السلاطين ونوابهم ، وانه قد تولى الاشراف عليها كبار الأمراء من أمثال : عزالدين ايبك أستاذ الدار المعظمي ، وخاير بك المعمار أمير الطبلخاناسات ، وكانت تضم مهندسين معماريين أكفاء مثل " محمد بن عبد الحميد " الذي صمم بناء قلعة الشوبك .

الخاتمة :-

وهكذا نرى في ضوء هذا البحث أن العمارة العسكرية الاسلامية ارتبطت بالتاريخ السياسي ارتباطا وثيقا ، فعندما شهدت بلاد الشام ومصر الحملات الصليبية والغزو المغولي ، تفنن المسلمون في بناء تحصيناتهم لحماية دولتهم ولمجابهة أعدائهم ، فكانت الأسوار والقلاع جزءا من سلاح الأمة الاسلامية في تحرير البلاد ، ورأينا مدى الدور الكبير الذي اضطلعت به قلاع الأردن في هذا المجال ، فمن كان بمقدوره السيطرة عليها فإنه يمتلك المفتاح الى بلاد الشام والحجاز والى مصر .

واذا كان علماء الغرب قد ادّعوا بأن هذه القلاع صليبية فقد رأينا من خلال المصادر التاريخية والنقوش الأثرية ، وما عثر عليه من مكتشفات داخل هذه القلاع بأنها تعكس تاريخ الأردن منذ العهد الأدومي وحتى نهاية العهد العثماني ، وإنْ كانت هويتها التي تتميز بها أيوبية مملوكية .

ولما كانت هذه القلاع تمثل مفاهيم المسلمين في فن البناء فمن الواجب حفظها وصيانتها والقاء مزيد من الضوء عليها باجراء الدراسات حولها اذ رأينا من خلال هذا البحث وجود بعض الموضوعات التي تستحق الدراسة واجراء الحفريات نذكر منها : اجراء دراسة عن قلاع فلسطين المحتلة حيث لا يوجد أية دراسة عربية في هذا المجال ، وكذلك اجراء الحفريات الأثرية حول سفح قلعة عجلون من الجهتين الشرقية والغربية للكشف عن آثار تلك الضاحية التي كانت قائمة حول القلعة ، وكذلك اجراء حفرية في الجزء

الغربي من موقع قلعة السلط بعد أن أقيم مسجد حديث فوق الجزء الشرقي منه ومحاولة الكشف عن النفق المؤدي الى نبع الماء، واجراء دراسة حول أبراج وسور قلعة الأزرق فربما تكشف عن وجود آثار اسلامية أخرى بالاضافة الى المسجد والمدخل، وتضيف معلومات أثرية أخرى عن القلعة. وأما بالنسبة لقلعة الكرك فانها تحتاج الى العديد من الحفريات وأعمال التنقيب والترميم للكشف عن طوابقها، والتعرف على باقي مداخل المدينة وانفاقها التي أشار اليها الرحالة، ومحاولة بناء جسر فوق خندقها الشمالي واعادة فتح مدخلها من هذه الجهة.

وأما قلعة الشوبك فان سقوط بعض حجارة المداميك السفلى من البرج الرابع تهدده بالانهيار مما يستوجب إعادة بنائها، وكذلك محاولة الكشف عن الأماكن التي تؤدي إليها تلك الأبواب القائمة ضمن نفق القلعة المؤدي الى نبع الماء، والكشف عن الباب الغربي القائم الى جانب البرج التاسع.

وبالنسبة لقلعة العقبة فان مدخلها يحتاج الى صيانة مستعجلة حيث تهدده التصدعات بالانهيار، مع اجراء عمليات تنظيفه وكشف للنفق القائم في الجزء الغربي من المدخل، وازالة تلك البركسات التي حجبتها من الشرق، والردم وبعض أشجار النخيل التي حجبتها من الغرب.

ومن المواضيع التي تستحق الدراسة أيضا تلك العاديات التي عثر عليها داخل هذه القلاع من قطع عملة ومن قطع فخارية، مع اعادة تلك النقوش التي سقطت من مواقعها أو نقلها الى داخل المتاحف، والأمل أن يكون هذا البحث نواة لأبحاث أخرى يضطلع بها قسم الآثار في الجامعة الأردنية ودائرة الآثار العامة، وأخيراً

إن تجد عيبا فَسُدّ الخللا جَلَّ مَنْ لا عيب فيه وعلا .

والحمد لله ربّ العالمين .

الخلاصـــــة

جاء هذا البحث تحت عنوان " القلاع الاسلامية في الأردن ـ الفترة الأيوبيـــة المملوكية" وقد اشتمل على تمهيد وأربعة فصول .

وقد تضمن التمهيد بيان مدى أهمية القلاع، بالنسبة للأمم في حفاظها على الأمن والاستقرار، وقلاعنا موضوع البحث ارتبطت بمرحلة تاريخية حاسمة تعرضت فيها البـــلاد لأعظم خطرين هما : الغزو الصليبي والغزو المغولي ، وبالتالي كان لها دورها المميّـز في الأحداث التاريخية.ثم استعرضنا الدراسات، المتصلة بالقلاع سواء منها العربيـــة أو الأجنبية أو المحلية وبينّا كيف أن هذه الدراسات لم تفي هذه القلاع حقها ، واكتفـى بعضها باشارات عابرة وبعضها الآخر أورد آراء بعيدة عن واقع هذه القلاع، الاّ أننــا استفدنا من هذه الدراسات في موضوع المقارنات .

ثم تحدثنا عن المنهج الذي اتبعناه في هذا البحث وهو المنهج التاريخـــي الوصفي ، مع دراسة ميدانية لواقع هذه القلاع اليوم، وتوثيق ما تشتمل عليه من خنــادق Moats وأسوار وبوابات رئيسية ومداخل سرية، وأبراج Towers وطلاّقـــات Loopholes وسقّاطات Machicolis وقاعات وغرف وآبار، وأنابيب فخاريـة وبرك ماء ، وما حملته جدرانها من نقوش ورسوم ، وما اشتملت عليه جدرانها من مداميـــك Bonds ونوعية حجارتها سواء كانت من الطبزة أو المسمسم Flat ، بالاضافــــة الى بيان مساحة الأماكن الواضحة المعالم فيها ، ورسم المخططات لها وتوثيق أجزائهـــا بالصور ، ومحاولة التمييز بين ما هو أثر صليبي ، و ما هو أيوبي وما هو مملوكي في ضـــوء نوعية المبنى وما يحمله من نقوش، وما يتميز به من مواصفات معمارية .

الفصـــل الأول :ـ

وقد اشتمل على موضوعين رئيسيين هما:

أ ـ المقدمة التاريخية وقد استعرضنا فيها الأوضاع التاريخية بعد انهيار الدولـة العباسية ، وقيام الدولة السلجوقية ، وتنازعها السيطرة على البلاد مع الفاطميين ، وبيّنّـا كيف ان انتصار السلاجقة في معركة ملازكرت سنة ١٠٧١م(٤٦٤هـ) على بيزنطة قد دفـع بالامبراطور الكسيوس كومنينوس الأول لتوجيه نداء الاستغاثة الى البابا اربانوس الثاني . فقام البابا بتلبية هذا الطلب في مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٥م(٤٨٩هـ) والذي انطلقت

على اثره الحملات الصليبية الى الشرق،وتمكّنها سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) من احتلال بيت المقدس. وكيف أن الصليبيين استفادوا خلال مسيرتهم الطويلة من الغرب الى الشرق مما كان لدى البيزنطيين والمسلمين من عناصر معمارية استغلوها في بناء القلاع لحماية مملكة بيت المقدس، خاصة وأنهم كانوا يعانون من نقص في عدد الرجال، فاستغلوا المواقع الأثرية القديمة واعادوا بناءها، ولضمان حدود المملكة في الجزء الجنوبي الشرقي ولقطع الاتصال ما بين الشام ومصر أقاموا قلاع الكرك والشوبك والوعيرة، كما أقاموا القلاع على الساحل الفلسطيني لضمان الاتصال مع أوروبا، وفي الشمال أيضا بنوا عدة قلاع لمنع اتصال دمشق مع البحر المتوسط.

ثم استعرضنا جهود الأيوبيين بقيادة نور الدين وصلاح الدين في توحيد البلاد والقضاء على سلطة الفاطميين للتفرّغ إلى محاربة الصليبيين، وتمكّنهم بالتالي من تحقيق الانتصار في معركة حطين ١١٨٧م (٥٨٣هـ) ثم تحرير بيت المقدس، واستسلام قلاعهم في الكرك والشوبك لجيوش صلاح الدين، لتشهد هذه القلاع مرحلة جديدة من البناء والاعمار على يد المسلمين.

إلاّ أن البلاد لم تلبث أن تعرضت لغزوة أخرى على يد المغول فاحتلوا العراق وسوريا وواصلوا زحفهم باتجاه مصر فتصدى لهم المماليك وتمكنوا من دحرهم في معركة عين جالوت ١٢٥٩م (٦٥٨هـ) وأصبحت بلاد الشام ومصر تحت حكم المماليك فأعادوا بناء القلاع من جديد وتمكنوا من تطهير البلاد من الصليبيين والمغول، وبلغت العمارة في عهدهم أرقى مراحلها.

ب - الموقع الجغرافي للأردن :-

وقد أشرنا فيه إلى أصل التسمية "الأردن" وماذا كان يشكل بالنسبة للصليبيين والأيوبيين والمماليك، وكيف أنه كان حلقة الوصل بين جزئي الدولة : بلاد الشام ومصر، ثم تحدثنا عن المناخ والتضاريس الطبيعية ومدى أثر ذلك على عمارة القلاع ثم أشرنا إلى أهمية موقعه الجغرافي بالنسبة لطرق التجارة الدولية والداخلية وتحدثنا عن أهمية مينائه "العقبة".

الفصل الثانـــي : ـ

وتناولنا فيه ما ترمز اليه القلاع من معاني لغوية،وأنها بالتالي رمز للقوة والابداع عند العقل البشرى للسيطرة على الأرض. وتحدثنا عن تطور بناء القلاع وكيف أنهـــــا كانت موجودة في فلسطين منذ ألفي سنة قبل الميلاد ، وكانت موجودة في اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام ، وكيف أن الأمويين طوروها مستفيدين مما كان عند الرومـــان والبيزنطيين من تقدم في هذا المجال ،أما في العهد العباسي فقد أصبح تخطيـــط العاصمة على أسس عسكرية ، ونتيجة للنزاع بينهم وبين البيزنطيين فقد أقاموا عدة قـــلاع على الحدود .

وبقيام الدولة الأيوبية تطورت هندسة بناء القلاع والحصون واستفادوا في ذلـــك من التراث المعماري السلجوقي ، فبنوا العديد من القلاع في بلاد الشام ومصر. غير أن العصر الذهبي لبناء القلاع أكثر ما يكون تميزاً في العهد المملوكي .

ومن خلال هذا الاستعراض لتطور بناء القلاع والحصون يمكننا القول بأن بنـــاءها كان منتشراً في بلاد الشام والجزيرة العربية واليمن ومصر قبل مجيء الصليبيين ، وأنـــه مع انتشارها كان يرافقها عملية تطوير نحو الأفضل ، وبالتالي فان النزاع الذي كانت تشهده هذه البلدان أثرى عملية البناء وطوّرها لتتلاءم مع حاجات الدول والشعوب.

وقد تضمن هذا الفصل العوامل التي أثرت على عمارة القلاع وهي : العامـــل الديني أو الروحي ، والعامل السياسي والعامل الجيولوجي ، والعامل الاقتصاديــــ والعامل الاجتماعي والعامل الجغرافي .ثم تحدثنا عن أسباب بناء القلاع عند كل من المسلمين والصليبيين والتي لا تخرج في الاطار العام عن تحقيق الأمن والاستقـــرار وأشرنا إلى قيمة القلاع من الناحيتين الدفاعية والهجومية ، وكيف أنها صُممت لتكون دفاعيه أكثر منها هجومية .

بعد ذلك تحدثنا عن أنواع القلاع ، وتعدد تصنيفاتها لدى علماء الآثار ، فبعضهم صنفها على أنها قلاع ساحلية وأخرى جبلية ، وبعضهم صنفها تبعا لمدى استراتيجيتها وأسلوب بنائها فذكر Norman Keep بأنها ثلاثة أنواع : الخزنة النورماندية

والحصون ذات الأبراج المربعـــــــة The Castrum والقلاع المعلّقـــــة حصن الغراب أو عش النســــــر The Spur-Castle . ومن العلماء مـن صنفها تبعاً للفترة الزمنية التي بنيت فيها، والحجم الذي كانت عليه في كل فترة. ومنهم من صنّفها حسب عدد الأسوار التي تحيط بها . أما نحن فقد صنفنا قلاعنا موضوع البحث اعتماداً على الموقع الجغرافي إلى ثلاثة أنواع : قلاع جبلية ، وقلاع ساحلية وقلاع صحراوية .

ثم أشرنا إلى موضوع إدارة القلاع وذكرنا الوظائف المدنية والعسكرية التي ترتبت على بنائها ، ووضعنا نبذة مختصرة عن الجيوش الاسلامية (الأيوبية المملوكية) والصليبية وكيف أنها كانت تقسم إلى فئتين وفقاً للتقسيمات الحديثة هي : القوات البريـة والقـوات البحرية ، وبينّا أنه كانت هنالك فرقة أردنية في الكرك خلال العهدين الأيوبي والمملوكي كان عددها ستمائة فارس ما عدا الرّجالة (المشاه) .

بعد ذلك تحدثنا عن الأسلحة وفن الحصار ، وقسمنا أنواع الأسلحة إلى ثلاثـــة أنواع في ضوء التسميات الحديثة هي : الأسلحة الخفيفة التي استخدمها جند المشـــاه كالسيف والترس Shield والدرع Mantlet ، والأسلحة الثقيلة كالمنجنيقـــات Mangons والأسطول الذي ضم عدة أنواع من السفن ، وبينّا مدى قوة وحصانة القلاع في مجابهة تلك الأسلحة لدرجة أنها كانت أقوى منها وبالتالي اضطـــرت تلك الجيوش لاستخدام سلاح من نوع آخر اتجاه القلاع تمثل " بالحصار" Siege وأشرنا إلى أنماط الحصار الثلاثة وهي : حصار محكم طويل الأمد Close Siege وحصار يعقبه هجوم مباشــــر Direct Assault وحصار يتخلله هجوم متعاقب على نظام (تقدم — ارتكاز — تقدم) . وأوضحنا كيف أن الحصار كان يسبب نمطاً معيناً من التفكير عند المحاصرين يجعلهم في حالة من الذعر، وتكثر معها الاشاعات .

وفي هذا الفصل أيضاً تناولنا بالحديث قلاعنا موضوع البحث وهي : قلعة عجلـون الكرك ، الشوبك ، العقبة باعتبارها القلاع التي ماتزال معظم أجزائها قائمة إلى اليـوم . وكذلك تحدثنا عن قلاع الأزرق والسلط والوعيرة والحبيس وجزيرة فرعون باعتبارها قـــلاعاً فرعية اندثرت معظم معالمها . وكان تناولنا لكل قلعة بحيث يبين موقعها ، ودلالـــة تسميتها ، ويلقي الضوء على تاريخها ، وأهم الأحداث التي عايشتها والأيدي التي تناولتها بالاعمار أو بالهدم . بعد ذلك نتعرف على معالمها من الخارج مبتدئين من المدخـل

ثم الاتجاه نحو اليمين حتى العودة الى المدخل مرة أخرى، ومن ثم نتعرف على معالمها الداخلية وبذات الأسلوب أيضا ووفقا للمنهاج الذي أشرنا اليها .

الفصل الثالث :-

وجاء بعنوان العناصر المعمارية والزخرفية ، ومع أن هذه القلاع بنيت في ظروف غلب عليها الطابع الحربي الا أن تلك الظروف افادت في اعتماد وتطوير عناصر معمارية أصبحت مميزة في بناء القلاع، فالى جانب الدقة في اختيار المكان كانت هنالك الخنادق والأرصفة والجدران الاستنادية، واستغلال الخامات الموجودة في البيئة كالحجارة وشجر النخيل في البناء، ونحت الحجارة لتصميم عناصر معمارية أخرى كالطلاقات Loopholes والأبواب المنكسرة Bent Entrances والأبواب المنزلقة عموديا Port Cullis والعقود المدببة Pointed Arches والمثلثات الكروية .

وأما العناصر الزخرفية فقد ظهرت قليلة بالمقارنة مع حجم القلاع ولعل ذلك عائد الى الهدف الذى من أجله بنيت تلك القلاع، ومع ذلك رأينا نماذج من العناصر الزخرفية النباتية والهندسية ومنحوتات بعض الرنوك كالنسر والأسد والسيف والدرع. كما أن بعض واجهات الأسوار والأبراج زخرفت من خلال أشرطة كتابية بخط النسخ .

الفصل الرابع :-

وعنوانه" المقايسات المعمارية" حيث عقدنا مقارنة بين قلاعنا وقلاع سوريا وفلسطين ومصر، من حيث أجزاء القلعة بشكل عام، والعناصر المعمارية والزخرفية التي اشتملت عليها القلاع بحيث يمكننا القول بأن قلاع الأردن تتماثل مع قلاع تلك البلدان في الاطار العام وبما يمكن معه الاستدلال على وجود مدرسة معمارية في الأردن لها ذات المنهاج الذي كان موجوداً في تلك البلدان ، ثم أشرنا إلى المواصفات العامة التي وجدناها في قلاع الأردن والتي تدلل على نوعية العمارة سواء كانت صليبية أو أيوبية أو مملوكية .

ونأمل أن يكون هذا البحث نواة لأبحاث أخرى من شأنها الكشف عن المزيد مما ضمّته القلاع من كنوز أثرية لالقاء مزيد من الضوء على تاريخنا، فندرك معه أن ثمن السيادة يكمن في القدرة على الدفاع عنها، وانه اذا ما تساوت أعراض المرض فلابد من تماثل طرق العلاج التي يفترض التوصل اليها بدراسة علمية صحيحة، وما واقعنا التاريخي اليوم في عالمنا العربي إلاّ صورة عنه قبل تسعة قرون، فبيت المقدس وفلسطين محور الصراع، وكانت قلاع الأردن جرعة من العلاج، ويبقى الأمل في أن تعود هذه القلاع لتمارس دورها في عملية التحرير، والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة.

ABSTRACT

ABSTRACT

ISLAMIC CASTELS IN JORDAN:
THE AYYUBID AND MAMLUK PERIOD

This thesis incorporates an introduction and four chapters. The introduction shows the significance of castles in establishing security and stability especially in the case of the castles that constitute the subject of this study and which are associated with a historical era that witnessed two major invasions, namely the Crusaders and the Mangols. The introduction also incorporates a historical perspective of the studies that have been been curried out in connection with the castles under discussion, where it is ogrued that these studies are lacking and in-adequte in various respect. Finally, the introduction in-coporates a description of the methodology used in this study, namely, the historical-descriptive approach coupled with a field work meant to provide a detailed description of the struture of the castles under discussion.

Chapter one is concerned with two main topics, namely the historical perspective and the geographical site of Jordan. In the first topic we trace the fall of the Abasides and the rise of other dynastics and the conflicts amongst these dynastics which eventurlly led to the advent of the Crusaders who exploited existing castles and built new to protect their kingdom. The second major topic discussed in this chapter is the distinguished geographical and strategic location of Jordan as well as its weather and climate and the effect of this on the building of castles as well as on their structures.

In Chapter Two we discuss how and why casltes began to be built in Jordan. It is shown that castles existed in Palestine since 2000B.C. and that they were developed and modified by the Ommayyads and Abasids. It is further shown that castles existed in Bilad Al-Sham and Yeman well before the Crusaders. This chapter also sheds light on the factors that influenced the building of castles, namely (i) Religious factors, (ii) Political factors, (iii) geological factors, (iv) economic and social factors, and (v) geographical factors. It also deals with the types of castles:(i) The Norman keep, (ii) The Castrum and (iii) The Spur-Castle. In this study we, however, classify castles according to the geographical site: Mountain castles; coastal castles; and desert castles. Another section of this chapter deals with the administration of castles and the types of civil and military jobs created to administer casltes. The question of weapons and arms is also discussed in this chapter. In accordance with modern terminology, weapens are divided into three classes: (i) light weapons: e.g. swords, shields and manlets, (ii) heavy weapons: e.g. mangons, fleets and ships, and (iii) siege. The chapter concludes with a detailed description of the history and structure of the castles in Jordan (Ajlun Castle; Karak Castle; Shoubak Castle; Aqaba Castle) whose major structures are still intact. Other castles that have been devastated are also discussed: e.g. those in Azraq, Salt, Wuaireh; Habis; Pharouh Island..

Chapter Three is concerned with the architecture and decoration of the various castles. It is shown that in addition to the choice of the actual site of the castle there were ditches, supporting walls, exploitation of the environment: vic. stone, palm trees, etc. Stones were carved to add new architectural features like loopholes, bent entrances, portcullis and pointed arches. The decorative aspects were less obvious in comparison to the size of the castles. This might stem from the fact that castles were built for specific reasons like defence. In spite of this,

however, there are patterns of decoration and inscriptions as well as writing.

Chapter Four contrasts the castles in Jordan with those in Syria, Palestine and Egypt from the viewpoint of structure, architecural features and decoration. It is shown that there is much similarity amongst the contrasted castles which provides evidence for the existence of a school of architecure (an architecural pattern) prevailing in these countries.

It is hoped that this piece of research will motivate researchers to follow up the findings of this study to shed more light on our history.

المراجـــــع

(المصادر العربيـــة)

١- ابن أبي أصيبعه : موفق الدين احمد بن قاسم

" عيون الأنباء في طبقات الأطباء" الجزء الثاني ، المطبعة الوهبيـــة ، القاهرة ١٨٨٢ .

٢- ابن الاثير: عز الدين محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني

" الكامل في التاريخ " الأجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر والثانـــي عشر ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٨٥-١٣٨٦هـ ، ١٩٦٥-١٩٦٦ الجزء الرابع ، القاهرة ١٣٥٧هـ .

٣- ابن اياس : محمد بن احمد بن اياس الحنفي .

" بدائع الزهور في وقائع الدهور" الطبعة الثانية ، حققها محمـــــد مصطفى ، الجزئين الأول والخامس ، القاهرة ، ١٩٦٠-١٩٦١م .

٤- ابن بطوطه : أبو عبد الله محمد بن عبد الله .

" تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" (المعروف برحلة ابن بطوطه) الجزء الأول ، وقف على تهذيبه احمد العوامرى بك ، محمد احمد جاد المولى بك ، المطبعة الأميرية ، بولاق ١٩٣٤م .

٥- ابن جبير : أبو الحسن محمد بن احمد الأندلسي .

" تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار" المعروف برحلة ابن جبير ، تحقيـــق حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥م ، مطبعة دار نصار ودار بيروت ١٩٦٤م .

٦- ابن جمعه : محمد المقّار .

" الباشات والقضاه" . نشره صلاح الدين المنجد في كتاب " ولاة دمشـــق في العهد العثماني" ، منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ١٩٤٩ .

٧- ابن حجر : احمد بن علي بن محمد العسقلاني .

" الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" الجزئين الأول والثاني ، تحقيق محمد سعيد جاد الحق ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٩م .

٨- ابن خلدون : عبدالرحمن محمد بن خلدون المغربي .
"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" مطبعة دار الطباعة العامرية، بولاق، القاهرة ١٢٨٤هـ.

٩- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم .
"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ، الأجزاء الأول والرابع والسادس طبع محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٤٨م.

١٠- ابن سعيد : أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك .
"النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة" تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م.

١١- ابن شاكر : محمد بن شاكر بن احمد الكتبي .
"فوات الوفيات" الجزء الأول ، تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥١ .

١٢- ابن شاهين : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري .
"زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك" صححه بولس راوس، باريس ١٨٩٤م.

١٣- ابن شداد : القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع ".
"كتاب سيرة صلاح الدين ، المسماه " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه" مطبعة التمدن ، القاهرة ١٩٠٣م.

١٤- ابن شداد : عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم .
"الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" الجزء الثالث، تحقيق دومنيك سورديك وسامي الدهان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٣م.

١٥- ـــــــ : "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين) تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٦٢م.

١٦ـ ابن الصيرفي : علي بن داوود .
" أنباء العصر بأبناء العصر". تحقيق حسن حبشي ، دار الفكر العربي ،
القاهرة، ١٩٧٠م.
١٧ـ ابن عبد الظاهر : القاضي محي الدين .
" الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر " تحقيق سيده فاطمة صادق ،
دكا ـ الباكستان ـ ١٩٥٦م.
١٨ـ ابن عبد الظاهر : محي الدين بن عبد الظاهر .
" تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" حققه مراد كامل ،
وراجعه محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ،
١٩٦١م.
١٩ـ ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم .
" تاريخ الدول والملوك"، نشر باسم " تاريخ ابن الفرات" الاجزاء السابع
والثامن والتاسع ، حققه قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين ، المطبعة
الاميركانية ، بيروت، ١٩٣٩-١٩٤٢ .
٢٠ـ ابن القلانسي : أبي يعلي حمزه ابن القلانسي .
" تاريخ ابي يعلي حمزه ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق"
مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م.
٢١ـ ابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي
المصري .
" لسان العرب" المجلد الثامن ، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت
للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م ١٣٨٨هـ.
٢٢ـ ابن منقذ : أسامة بن مرشد الكناني الشزري .
" الاعتبار" حرره فيليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون الولايات المتحدة
١٩٣٠م.

٢٣— ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي .
" البداية والنهاية" الأجزاء الثاني والثالث عشر والرابع عشر
مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ .

٢٤— ابن هشام : محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى .
" السيرة النبوية" الجزء الأول ، الجزء الثالث حققها مصطفى السقا
ابراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
القاهرة ، ١٩٣٦–١٩٣٧م .

٢٥— ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم بن واصل .
" مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" الجزء الأول ١٩٥٣ ، الجزء الثاني ،
الجزء الثالث تحقيق جمال الدين الشيال ، وزارة الثقافة والارشاد القومي
الاسكندرية ١٩٦٠ . الجزء الرابع : تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور ،
مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٢م .

٢٦— ابن الوردى : سراج الدين عمر بن مظفر بن محمد .
" تتمة المختصر" المطبعة الوهبية ، القاهرة ، الجزء الثاني ١٢٨٥هـ .

٢٧— أبو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين
علي .
" المختصر في أخبار البشر" المجلد الثاني والثالث والسادس والسابع
والثامن ، دار الكتاب اللبناني ، دار البحار ١٩٦٠–١٩٦١ ، والجزء
الثاني والجزء الثالث ، المطبعة الشاهانية ، القسطنطينية ١٢٨٦هـ .

٢٨— ـــــــ : " تقويم البلدان" طبع في باريس ١٨٥٠م .

٢٩— أبو الفضائل : مفضل بن أبي الفضائل .
" النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد"
الجزء الثاني ، باريس ١٩٢٠م .

٣٠— ابو الفلاح : عبد الحي بن العماد الحنبلي .
" شذرات الذهب في أخبار من ذهب" الجزء الثاني ، مكتبة المقدسي ،
القاهرة ١٣٨٠–١٣٨١هـ .

٣١ـ ابو شامه : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي .
" كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحيه"، الجزء الأول والجزء الثاني ، حققه محمد حلمي احمد ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة، ١٩٥٦/١٩٦٢م .

٣٢ـ ــــــــ : " تراجم رجال القرنين السادس والسابع" نشرة السيد عزت العطار ، القاهرة، ١٩٤٧م .

٣٣ـ أبو المحاسن : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى .
" النجوم الزاهره في ملوك مصر والقاهرة"، ستة عشر جزءاً ، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٩-١٩٧٢م .

٣٤ـ الأزرقي : ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد .
" أخبار مكه وما جاء فيها من الآثار" تحقيق فستنفلد ، هلينريخ فرد بناند نشر روائع التراث العربي ، دار خياط ، بيروت ١٩٦٤م .

٣٥ـ الاصطخرى : ابراهيم بن محمد الفارسي .
" مسالك الممالك " ليدن ١٩٢٧ .

٣٦ـ البغدادي : عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله .
" مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع" نشرة جوينبول ، ليدن ، ١٨٦٤م .

٣٧ـ الحموى : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى .
" معجم البلدان" الجزء الأول ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ١٩٤٧ ، دار صادر بيروت ١٩٧٧م ، الجزئين الثالث والرابع ، مطبعة دار السعادة القاهرة، ١٩٠٧م ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٧ .

٣٨ـ الحميرى : محمد بن عبد المنعم .
" الروض المعطار في خبر الأقطار" ، حققه احسان عباس، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٧٥ .

٣٩ـ الحنبلي : ابو اليمن القاضي مجير الدين .
" الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" ، الجزء الأول والثاني ، مكتبة المحتسب، عمان ١٩٧٣ .

٤٠- الدمشقي : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصارى شيخ الربوة الصوفي الدمشقي .

" نخبة الدهر في عجائب البر والبحر " ، نشره لا يبزغ ١٩٢٣ ، نشرة بطرسبرغ ١٨٦٦م .

٤١- الدوادارى : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك .

" كنز الدرر وجامع الغرر " ، الجزء السادس والسابع والتاسع ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ١٩٧٢ .

٤٢- الأصفهاني : العماد الكاتب أبو عبد الله محمد بن صفي الدين .

" الفتح القسي في الفتح القدسي " ، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .

٤٣- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير .

" تاريخ الرسل والملوك " الجزئين السابع والثامن ، تحقيق محمد ابو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ .

٤٤- العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله .

" التعريف بالمصطلح الشريف " مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣١٢هـ .

٤٥- ______ : " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " الجزء الأول ، تحقيق أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٤م .

٤٦- ______ : " التعريف بالمصطلح الشريف " مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣١٢هـ .

٤٧- القلقشندى : أبو العباس احمد القلقشندى .

" صبح الأعشى " الأجزاء الرابع والسابع والعاشر والثاني عشر والثالث عشر ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣٢هـ ١٩١٤م .

٤٨- مجهول :

" تاريخ سلاطين المماليك " تحقيق زيترشيكن ، طبعة ليدن ١٩١٩م .

٤٩ـ المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد .

" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" حققه ميخائيل جان دوغويه ليدن ، بريل ١٨٧٧م، ١٩٠٩م.

٥٠ـ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر بن محمد .

" المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ، المجلد الأول والثالث، دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٤هـ-١٣٢٦هـ.

٥١ـ ـــــــ : " السلوك لمعرفة دول الملوك" الجزء الأول والجزء الثاني ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٣٤، ١٩٥٨م والجزءان الثالث والرابع، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة الكتب، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٣.

٥٢ـ ـــــــ : " اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" ، الأجزاء الأول والثاني والثالث، تحقيق محمد حلمي احمد ، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٣م.

٥٣ـ النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب.

" نهاية الارب في فنون الأدب" الجزء الاول ، القاهرة ١٩٢٣.

٥٤ـ الهمذاني : رشيد الدين فضل الله.

" جامع التواريخ ـ تاريخ المغول" جزئين ، نقله من الفارسية الى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصيّاد ، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.

٥٥ـ اليونيني : قطب الدين موسى بن محمد اليونيني .

"ذيل مرآة الزمان" المجلد الأول والثاني والثالث والرابع، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند ١٩٥٤، ١٩٦٠-١٩٦١.

(المراجع العربيـــه)

٥٦— الالفي : أبو صالح ،

"الفن الاسلامي" دار المعارف بمصر ١٩٧٤ ،

٥٧— ابن جمعه : محمد المقاره

"الباشات والقضاه" نشرة صلاح الدين المنجد في كتاب "ولاة دمشق في العهد العثماني" منشورات المجلس العلمي العربي بدمشـــق دمشق ١٩٤٩ ،

٥٨— البستاني : بطـرس،

"محيط المحيط" المجلد الثاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ٢٠ ١٨م،

٥٩— البخيت : محمد عدنان ،

"مملكة الكرك في العهد المملوكي" ماحص ١٩٧٦م،

٦٠— البني : عدنان ،

"قلعة دمشق" الحوليات الأثرية السورية"، المجلدان الرابـــــع والخامس ١٩٥٤—١٩٥٥م،

٦١— ابو بدر : شاكر احمد ،

"الحروب الصليبية والأسرة الزنكية" الجامعة اللبنانية ١٩٧٢ ،

٦٢— بحيرى : صلاح الدين ،

"أرض فلسطين والأردن طبيعتها وحيازتها واستعمالاتهـــــا" المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٤ ،

٦٣— توفيق : عمر كمال ،

"مقدمات العدوان الصليبي" ١٩٦٦ ،

٦٤— جمعيان : ميخائيـل ،

"المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية"، عمان ١٩٨٣ ،

٦٥— حتي : فيليب، جورجي : ادوارد، جبور : جبرائيل .
" تاريخ العرب"، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة ١٩٧٤ .

٦٦— حسن : حسن ابراهيم .
" تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافة والاجتماعي " الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩، الجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠م، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٦٨ .

٦٧— حماده : محمد ماهر .
" وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي مؤسسة الرسالة ١٩٨٢ .

٦٨— الحمصي : احمد فائز .
" روائع العمارة العربية الاسلامية في سوريه" دمشق ١٩٨٢ .

٦٩— الحمود : نوفان رجا .
منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت ١٩٨١ .

٧٠— حبشي : حسن .
" نور الدين والصليبيون" القاهرة ١٩٤٨ .

٧١— حميد : عبدالعزيز، العبيدي : صلاح حسين .
" الفنون العربية الاسلامية "، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م .

٧٢— خليفات : سحبان .
" السلط في التاريخ المكان والانسان" المجلة الثقافية للجامعة الأردنية" العدد الرابع، عمان ١٩٨٤ .

٧٣— الدباغ : مصطفى مراد .
" الموجز في تاريخ الدول الاسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين" الجزئين الثاني والثالث، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠، ١٩٨١ .

٧٤— الرفاعي : أنور

" تاريخ الفن عند العرب والمسلمين" دار الفكر، دمشق ١٩٧٣م.

٧٥— الريحاوي : عبدالقادر

" مدينة دمشق"، دمشق ١٩٦٩م.

٧٦— ـــــــــ :" العمارة العربية الاسلامية"، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٧٩م.

٧٧— الزبيدي : محمد مرتضى

" تاريخ العروس" الجزء الخامس، دار ليبيا للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٨— زكي : عبدالرحمن

" العمارة العسكرية في العصور الوسطى" المجلة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السابع، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٨م.

٧٩— ـــــــــ : " قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية أخرى" مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٩٦٠م.

٨٠— ـــــــــ : " القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية المجلد الخامس عشر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ١٩٦٩م.

٨١— ـــــــــ : " الجيش المصري في العصر الاسلامي"، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠م.

٨٢— ـــــــــ : " قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الآثار"، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ القاهرة ١٩٧١م.

٨٣— زهدي : بشر

" قلعة بصرى اسكي شام"، " الحوليات الأثرية السورية" المجلد السادس، دمشق ١٩٥٦م.

٨٤— زياده : نقولا

" لمحات من تاريخ العرب" ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦١م.

٨٥ــ الساطــع : أكـرم

" حصون وقلاع "، دمشق ١٩٧٥ م.

٨٦ــ سالم : السيد عبدالعزيز

" تاريخ الدول العربية "، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١ م.

٨٧ــ سامح : كمال الديــن

" في العمارة الاسلامية "، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر معهد الدراسات الاسلامية، ١٩٧٠ م.

٨٨ــ سجلات دائرة الآثار العامة الاردنيــة

" مجلد عجلون، مجلد الشوبك ".

٨٩ــ سماده : جبرائيــــــل

" قلعة برزيه " " الحوليات الأثرية السورية "، المجلد السادس، دمشق ١٩٥٦ م.

٩٠ــ ــــــــ : " تاريخ قلعة صلاح الدين "، الحوليات الأثرية السورية، المجلــد السابع عشر الجزءان الأول والثاني ١٩٦٧ م.

٩١ــ سمداوي : نظير حسان

" جيش مصر في أيام صلاح الدين "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩ م.

٩٢ــ سعودى : محمد

" الوطن العربي "، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧ م.

٩٣ــ سليم : محمود رزق

" الأشرف قانصوه الغورى "، الدار المصرية للتأليف والترجمــــــة بدون تاريخ.

٩٤ــ الشاعر : محمد ابراهيم

" جغرافية فلسطين العسكرية " جامعة الدول العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧٠ م.

٩٥ــ شافعي : فريد

" العمارة العربية في مصر الاسلامية"، المجلد الأول الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

٩٦ــ شقير : نعـوم

" مدينة العقبة"، مجلة الهلال، اكتوبر ١٩١٤ــ يوليو ١٩١٥ ، مطبعة الهلال بالفجالة.

٩٧ــ شلبي : أحمد

" قضايا وبحوث من التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية"، معهد الدراسات الاسلامية، بدون تاريخ.

٩٨ــ ـــــــ : " موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية" الجـــزء الخامس، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٩٧٢.

٩٩ــ طرخان : ابراهيم علي

" مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة"، مطبعة لجنة التأليـــف والنشر، القاهرة ١٩٦٠م.

١٠٠ــ طرخان : ابراهيم علي

" النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطـــى ، القاهرة ١٩٦٨.

١٠١ــ طوقان : فواز احمد

" الحائر" دار الشعب، عمان ١٩٧٩.

١٠٢ــ ضومط : أنطوان خليل

" الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري"، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٠.

١٠٣ــ العابدي : محمود

" الآثار الاسلامية في فلسطين والأردن"، عمان ١٩٧٣م.

١٠٤ــ ـــــــ : " نحن والآثار"، جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٧٢.

١٠٥ـ العارف : عارف

" المفصل في تاريخ القدس"، الجزء الأول ، القدس ١٩٦١ م

١٠٦ـ عاشور : سعيد عبدالفتاح .

" مصر في عهد دولة المماليك البحرية"، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة ١٩٥٩ م

١٠٧ـ ـــــ : " الحركة الصليبية" الجزء الأول والثاني ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣م.

١٠٨ـ ـــــ : " أوروبا العصور الوسطى " الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤م.

١٠٩ـ ـــــ : " المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية" بحث مقدم في ـ (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) ، الجامعة الأردنية ، الدار المتحدة للطباعة والنشر ١٩٧٤م.

١١٠ـ العبادي : احمد مختار .

" قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٩م.

١١١ـ عبدالجواد : توفيق احمد

" تاريخ العمارة" الجزء الثاني ، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٩م. الجزء الثالث ١٩٧٠م.

١١٢ـ عبدالحق : سليم عادل

" فن العمارة العسكرية"، (الحوليات الأثرية السورية) الجزء الثاني المجلد الأول ١٩٥١م.

١١٣ـ العطار : نادر .

" فن العمارة الاسلامية" ، " الحوليات الأثرية السورية" الجزء الأول والثاني من المجلد السادس ، دمشق ١٩٥٣ م

١١٤ـ علام : نعمت اسماعيل

" فنون الشرق الأوسط في العصور الاسلامية" ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤م.

١١٥ـ علي : محمد كرد

" خطط الشام، الجزء الخامس، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٤٦هـ

١٩٢٧م.

١١٦ـ غوانمه : يوسف درويش

" تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى " القسمين الحضاري والسياسي ، جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان

١٩٧٩م.

١١٧ـ ـــــ : " عمان حضارتها وتاريخها "، دار اللواء للصحافة والنشر، عمان

١٩٧٩م.

١١٨ـ ـــــ : " امارة الكرك الأيوبية" بلدية الكرك ١٩٨٠م.

١١٩ـ ـــــ : " تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي "، دار الحياة للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٢م.

١٢٠ـ ـــــ : " دراسة في تاريخ مدينة السلط"، مجلة أفكار، العدد ٤٣ ،

١٩٧٩.

١٢١ـ فهمي : نعيم زكي .

" طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب" الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

١٢٢ـ كحاله : عمر رضا

" الفنون الجميلة في العصور الوسطى " المطبعة التعاونية، دمشق

١٩٧٢.

١٢٣ـ كردي : حنان

" القلاع الأثرية في الاردن"، وزارة السياحة والاثار، دائرة الآثار العامة ١٩٧٤.

١٢٤ـ كولار: بول ور، عبدالحق: سليم، ديللون: ارماند

" سورية قضايا حفظ الآثار والمواقع الأثرية والاستفادة منها" تقرير لجنة الاونيسكو المرسلة الى سوريا في سنة ١٩٥٣، نشر الاونيسكو ومديرية الآثار العامة في سوريه .

١٢٥ـ ماجد : عبدالمنعم

" نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر"، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٧م.

١٢٦ـ ـــــــ : " تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى "، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ـ ١٩٧٣، ١٩٧٨م.

١٢٧ـ ماهر: سعاد

" البحرية في مصر الاسلامية"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجيزة ١٩٦٧م.

١٢٨ـ مخلوف : لويس

" الأردن تاريخ وحضارة وآثار" المطبعة الاقتصادية، ١٩٨٢م.

١٢٩ـ ـــــــ : " عجلون تاريخها وحضارتها" (صوت الأرض المقدسة)، الاعداد ١٢٣، ١٢٤، آذار ونيسان ١٩٧٨م، المطبعة الكاثوليكية، عمان.

١٣٠ـ مرزوق : محمد عبدالعزيز

" بين الاثار الاسلامية في العالم" الاسكندرية ١٩٥٣.

١٣١ـ مصطفى : صالح لمعي

" التراث المعماري الاسلامي في مصر" بيروت ١٩٧٥.

١٣٣ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

" المعالم الأثرية في البلاد العربية" الجزء الثاني ١٩٧٢م.

١٣٤ـ مؤمن : مصطفى

" قسمات العالم الاسلامي المعاصر" دار الفتح ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

١٣٥ـ مؤنس : حسين

" نور الدين محمود" الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

١٣٦ـ النشار : علي سالم

" شهداء الاسلام"، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٢م.

١٣٧ـ النقاش : زكي

" العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية"، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٨م.

١٣٨ـ نوري : دريد عبدالقادر

" سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام والجزيرة" مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٦م.

١٣٩ـ يوسف : شريف

" تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور"، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢م.

الموسوعات :ـ

١٤٠ـ دائرة المعارف الاسلامية : المجلد ١٢ نقلها الى اللغة العربية محمد ثابت الفندى ، احمد الشنتاوى ، ابراهيم زكي خورشيد ، عبدالحميد يونس، انتشارات جهان ، تران ـ بوذرجهرى .

١٤١ـ الموسوعة العسكرية المجلد الثاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩م.

١٤٢ـ موسوعة المعارف الحديثة : المجلد الثالث، الدار العربية للموسوعات ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

المراجع الأجنبية المعربة

١٤٣ـ آبل : أ

" القلعة الأيوبية في بصرى اسكي شام" ، تعريب وتلخيص بشير زهدي ،
" الحوليات الأثرية السورية" ، المجلد السادس ١٩٥٦م.

١٤٤ـ بروكلمان : كارل

" تاريخ الشعوب الاسلامية" ، نقله الى العربية نبيه أمين فارس
ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م.

١٤٥ـ بيركهارت :

" رحلات بيركهارت" الجزء الثاني في سوريا الجنوبية ، ترجمة
أنور عرفات ، المطبعة الأردنية ١٩٦٩م.

١٤٦ـ بيك : ج فردريك

" تاريخ شرقي الأردن" تعريب بهاء الدين طوقان ، مطبعة دار
الأيتام الاسلامية الصناعية بالقدس ، عمان ١٩٣٤م.

١٤٧ـ جيب : هاملتون

" دراسات في حضارة الاسلام" تحرير ستانفورد شو ، وليم بولك ،
ترجمة احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمود زايد ، دار العلم
للملايين ، بيروت ١٩٧٤م.

١٤٨ـ جوانفيل :

" مذكرات جوانفيل" (القديس لويس) ترجمة حسن حبشي ، دار
المعارف ، القاهرة ١٩٦٨م.

١٤٩ـ حتي : فيليب

" تاريخ سورية ولبنان وفلسطين" الجزء الأول ، ترجمة جورج حداد ،
عبد الكريم رافق ، مؤسسة فرانكلين ، نيويورك ١٩٥٨ ، الجزء الثاني ،
ترجمة كمال اليازجي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩م.

١٥٠ـ ــــــ : " لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر" ترجمة انيس فريحه ، مراجعة نقولا زياده ، مؤسسة فرانكلين ، بيروت، نيويورك ١٩٥٩م.

١٥١ـ ديورانت : ول
" قصة الحضارة" الجزء الثاني من المجلد الرابع (عصر الايمان) الجزء ١٥ـ١٦ ، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثالثة ١٩٦٥ ، ١٩٧٤ ، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

١٥٢ـ رنسيمان : ستيفن
" تاريخ الحروب الصليبية" ثلاثة أجزاء ، نقلها الى العربية السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ـ١٩٦٩م.

١٥٣ـ سترانج : لي .
" فلسطين في العهد الاسلامي" ترجمة محمود عمايره ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ١٩٧٠م.

١٥٤ـ طومسون : هنري
" قلعة الكرك" (صوت الأرض المقدسة) العددان ٦٩/٧٠ ، ايلول وتشرين الاول ١٩٧٣.

١٥٥ـ كونل : ارنست
" الفن الاسلامي" ترجمة احمد موسى ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦.

١٥٦ـ مجهول :
" كتاب أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" ترجمة حسن حبشي القاهرة ١٩٥٨م.

١٥٧ـ هاردنج : لانكستر
"آثار الأردن" وزارة السياحة والآثار ، عمان ١٩٨٢م.

١٥٨ـ هونكه : زيغريد
" شمس العرب تسطع على الغرب" نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه مارون خوري ، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨١م.

١٥٩ـ وبست : انتوني
" الحروب الصليبية" ترجمة شكري محمود نديم، مراجعة محمود حسين الأمين ، شركة النبراس للنشر والتوزيع، بغداد ١٩٦٧م.

١٦٠ـ يعقوب : ميخائيل
" أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى" ترجمة فؤاد حسنين علي ،القاهرة ١٩٤٦م.

المصادر الأجنبيـة :-

161- Aix of Albert "Historia Hiersoloymitana (RHC,Occ., 1V)

162- Chartres. Fulcher.
"Gesta Francorum. Hierusalem Peregrinantium" (Ed. H. Hagenmeyer, Fulcberi Carnotensis Historia Hierosolymitana (1095-1127) Heidelberg, 1913.

163- Grousset. R.
Histoir des Croisades, Vol. I Paris, Plon 1935.

164 -Tyre, William
" A History of Deeds Done Beyond the Sea" Columbia University Record Civilization, 2Vols, New York 1943.

المراجع الأجنبية :-

165- Amiran Ruth:
"Early Arad, Jerusalem, 1978".

166- Ancient Pottery of the Holy land, Rutgers University Press 1969-1970.

167- Avi- Yonah. Michael.
" A History of the Holy Land."
The Jerusalem Publishing House Ltd, Jerusalem 1969.

168- Baldwin W. Marshall:
"The First Hundred Years" (A History of the Crusades) Vol. I. University of Pennsylvania Press, Philadelphia 1958.

169- Benvenisti Meron:
"The Crusaders in the Holy Land." Israel Universities Press Jerusalem 1970.

170- Boas. T.S.R.
"Castles and Churches of the Crusading Kingdom" London Oxford University Press, New York, Torouto, 1967.

171- ___________:
"Kingdoms and Strongholds of the Crusaders." Thames and Hudson London 1971.

172- Brünnow. R. V. and Domaszewski V.A.:
D/e Provincia Arabia. Verlag Von Karl J. Trubner, Strassburg 1904.

173- Canova Reginetta:
"Iscrizioni Monumenti Protocristia Del Paese Dl Moab" Roma 1959.

174- Creswell K.A.C.:
"Early Muslim Architecture", Vol I Umayyad 1932. Vol.III, Umayyad Spain, Abbasid and Tulunid, 1940, and 2nd ed, Vol I Parts 1& 2 1969.

175- _______:
"Fortification in Islam Before 1250A.D." British Acadamy 1952. A Short Account of Early Muslim Architecture.

176. Combe Et, Sauvaget Et. Wiet.
"R pertoire Chranologique D'Epigraphie Arabe". Vol/ 12,13, Lecaire 1941-1944.

177- Conder, C. R.
The Latin Kingdom of Jerusalem 1099 to 1291 A.D. London 1897.

178- Deschamps. Paul
-Les Chateaux descroises en Terre sainte: V.11 Ladepense du Royaume de Jerusalem, Pairs 1939

179- Duncan: J. Garrow:
Es-Salt "Palestine Exploration Fund" 1928.

180- Earnshaw. Alter.
"Discovering Castles". University of London Press, London 1969.

181- Enlart Camelee.
"Les Monuments Des Croises dan Le Royaume de Jerusalem", Paris. 1925.

182- Fedden Robin.
Syria An Historical Appreciations. Readers Union. Robert Hale, London, 1955.

183- Fedden, Robin and Thomson, John.
"Crusader Castles." John Murray London 1957.

184- Field. Henry:
North Arabian Desert Archaeological Survey 1925-50." Cambridge 1960.

185- Germer-Durand J.
Epigraphie Palestinienne" Revue Biblique" 1896.

186- Glidden. W. Harold.
"The Mamluk Origin of the Fortified Khan Al- A-Aqabeh, Jordan". " Archaeologica Orientalia In Memoriam Ernst Herzfeld"J.J Augustin Publisher New York 1952.

187- Hammond. C. Philip.
"The Crusader Fort-On El-Habis at Petra Its Survey and Interpretation" Utah 1970.

188- Hoade. Eugene.
East of the Jordan. Franciscan Printing Press, Jerusalem 1966.

189- Jones C. N.
"Medieval Ajlun"
Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine. Vol. I. No I Jerusalem 1931.

190- Lagrange.
Revue Bibliques 1897

191- Macaulay Rose.
Pleasure of Runis, Thames and Hudson Ltd, 1969.

192- Maüss M et Sauvaire.
Voyage de Jerusalem of Keral et a Chaubak-Tomll, Paris 1974.

193- Medebielle Pierre.
"Histoire De L'Eglise De Jerusalem
Jerusalem 1967. (غير منشور)

194- ______:
Histoire de la Mission de Kerak. Imprimerie du Patriorcal Latin, Jerusalem 1961.

195- Meistermann. Barnabe.
Guide Du Nil Au Jourdain. Alphonse Picard Et Fils, Editeurs, Paris, 1909.

196- Müir. W:
The Mameluke or Slave Dynosty of Egypt. London 1896.

197- Muller-Wiener. Wolfgang.
Castles of the Crusaders. Thames and Hudson. London 1966.

198- Mürry John.
Jandbook for Travellers in Syria and Palestine., London 1868.

199- Musil. A:
Arabia Petraea, Moab Edoms. 2vols. Holand, Vienna 1907-1908.

200- Oman. Charles.
" History of the Art of War in the Middle Ages" Vol II, Burt Franklin, New York 1929.

201- Palmes J.C.
" A History of Arciteeture." The University of London, The Athlone Press, 1975.

202- Prawer Joshua.
"The Latin Kingdom of Jerusalem". Weidenfeld and Nicolson, London 1972.

203- Quatermere.
"Histoire dos sultanse Memlouks." Vol. I Paris 1837.

204- Sadeque Syedah Fatima.
Baybars I of Egypt.
Oxford University Press, Dacca 1956.

205- Savignac Lep.
Ou Airah "Revue Biblique", 1897, 1903, 1932.

206- Schlumberger G.
Renaud Chatillon, Paris 1923.

207- Setton. Kenneth M.
" A History of the Crusades." Vol. Iv, the University of Wisconsin Press, Wisconsin 1977.

208- Smail, R. C.
" The Crusaders in Syria and the Holy Land."
Thames and Hudson, London 1973.

209- ________:
Crusading Warfare (1097-1193)
Cambridge At the University Press 1956.

210- Stevenson W.D.
The Crusaders in the East
Beirut 1968.

211- Tristram.
The Land of Moab. Londress 1874.

212- Wiet: Gaston.
Prices de Histoire D' Egypt. t.11.
Le Caire 1932.

213- ______:
Le Sultan Baibors Revue du Caire.
t.111, 1939-1940.

214- Woolley C. Leonard and Lawrence. T.E.
"The Wilderness of Zin" Palestine
Exploration Fund 1914.

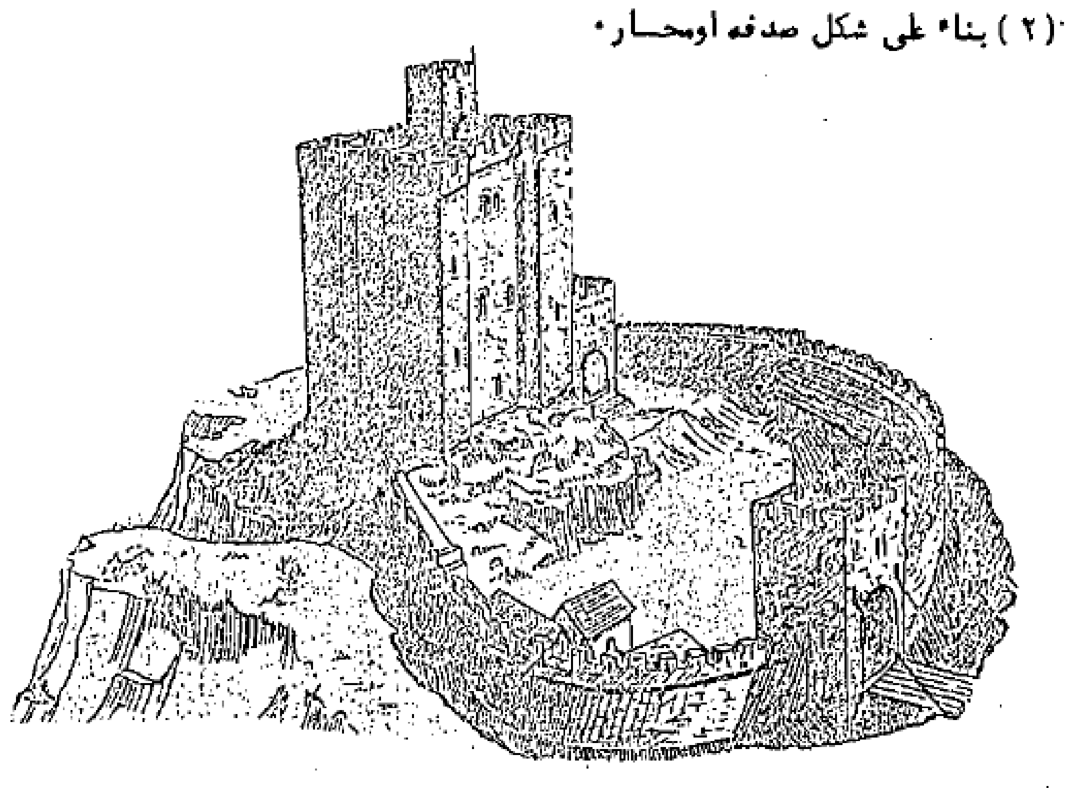
215- Wolff: Lee Robert
"The Later Crusades" (A History of the Crusades)
Vol II, Pennsylvania 1958.

الموسوعـــات :-

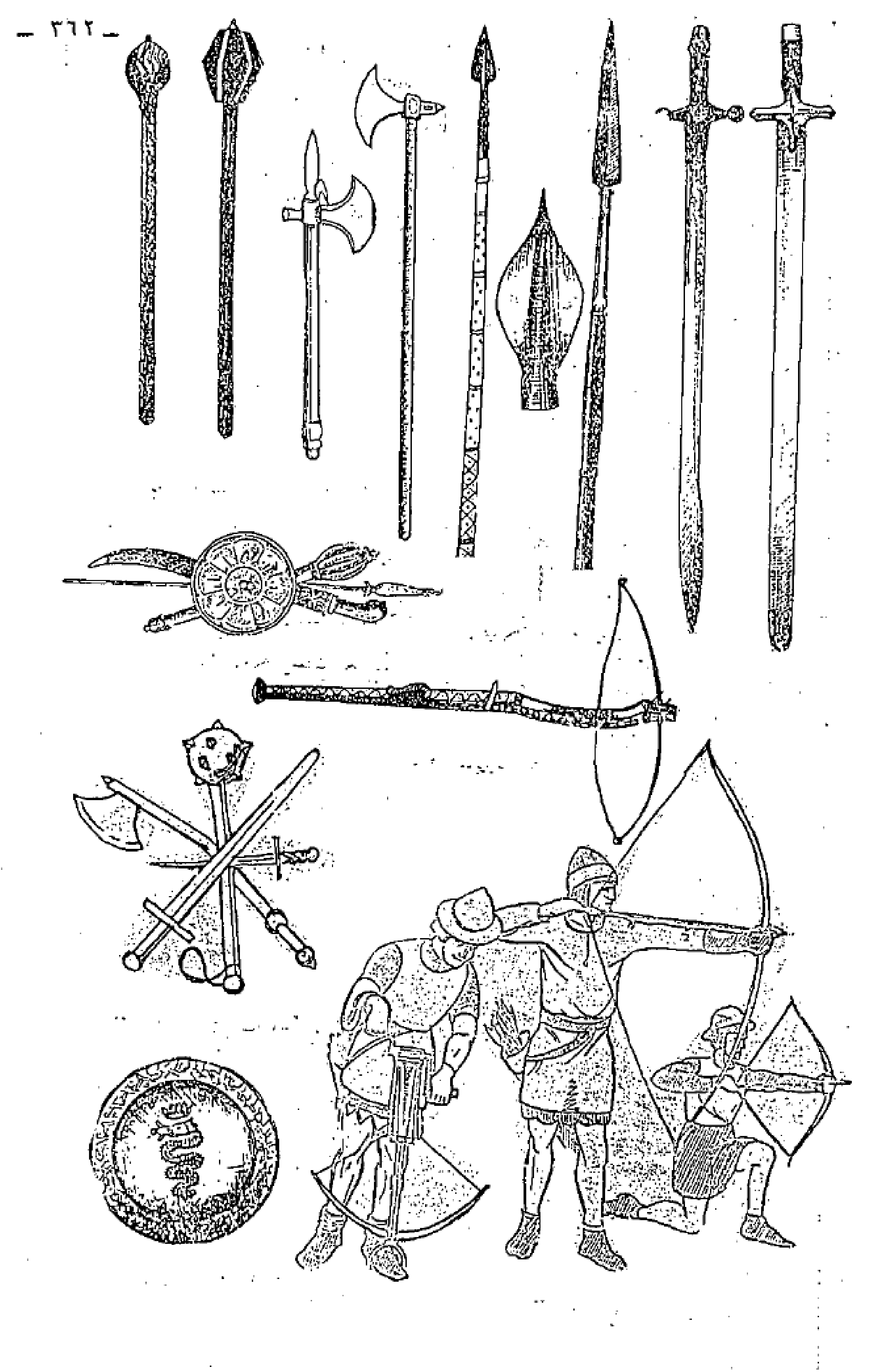
216- Chambers's Encyclodia, Vol. 111, Pergamon Press 1967.
217- Encyclipaedia of Islam: Vol.11. Buhl. 1927.
218- Encyclopadia Britonnica, Vol/5,13,
William Benton, publisher Chicago 1972,1966.

(١) البرج المحاط بســور.

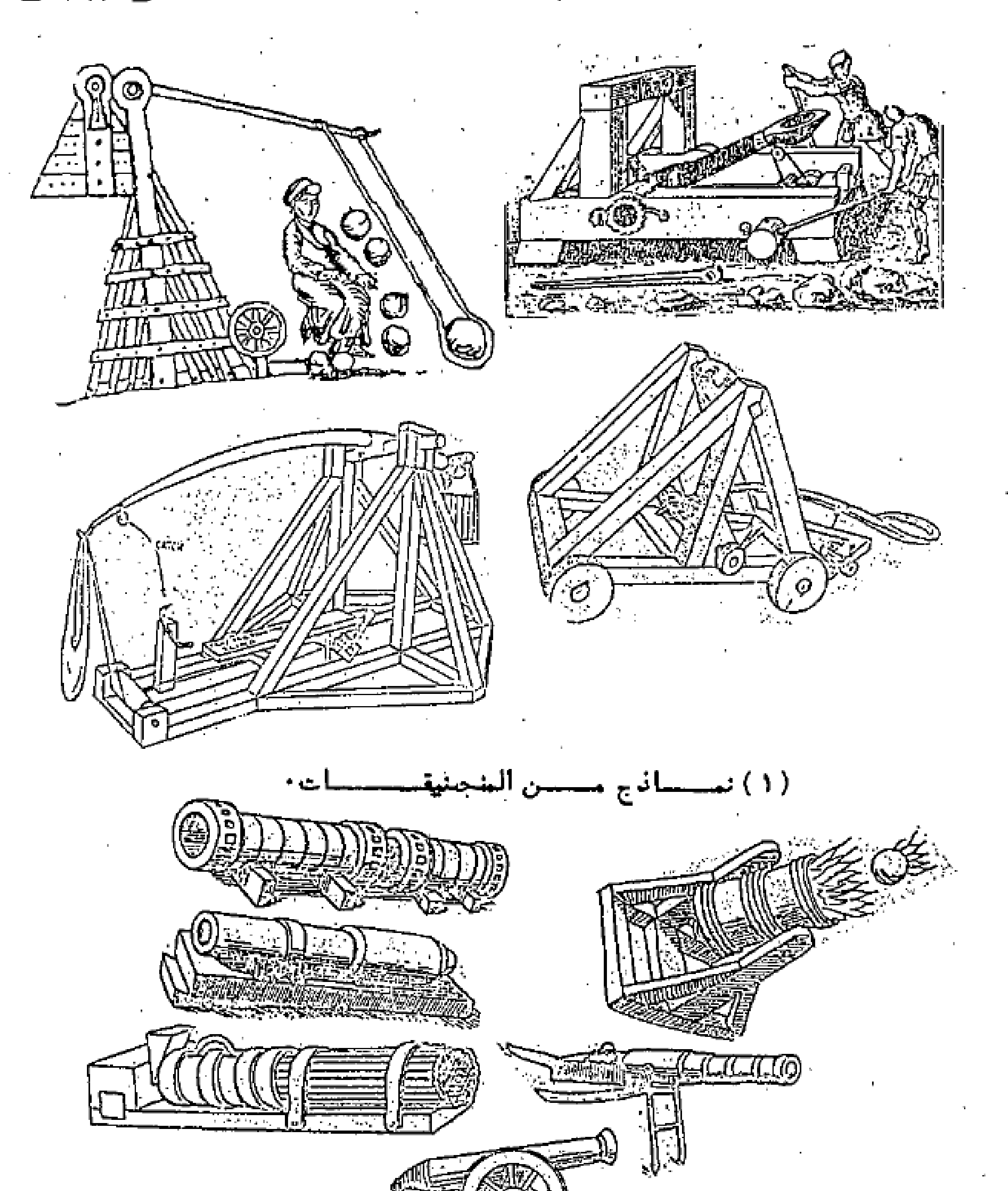
(٢) بناء على شكل صدفه اومحــار.



(٣) البناء المربع المطوق بســور.



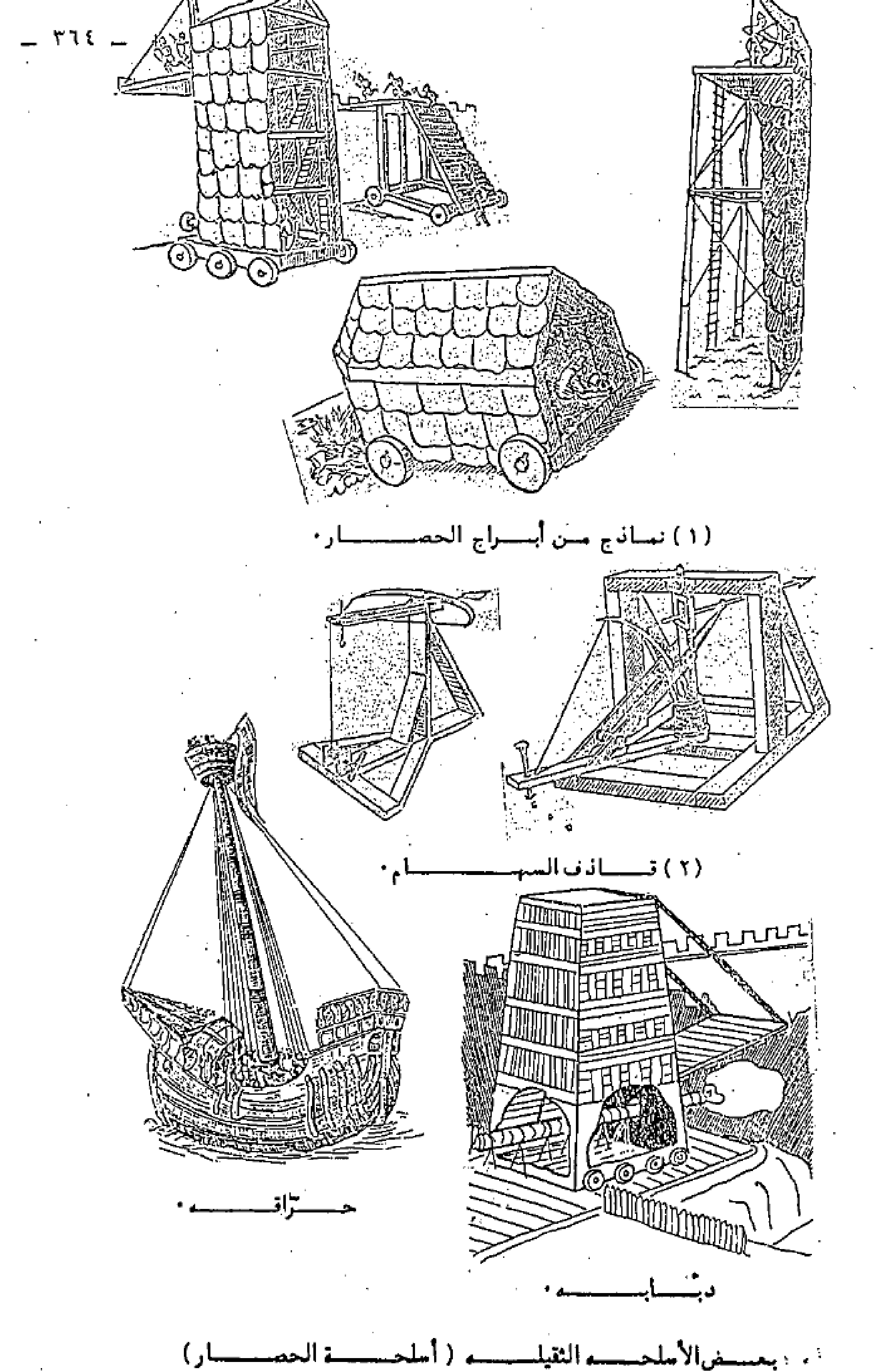
• مجموعه من الاسلحة الخفيفة •



(١) نمـــاذج مـــن المنجنيقـــات.

(٢) نمـــاذج مـــن المكـاحـــل (المـــدافـــع)

بعـــض الأسلحــــة الثقيلــــة (أسلحـــة الحصـــار)



(١) نماذج من أبراج الحصار.

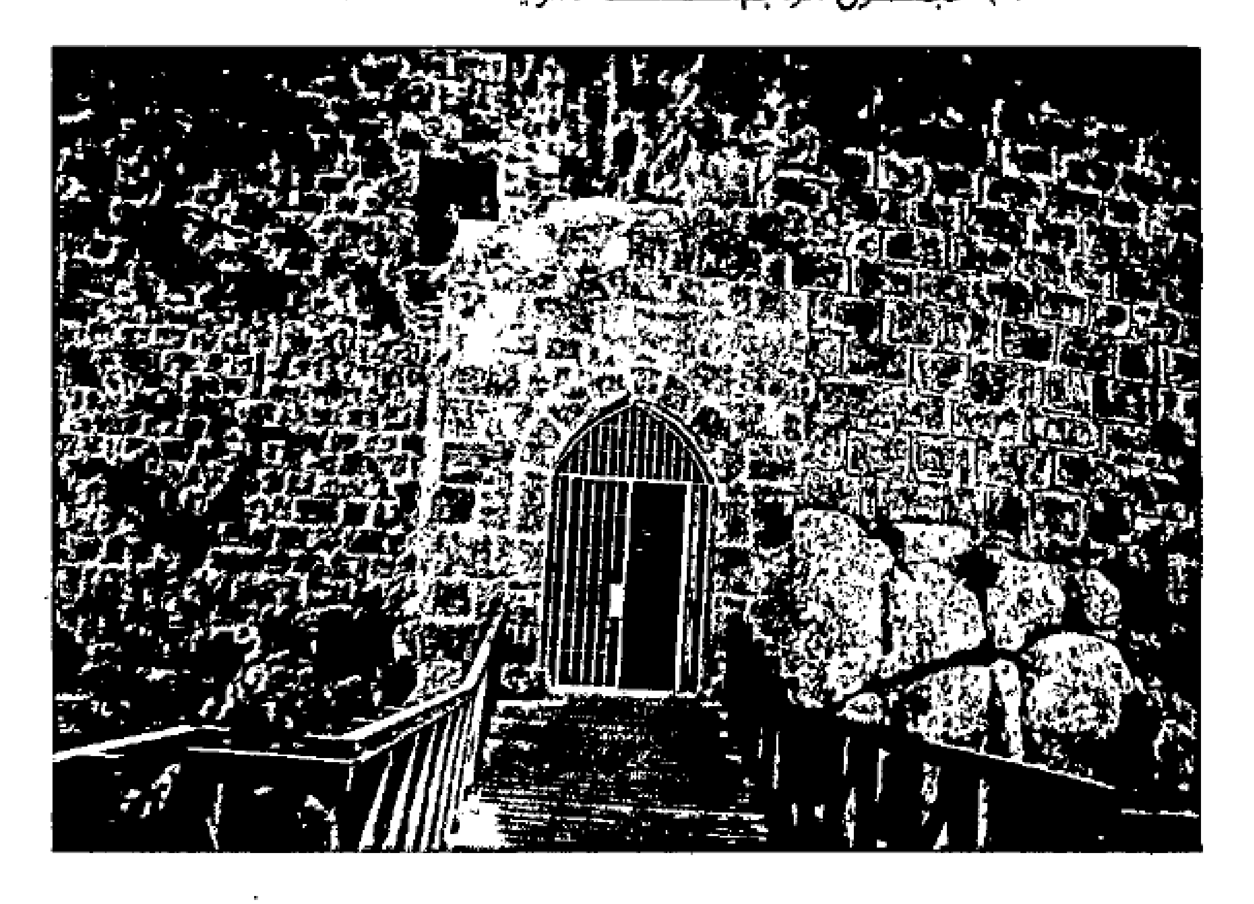
(٢) قاذف السهام.

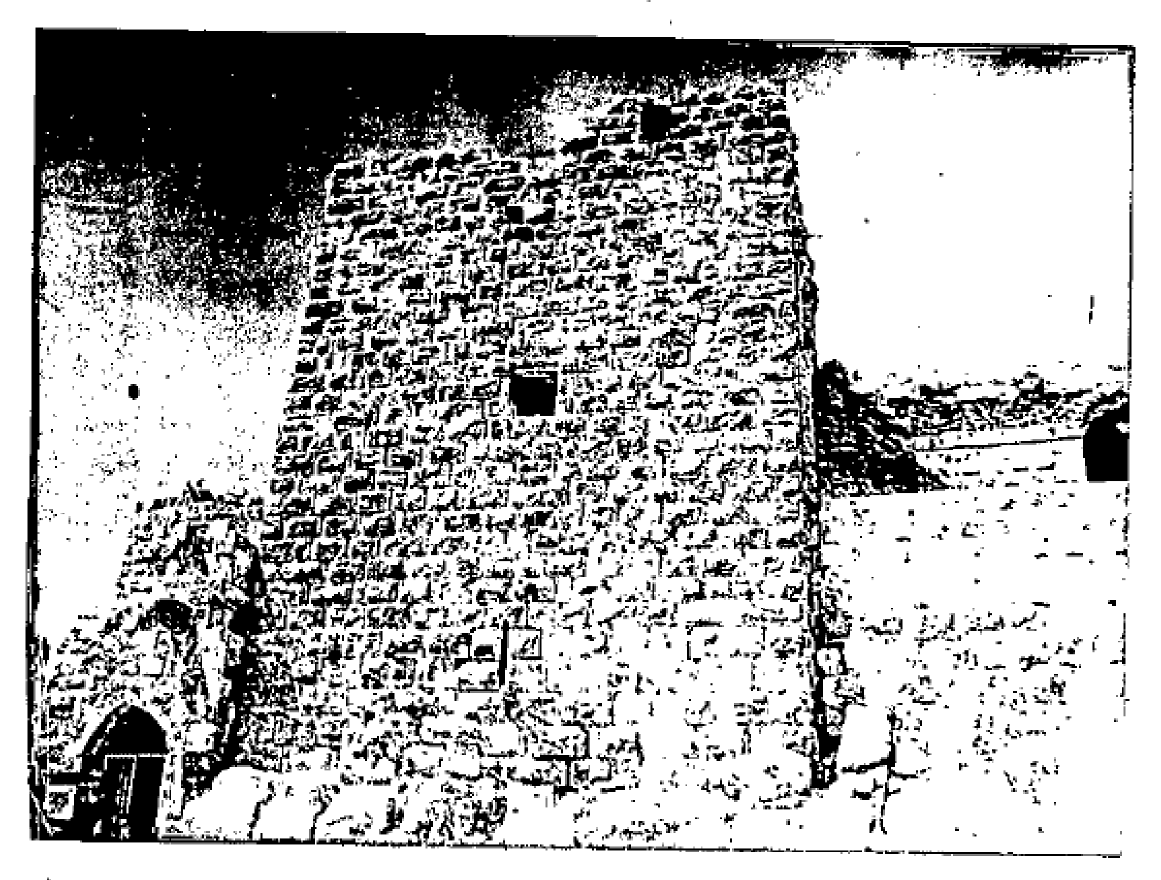
حراقة.

دبابة.

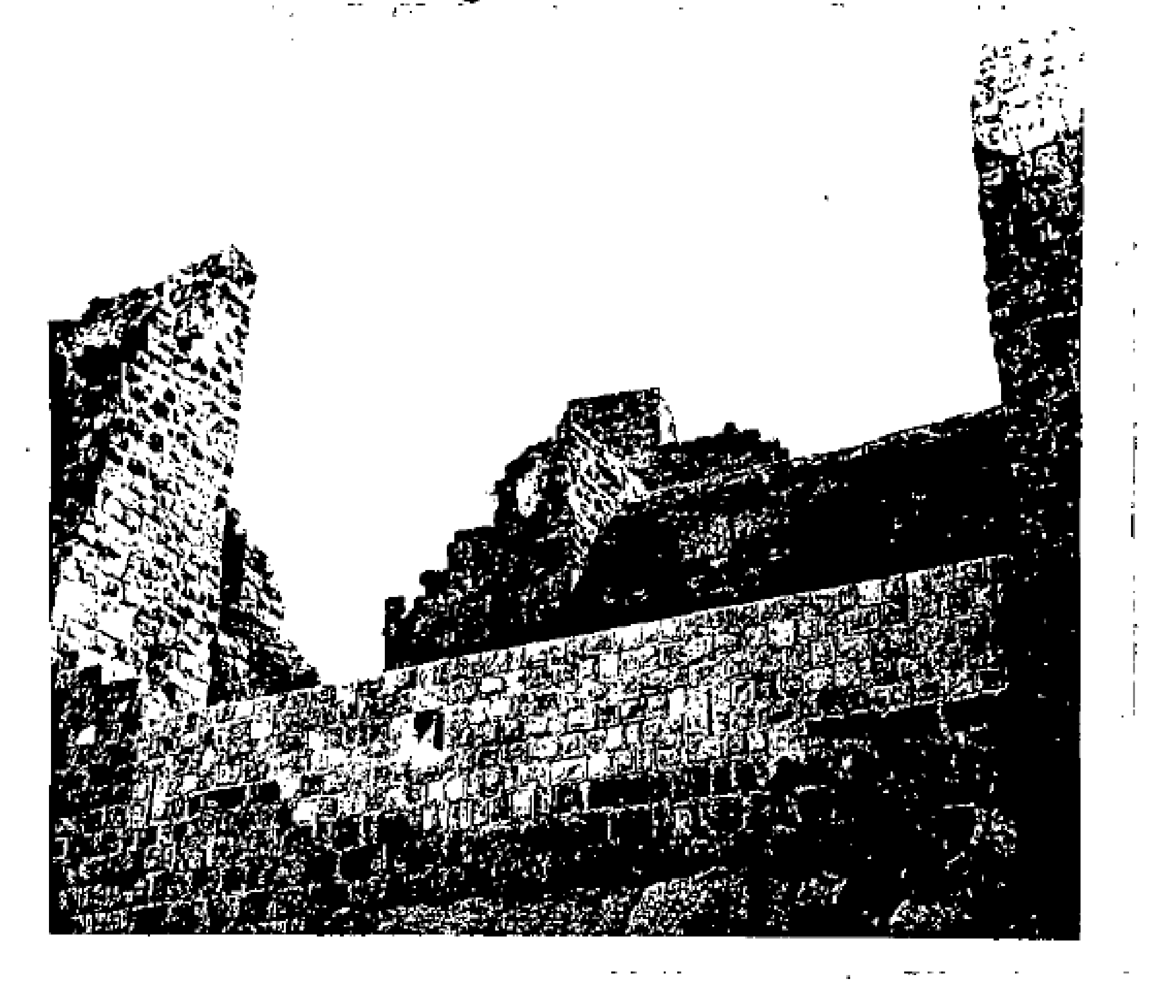
بعض الأسلحة الثقيلة (أسلحة الحصار)

١) عجلـــون الواجهـــــه الشرقيـــــــه .





١) عجلون الواجهه الشرقيه للبرج الأول .



٢) عجلون الواجهه الشرقيه/السورالداخل بين البرجين الاول والثاني بعد الترميم.

١) الواجهه الشرقيه للسور الداخل بين البرجين الاول والثاني قبل الترميم .

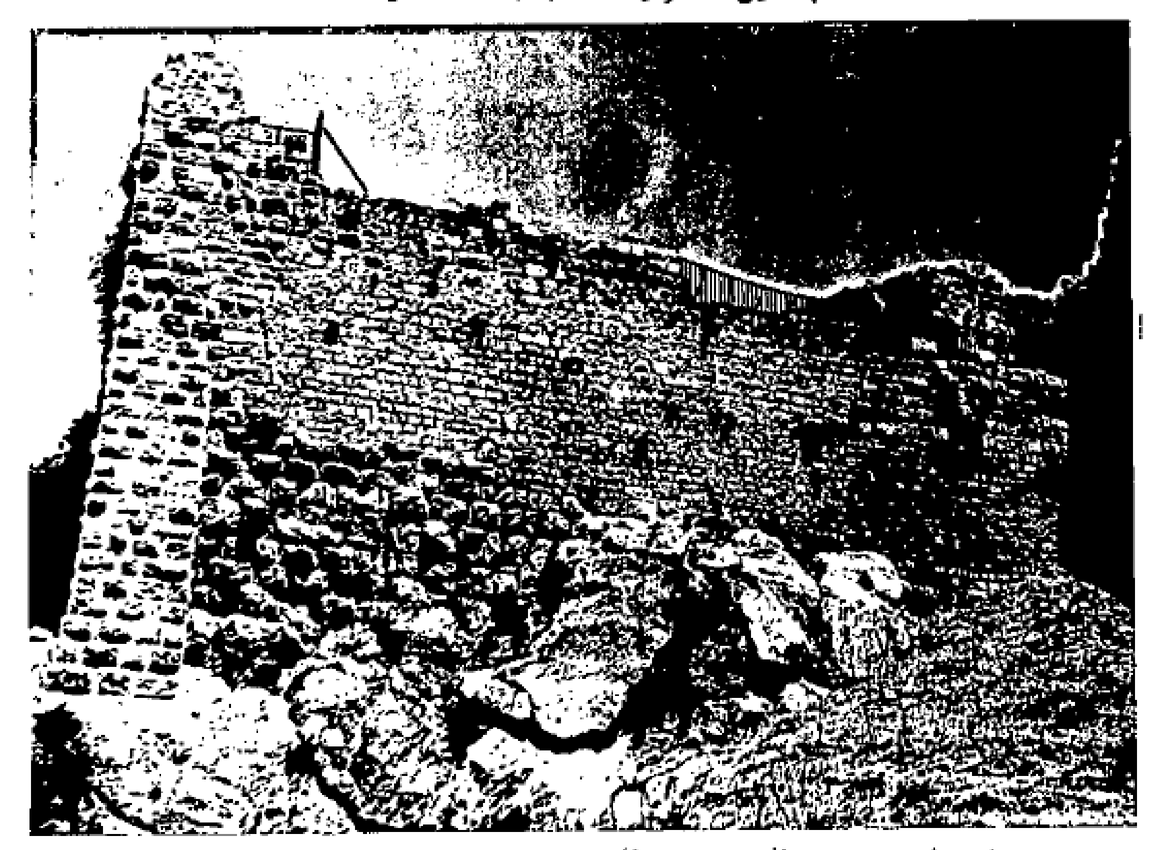
٢) الواجهه الشماليـــه للقلعـــه والبـــرج الثانـــــــــي .



١) الواجهة الشمالية من السور الشمالي / عجلون .



١) عجلــون / الزاويــه الجنوبيــه الغربيــه ·





١) عجلون الواجهه الجنوبيه .

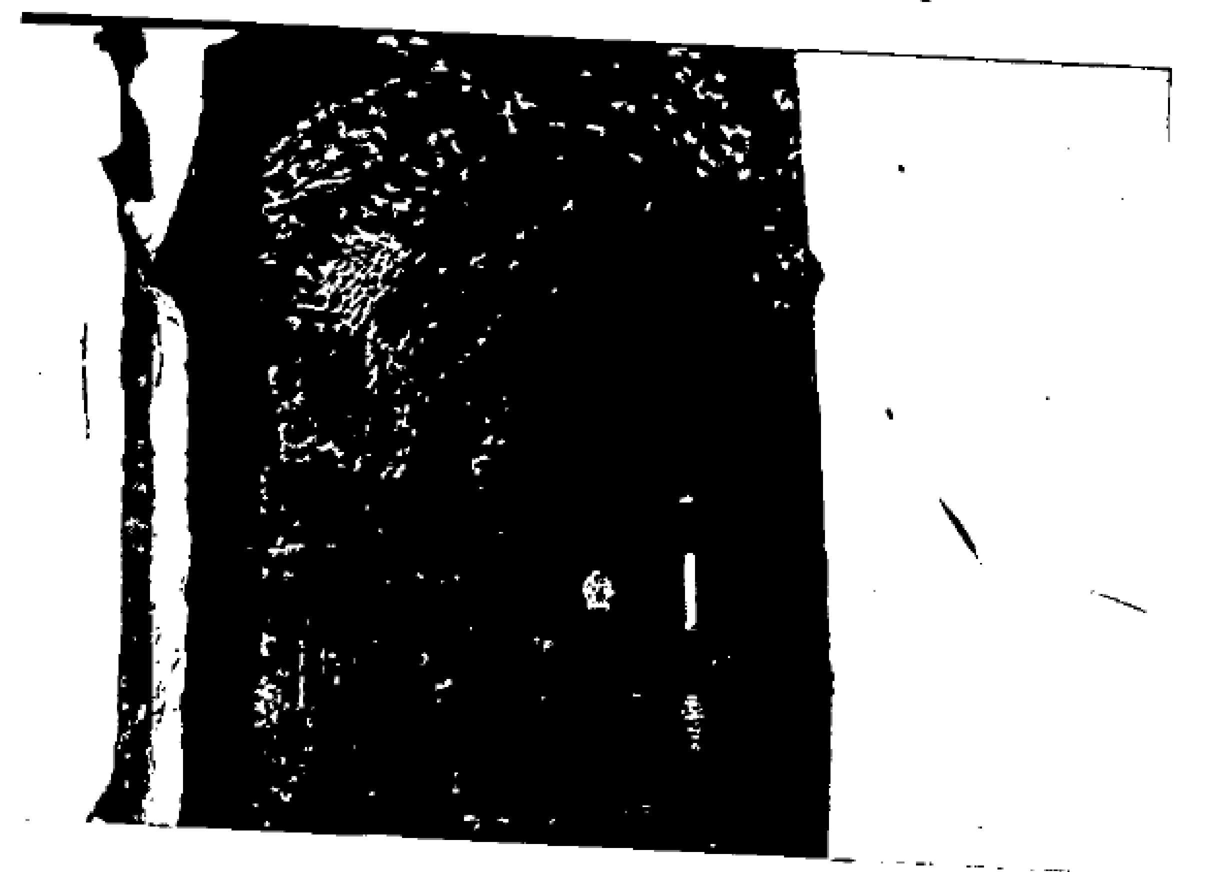
٢) عجلون الواجهه الجنوبيه للمدخل



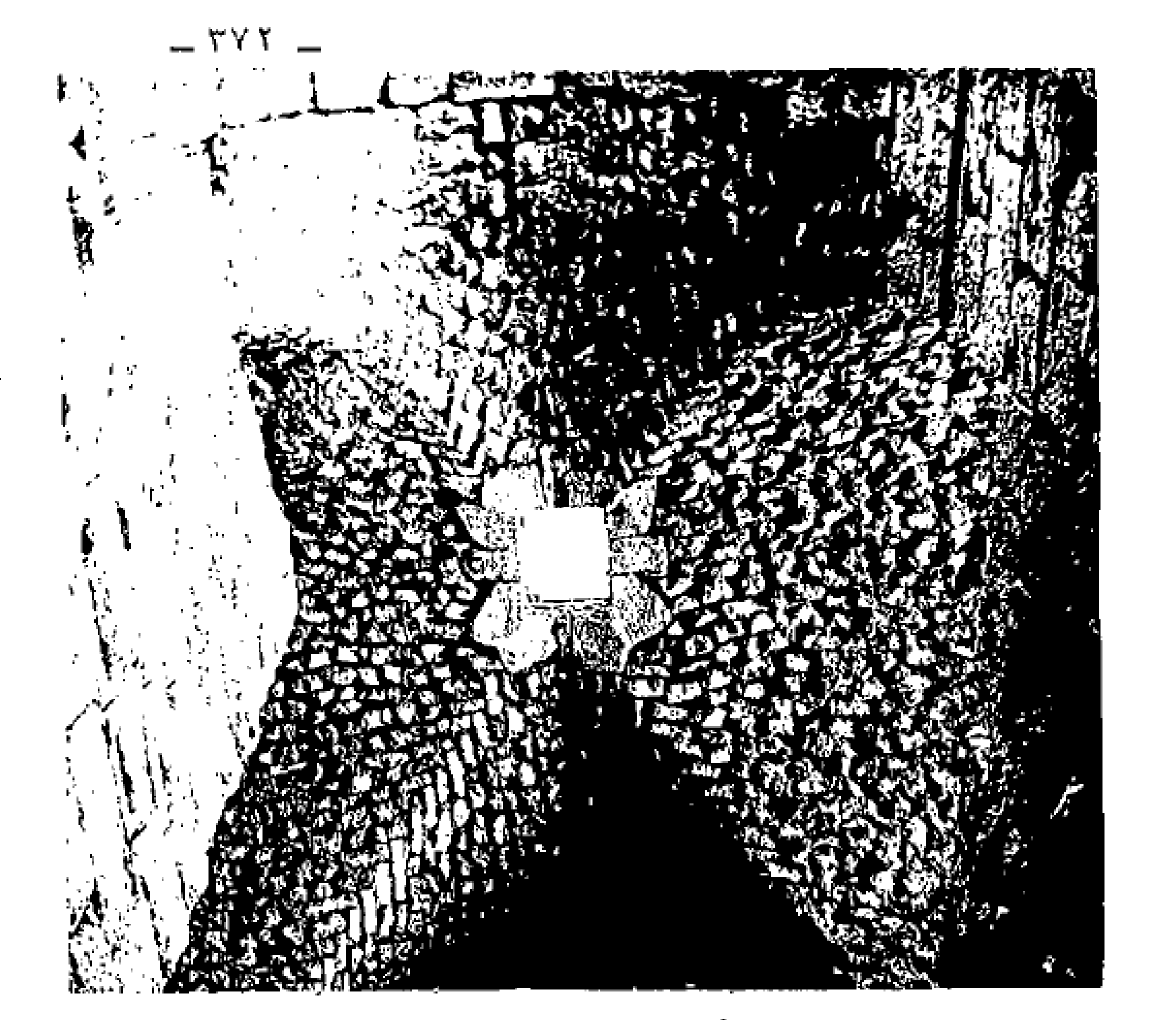
١)

أ ـ طلاقة على يسار المدخل •

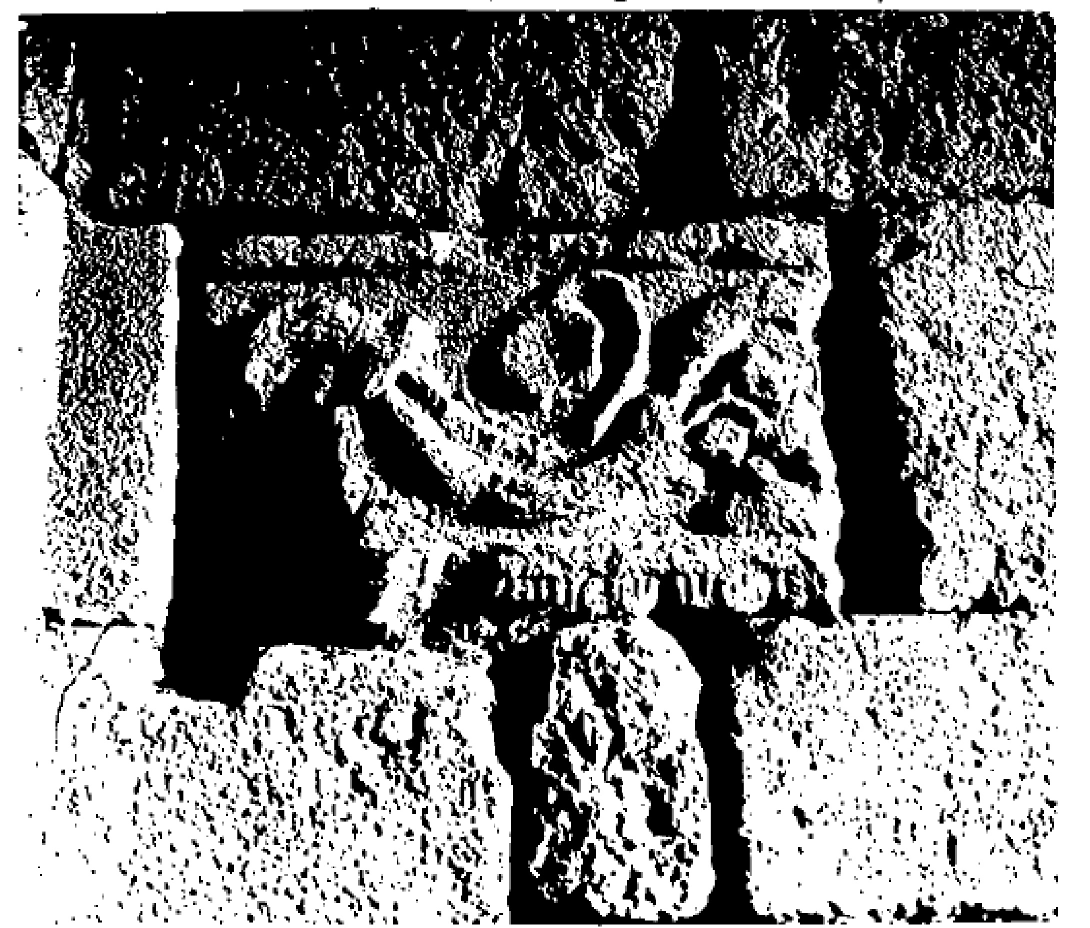
ب ـ نافذة على يسار المدخل وتحتها قناة لنشل الماء من البئر (ق) في المخطط •



٢) البرج رقم ٦ الطابق الاول من الداخل/ القسم الشرقي •



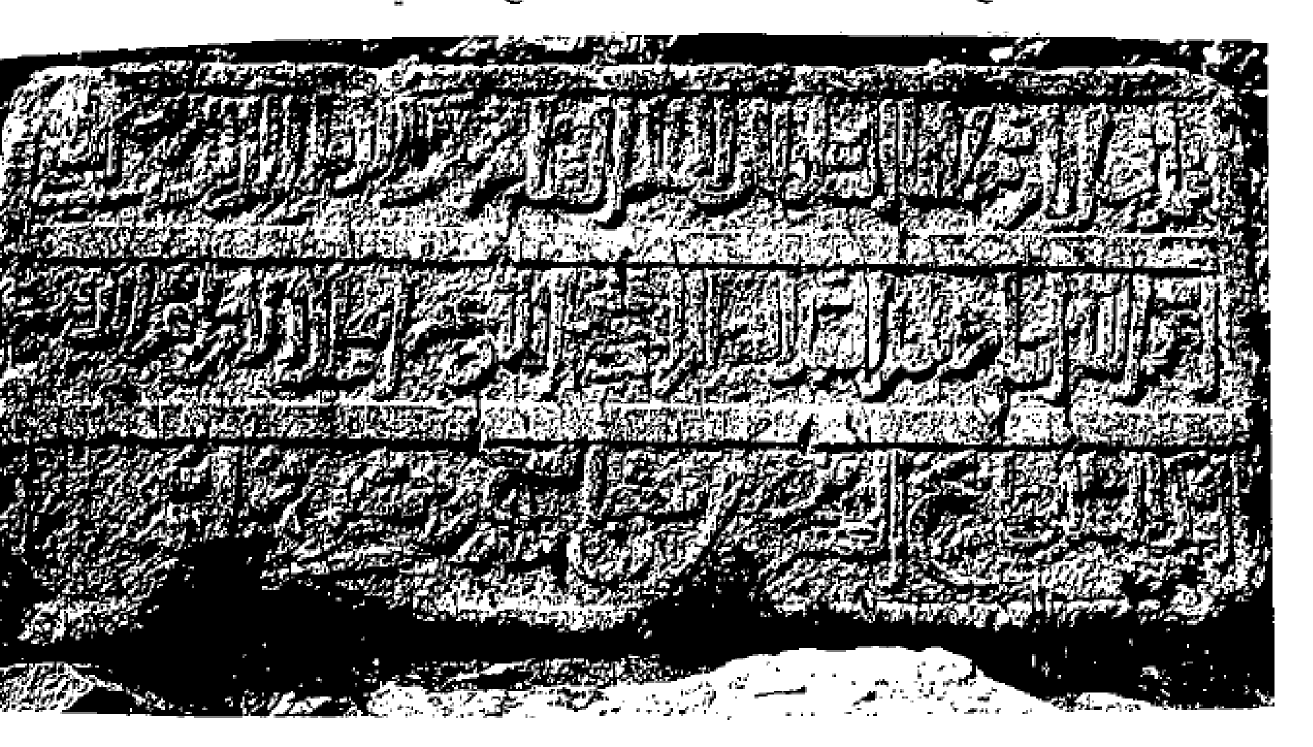
١) نظام سقف الغرف والأبراج وتصميم فتحه السقف / عجلون ٠



٢) نحت السيف والدرع في عجلون ٠



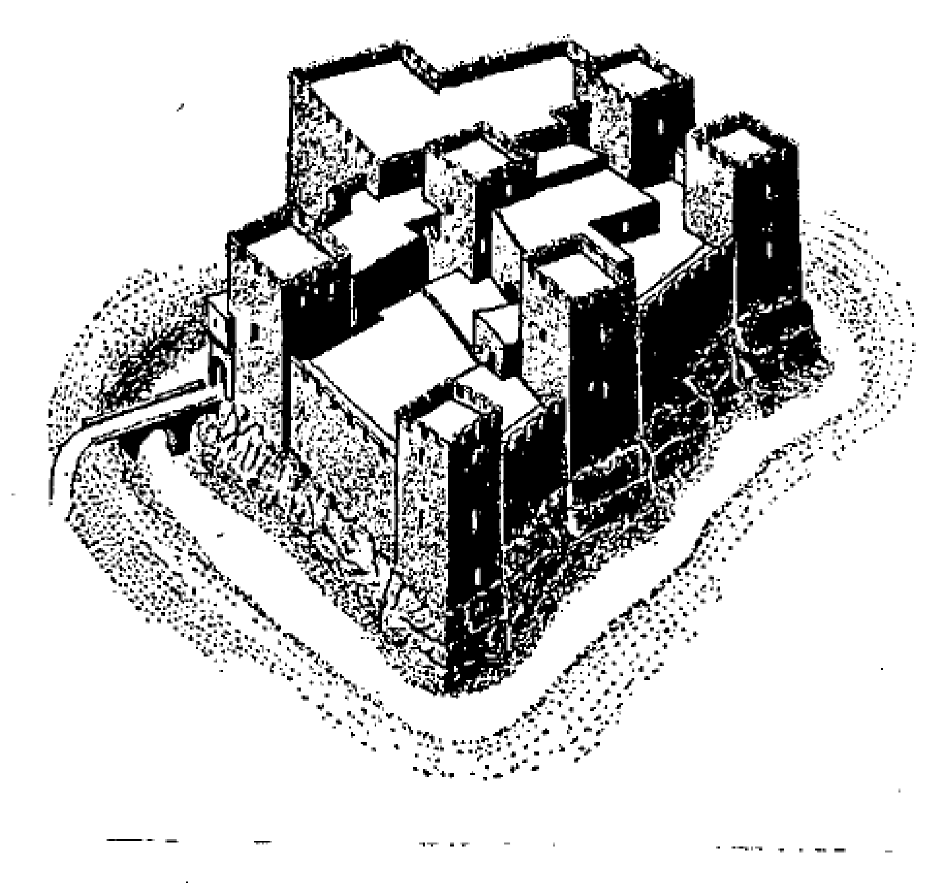
١) نقش صلاح الدين / من الواجهه الجنوبيه للبرج الثاني / عجلون .



٢) نقش الظاهر بيبرس / عجلون .



٣) نحت النسرين من بوابة عجلون / الداخليه .

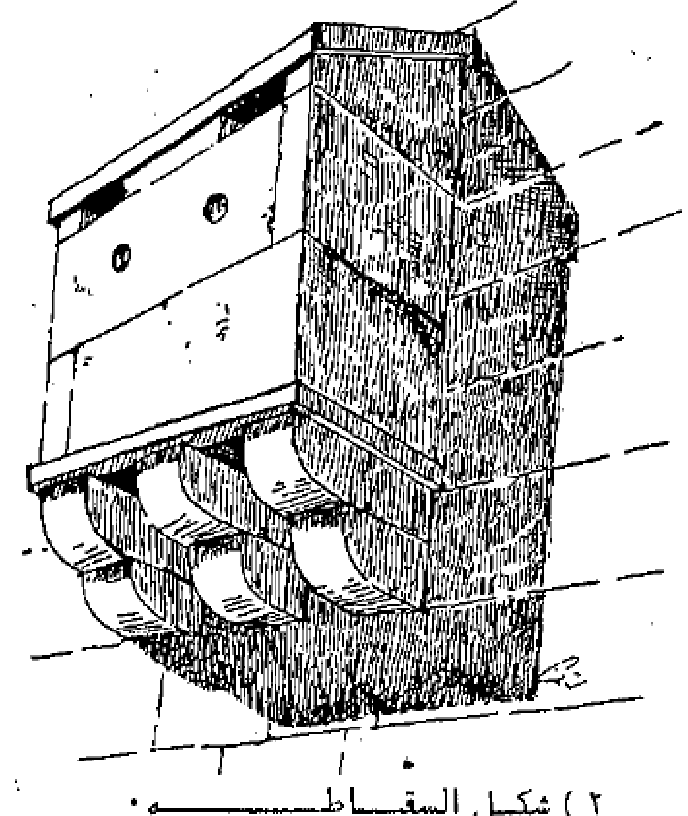


١) مقطـــع لقلـــة عجلـــــــــــون ٠



٢) نماذج من الاواني الفخاريه التي عثر عليها في عجلـــــون ٠

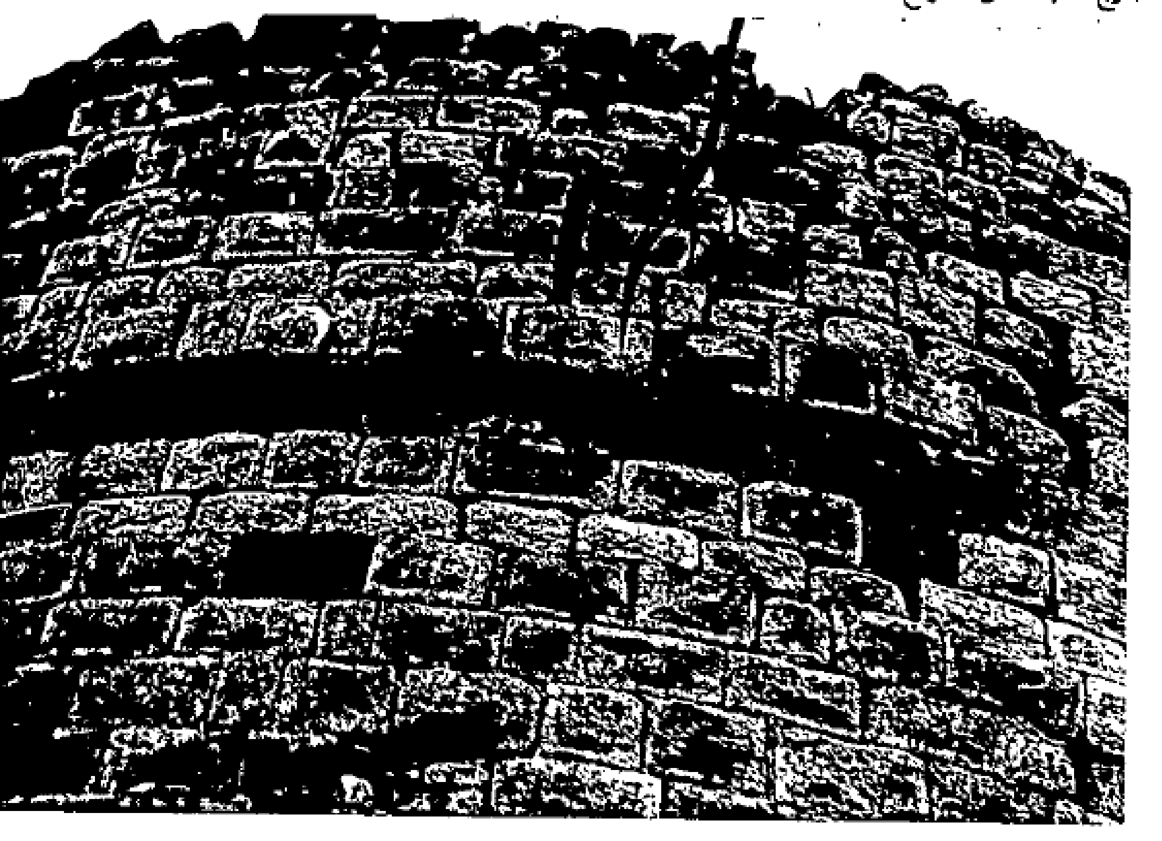
١) نمـــاذج مـــن المثلثـــات الكرويـــــــه .



٢) شكـل السقـــاطــــــه .



١) البرج (ب) من ابراج مدينة الكـــــــــــــرك ٠

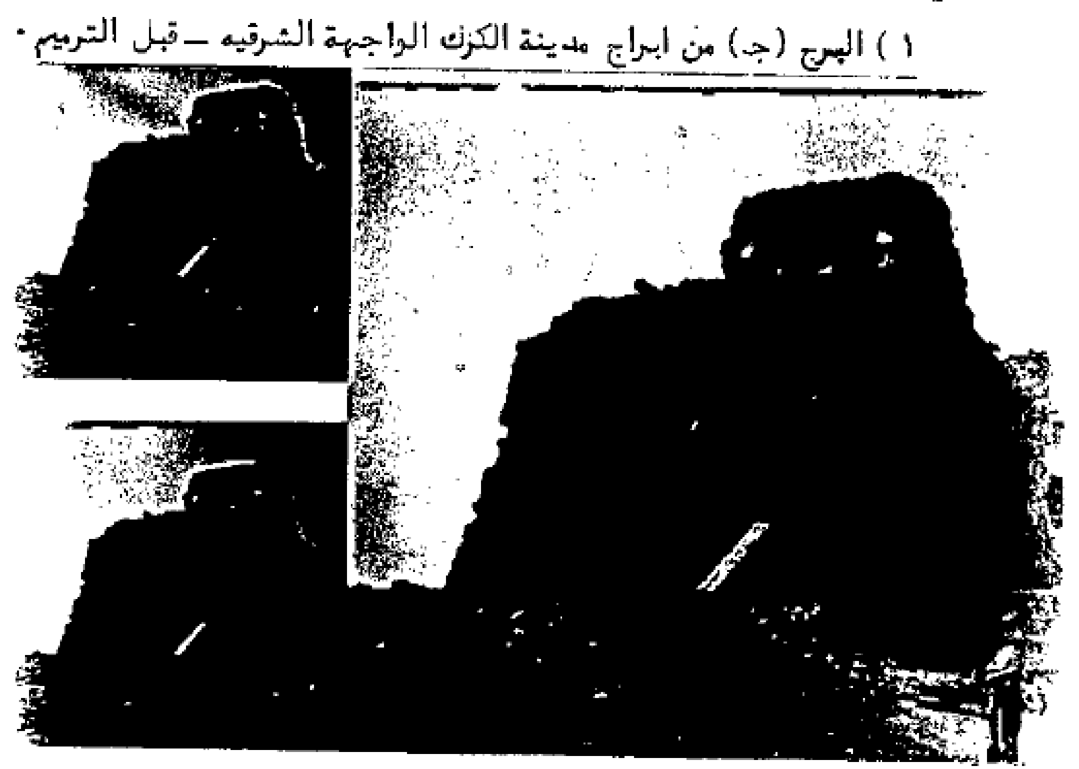


٢)البرج (ب) من ابراج مدينة الكرك ويشاهد نحت الاسدين ضمن الشريط الكتابـي ٠



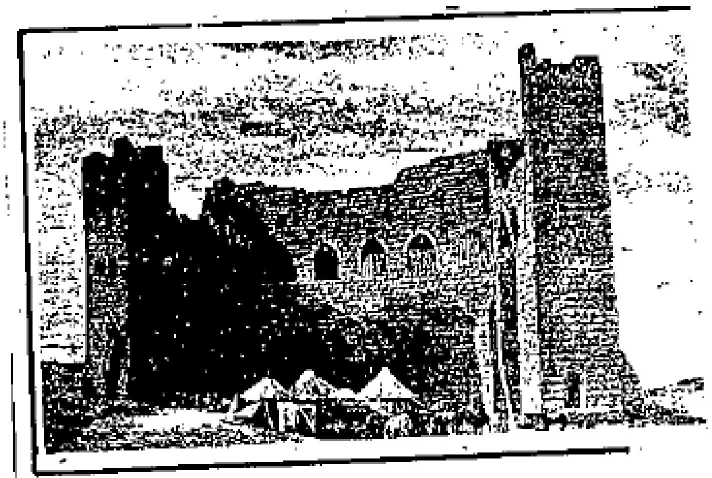
٣) صورة احد الأسدين من برج الظاهر بيبرس وقد وضعت اليوم على واجهة المستشفـــــى الايطالي في الكـــرك ٠

١) البرج (جـ) من ابراج مدينة الكرك الواجهة الشرقيه ـ قبل الترميم ·

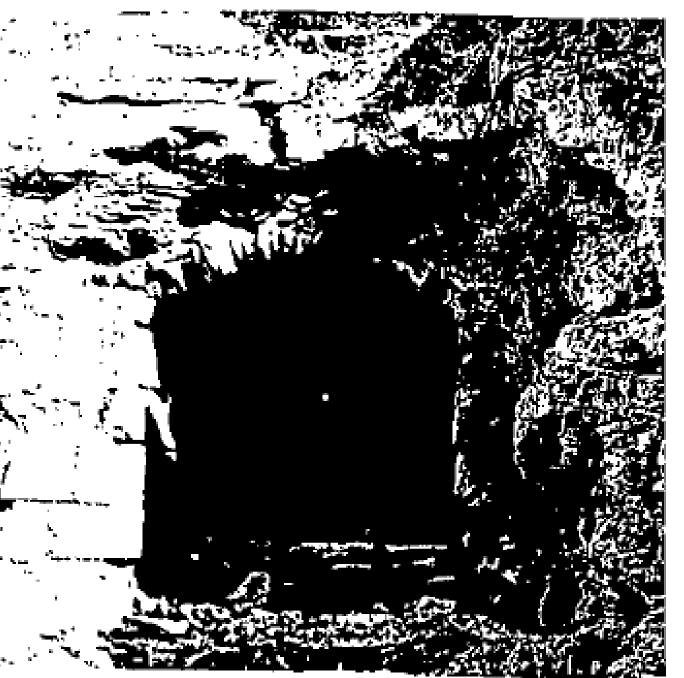


٢) البـرج (جـ) ايضـا بعـــد التـرمــيم·

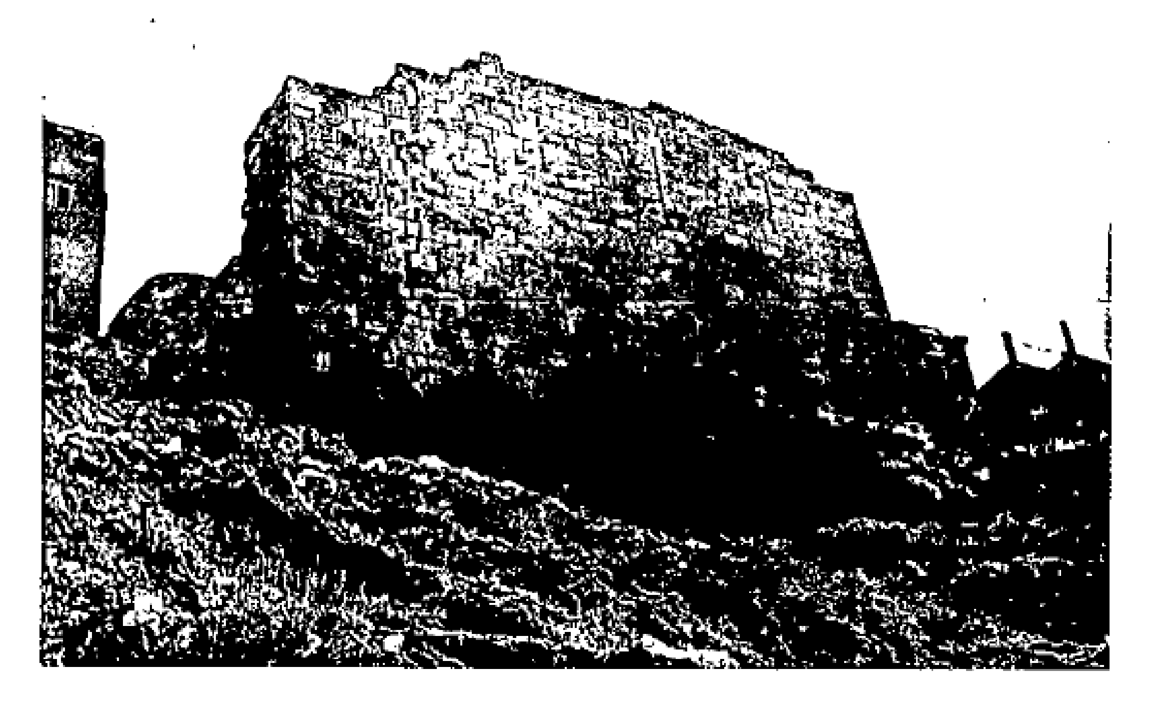
١) جزء من سور الكرك /من الشرق .



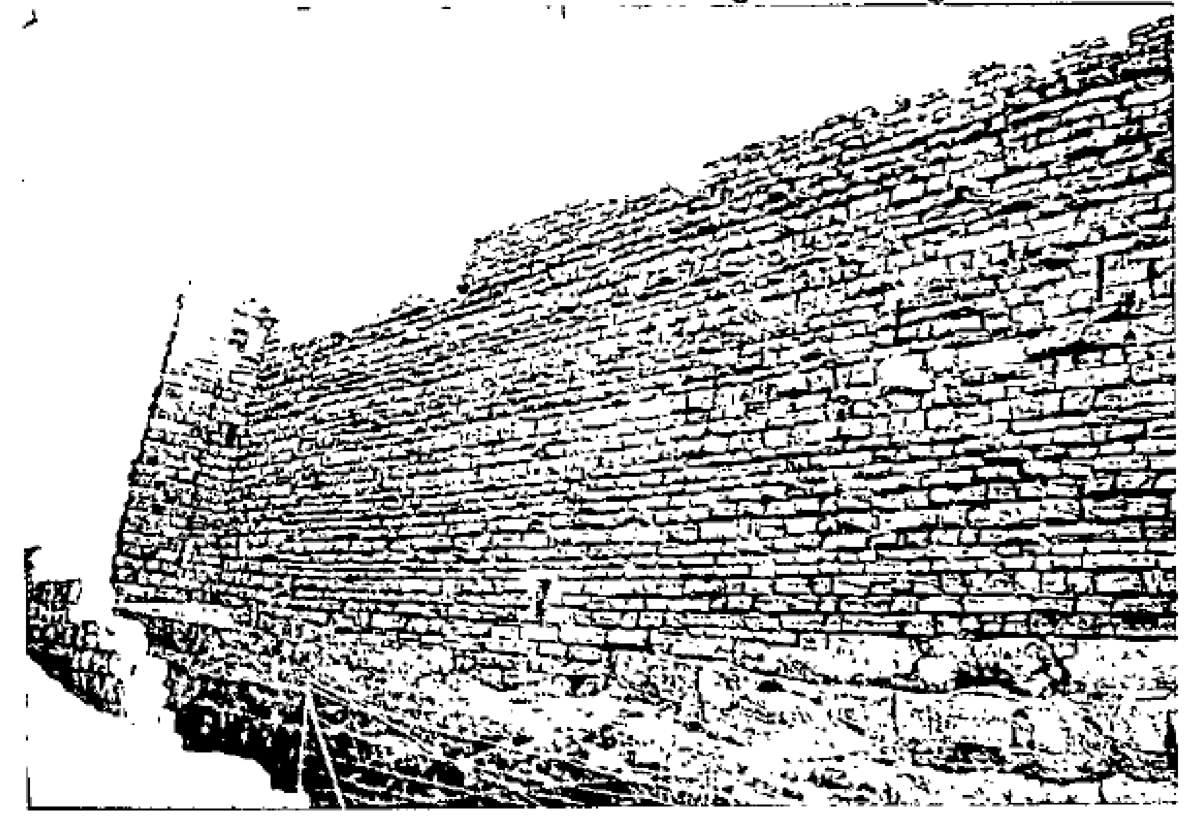
٢) برج الظاهر بيبرس/من الشرق وتعود الصوره لمنتصف القرن التاسع عشر .



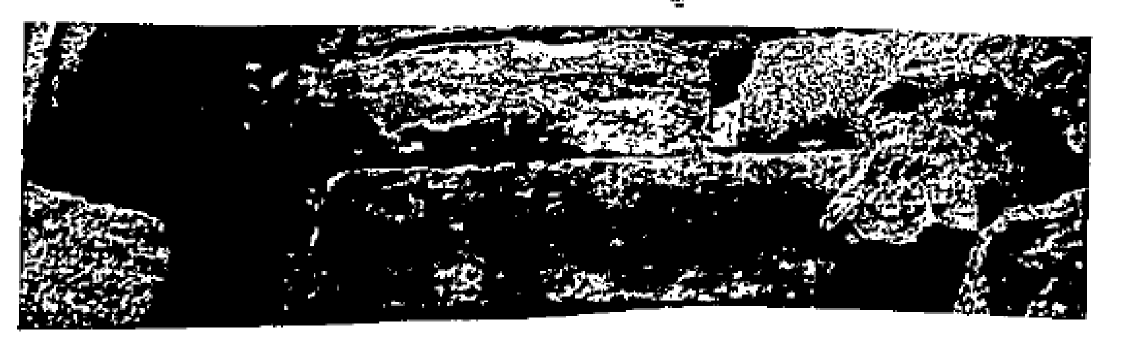
٣) المدخل رقم (٢) من مداخل مدينة الكرك .



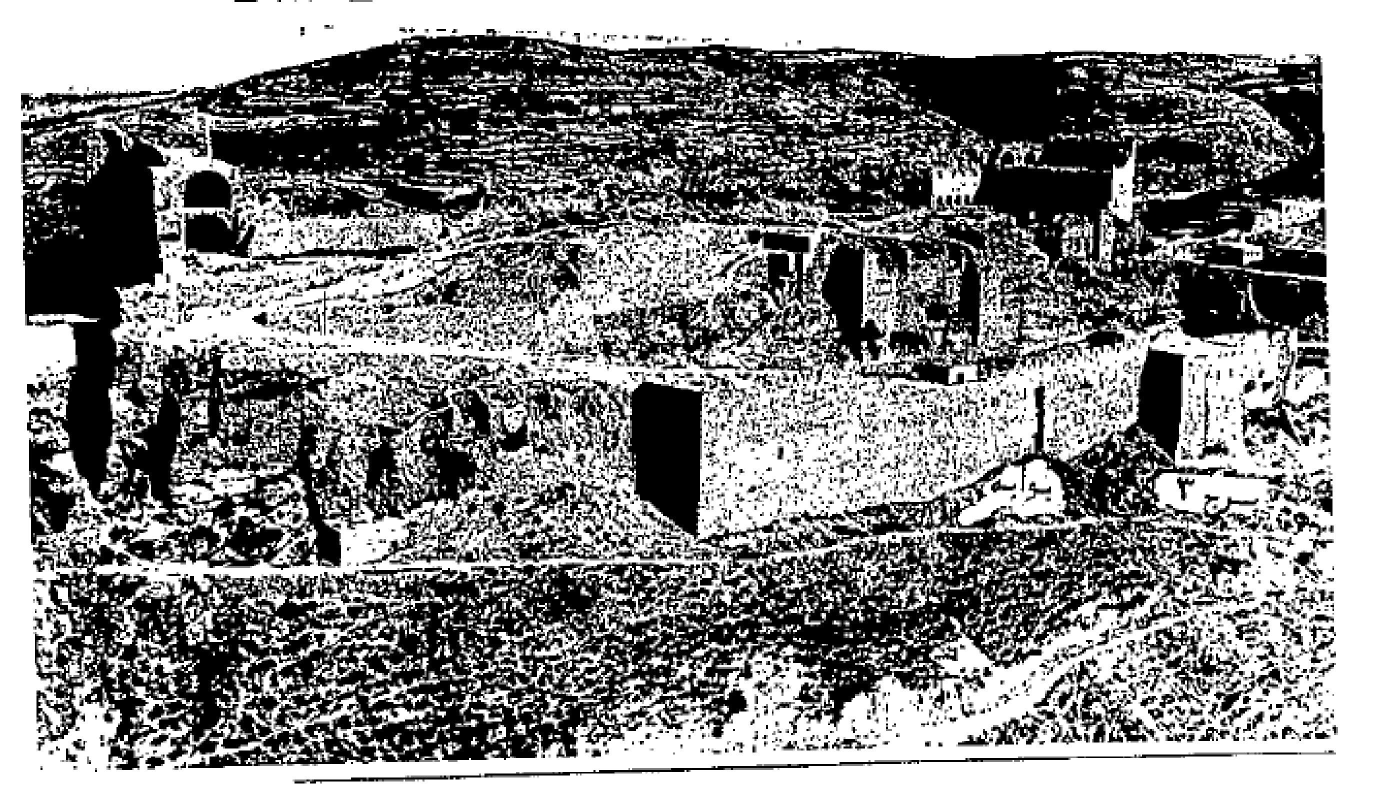
١) البرج (و) من ابراج مدينة الكرك - من الغرب -



٢) السور الشمالي لقلعة الكرك .

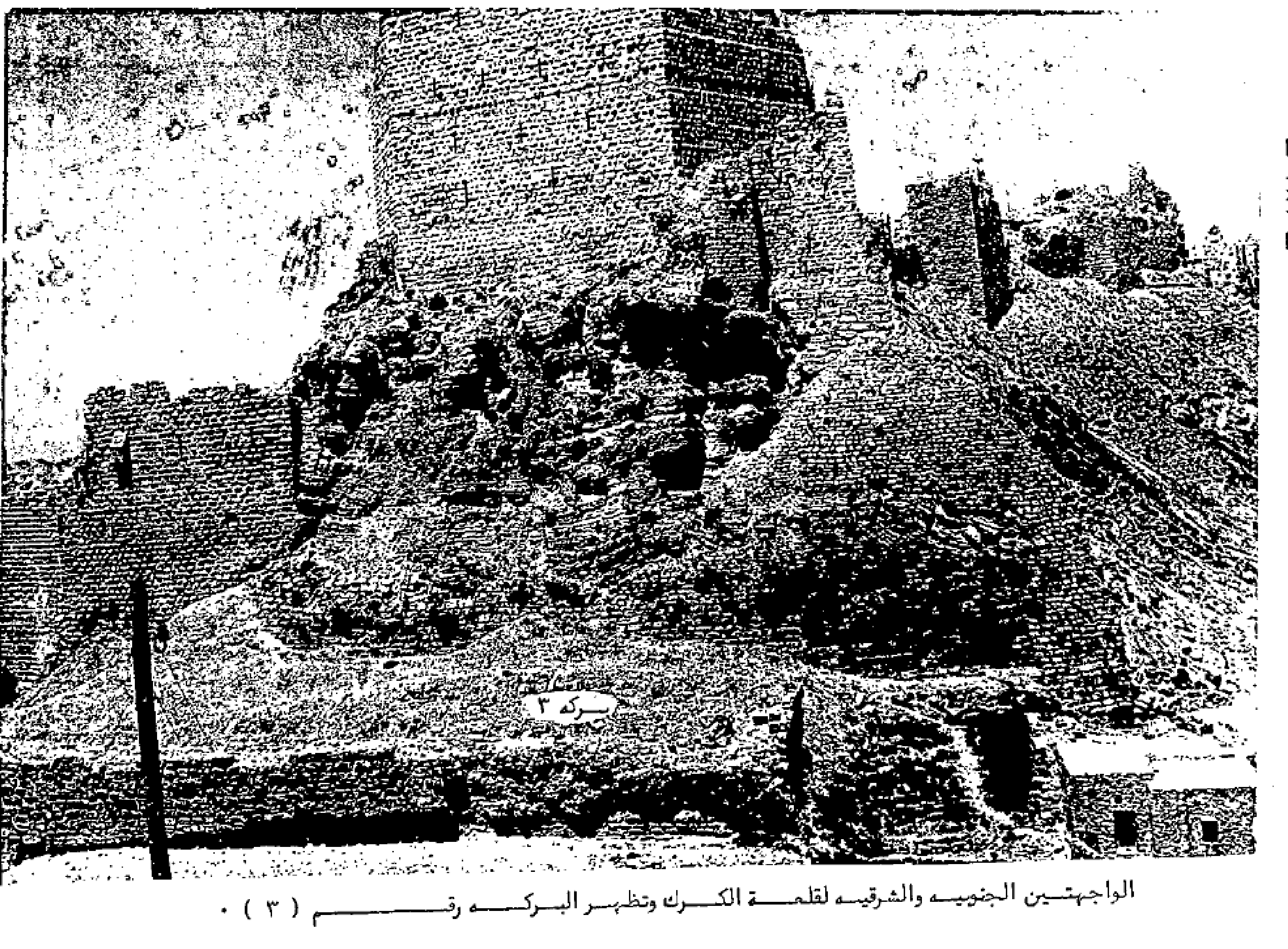


٣) نحت الصليب فوق عتبة المدخل القائم في السور الشمالي .



١) قلعة الكرك من الغرب ويبدو المدخل الغربي والبـرج رقـم (٣) .

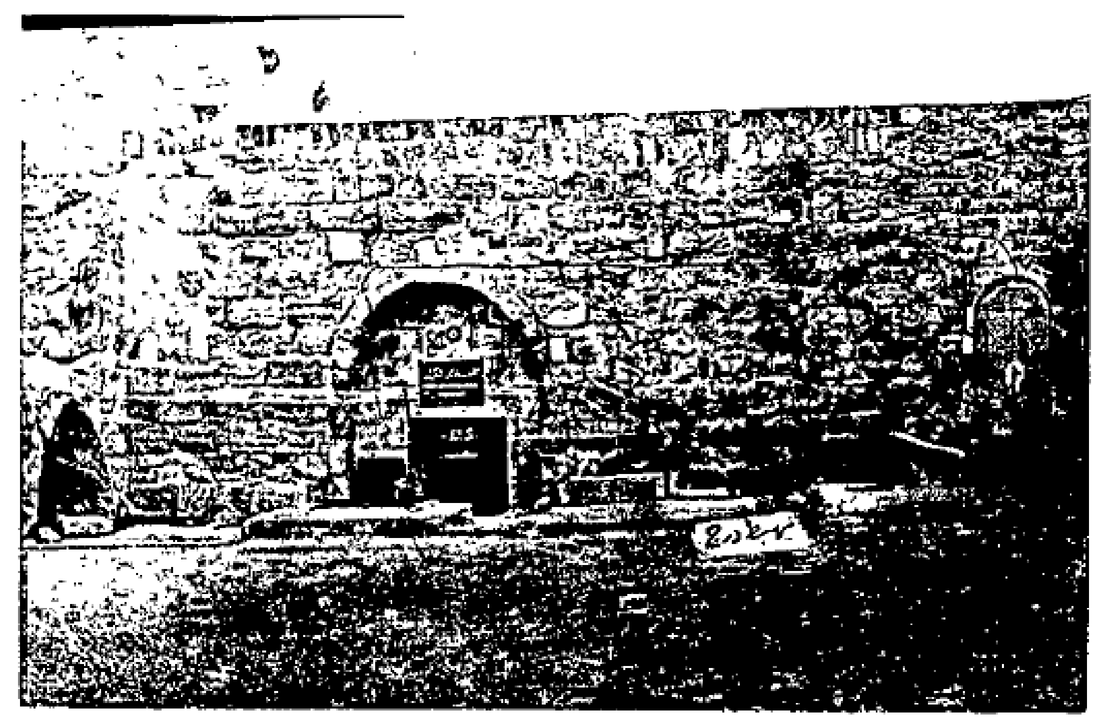
٢) قلعـة الكـرك مـن الجنـوب .



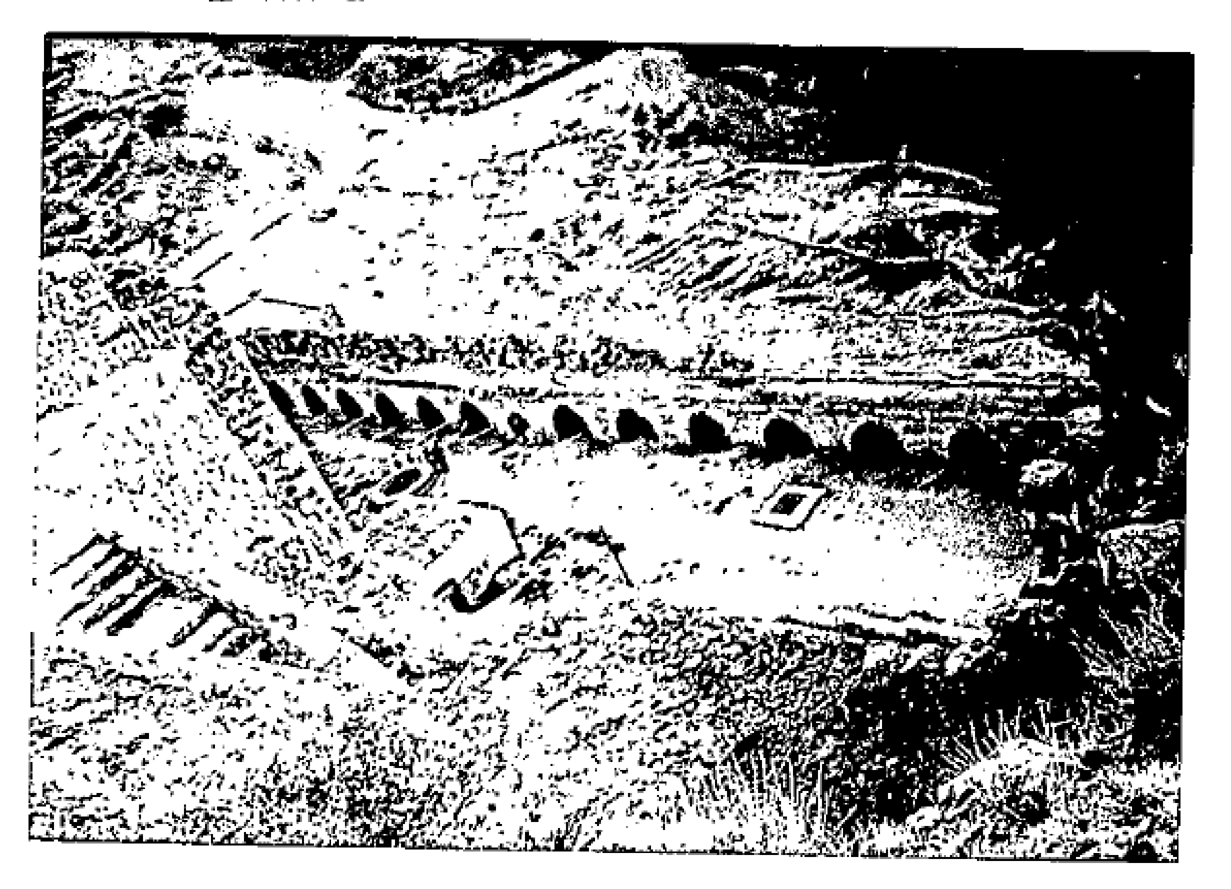
الواجهتين الجنوبيه والشرقيه لقلعة الكرك وتظهر البركه رقم (٣) .



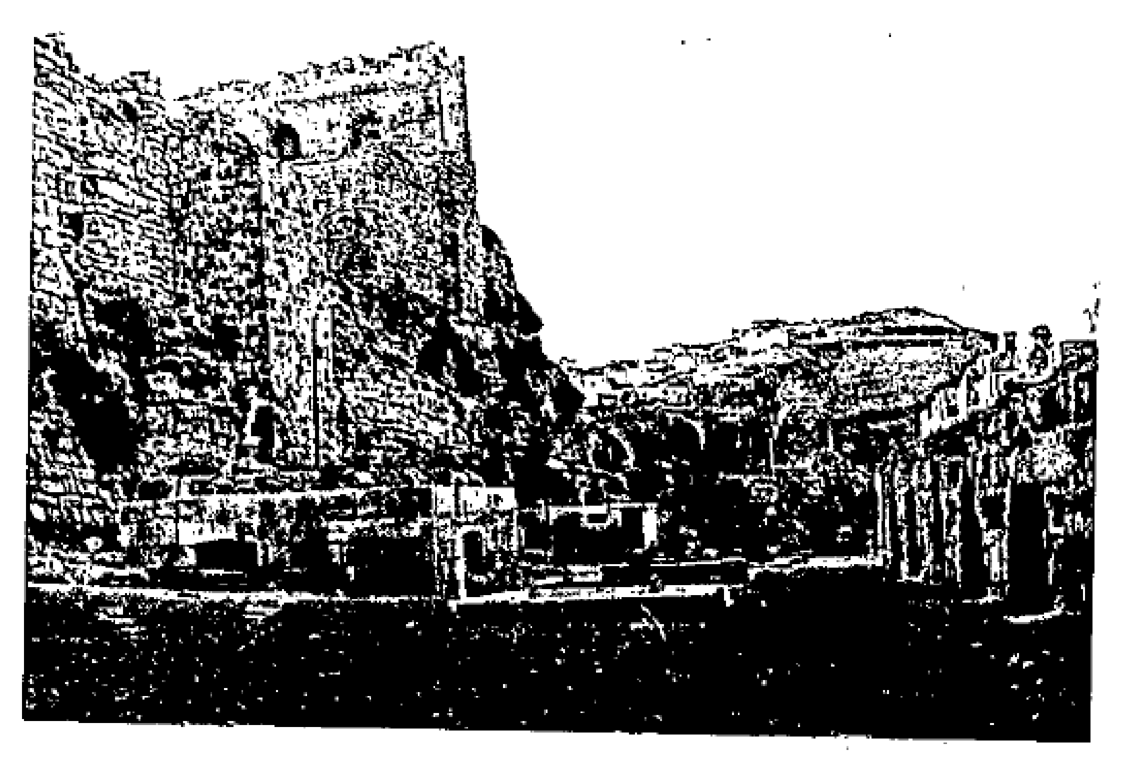
١) الغرف القائمة على يمين الداخل الى الجزء الاسفل الغربي من قلعة الكـرك •



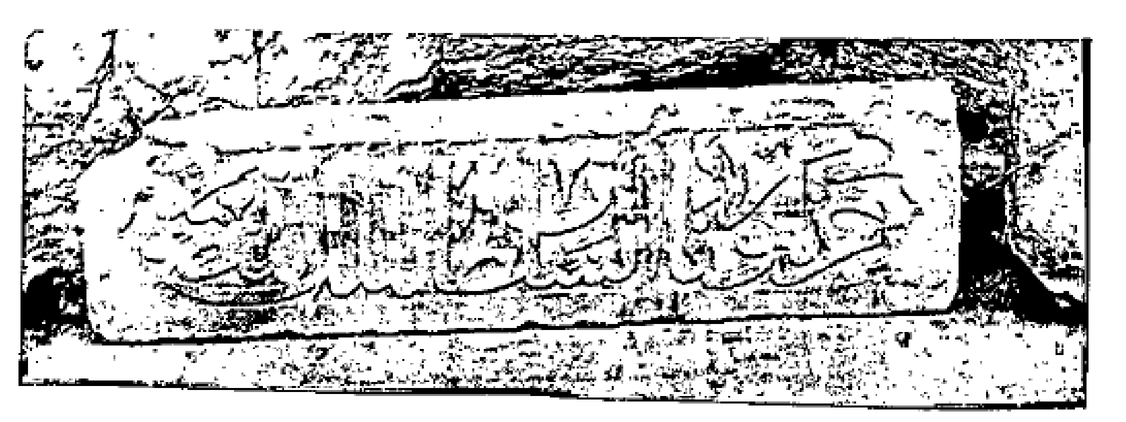
٢) مدخل القاعه (أ) ومدخل القاعه (ب)ــ المتحف ــ وبينهما مهبط درج يؤدي
الى القاعه (د) في الطابق الأول •



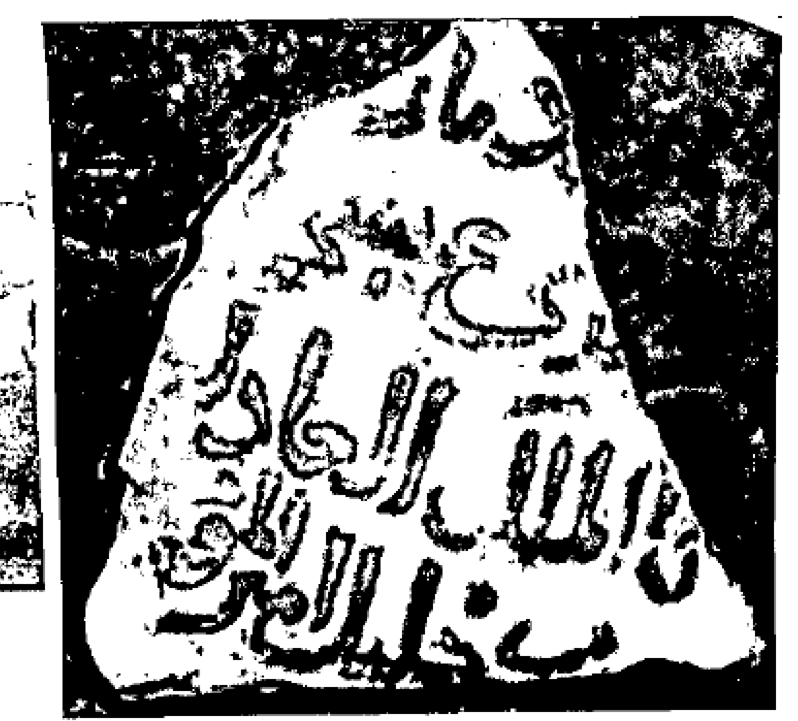
١)الغرف الاخرى القائمه على السورالغربي في الجزءالاسفل مـن قلعة الكـــرك •



٢) الساحه امام غرف الجزء الغربي من قلعة الكرك وتبد والغرفه التي تشتمل على مدخل الطابــق الأول •

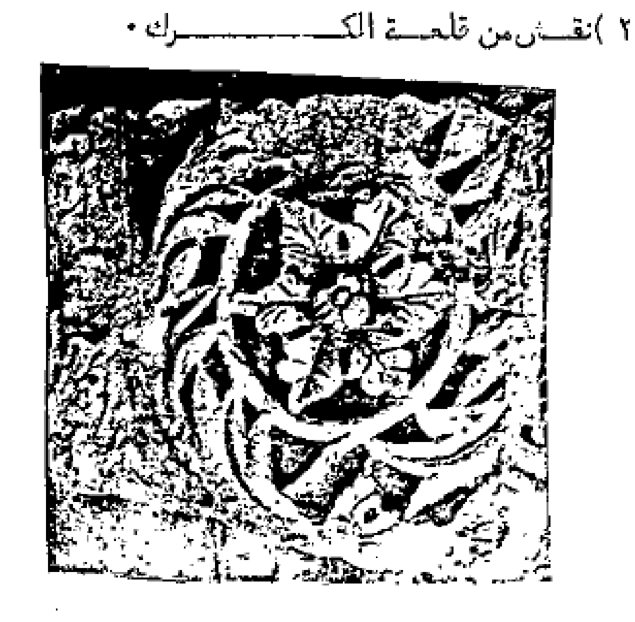


١) نقش من قلعة الكـــــــرك •

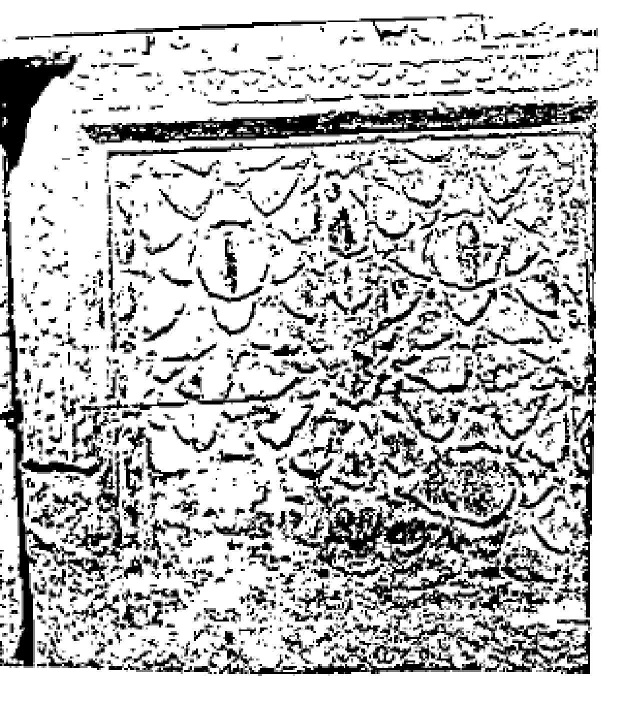


٢)نقش من قلعة الكـــــــرك •

٣) نموذ ج من طلاقات الكـــرك



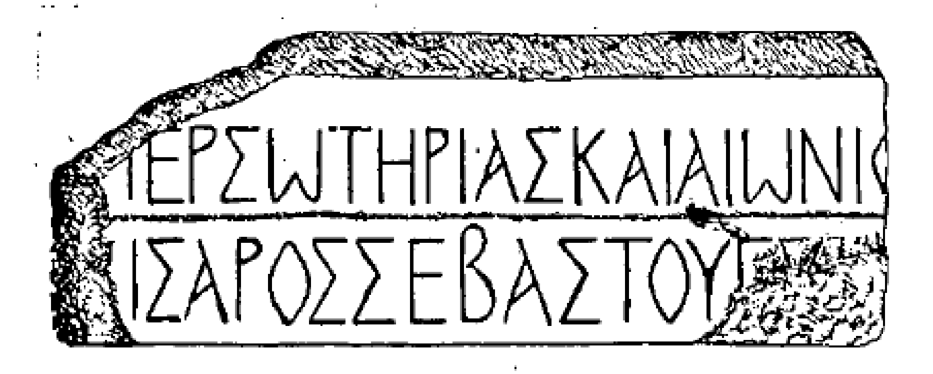
٤) نحت لورد ه من سجن الكـــرك



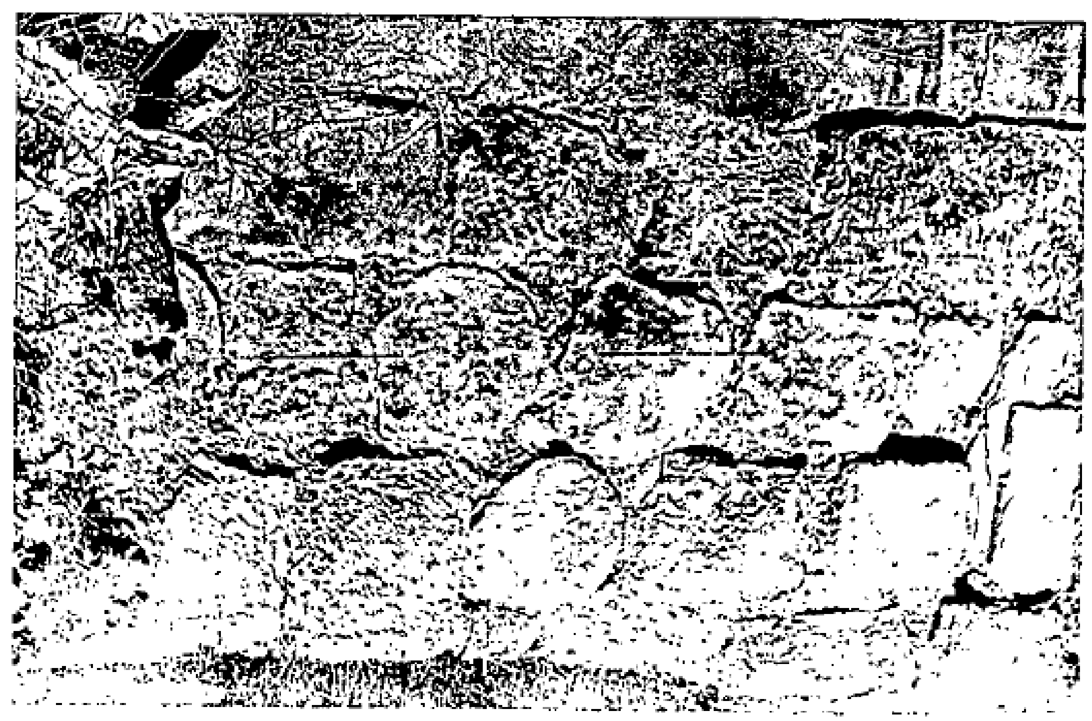
٥) نحت لورد ه من حمام الكـــرك •



١) حصن الكرك - الواجهة الشمالية .



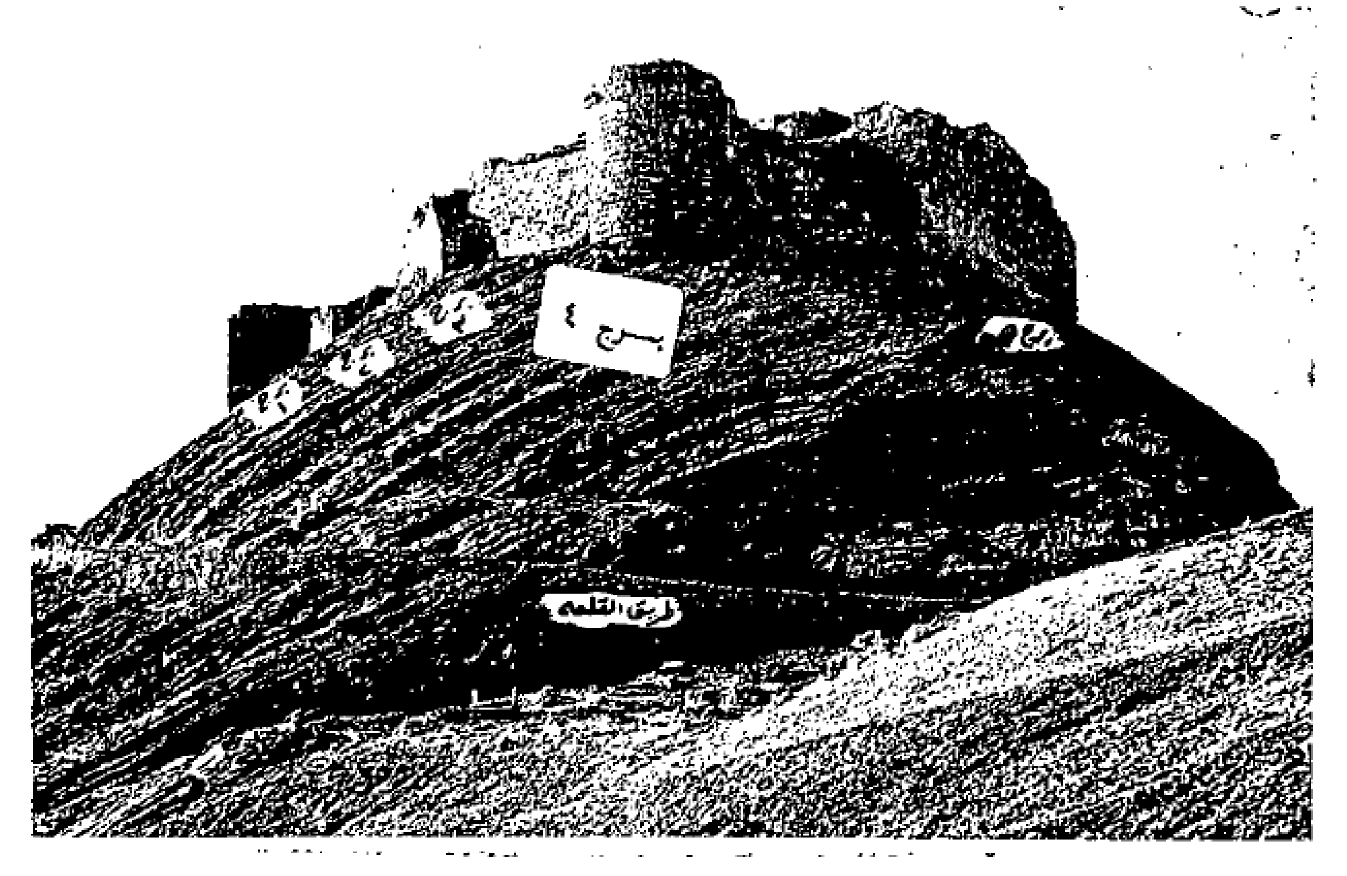
١) نقش فوق عتبة المعصره/قلعة الكرك .



٢)صوره من كنيسه الكرك وتشاهد قواعد بعض الاعمده التي وضعت ضمن الجدار الشمالي فيها .



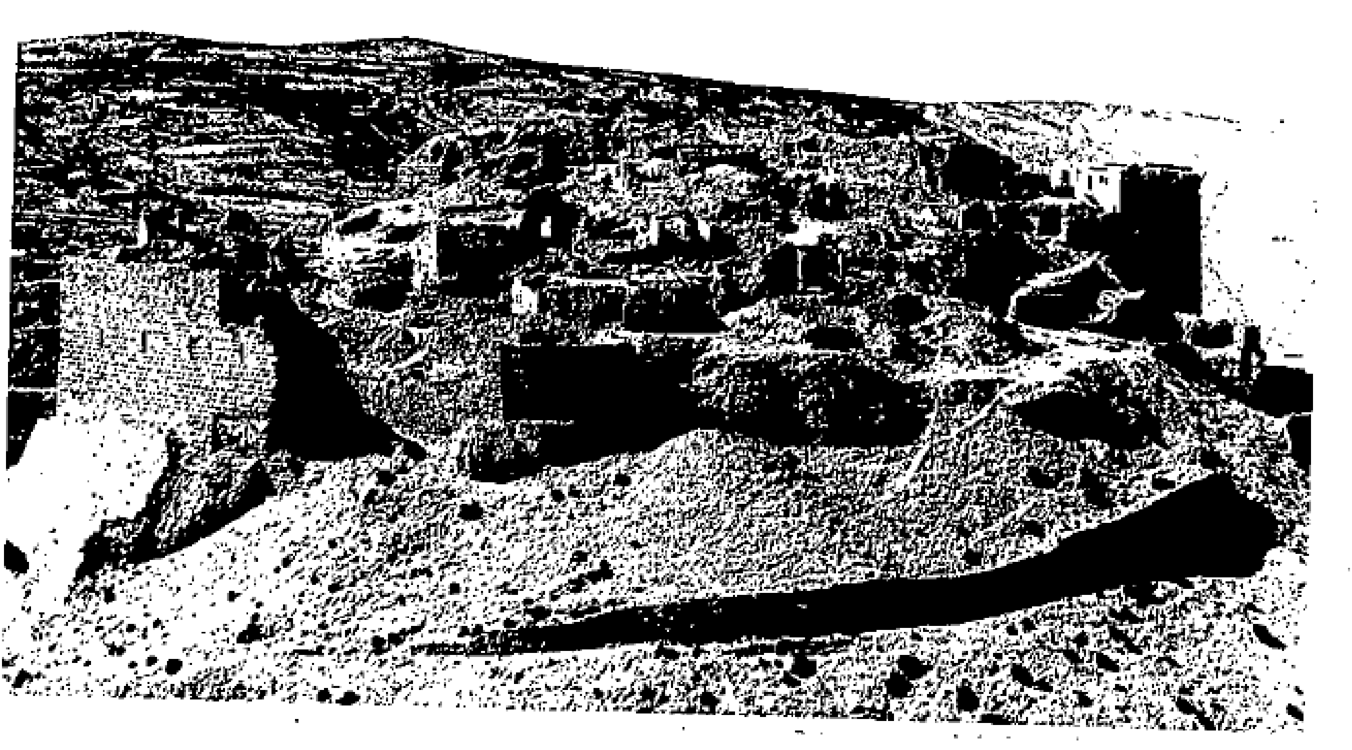
٣) نقش احمد بن عيسى عثر عليه في قلعة الكرك - الجزء الشرقي .



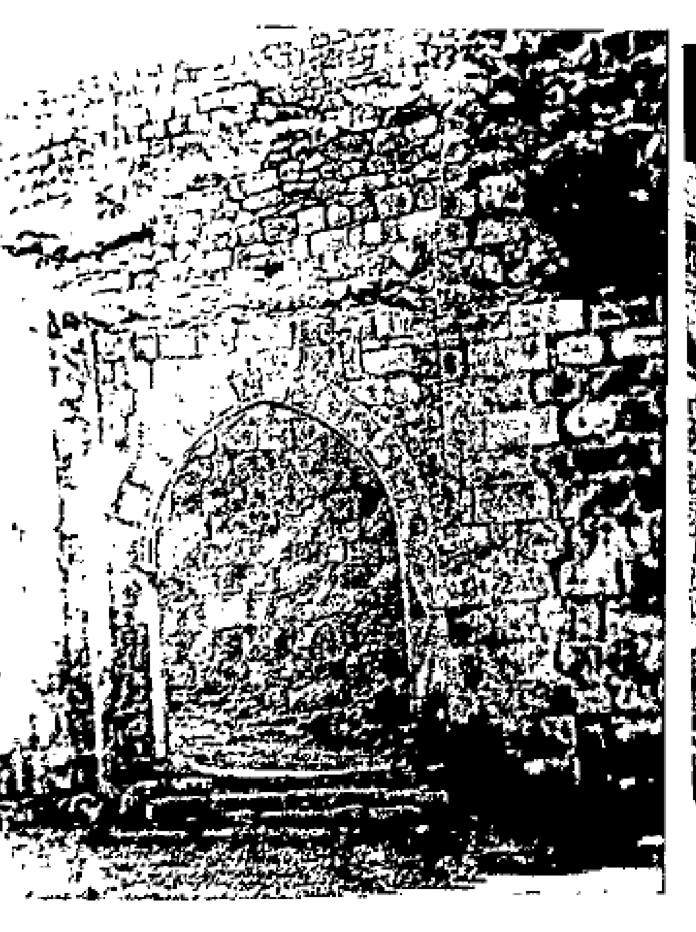
١) قلعة الشوبك من الجهه الشماليه الشرقيه .

٢) قلعة الشوبك من الجهه الشماليه الغربيه .

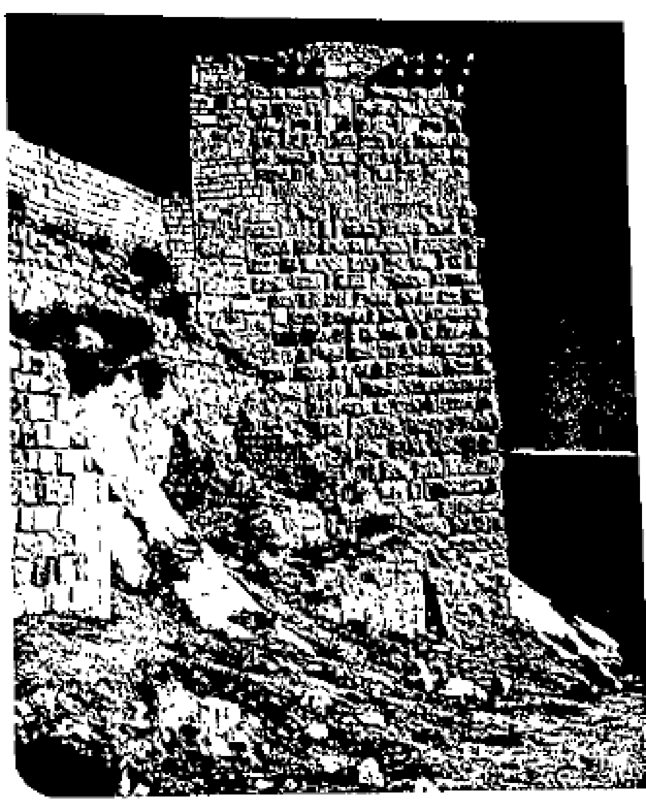
١) الواجهه الغربيه لقلعه الشوبك .



٢) الواجهه الجنوبيه الشرقيه لقلعه الشوبك .

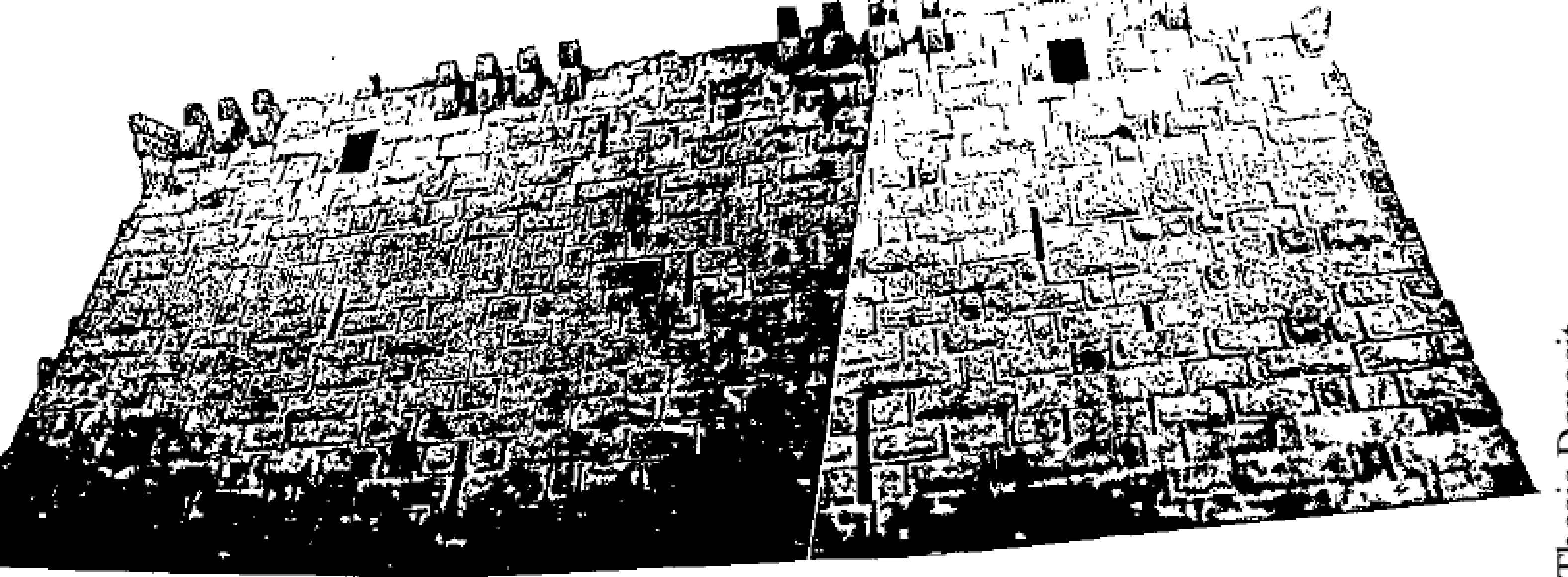


مدخل قلعة الشوبك .



٢)الواجهه الجنوبيه للبرج الأول في الشوبك .

٣) نقوش من الواجهه الجنوبيه للبرج الأول في الشوبك .

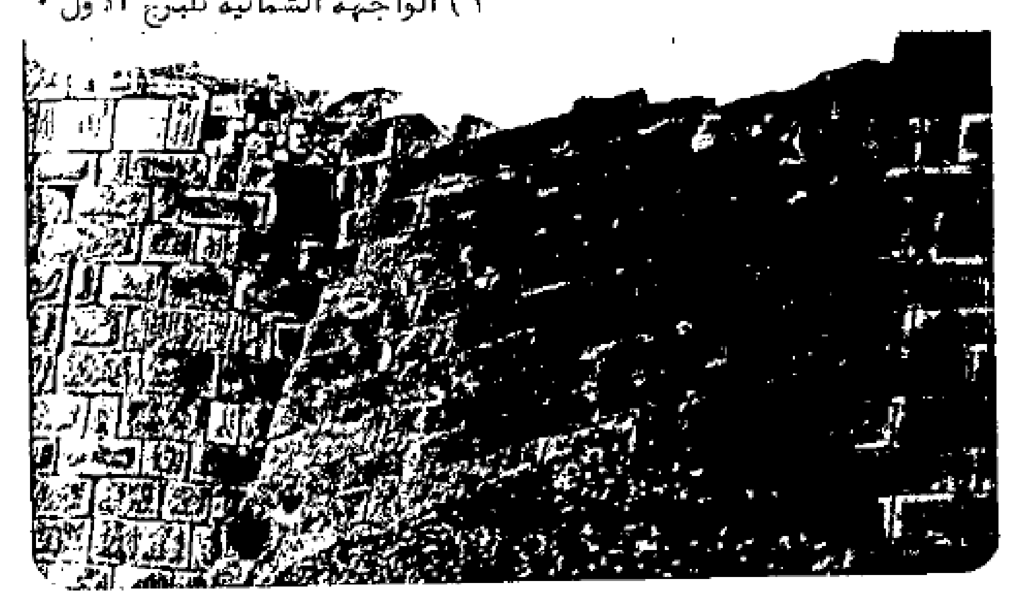


١) الواجهه الشرقيه للبرج الأول / الشوبك ·



٢)البرج الواقع شرق قلعة الشوبك ·

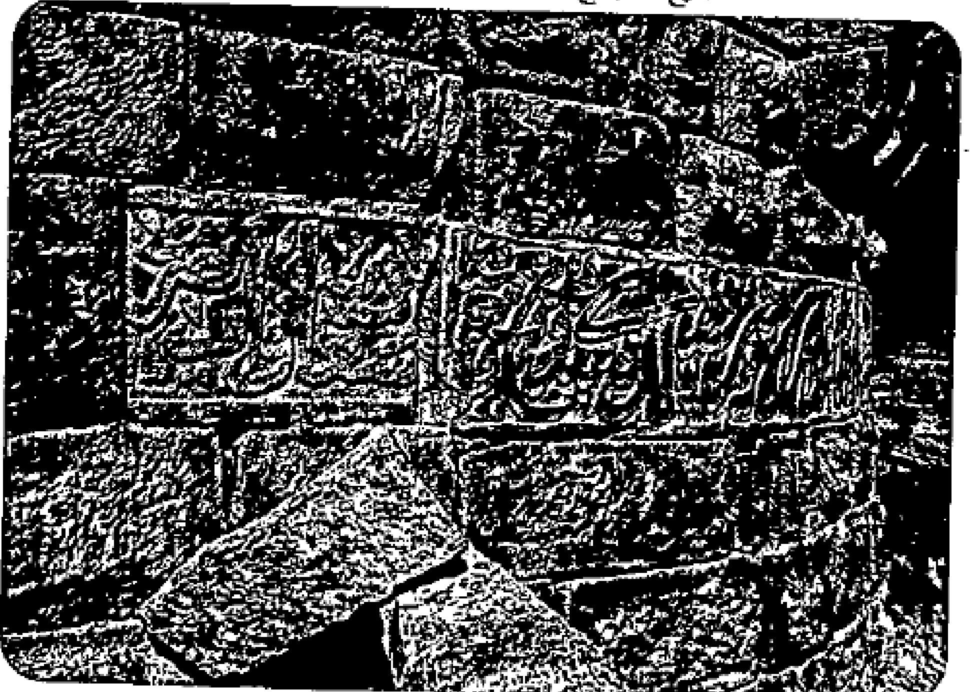
٣) الواجهه الشماليه للبرج الأول ·



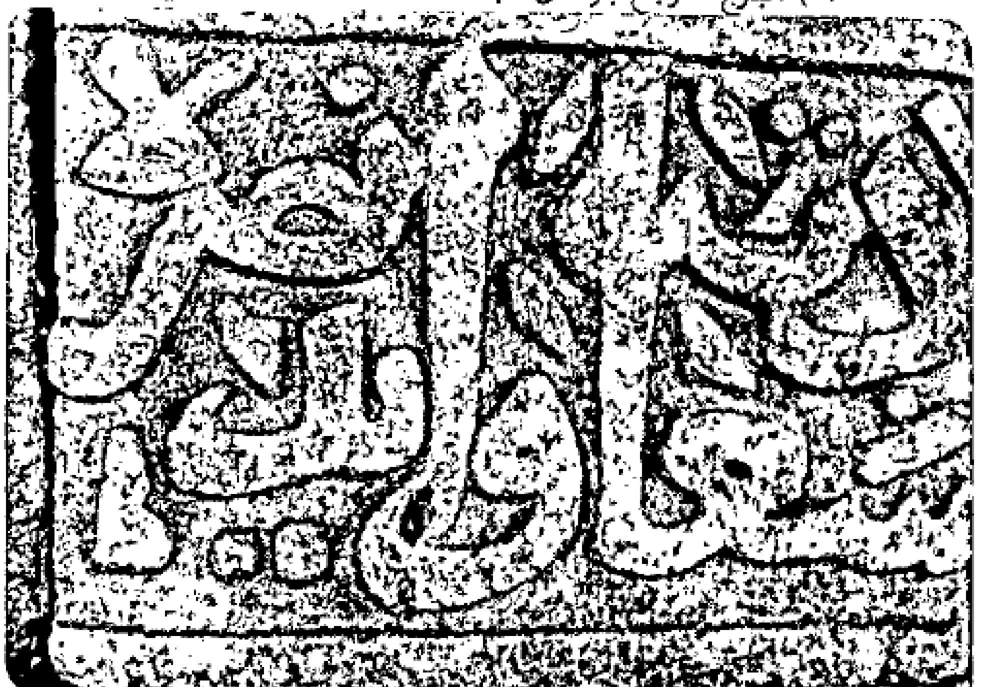
٤) الجدار الواصل بين البرجين الرابع والخامس·



١) البرج الرابع ويظهر الشريط الكتابـــــي .



٢) البرج الرابع جزء من نهاية الشريط الكتابـــــي .



٣) نهاية الشريط الكتابي على البرج الرابع حيث يظهر اختلاف الخط .



١) واجهـــة البرج الأول من داخل القلعـــه/الشـوبـــك .

٢)مدخل البرج الرابع/ الشـوبـــــك

٣)مهبط درج الى الطابق الارضي من البرج الرابع/الشـ





١) الممـــــــر القائـــــــم أمـام البــــرج الخامـــــس.



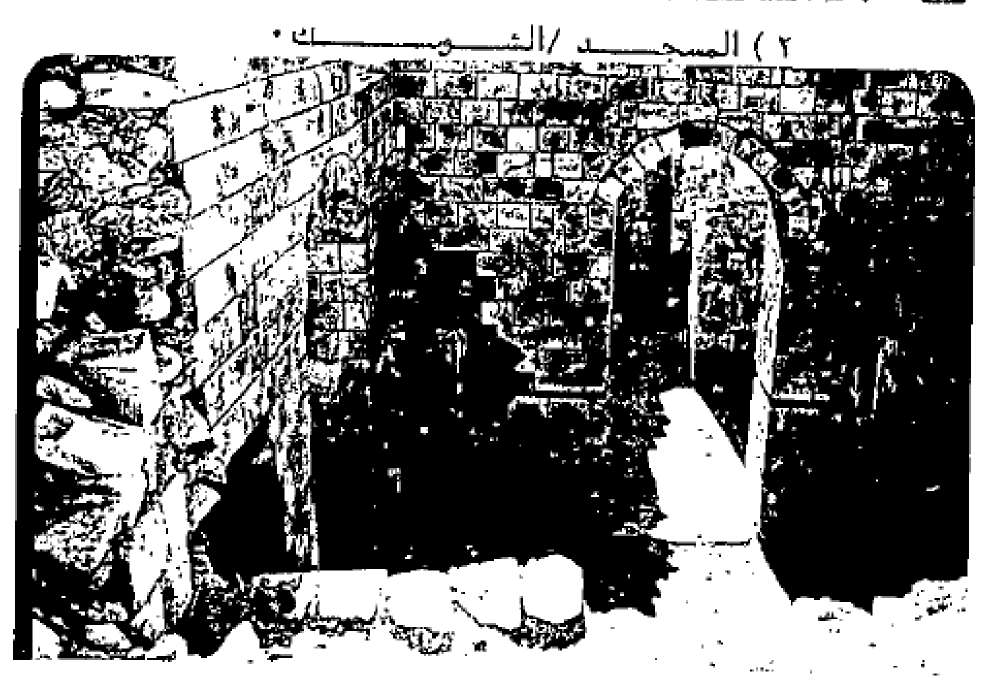
٢) الشـارع الممتد من البرج الخامس الى مدخل القلعه الغربي .



١) مدخل بئر الشوبك الى الغرب من هذه القنطره .



٢) المسجد /الشوبك .

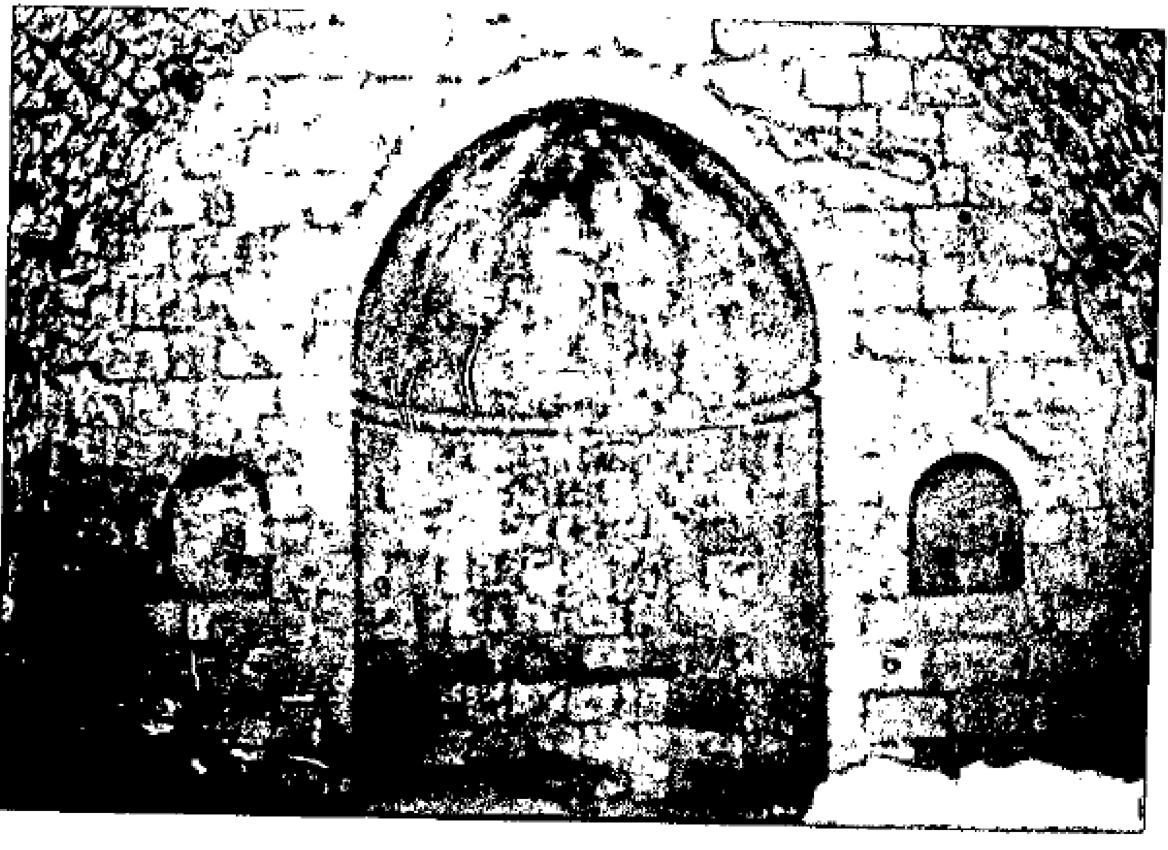


٣) المسجد /الشوبك .

١) النوع الأول من الطلاقات على شكل حنيه أوقوس.



٢) النوع الثاني من الطلاقات على شكل قلب يعلوه مستطيل .



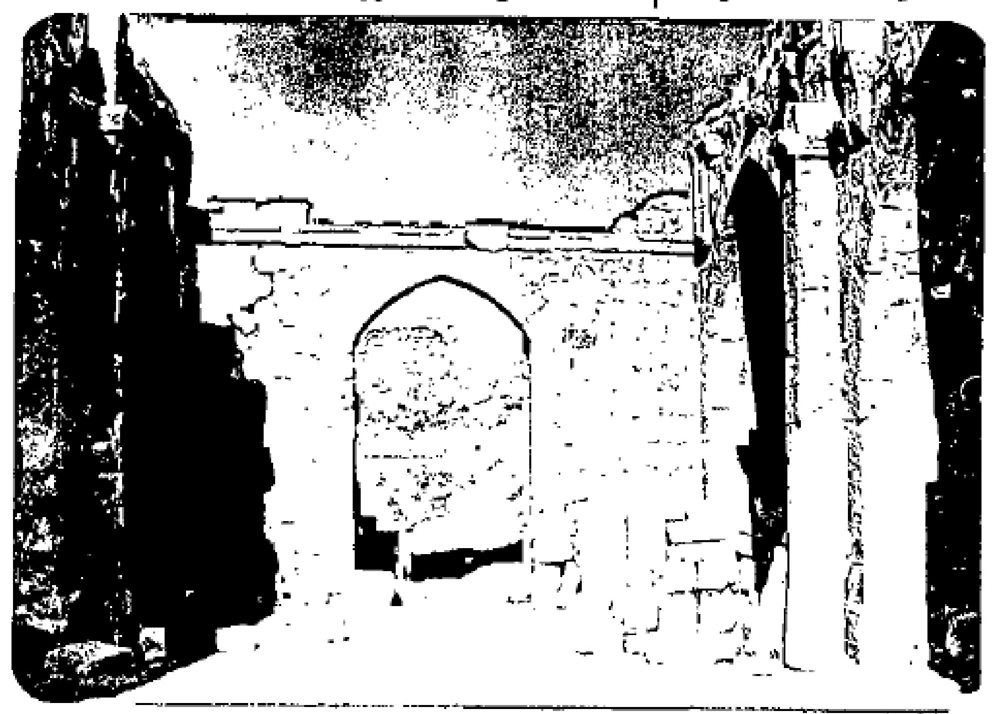
١) هيكـــل الكنيســـــه رقـــــم (١)٠



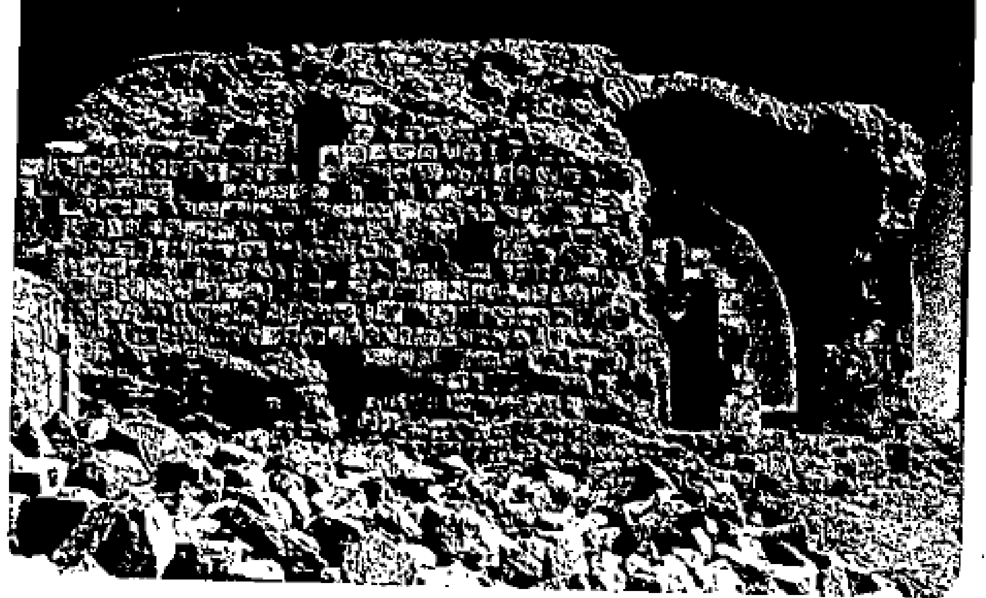
٢) المعصــــره القائمــه امــام الكنيسـه رقـــم (١)٠



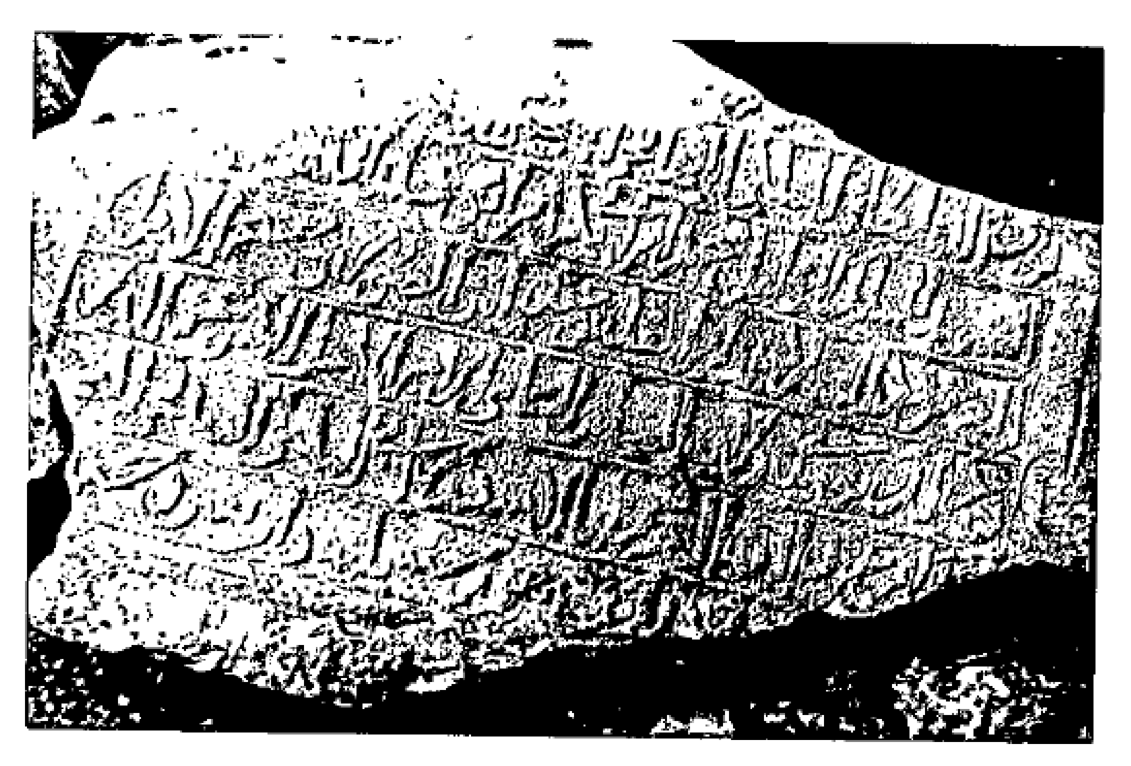
١) الكنيســـــه رقـــم (٢) مـــن الغـــرب / الشـــوبـــك •



٢) الكنيسسه رقسم (٢) ضمن الكنيسه من الشرق /الشوبـــك •



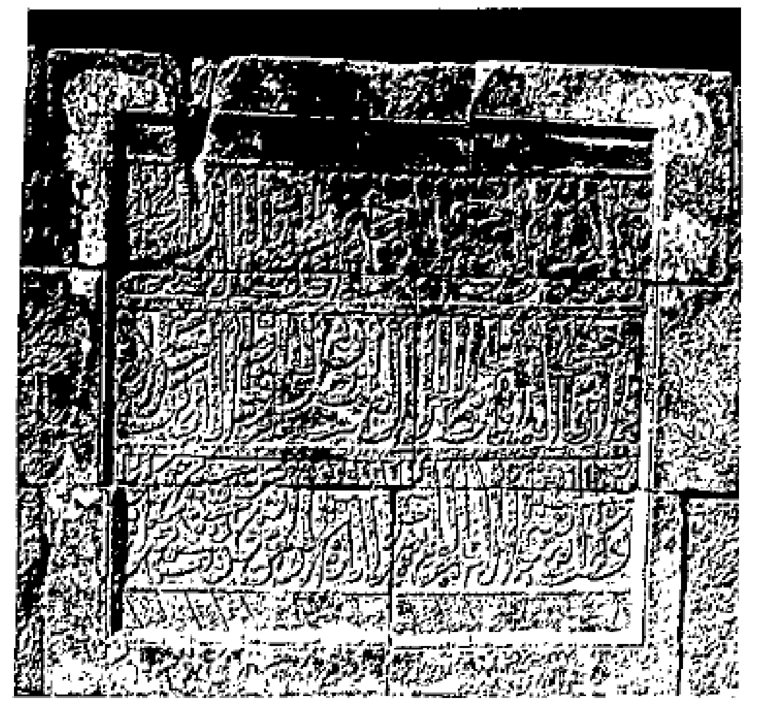
٣) الكنيسه رقم (٢) من الجنوب /الشوبـــك



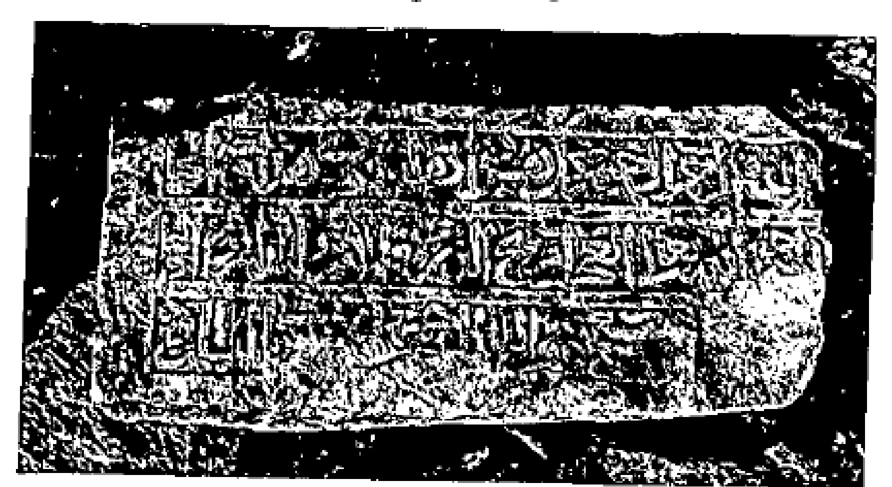
١) النقش الأول / الشوبك .

٢) النقش الثاني / الشوبك .

٣) النقش الثالث / الشوبك .



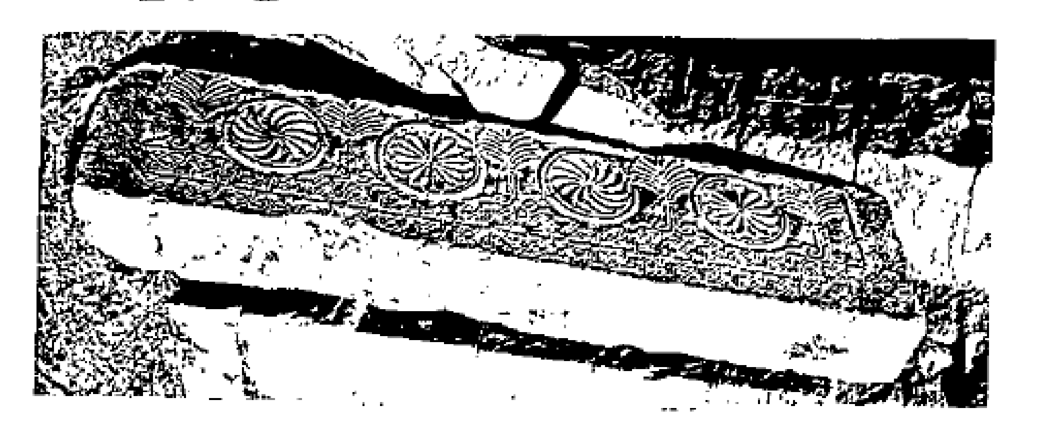
١) النقش السادس/ الشوبك •



٢) النقش السابع/ الشوبك •



٣) بقايا نقوش من الشوبك •



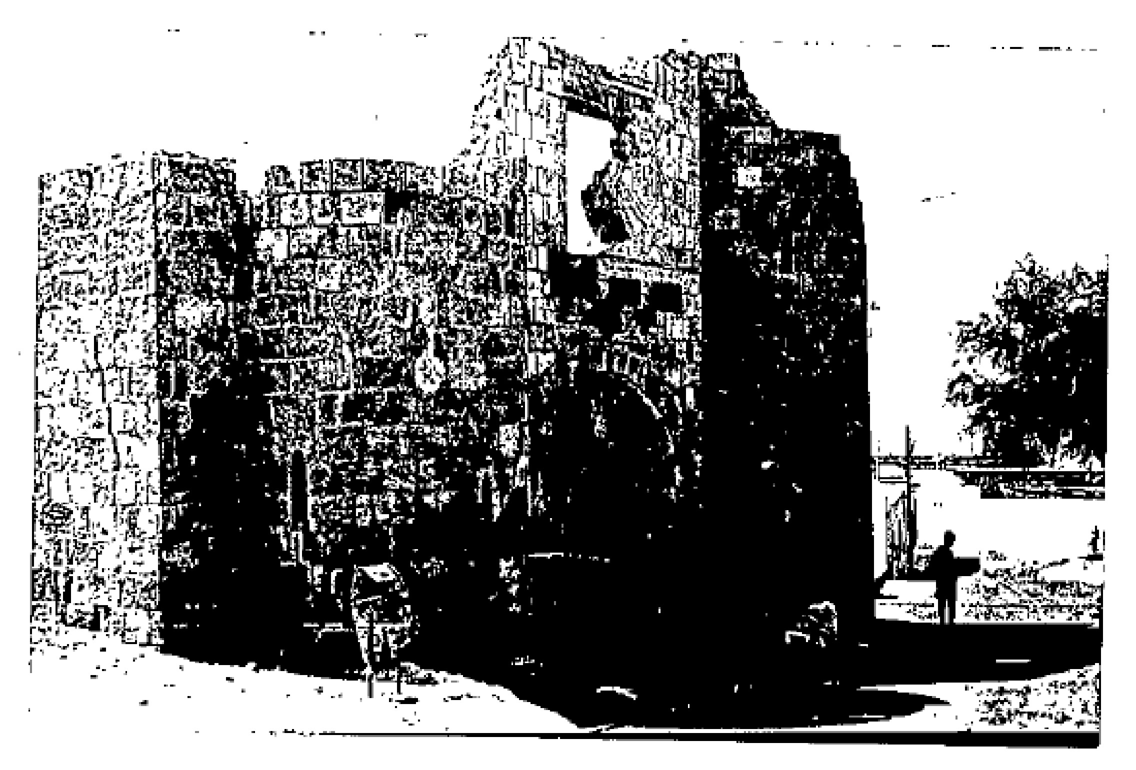
١) لوحه حجريه تحمل نحتا لرسوم نباتيه وهند سيـــه من الشوبك ٠



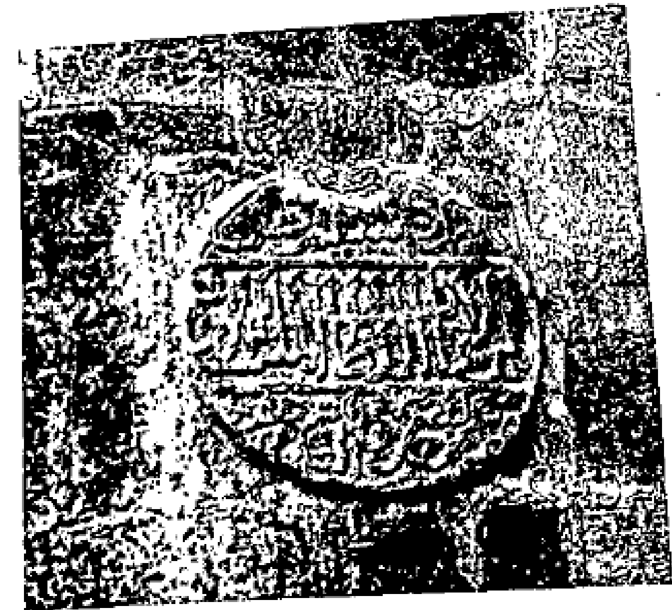
٢) منحـوتـات مـــن الشـــوبـــــك ٠



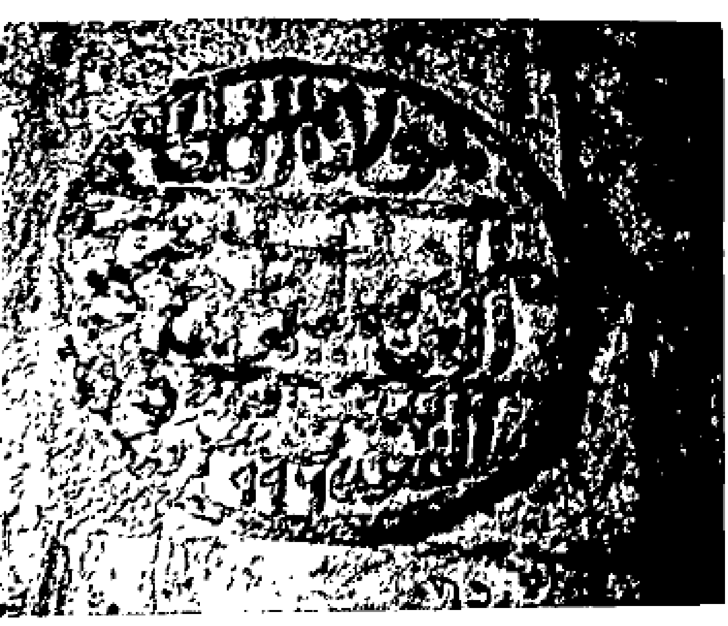
٣) مقلـــع الشـــوبــــك



١) واجهة مدخل قلعة العقبه (شمال شرق) ٠



٢) نقش مراد ابن سليم خان ٠
على واجهة برجي المدخل ٠



٣) نقش مراد ابن سليم خان في الروهة الاولى على يمين الداخل ويساره ٠



١) البرج الجنوبي الغربي رقم(٢) في العقبه _ من الجنـــــوب _



٢) البرج الجنوبي الغربي رقم(٢) في العقبه _ من الغــــرب _

١) البرج الجنوبي الشرقي في العقبة رقم (٣) من الشرق.



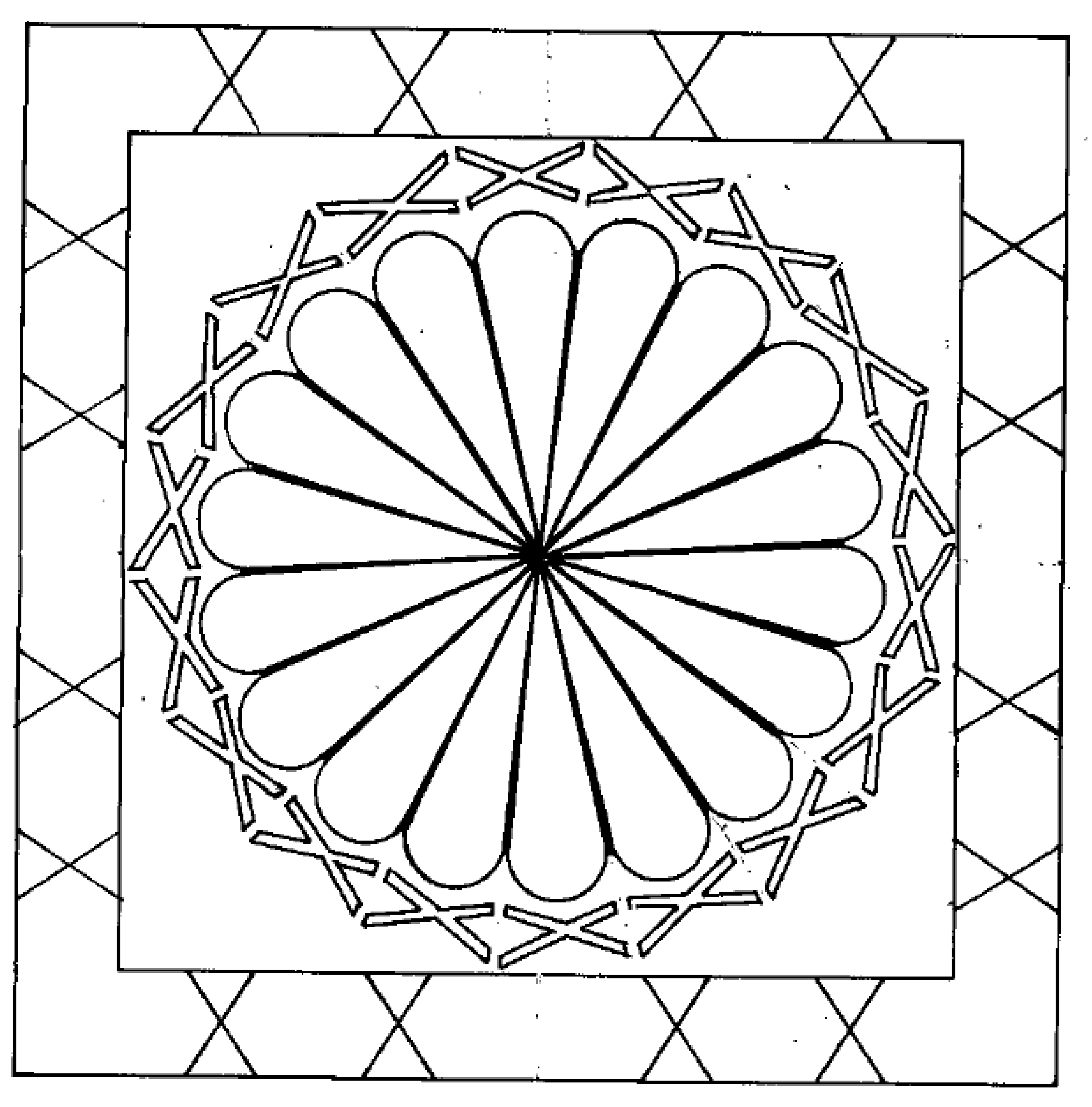
٢) البرج الجنوبي الشرقي من العقبه (رقم ٣) من الجنوب.

٢)لوحه منحوته على الواجهه الشرقيه للبــرج الجنوبي الشرقي رقم (٣)تمثل ورد ه د اخـــل اطار هند ســـي ٠

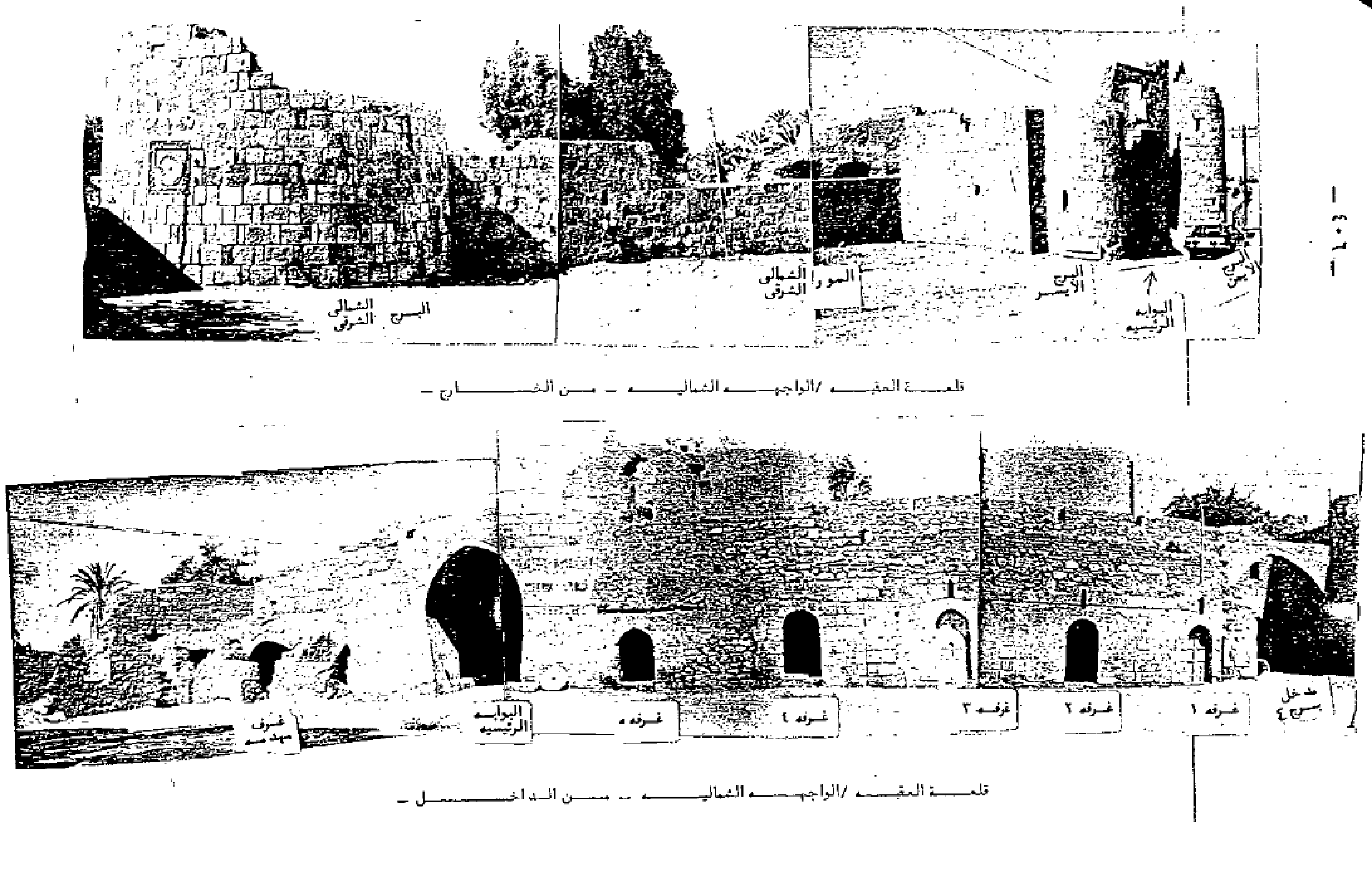
١)لوحه منحوته على الواجهه الشرقيه للبرج الشمالي الشرقي رقم (٤)تمثل زخارف نباتيه وهند سيه وفوقها نحـت اسد يـن بينهما شجـره٠



٣) نقــش قانصـــوه الغـــــوري ٠

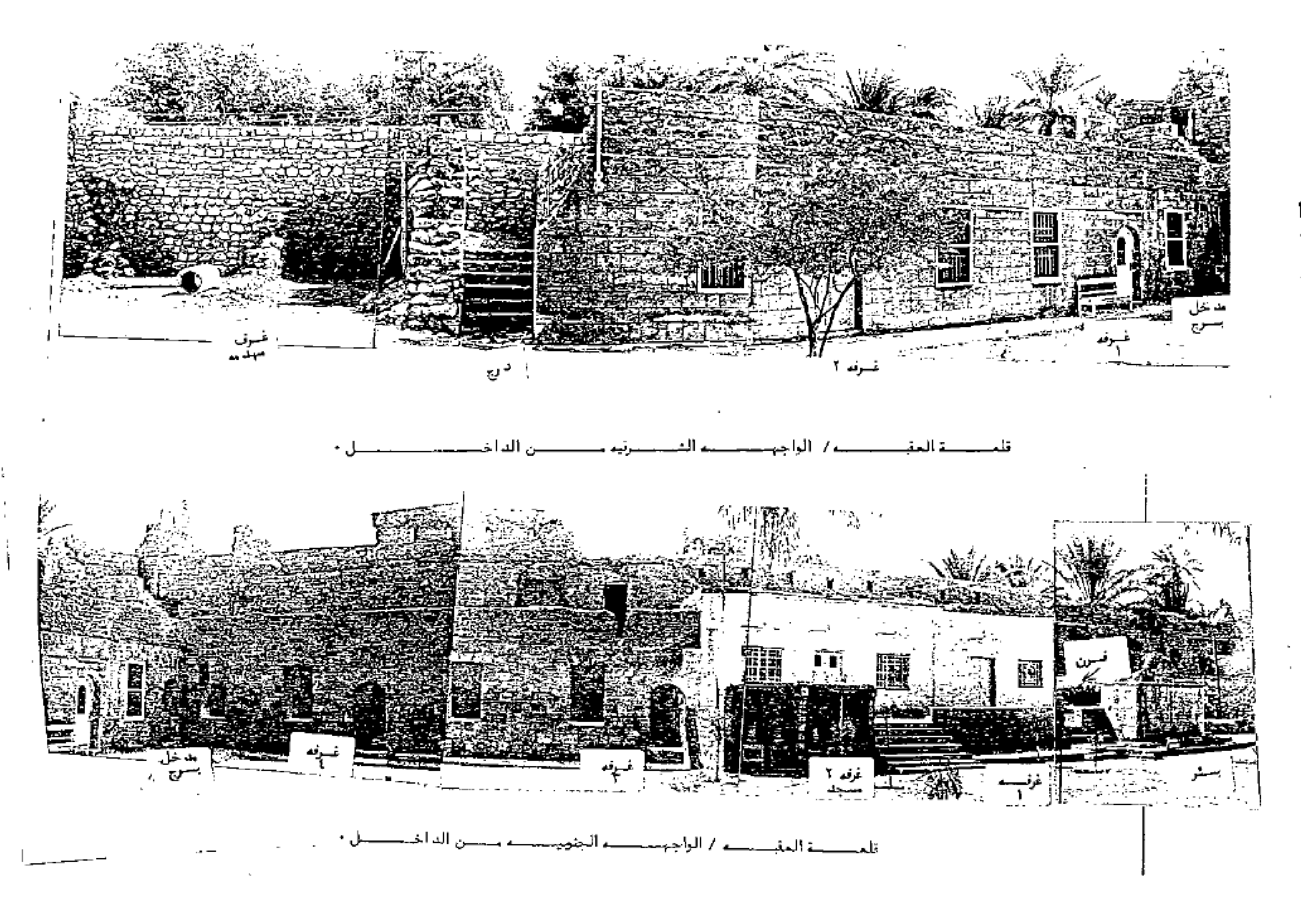


زخرفة فنية على واجهتي البرجين الثالث والرابـع من قلعة العقبـــه



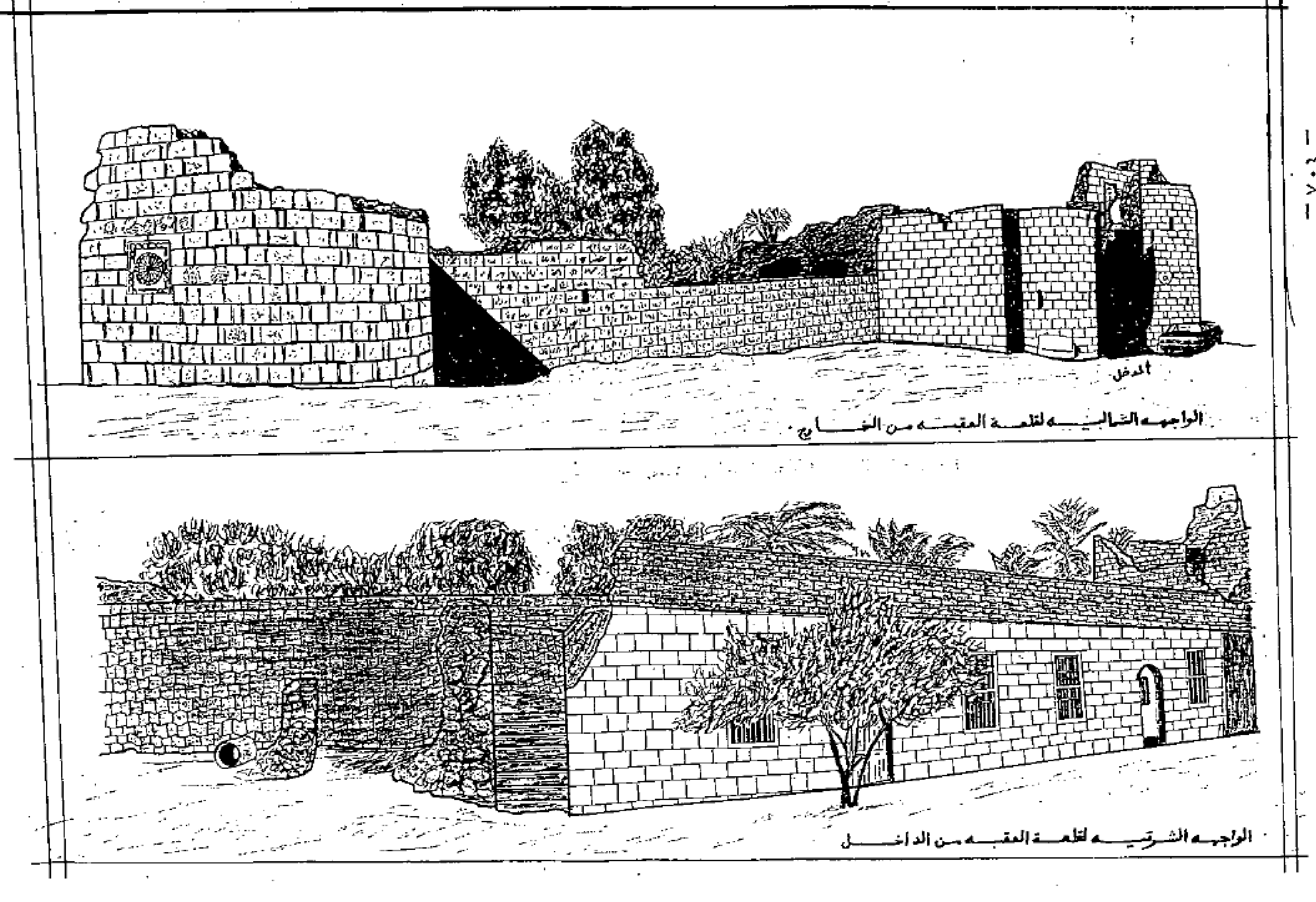
قلعة العقبة /الواجهة الشمالية - من الخارج -

قلعة العقبة /الواجهة الشمالية - من الداخل -



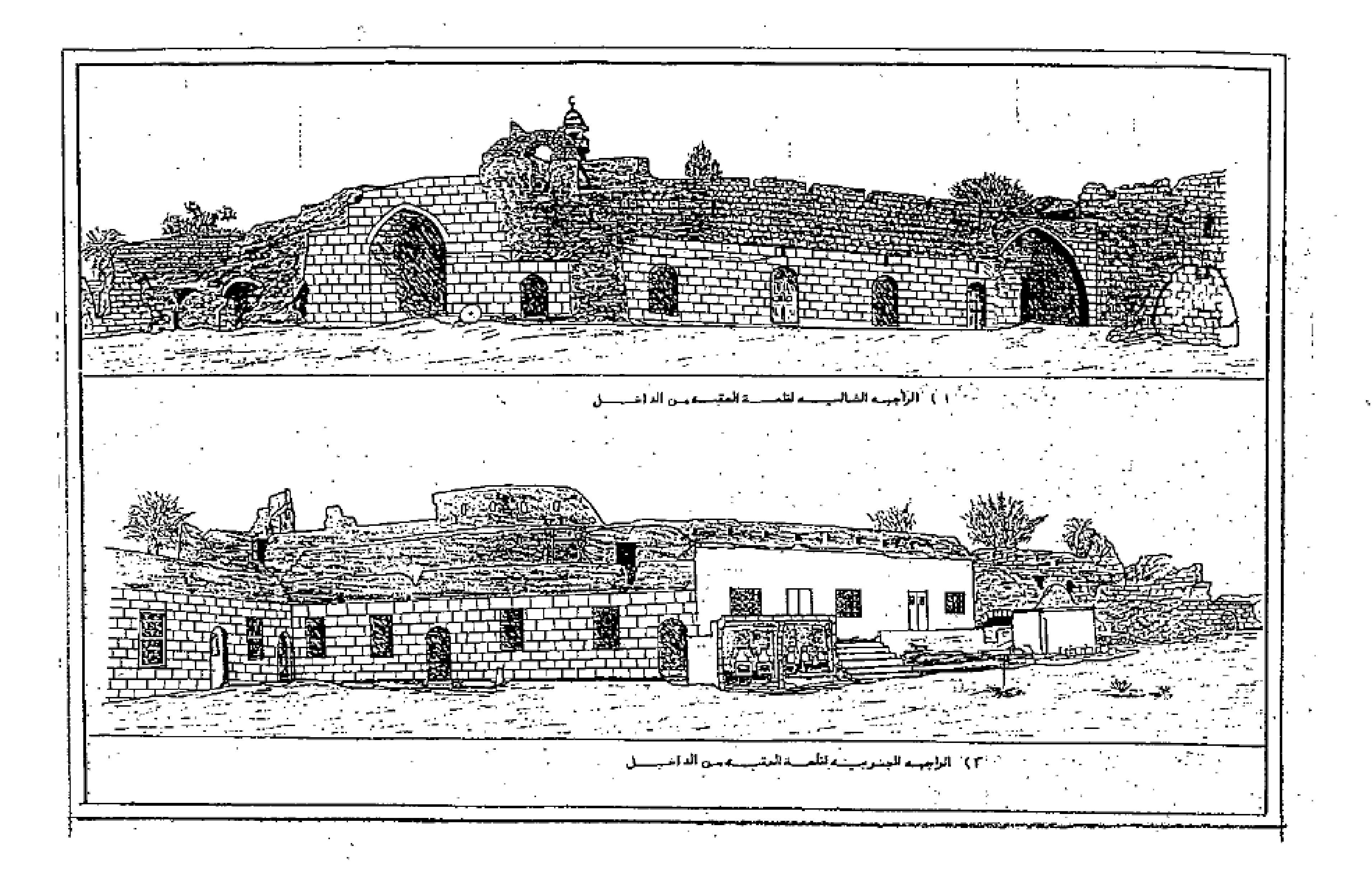
قلعة العقبة / الواجهة الشرقية من الداخل .

قلعة العقبة / الواجهة الجنوبية من الداخل .



الواجهة الشمالية لقلعة العقبة من الخارج

الواجهة الشرقية لقلعة العقبة من الداخل



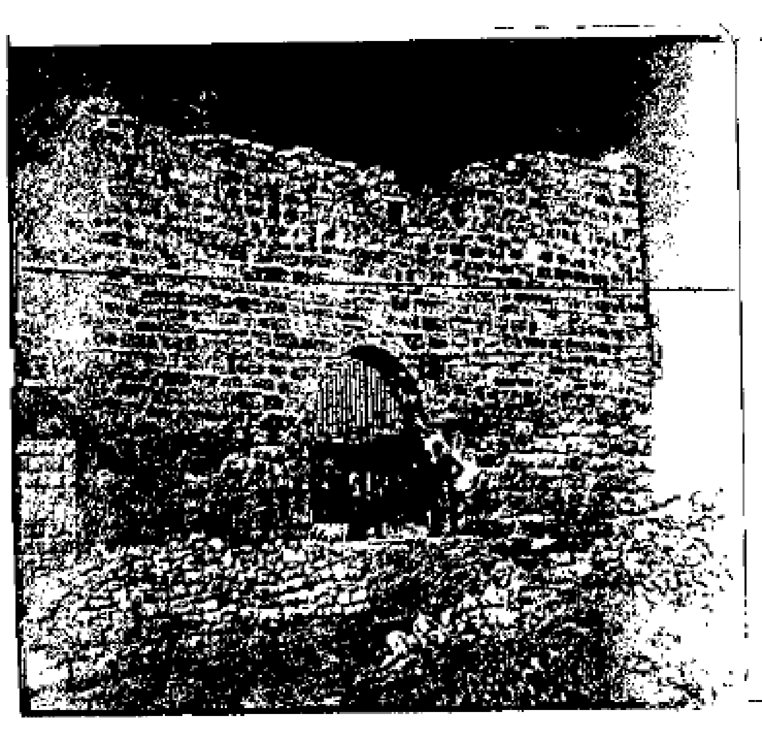
١) الواجهة الشمالية لقلعة العقبة من الداخل

٢) الواجهة الجنوبية لقلعة العقبة من الداخل

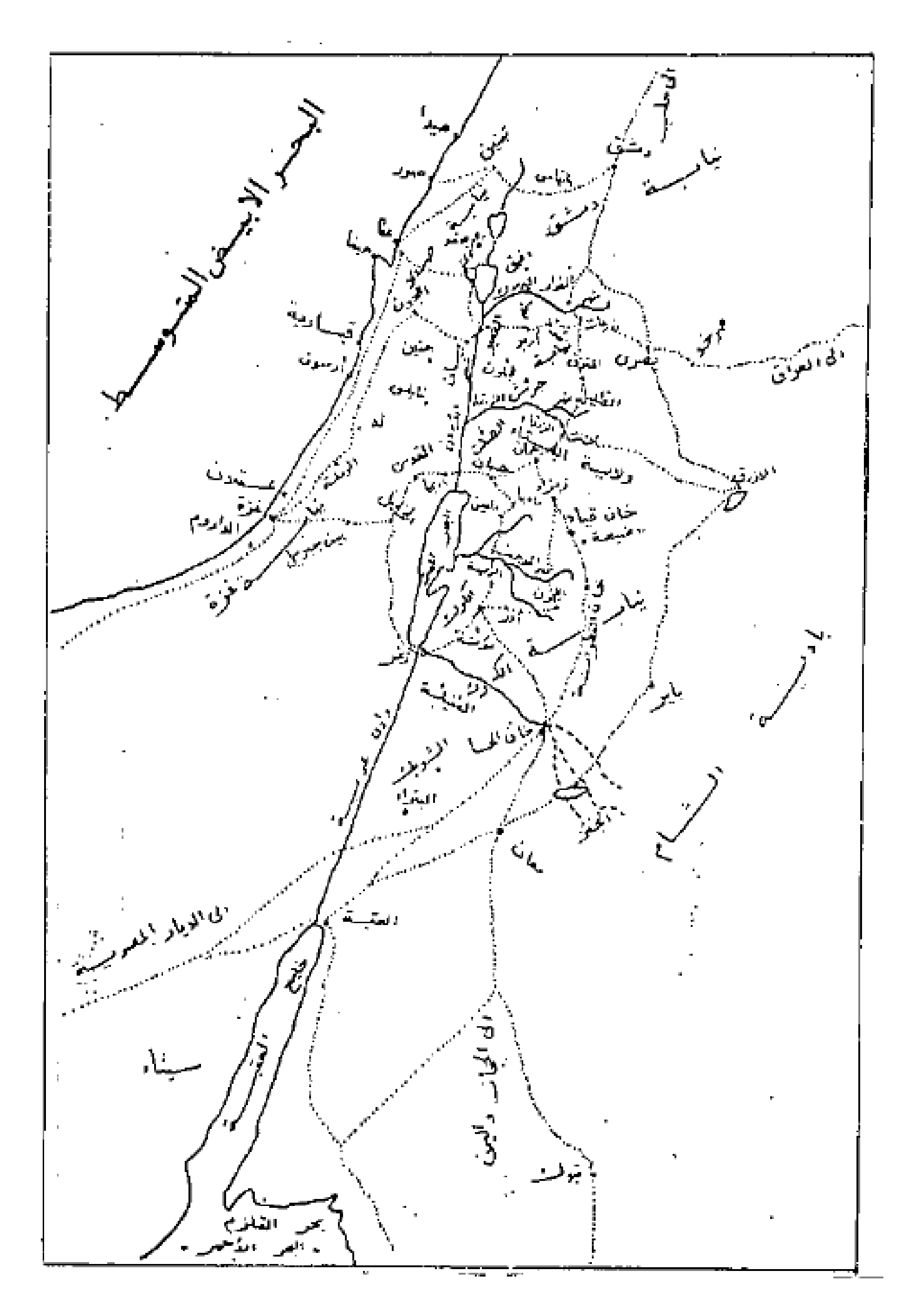
١) بوابـة قلعـة الأزرق - مـن الشـرق -



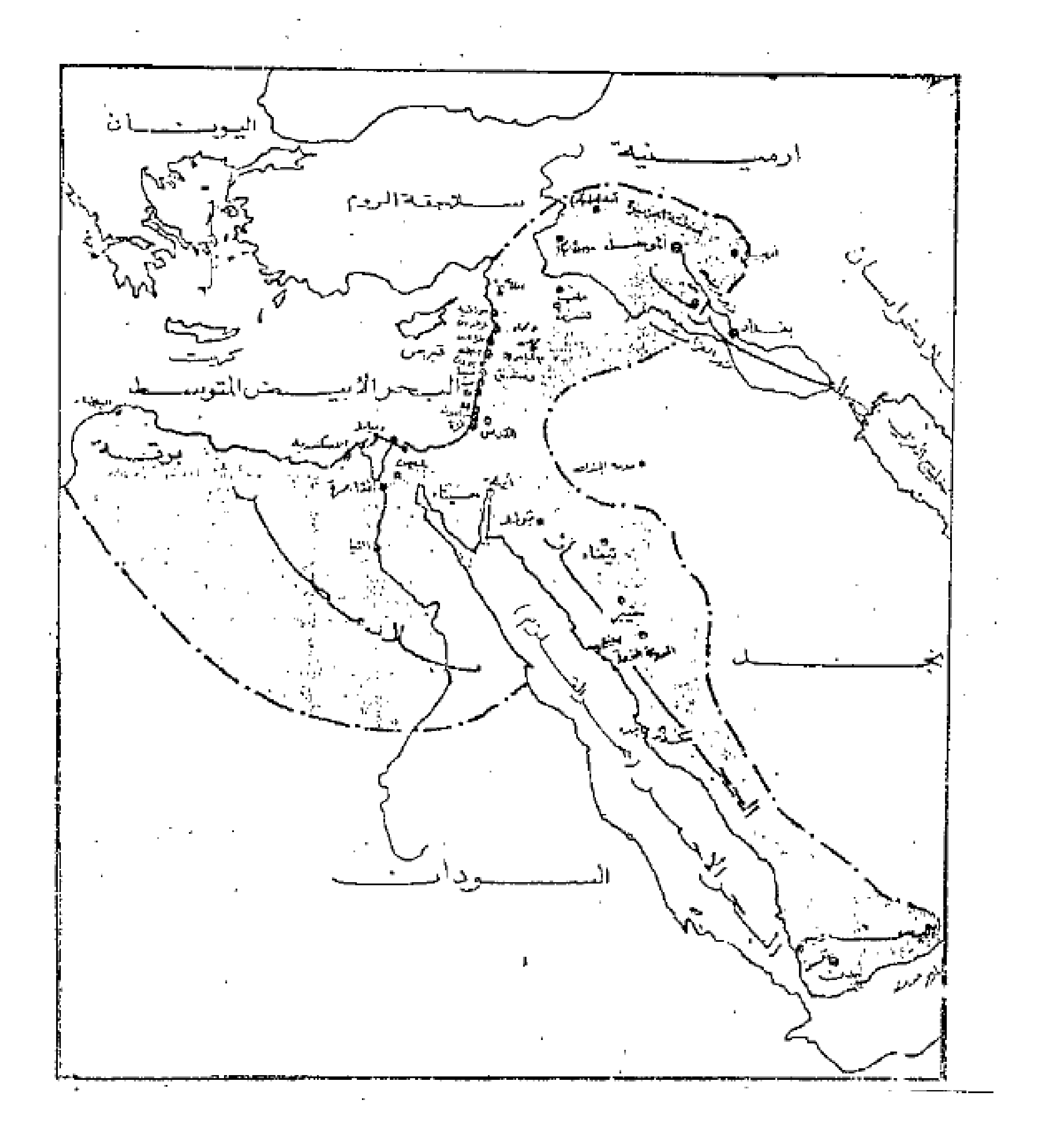
٢)مسجد قلعة الأزرق - من الجنـوب -



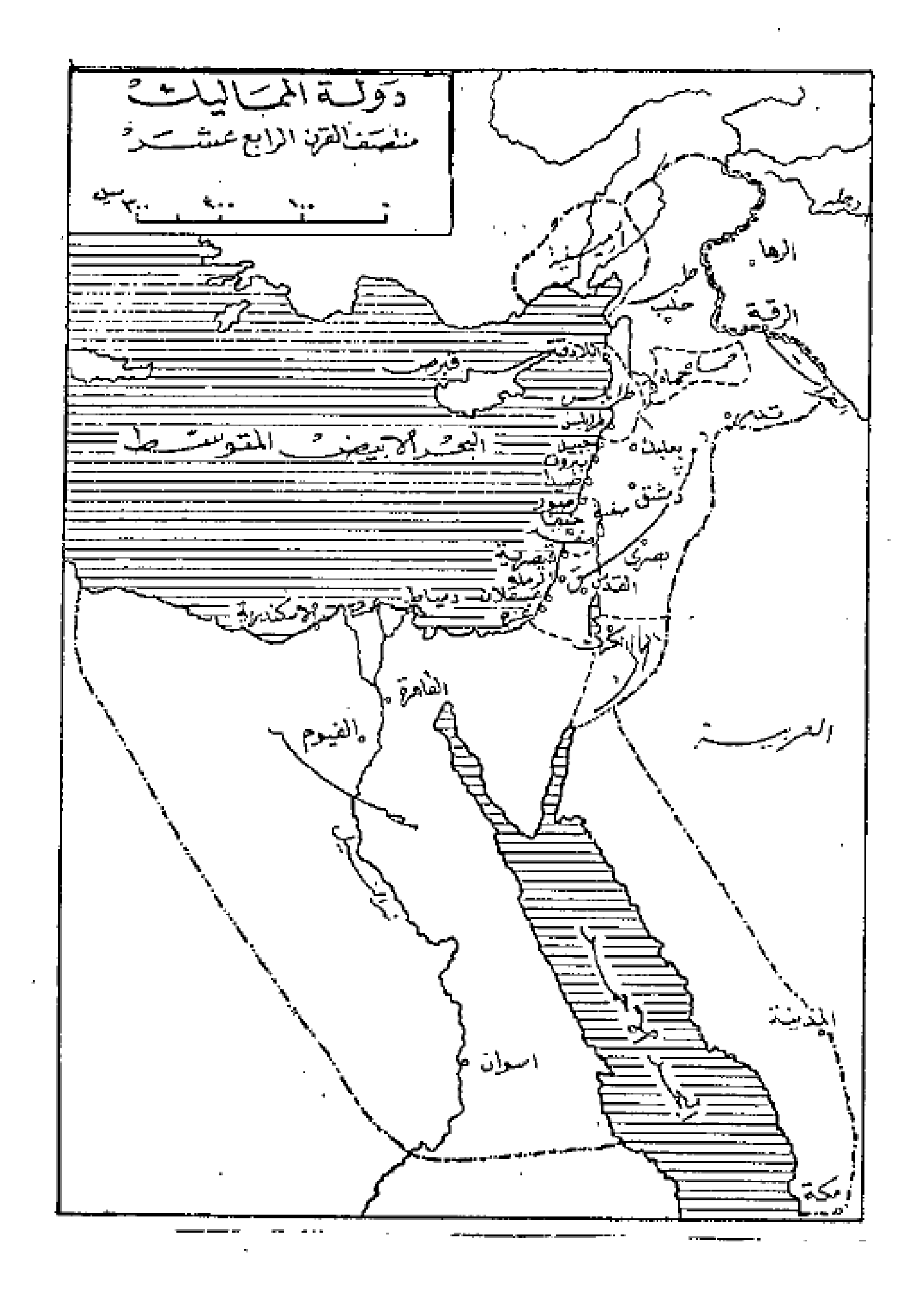
٣) قلعـة الطفيلـه - مـن الشـرق -

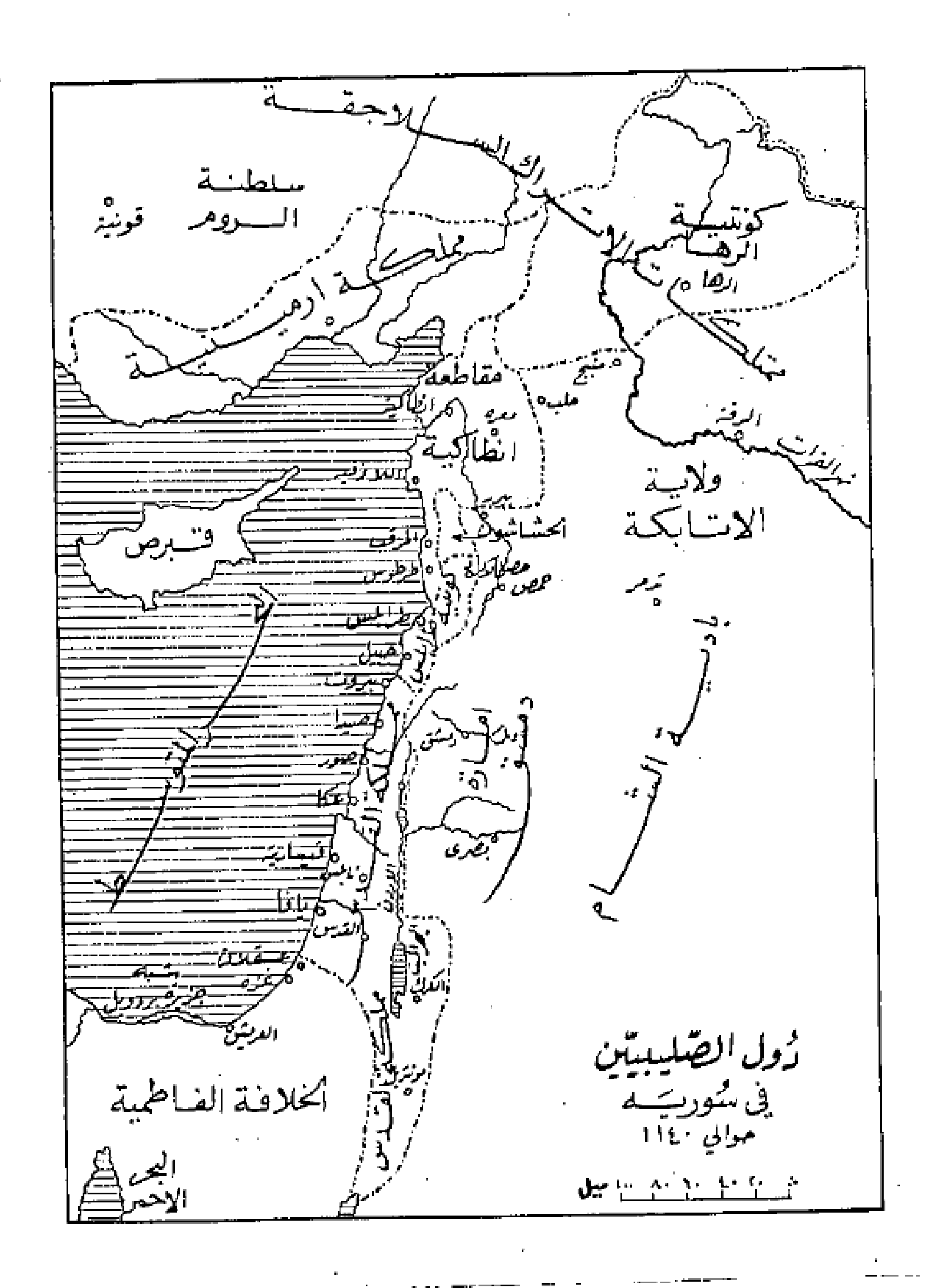


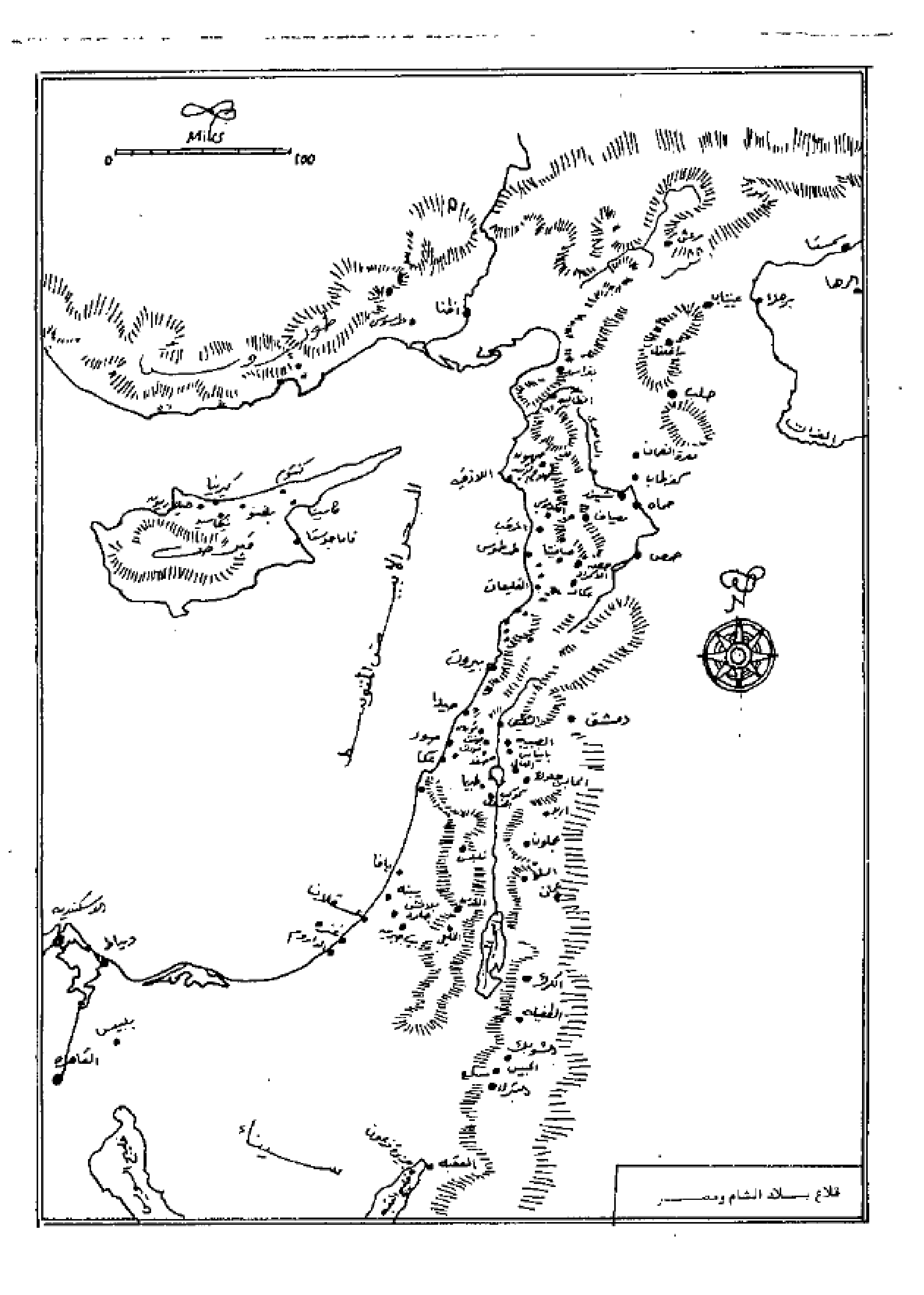
١) خارطه طرق المواصلات المارة عبرالأردن خلال العهدين الأيوبي والمملوكي ٠



خريطة الدولة الأيوبية


دولة المماليك
منتصف القرن الرابع عشر
البحر الابيض المتوسط
قبرص
اللاذقية
حلب
الرها
الرقة
حماة
طرابلس
تدمر
بعلبك
جبيل
بيروت
صيدا
صور
دمشق
بصرى
قيصرية
الرملة
القدس
عسقلان
غزة
دمياط
الاسكندرية
القاهرة
الفيوم
اسوان
العربية
المدينة
مكة


سلطنة
الروم
قونية
مملكة ارمينية
قبرص
انطاكية
ولاية
الاتابكة
الحشاشون
بادية الشام
الخلافة الفاطمية
البحر
الاحمر
الرها
اللاذقية
طرطوس
حمص
طرابلس
جبيل
بيروت
صيدا
صور
عكا
قيسارية
يافا
القدس
عسقلان
غزة
العريش
دمشق
بصرى
دول الصليبيين
في سوريه
حوالي ١١٤٠
ميل



Miles
0
100
البحر الأبيض المتوسط
حلب
حماه
حمص
اللاذقية
طرطوس
بيروت
صيدا
صور
عكا
دمشق
عجلون
يافا
عسقلان
الكرك
الشوبك
العقبة
دمياط
بلبيس
القاهرة
سيناء
قلاع بـــلاد الشام ومصـــر

١١٨٤ م
١٢١٤ م

١) الطابق الثاني .

(أخذ الاصل عن جونز) .

٢) الطابق الأول .

مخطط قلعة عجلون .

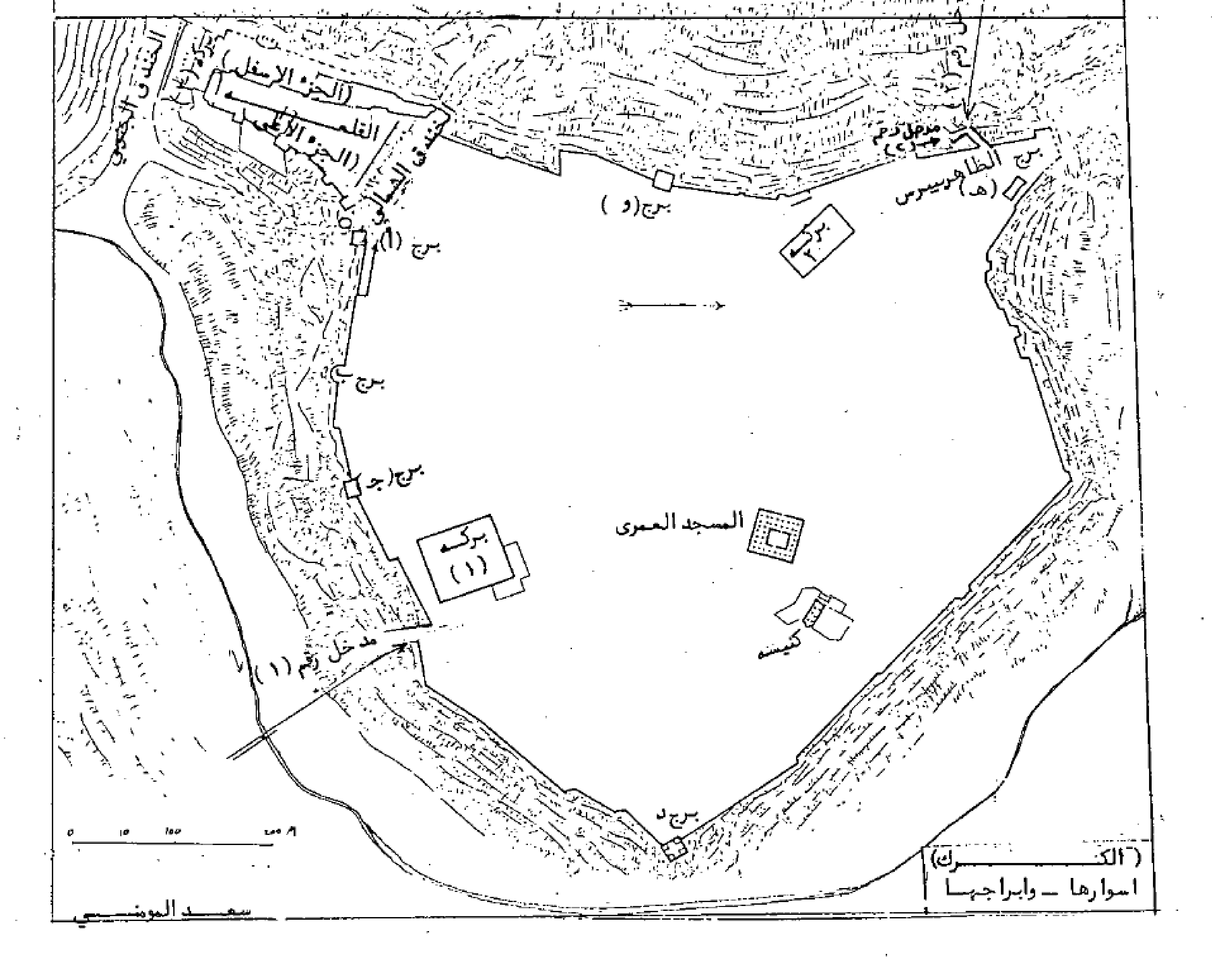
متطح في م-م

متطح في ب-ب

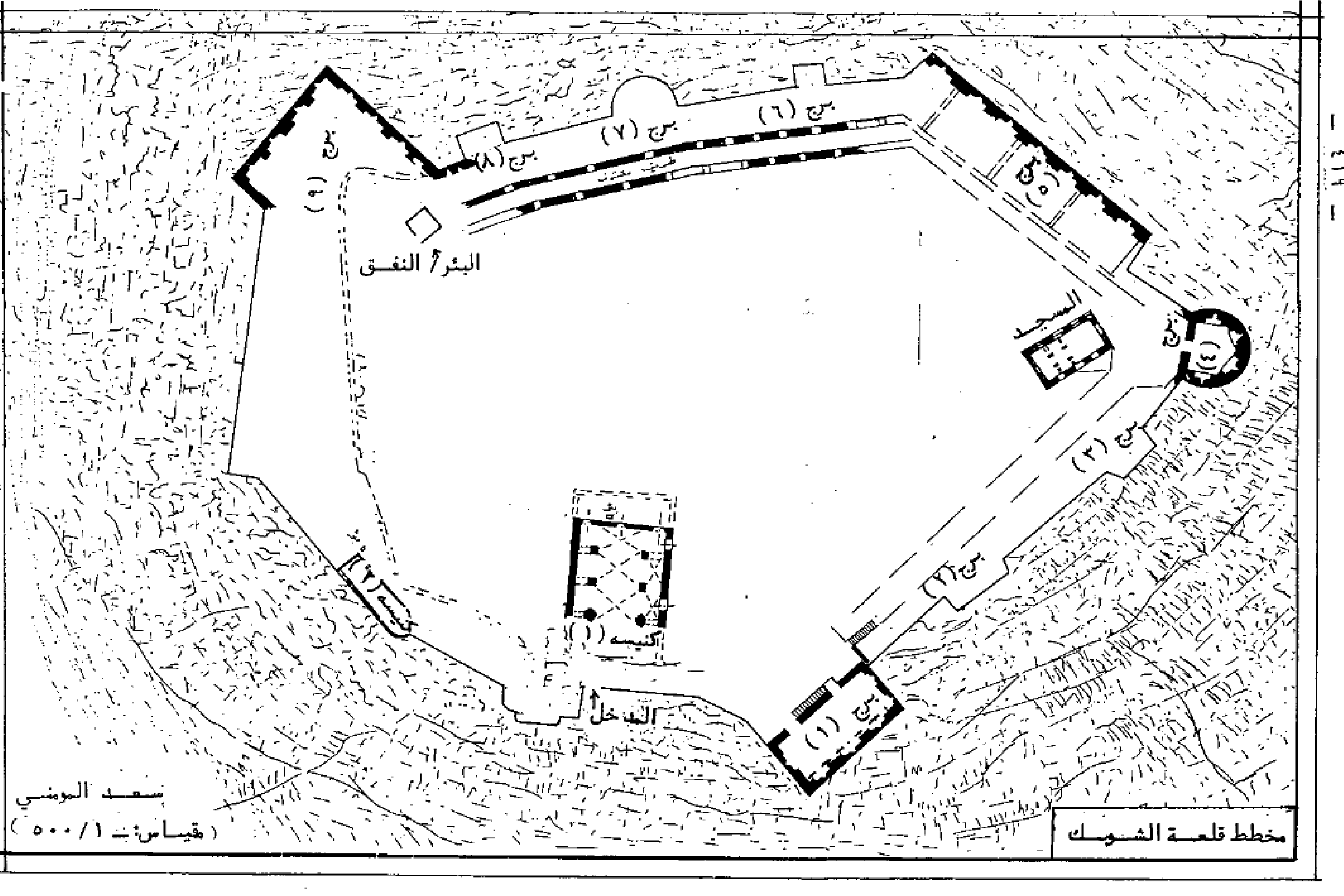
١) الطابق الثالث .

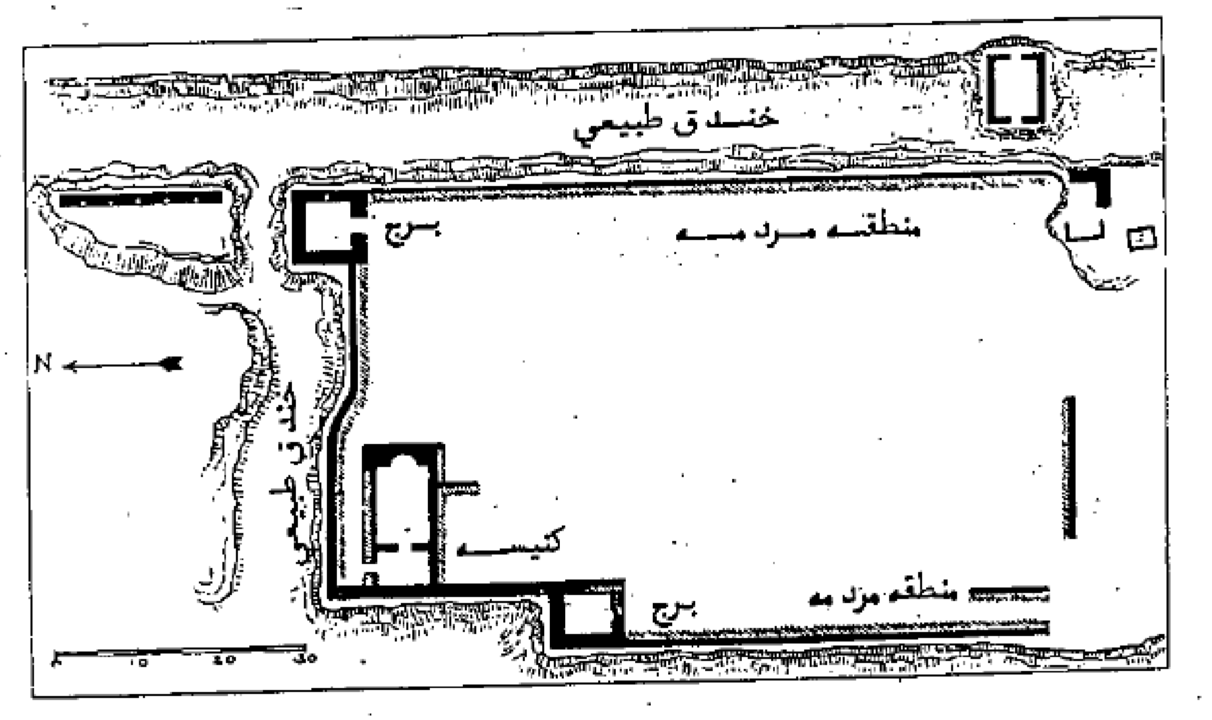
(اخذ الأصل عن جونز) .

مخطط قلعة عجلون .

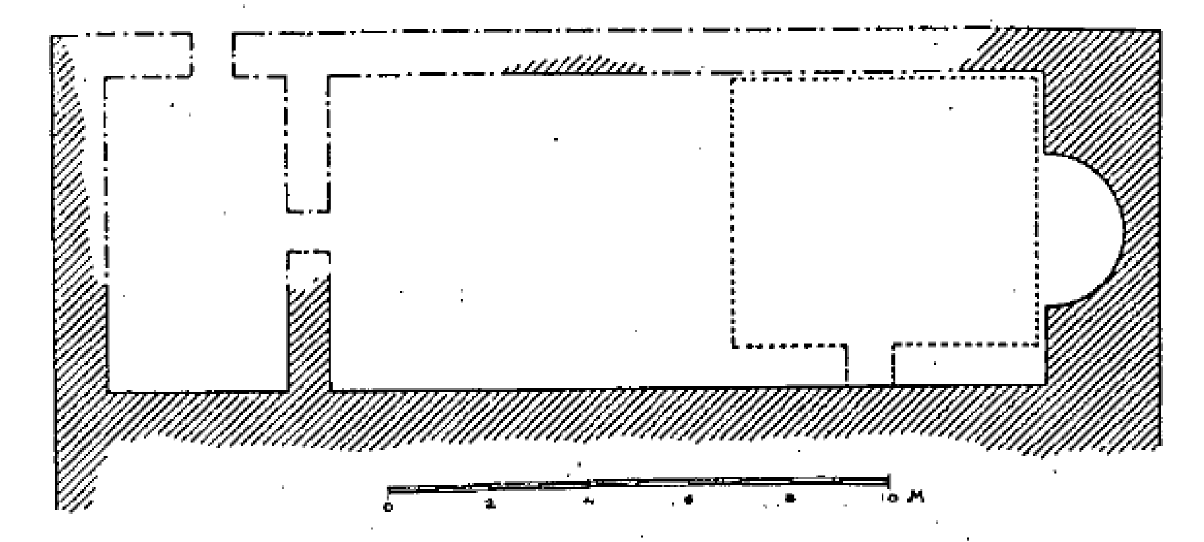


الكرك
اسوارها ـ وابراجها
القلعة
الجزء الاسفل
الجزء الاعلى
برج الظاهر بيبرس (هـ)
برج (و)
برج (أ)
برج ب
برج (جـ)
برج د
بركة (١)
بركة ٢
المسجد العمري
كنيسة
مدخل رقم (١)
مدخل رقم (٢)
سعد الموminين

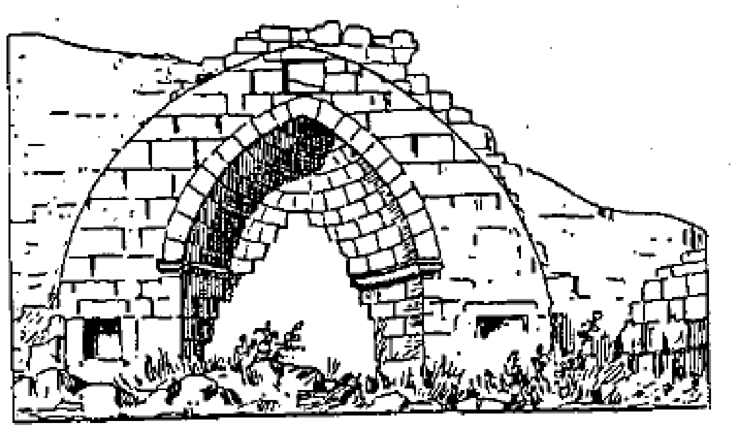

مخطط قلعة الشوبك
برج (١)
برج (٢)
برج (٣)
برج (٤)
برج (٥)
برج (٦)
برج (٧)
برج (٨)
برج (٩)
المسجد
كنيسه (١)
كنيسه (٢)
المدخل
البئر/ النفق
سعد المومني
(مقياس: ١/ ٥٠٠)



١) مخـــطط قـلـعــــة الــوعـــــيره .

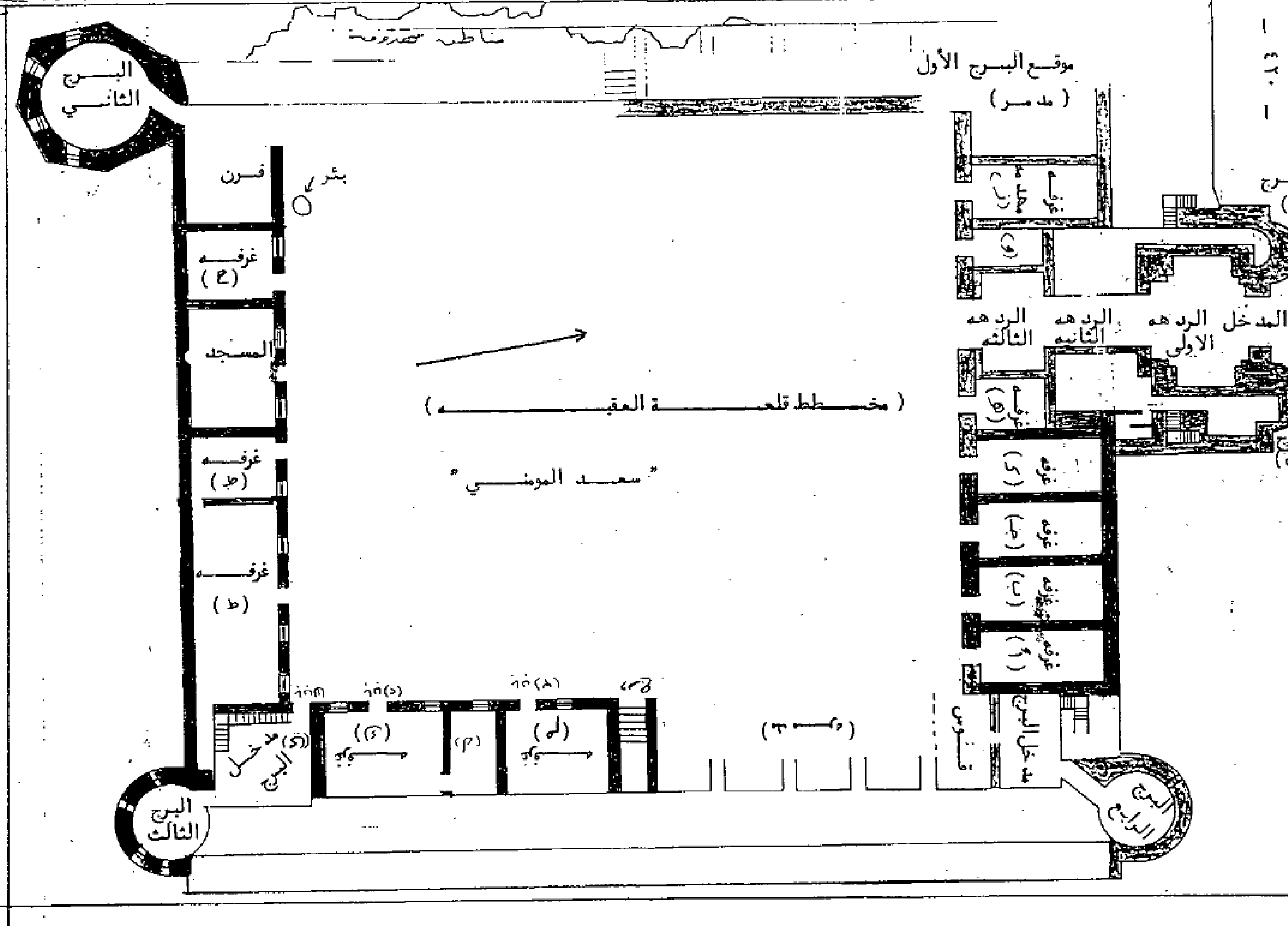


٢) مخطط كنيســة الوعيره وهو مطابق لمخطط كنيسة الشوبـــك رقـم (٢)



٣) هيكل الكنيسه وهو مطابق لهيكل كنيسة الشوبك رقـم (٢) ايضـــا .

٤) أخـذ الاصـل عـن بـرونـو ود وماس فسكـــي .


(مخـطط قلعـة العقبـة)
" سعد المومني "
البرج الثاني
البرج الثالث
البرج الرابع
موقع البرج الأول
(مدمر)
فرن
بئر
غرفه (ع)
المسجد
غرفه (ط)
غرفه (ط)
المدخل
الرده الاولى
الرده الثانيه
الرده الثالثه
غرفه (هـ)
غرفه (د)
غرفه (جـ)
غرفه (ب)
غرفه (أ)
مدخل البرج
قوس
(و)
شاطئ

١) مخـــطط قلعــة الطفيلـــه

٢/١

٢) مخـــططمسجـــد قلعـــة الشوك

٣) مخـــطط مسجـد قلعـة الأزرق •

٢/١

"قلعة الكرك"

خطط الطابق الثاني

* اخذ الأصل من ديشامب مع بعض التعديل "DESCHAMPS"
* آثار صليبية
* آثار ايوبية
* آثار مملوكية
* آثار مشتركة صليبية، أيوبية، مملوكية

سعد الموني

"قلعة الكرك"

مخطط الطابق الثاني

* اخذ الأصل من ديشامب مع بعض التعديل "DESCHAMPS"

* آثار صليبية

* آثار ايوبية

* آثار مملوكية

* آثار مشتركة صليبية، أيوبية، مملوكية

سعد الموسى


"قلعة الكرك"
(DESCHAMPS)
* أخذ الأصل من ديشاب مع بعض التعديل
* مخطط الطابق الأول
* آثار صليبية
* آثار أيوبية
* آثار مملوكية
* آثار مشتركة صليبية وأيوبية ومملوكية
القاعة الجنوبية

"قلعة الكرك"
(DESCHAMPS)
* أخذ الأصل من ديشاب مع بعض التعديل
* مخطط الطابق الأول
* آثار صليبية
* آثار أيوبية
* آثار مملوكية
* آثار مشتركة صليبية أيوبية مملوكية